

# قصص العرب

تأليف

محمد أحمد جاد المولى      محمد أبو الفضل إبراهيم      على محمد البجاوي

المجلد الثاني

الطبعة الرابعة

[ فيها زيادة ضبط وشرح وتحقيق ]

١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م

دار الخيانة الكتب العربية  
عيسى البابي الحلبي وشركاه

## البَابُ الْأَوَّلُ

---

في القصص التي تشرح ما أُثِرَ عنهم من عادات وشماثل  
في الأسباب الدائرة بينهم، وتبين ما انتهجوه في مواسمهم  
وأعيادهم وأفراحهم وأعراسهم، مما يمثل حياتهم الاجتماعية  
أصدق تمثيل .

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة

الطبعة الأولى

تعدُّ القصة أقدر الآثار الأدبية على تمثيل الأخلاق ، وتصوير العادات ، ورسم خَلجات النفوس ؛ كما أنها - إذا شرف غرضها ، ونُبِّل مقصدُها ، وكرمت غايتها - تُهذَّب الطباع ، وتُرَقِّق القلوب ، وتدفع الناس إلى المثل العليا : من الإيمان بالواجب والحق والتضحية والكرم والشرف والإيثار .

وقد كانت القصة - ولا تزال - ذاتَ الشأن الأسمى في آداب الأمم قديمها وحديثها ، فقد وردت في التوراة ، وجاءت في الإنجيل ، وزخرت بها آيُ الذكر الحكيم . ثم هي في شعر الإغريق ومخلفات الرومان وآثار المصريين القدماء .

والعرب من الأمم التي أخذت بنصيب من هذا الفن الجميل ، وأثّرَ عنها فيضٌ من ذلك الأدب الرفيع ؛ بيد أن بعضاً من الباحثين المحدثين قد جحدوا نصيبهم من هذا الفن ، وهضموم حَقِّهم في ذلك الباب ، ووصَّموهم بالخيال العقيم ، وعابوا عليهم الفكر القريب ؛ ولكن النصفين منهم قد عالم هذا الجحود ، ولم يرقهم ذلك النكران ، فاعترفوا للعرب بالقصص التي ترجوها عن الفرس والهنود ، وتزيّدوا عليها في القاهرة وبغداد ، وتحدّثوا للناس عن قصص عنقرة وذات الهمة ، وجلّوا عليهم ألف ليلة وليلة وأخبار ابن دِي يَزَن .

وهذه القصص - وإن كانت قد نجحت نجاحاً تاماً في تصوير المصور التي وُضِعَتْ فيها، ورَسِمَتْ لنا البيئة التي نبتت منها - كثير منها تافه الغرض مُبْهِمُ القصد، ردى اللغة والأسلوب . وفي قصر قصص العرب عليها جُحْدٌ للآداب العربية فضلها ، وإنكار عليها مفاخرها . . . وإلا فإن هناك قصصاً زخرت بها مجالس الخلفاء ، وسواهم الأمراء ، وملأت الكتب التي انحدرت إلينا عن المؤلفين القدماء : وما مَنَعَ الناس أن يَبرِدُوا شريعتها ، أو يحنوا أطايبها ، إلا ما مُنِيت به هذه الكتب من اضطراب الترتيب ، وردى الطبع ، وتحريف الناسخين .

وكتابتنا هذا جمعنا فيه هذه القصص : ما انتبذ منها وما شَرَدَ ، وألقنا ما تنافر وافترق ، وجعلناه أقساماً ، وقسمناه أبواباً ؛ جمعنا كل قصة إلى مثلها ، وضممنا كل طُرْفَةٍ إلى شبنها ؛ ليجتمع إلى غرض القصة - من تهذيب الطباع وترقيق النفوس - عَرَضٌ شامل لحياة العرب : مدينتهم وحضارتهم ، وعلومهم ومعارفهم ، وأديانهم وعقائدهم ، وذكر ألعواندهم وشمائلهم ، وما طُبِعوا عليه من كريم الفرائض ، وحده الذكاء ؛ ثم ما كان للمرأة عندهم من سامي المكانة وعظيم المنزلة ، وما أثرَ عنهم من أخبارٍ صَوَّروا بها حبهم العفيف ، وغزلهم الرقيق ، وعشقهم الشريف ؛ ولم يخلُ كتابنا مما كان لهم من محاورات ومساجلات ، ومطاميات ومناقلات ، وما نقله الرواة من أحوال العامة وللكوك ، وطُرَفَ القضاة والولاة ، وأخبار الأيام والحروب ، وغير هذا مما سيمرض مفصلاً في أبواب الكتاب .

ولم تقف في اختيار القصة على تعريف خاص ، أو حذرٍ مرسوم ؛ فبقيا اختارناه ما ذكره من طريف الأخبار وشائق الأحداث ، وما وضعوه مصوِّرين به المجالس والأشخاص ، وما صنعوه على ألسنة الطير والحيوان ، وما تخيلوه من أخبار الشياطين والجنان ؛ إذ كان الغرض تثقيف الأذهان بذكر الطرائف ؛ وإنشراح الصدور بمرض اللطائف ،



مع كشف نواحي التاريخ ، وإظهار مفاخر العرب .  
ولعل القارئ يروقه ماتدسّى فيها من شريف الخصال فيحتذّيها ، أو تعجبه  
كرائم العادات فيطبع نفسه عليها ، إلى ما في هذا من بعث فصيح الألفاظ ، وإحياء  
رائع الأساليب . ولعله يكون فيها مبادئ صالحة وأسس قوية لمن يريد أن ينشئ  
قصصاً طويلة على أساس ، أو يقيم روايات على بناء .  
وكان من همّنا أن نحصر على اختيار القصص كما وضعوها ؛ إلا ما كان من  
زيادة اقتضاها اختلاف الروايات ، أو تفسير لكلمات لا تألفها الآداب ، أو حذف  
عبارات لاغناء فيها .

ولقد بذلنا من الجهد في ضبط الألفاظ ، وكشف النقاب عن المعاني ، وتراجم  
الأشخاص ، وذكر المراجع ما نرجو أن يكون به جنّى الكتاب قريباً ، ومنهله  
عذبا ، وورده سائفاً ، وطريقه سهلاً معبداً .

ونسأل الله أن ينفع به ؛ على ما صدقنا في النية ورجونا من الخير .

المؤلفون

{ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٨  
( يولية سنة ١٩٣٩ ) }

## مقدمة الطبعة الرابعة

هذا كتابنا « قصص العرب » تقدمه إلى أدباء العربية في طبعته الرابعة ، بعد أن نفذت طبعته الثالثة ، وازداد الأدباء إقبالا على اقتنائه وتقديره له . وكنا قد تلقينا رسائل من بعض أفاضل الأدباء يرغبون إلينا فيها أن نذل الطريق إلى قراءة الكتاب ؛ فنكثر من ضبط الكلمات ، ونزيد من شرح المفردات ، فعملنا على تحقيق رغبتهم ، وبذلنا غاية الجهد في تحريره وتحقيقه . وزدنا في شرح كلماته وضبط أعلامه .

ونرجون أن يكون ذلك كفاء لما تلقينا من رسائل الأدباء ، ولما تفضلت به صحف الشرق العربي من إشادة .

ونسأل الله أن يزيد به النفع بقدر ما بذلنا من جهد ، ورجونا من خير .

المؤلفون

المحرم سنة ١٣٨٢  
يونيه سنة ١٩٦٢

القاهرة  
( جميع الحقوق محفوظة )

# ١ - شبّ عمزرو عن الطّوق\*

كان جَذِيمة<sup>(١)</sup> الأبرش ملكُ الحيرة قد جمع غِلْمَانًا من أبناء الملوك يخدمونه ؛  
منهم عدى بن نصر بن ربيعة اللّخميّ ، وكان له حظٌّ من الجمال ؛ فقالت له رَقَاشُ  
أخت جَذِيمة : إذا سَقَيْتَ الملكَ فيسكر فاخطبني إليه ؛ فسقى عدى جَذِيمةَ ليلةً ،  
والطفّ له في الخدمة ، ولما أسرعَ الخمرُ فيه ، قال له : سَلْنِي ما أَحْبَبْتَ ، فقال :  
أَسْأَلُكَ أنْ تزوجني رَقَاشَ أَخْتِكَ . قال : ما بها عنك رغبةٌ ، قد فعلتُ !

فدخل بها ، وأصبح في ثياب جُدُرٍ وطيب . فلما رآه جَذِيمةُ قال : يا عدى ؛ ما هذا  
الذي أرى ؟ قال : زَوَّجْتَنِي أَخْتِكَ رَقَاشَ البسارحةَ ، قال : ما فعلتُ ! ثم وضع  
يده في التراب ، وجعل يضرب بها وجهه ورأسه ، وأقبل على رَقَاش فقال :

حدثيني وأنت غيرُ كذوب      أبحرِي زَنَيْتِ أم بهجيج  
أم بعبدٍ وأنت أهلٌ لعبدٍ      أم بدُونٍ وأنت أهلٌ لدون  
فأجابته رَقَاش :

أنت زَوَّجْتَنِي وما كنتُ أدري      وأتاني النسَاء للترزين  
ذاك من شُرْبِكَ المدامة<sup>(٢)</sup> صِرْفًا      وتماديك في الصَّبَا والمَجُون<sup>(٣)</sup>

فأطرق جَذِيمة ، فلما رآه عدى قد فعل ذلك خافه على نفسه فهرب منه ، ولحقَ  
بقومه وببلاده ، فمات هناك .

\* الأمثال : ٢ - ٧٥ ، القاموس المحيط - مادة طوق ، بلوغ الأرب : ٢ - ١٧٧ ،  
المسعودي : ١ - ٧٥ .

(١) جَذِيمة الأبرش ثالث ملوك الدولة التنوخية في العراق ، عاش في الجاهلية عمرًا طويلا ، وكان  
يقال له الوضاح والأبرش لبرس فيه ، وهو الذي جاء إلى الزباء فقتلته بتأرأيتها (٢) المدامه : الخمر .  
وصرف : غير ممزوج (٢) المجون : الهزل .

ثم ولدت رقاش غلاما ، فسماه جَذِيمةَ عمرأ وتبناه ، وأحبّه حبّا شديداً - وكان جَذِيمةَ لا يولد له .

فلما بلغ الغلامُ ثمانى سنين كان يخرج في عِدَةٍ من خدم الملك يجتنون له الكُمَّةَ ، فكانوا إذا وجدوا كُمَّةً خياراً أكلوها وراحوا بالباقي إلى الملك . وكان عمرو لا يأكلُ مما يَجْنِي ، ويأتى به جَذِيمةَ فيضعه بين يديه ، ويقول :

هذا جَنائى وخيارُهُ فيه      إذْ كلُّ جانٍ يَدُهُ إلى فيه

ثم إنه خرج يوما وعليه ثيابٌ وحَلْيٌ ، فاشتطير وفقدَ زماناً ، وضربَ في الآفاق فلم يوجد ، وأتى على ذلك ما شاء الله .

ثم وجده مالكٌ وعَقِيلٌ ابنا فارحٍ ، وهما رجلان كانا متوجهين إلى الملك بهدايا وتُحَفَ ، فبينما هما بوادٍ في السَّماوَةِ انتهى إليهما عمرو بنُ عَدَى ، وقد عَفَتَ<sup>(١)</sup> أظفارُهُ وشعرُهُ ، فقالا له : من أنت ؟ قال : ابنُ التَّنُوخِيَّةِ ؛ فَلَمَّيَا عنه ، وقالا للجارية معها : أطعمينا فأطعتهما ؛ فأشار عمرو إلى الجارية أن أطعمني فأطعمته ، ثم سقتهما ، فقال عمرو : اسقيني . فقالت الجارية : لا تُطعمُ<sup>(٢)</sup> العَبْدَ الكِرَاعَ فَيُطْمَعُ في الذراع<sup>(٣)</sup> .

ثم إنهما حملاه إلى جَذِيمةَ فعرفه ، ونظر إلى فتى ما شاء من فتى ! فضمه وقبله وقال لهما : حَكَمْتُكما . فسألاه منادته ، فلم يزالا نَدِيْمِيَّةَ حتى فرَّقَ الموتَ بينهما ؛ وبعثَ عمرأ إلى أمه ، فأدخلته الحمامَ ، وألبسته ثيابَهُ ، وطوّقته طوقاً كان له من ذهبٍ ، فلما رآه جَذِيمةَ قال : كَبِرَ عمرو عن الطوق<sup>(٤)</sup> !

(١) عفا الشعر وغيره : كثر (٢) ذهبت مثلاً (٣) الكراع في البقر والغنم كالوظيف في الفرس والبعر وهو مستند الساق . والذراع أفضل من الكراع لأنه في اليد ، والكراع في الرجل . (٤) ذهبت مثلاً ، يضرب للابس ما هو دونه .

## ٢ — الحديث ذو شُجُون \*

كان لَضَبَّة بن أَدْرِ ابنان ؛ يقال لأحدهما سعدٌ وللآخر سُمَيْد ؛ فنفرت إبل لَضَبَّة تحت الليل ؛ فوجّه ابنيه في طلبها ؛ ففترقا . فوجدها سعد ، فردها . ومضى سُمَيْد في طلبها ؛ فلقى الحارث بن كعب — وكان على الغلام بُرْدان — فسأله إياها ، فأبى عليه ، فقتله ، وأخذ بُرْدِيَه .

فكان ضَبَّة إذا أمسى فرأى تحت الليل سواداً قال : أسعد أم سعيد<sup>(١)</sup> ؟ فكش ضَبَّة كذلك ما شاء الله أن يمكث . ثم إنه حجّ ؛ فوافى عُكَاظ ، فلقى بها الحارث بن كعب ؛ ورأى عليه بُرْدَى ابنه سُمَيْد ، فمرّفها ، فقال : هل أنت تُخْبِرِي : ما هذان البردان اللذان عليك ! قال : لقيت غلاماً ومهما عليه ؛ فسألته إياها فأبى علىّ فقتلته ؛ وأخذتُ بُرْدِيَه هذين .

فقال ضَبَّة : بسيفك هذا ؟ قال : نعم ! فقال : فأعطنيهِ أنظر إليه فأبى أنظره صارماً ، فأعطاه الحارثُ سيفَه ، فلما أخذه من يده هزّه ، وقال : الحديث<sup>(٢)</sup> ذو شُجُون ، ثم ضربه به حتى قتله ؛ فقيل له : يا ضَبَّة ؛ أفى الشهر الحرام ؟ فقال : سبق السيفُ العَدْل !

---

\* اللسان — مادة شجن ، أمثال الميداني : ١ — ١٨٠ .  
(١) ذمبت مثلاً ، ويضرب في النجاح والنجية (٢) ذمبت مثلاً .

### ٣ — جَوَّعُ كَلْبِكَ يَتَّبِعُكَ\*

كان أحدُ ملوكِ خَيْرٍ عَظِيمًا على أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ ، يَفْضِلُهُمْ أَمْوَالَهُمْ ، وَيَسْلُبُهُمْ مَا فِي أَيْدِيهِمْ ، وَكَانَتِ الْكَهَنَةُ تَخْذِرُهُ أَنَّهُمْ سَيَقْتُلُونَهُ ، فَلَا يَحْفَلُ بِذَلِكَ .

وَسَمِعَتْ أَسْرَاتُهُ أَصْوَاتَ السُّؤَالِ ؛ فَقَالَتْ : إِنِّي لِأَرْحَمُ هَؤُلَاءِ ؛ لَمَّا يَلْقَوْنَ مِنَ الْجَهْدِ ، وَنَحْنُ فِي الْعَيْشِ الرِّغْدِ ، وَإِنِّي لِأَخَافُ عَلَيْكَ أَنْ يَصِيرُوا سِبَاعًا ، وَقَدْ كَانُوا لَنَا أَتْبَاعًا ؛ فَرَدَّ عَلَيْهَا وَقَالَ : جَوَّعُ كَلْبِكَ يَتَّبِعُكَ<sup>(١)</sup> !

فَلَبِثَ بِذَلِكَ زَمَانًا ، ثُمَّ أَغْزَاهُمْ ، فَغَنَمُوا ، وَلَمْ يَقْسَمْ فِيهِمْ شَيْئًا ، فَلَمَّا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ قَالُوا لِأَخِيهِ - وَهُوَ أَمِيرُهُمْ : قَدْ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ مِنَ الْجَهْدِ ، وَنَحْنُ نَكْرَهُ خُرُوجَ الْمَلِكِ مِنْكُمْ - أَهْلَ الْبَيْتِ - إِلَى غَيْرِكُمْ ؛ فَسَاعِدْنَا عَلَى قَتْلِ أَخِيكَ ، وَاجْلِسْ مَكَانَهُ .

وَكَانَ قَدْ عَرَفَ بَغْيَهُ وَاعْتِدَاءَهُ عَلَيْهِمْ ؛ فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ ؛ فَوَثَبُوا عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ ! فَمَرَّ بِهِ عَامِرُ بْنُ جَدِيمَةَ - وَهُوَ مُقْتُولٌ - وَقَدْ سَمِعَ بِقَوْلِهِ : جَوَّعُ كَلْبِكَ يَتَّبِعُكَ - فَقَالَ : رَبَّمَا أَكَلَ الْكَلْبُ مُؤَدِّبَهُ إِذَا لَمْ يَنْلِ شَبْعَهُ !

---

\* الأمثال : ١ - ١٥٠

(١) مثل يضرب في معاشرَة اللثام ، وما ينبغي أن يعاملوا به .

٤ — عند جُهمينة الخبر اليقين \*

أحدث الأخنسُ بن كعب في قومه حَدَثًا ، فخرج هاربًا ، فلقيه الحصين بنُ عمرو الكلابي ، فقال له : من أنت ؟ تَكَلِّتُك أُمُّك ! فقال له الأخنس : بل من أنت تَكَلِّتُك أُمُّك ! فردد هذا القول حتى قال الأخنس : أنا الأخنس بنُ كعب ، فأخبرني مَنْ أنت ، وإلا أنفذت قلبك بهذا السُّنان . فقال له الحصين : أنا الحصين ابن عمرو الكلابي .

فقال له الأخنس : فما الذي تريد ؟ قال : خرجتُ لِمَا يخرج له الفتيان . قال الأخنس : وأنا خرجتُ لمثل ذلك . فقال له الحصين : هل لك أن تتعاقد ألا نلتقي أحداً من عشيرتك أو عشيرتي إلا سلبناه ؟ قال : نعم ؛ فتعاقدا على ذلك ؛ وكلاهما فأتاك يحذَرُ صاحبه !

فلقيا رجلاً فسلباه ، فقال لهما : هل لكما أن تردّا على بعض ما أخذتما مني وأدلكما على مغنم ؟ قالا : نعم . فقال : هذا رجل من نلحم ، قد قدم من عند بعض الملوك بمغنم كثير ، وهو خلقي في موضع كذا وكذا . فردّا عليه بعض ماله ، وطلبا اللّخمى ، فوجداه نازلاً في ظل شجرة وقدّاه طعام وشراب ، فحيّاه وحيّاهما ، وعرض عليهما الطعام ، فكره كلُّ واحدٍ أن ينزل قبل صاحبه فيفتك به ، فنزلا جميعاً ، وأكلا وشربا مع اللّخمى .



ثم إنَّ الأخنس ذهب لبعض شأنه ، فرجع واللخمى يتشحط في دمه <sup>(١)</sup> . فقال  
الجهنى - وهو الأخنس - وسل سيفه لأن سيف صاحبه كان مسلولاً : ويحك !  
فصكت برجلٍ قد تحرمنا بطعامه وشرابه ، فقال : اقم يا أخا جهينه ؛ فلهذا وشبهه  
خرجنا . فشر باساعةً وتحدثنا .

ثم إن الحصين قال : يا أخا جهينة ؟ أتدرى ماصلةُ وما صعل <sup>(٢)</sup> ؟ قال الجهنى :  
هذا يوم شرب وأكل ؛ فسكت الحصين حتى إذا ظنَّ أنَّ الجهنى قد نسي ما يُراد به  
قال : يا أخا جهينة ؛ هل أنت للطير زاجر ! قال : ماذا ؟ قال : ماتقول هذه العقاب  
الكاسر ؟ قال الجهنى : وأين تراها ؟ قال : هى ذى ، وتناول ورفع رأسه إلى السماء ،  
فوضع الجهنى بادرَّة السيف فى نحره ، فقال : أنا الزاجر والناحر ! واحتوى على  
متاعه ومتاع اللخمى ، وانصرف راجعاً إلى قومه .

فر بيطينين من قيس يقال لهما : مراح وأنمار ، فإذا هو بامرأة تنشد الحصين ،  
فقال لها : مَنْ أنت ؟ قالت : أنا صخرة أخت الحصين ، قال : أنا قتلته . قالت :  
كذبت ! ما مثلك يقتل مثله ، أما والله لو لم يكن الحى خلوا ما تكلمت بهذا . فانصرف  
إلى قومه فأصلح أمرهم ، ثم جاءهم ، فوقف حيث يسمعهم وقال :

وكم من ضينم ورد <sup>(٣)</sup> هموس <sup>(٤)</sup> أبى شبلين مسكنه العرين  
علوت يياض مفرقة <sup>(٥)</sup> بعضب فاضحى فى الفلاة له سكون  
وأضحت عرسه ولها عليه - بعيد هدوء ليلتها - رنين  
وكم من فارس لا تزدرى إذا شخصت لموقعه العيون

(١) يتشحط فى دمه : يتخبط فيه ويضطرب ويترغ (٢) الصلة : النامة ، والصل : الظلم -  
(٣) الورد : الأسد ، ولونه بين الكيت والأشقر (٤) هموس : السيار بالليل (٥) الفرق :  
وسط الرأس .

كصخرة إذ تُسألُ في مراح وأعمار وعلماها ظنون  
تسأل عن حصين كل ركب وعند جهينة الخبر اليقين  
فن يك سائلاً عنه فمندی لصاحبه البيان المستبين  
جهينة معشرى وهو ملوك إذا طلبو المالى لم يهونوا

٥ — يَحْمَى الصَّحَابُ إِذَا تَكُونُ كَرِيهَةً\*

تزوج أبو كبير<sup>(١)</sup> الهذلى أم تابط شراً<sup>(٢)</sup> - وكان غلاماً صغيراً - فتسكر له ،  
وعرف ذلك أبو كبير في وجهه ، إلى أن ترعرع الغلام ، فقال أبو كبير لزوجه :  
وَيْحَكَ ، قد والله رابى أمرُ هذا الغلام ، ولا آمنه . قالت : فاحتل دلياً  
حتى تقتله .

فقال له ذات يوم : هل لك أن تغزو ؟ فقال : ذاك من أمرى . قال : فأمض  
بنا ، فخرجنا غازيين ولا زادَ معها ، فسارا ليلتهما ويومهما من الغد ، حتى ظنَّ  
أبو كبير أن الغلام قد جاع . فلما أمسى قصدَ به أبو كبير قوماً كانوا له أعداء ، فلما  
رأيا نارهم من بُعد قال له أبو كبير : ويحك ، قد جُعنا ! فلو ذهبنا إلى تلك النار  
فالتمسنا لنا منها شيئاً !

\* خزانة الأدب ٣ - ٤٦٧ ( طبعة بولاق ) ، الشعر والشعراء لابن قتيبة : ٦٥٢ ، شرح

ديوان الحماسة : ١ - ١٩

(١) أبو كبير الهذلى : اسمه عامر بن الحليس . (٢) هو ثابت بن جابر ، كان أسمع العرب  
وأبصرهم وأكيدهم ، وكان أعدى رجل ؛ ينظر إلى الظباء فيبتقى على نظره أسنمها ، ثم يمدو خلفه  
خلا يفوته . وأخبره في هذا الباب كثيرة . توفي نحو سنة ٨٠ ق . هـ

ففى تأبطَ شراً ، فوجد على النار رجلين من أَلَصٍّ مَنْ يَكُونُ من العرب  
— وإنما أُرسله إليهما أبو كبير ليقْتلاه — فلما رأياه قد غشي نارهما وثباً عليه ، فرمى  
أحدهما وكرّ على الآخر فرماه ، فقتلها ، ثم جاء إلى نارهما فأخذ الخبزَ منها ، فجاء  
به إلى أبي كبير ، فقال له : كل ، لا أشبع الله بطنك ! ولم يأكل هو ، فقال :  
ويحك ! أخبرني عن قصّتك ، فأخبره ، فازداد خوفاً منه .

ثم مضيا في ليلتهما فأصابا إبلاً ، وكان يقول له أبو كبير ثلاث ليالٍ : اختر  
أى نصف الليل شئتَ تحرسُ فيه وأنام ، وتنام النصف الآخر ، فقال : ذلك إليك ،  
اختر أيهما شئتَ ، فكان أبو كبير ينامُ إلى نصف الليل ويحرسُه تأبطَ شراً ،  
فإذا نام تأبطَ شراً نام أبو كبير أيضاً لا يحرسُ شيئاً حتى استوفى الثلاث .

فلما كان في الليلة الرابعة ظنَّ أن النعاس قد غلب على الغلام ، فنام أول الليل  
إلى نصفه ، وحرسه تأبطَ شراً ، فلما نام الغلام قال أبو كبير : الآن يستنقل نوماً  
وتمكننى فيه الفرصة ؛ فلما ظنَّ أنه استنقل أخذ حصبةً صغيرةً ؛ فحذف <sup>(١)</sup> بها ؛  
فقام كقيامه الأول ، فقال : ما هذا الذى أسمعُ ؟ قال : والله ما أدرى لعل بعض  
الإبل تتحرك ؛ فقام وطاف فلم ير شيئاً ، فعاد فنام ، فأخذ حصاةً أصغر من تلك ،  
فرمى بها فوثب ، فطاف ورجع إليه ، فقال : يا هذا ؛ إني قد أنكرتُ أمرَكَ :  
والله لئن عدتُ أسمعُ شيئاً من هذا لأقتلنك ! قال أبو كبير : فبتُّ والله أحرسه خوفاً  
أن يتحرك شيء من الإبل فيقتلنى !

فلما رجعا إلى حيثهما قال أبو كبير :

ولقد سررتُ على الظلام بمغشَمِ جَلْدٍ من الفتيان غير مثقل <sup>(٢)</sup>

(١) حذف بها : رمى (٢) المغشَم : الذى لا يثنيه شيء . والجلد : القوى . وغير مثقل : أى :  
حسن القبول محبب إلى القلوب .

يَمْنَحُ حَمْلُنَ بِهِ وَهُنَّ عَوَاقِدُ<sup>(١)</sup> حُبِكَ النَّطَاقِ فَشَبَّ غَيْرُ مُهْتَلٍ<sup>(٢)</sup>  
 حَمَلَتْ بِهِ فِي لَيْلَةٍ مَزْدُودَةٍ<sup>(٣)</sup> كَرْنَهَا وَعَقْدَ نِطَاقِهَا لَمْ يُحْمَلِ  
 فَأَتَتْ بِهِ حَوْشَ الْفَوَادِ مُبْطِنًا<sup>(٤)</sup> سَهْدًا إِذَا مَا نَامَ لَيْلُ الْهُوجِلِ<sup>(٥)</sup>  
 وَإِذَا نَبَذَتْ لَهُ الْحَصَاةَ رَأَيْتَهُ<sup>(٦)</sup> يَنْزُو لَوْقَعَتَهَا طُمُورَ الْأَخِيلِ<sup>(٧)</sup>  
 وَإِذَا يَهُبُّ مِنَ النَّسَامِ رَأَيْتَهُ<sup>(٨)</sup> كَرْتُوبَ كَعْبِ السَّاقِ لَيْسَ بِزُمْلٍ<sup>(٩)</sup>  
 مَا إِنْ يَمْسُ الْأَرْضَ إِلَّا مِنْكِبٌ<sup>(١٠)</sup> مِنْهُ وَحَرْفُ السَّاقِ طَىَ الْحَمَلِ<sup>(١١)</sup>  
 وَإِذَا رَمَيْتَ بِهِ الْفِجَاجَ رَأَيْتَهُ<sup>(١٢)</sup> يَهْوِي مَخَارِمَهَا هَوًى الْأَجْدَلِ<sup>(١٣)</sup>  
 وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى أُسْرَةٍ وَجْهَهُ<sup>(١٤)</sup> بَرَقَتْ كَبْرَقِ الْعَارِضِ التَّهْلِيلِ<sup>(١٥)</sup>  
 يَحْمِي الصَّحَابَ إِذَا تَكُونُ كَرِيهَةً<sup>(١٦)</sup> وَإِذَا هُمْ نَزَلُوا فَمَاوَى الْعَيْلِ<sup>(١٧)</sup>

(١) الضمير للنساء ، وإن لم يجر لمن ذكر ، وضمن حملن معنى علقن فتعدى بالباء ، وعواقد جمع عاقدة ، والحبك جمع حباك : وهو ما يشد به النطاق ، والنطاق شقة تلبسها المرأة وتشد وسطها ثم ترسل الأعلى على الأسفل إلى الركبة ، والأسفل ينجر على الأرض . والمهبل الذى يدعى عليه بقولهم : هبلته أمه ، أى شكلته ، أو الكثير اللحم . والمعنى أن هذا الغلام حملت به أمه وهى متعبة من الخدمة فنشأ محموداً مرضياً ، لم يدع عليه بالثقل والمهبل ، وهذا في زعم العرب (٢) مزودة : مروعة ، والعرب تزعم أن المرأة تنجب إذا حملت مفضبة (٣) حوش الفؤاد : ذكى كيس ، والمبطن : الخيمص البطن . والسهد : قليل النوم ، والهوجل : الثقل الكسلان ، والأهوج . (٤) ينزو : يقفز ، والطمور : الوتب ، والأخيل : الشاهين ، وهو من الطيور الجارحة (٥) رأيت : أى رأيت رنوبه ، ورتوب الكعب انتصابه ، والزمل : الضعيف ، والمعنى : أنه إذا استيقظ من منامه انتصب انتصاب الساق (٦) يقول : إنه مدمج الخلق إذا اضطجع لا ينسبط على الأرض ولا يتسكن منها بأعضائه كلها وإنما يمس الأرض بمنكبه ، فهو في ذلك مثل حراة اليف حين تطلو (٧) الفجج : جمع فج وهو الطريق الواسع في الجبل أو غيره . الهوى : القصد إلى أسفل ، والمخارم جمع مخرم وهو منقطع أمت الجبل . والأجدل : الصقر . وهذا الكلام كناية عن كونه صاحب همه إذا نبطت به الصعاب ذلها (٨) الأسرة : الخطوط التى في الجبهة ، يقول : إذا نظرت في وجهه رأيت أساري وجهه تشرق لإشراق السحاب المتشقق بالبرق . يصفه بحسن البشر وطلاقة الوجه (٩) العيل : جمع عائل وهو الفقير ، يصفه بأنه شجاع كريم .

## ٦ — تَأْبَطُ شَرًّا وَابْنُ بَرَّاقِ\*

أغار تأبط شرًّا ومعه ابن<sup>(١)</sup> بَرَّاقِ على بِحِيلَةٍ ، فأطردا لهما نعمًا ، ونذِرت<sup>(٢)</sup> بهما بِحِيلَةٍ فخرجتُ في آثارهما ، ومضيا هارين في جبال السَّراةِ ، وركبًا الحزن ، وعارضتهما بِحِيلَةٌ في السهل ، فسبقوهما إلى الوَهْطِ<sup>(٣)</sup> ، فدخلوا لهما في قصبَةِ العين ، وجاءا — وقد بلغ العطشُ منهما — إلى العين .

فلما وقعا عليها ، قال تأبط شرًّا لابن براق : أَقَلَّ من الشرب فإنها ليلة طرُد ، قال : وما يدريك ؟ قال : والذي أَعْدُو بِطَيْرِهِ<sup>(٤)</sup> ، إني لأسمع وجيبَ<sup>(٥)</sup> قلوب الرجال تحت قدميَّ — وكان من أسمع العرب وأكيدهم — فقال له ابن براق : ذاك وجيبُ قلبك . فقال له تأبط شرًّا : والله ما وجبَ قط ولا كان وجابًا ، وضرب بيده عليه ، وأصاخ نحو الأرض يستمع ، فقال : والذي أَعْدُو بِطَيْرِهِ ؛ إني لأسمع وجيبَ قلوب الرجال . فقال له ابن براق : فإني أنزل قلبك .

فنزَل فبرك وشرب ، وكان أكلُ القوم عند بِحِيلَةِ شَوْكَةٍ ، فتركوه وهم في الظلمة . ونزل ثابت<sup>(٦)</sup> ، فلما توسط الماء وثبوا عليه ، فأخذوه وأخرجوه من العين مكتوفًا ، وابن براق قريبٌ منهم لا يطمعون فيه لما يعلمون من عدّوه . فقال لهم ثابت : إنه من أصلف الناس وأشدّهم حُبْنًا بعدّوه ، وسأقولُ له استأمر<sup>(٧)</sup> معي ،

---

\* الأغانى : ١٨ — ٢١١ ( طبعة الساسي ) ، بلوغ الأرب : : ٢ — ١٤٣

(١) اسمه عمرو بن براق (٢) نذره : علم (٣) الوهط : ماء بالطائف (٤) يقال : طير الله لا طيرك . أى فعله وحكمه (٥) وجب القلب : اضطرب (٦) ثابت : اسم تأبط شرًّا (٧) استأمر : كُن أسيرًا .

فسيدغوه حُجِّبه بعدوه إلى أن يعدو بين أيديكم ، وله ثلاثة أطلاق <sup>(١)</sup> ؛ أولها كالريح الهابة ، والثاني كالقرس الجواد ، والثالث يكتبو فيه ويمر . فإذا رأيتم منه ذلك فخذوه ؛ فإنني أحبُّ أن يصير في أيديكم كما صرتُ إذ خالفني ، قالوا : فافعل .

فصاح به تأبط شراً : أنت أخي في الشدة والرخاء ، وقد وعدني القوم أن يمتنوا عليك وعلى ، فاستأمرُ ووأسنى بنفسك في الشدة كما كنت أخي في الرخاء ؛ فضحك ابنُ براقٍ ، وعلم أنه قد كادهم ، وقال : مهلاً يا ثابت ، أيستأمرُ من عنده هذا المدو ؟ ثم عدا ، فعدا أول طلق مثلَ الريح كما وصف لهم ، والثاني كالقرس الجواد ، والثالث جمل يكتبو ويمر ويقعُ على وجهه ؛ فقال ثابت : خذوه ؛ فعدوا بأجمعهم ، فلما أن أن نفسوا عنه شيئاً عدا تأبط شراً في كتافه ، وعارضه ابنُ براقٍ فقطع كتافه وأفلتاً جميعاً ، فقال تأبط شراً قصيدته القافية في ذلك :

يا عيْدُ <sup>(٢)</sup> مالك من شوقٍ وإبراقٍ      ومرطيفٍ على الأهوال طَرَاقٍ  
يسرى على الأَيْنِ <sup>(٣)</sup> والحيات محتفياً      نفسى فداؤك من سارى على ساقٍ

(١) الطلق : الشوط (٢) العيد : ما اعتاده الإنسان من هم أو شوق أو مرض ، وما لك من شوق : يعنى ما أعظمك ، والإبراق مصدر أرقه ، وطراق : أى يأتى ويطرق في الليل .  
(٣) الأين : الذكر من الحيات ، ومحتف : حاف غير متعل .

## ٧ - أتنك بجائين رجلاه \*

كان المنذر بن ماء السماء <sup>(١)</sup> يناديه رجلان من العرب : خالد بن المصلل ، وعمر بن مسعود الأسديان ، فشرب ليلةً معهما ، فراجاه الكلام ، فأغضباه ، فأمر بهما فقتلا وجُعلا في تابوتين ، ودُفنا بظاهر الكوفة .

فلما أصبح وصحاً سأل عنهما فأخبر بذلك ، فندم وركب حتى وقف عليهما ؛ فأمر بينياف الغريين <sup>(٢)</sup> ، وجعل لنفسه في كل سنة يومين : يوم بؤس ، ويوم نعيم .

فكان يضع سريره بينهما ؛ فإذا كان يوم نعيمه فأول من يطلع عليه - وهو على سريره - يعطيه مائة من إبل الملوك ، وأول من يطلع عليه في يوم بؤسه يعطيه رأس ظريبان <sup>(٣)</sup> ويأمر به فيذبح ، ويُغرى بدمه الغريان . فلم يزل كذلك ماشاء الله .

فبينما هو ذات يوم من أيام بؤسه ، إذ طلع عليه عبيد بن الأبرص <sup>(٤)</sup> ، فقال له الملك : ألا كان الذَّبْحُ <sup>(٥)</sup> غيرك يا عبيد ! فقال : أتنك بجائين رجلاه . فقال له الملك : أو أجل قد بلغ إناه ! ثم قال يا عبيد : أنشدني فقد كان يعجبني

\* مذهب الأغاني : ٢ - ٢٠٧ ، بلوغ الأرب : ١ - ١٢٨ ، ذيل الأمل ١٩٩ (الطبعة الأميرية) الشعر والشعراء : ١٤٤ (طبعة أوربا) .

(١) في كتاب المعارف أن الذي قتل عبيداً هو النعمان بن المنذر ، وهو صاحب الغريين ( راجع صفحة ٢٨٣ ، وانظر القصة رقم ٦٥ من الجزء الأول من هذا الكتاب ) (٢) الغريان : سميا بذلك لأنه كان يفرهما بدم من يقتله يوم بؤسه (٣) دوية شبه الكلب أصم الأذنين طويل الخرطوم متن الإثمة (٤) عبيد بن الأبرص : شاعر جاهلي قديم من المعمرين : كان شاعر بني أسد غير مدافع (٥) الذبح : ما يذبح .

شِعْرُكَ ، فقال : حال الجَرِيضُ دون القَرِيضِ <sup>(١)</sup> ، وبلغ الحزامُ الطَّبِيينَ <sup>(٢)</sup> ،  
فقال : أنشدنى :

أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبٌ <sup>(٣)</sup> فَالْقَطِيبَاتِ <sup>(٤)</sup> فَالذَّنُوبِ <sup>(٥)</sup>  
فقال :

أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِهِ عَيْدُ فَالْيَوْمَ لَا يُبْدَى وَلَا يُعِيدُ  
عَنْتَ لَهُ مِيعَةً <sup>(٦)</sup> نَكُودُ وَحَانَ لَهُ مِنْهَا وَرُودُ  
فقال : أنشدنى هَبْلَتَكَ أَثْمُكَ ! فقال : الْمَنَايَا عَلَى الْحَوَايَا <sup>(٧)</sup> . فقال  
بعضُ القومِ : أنشد الملكُ ؛ هَبْلَتَكَ أَثْمُكَ ! فقال : لَا يَرْحَلُ رَحْلُكَ مِنْ  
لَيْسَ مَعَكَ .

فقال له آخر : مَا أَشَدَّ جَزَعَكَ مِنَ الْمَوْتِ ! فقال :

لَا غُرُورَ مِنْ عَيْشَةٍ نَافِدَةٍ وَهَلْ غَيْرُ مَا مِيتَةٍ وَاحِدَةٍ  
فَأَبْلَغُ بَنَى وَأَعْمَامِهِمْ بِأَنَّ الْمَنَايَا هِيَ الرَّاصِدَةُ  
لَهَا مُدَّةٌ فَفَنُوسُ الْعَبَادِ إِلَيْهَا ، وَإِنْ كَرِهَتْ ، قَاصِدَةٍ  
فَلَا تَجْزَعُوا لِجَلَامِ دَنَا فَلِلْمَوْتِ مَا تَلَدُ الْوَالِدَةِ  
فقال له المنذر : لَا بَدَاءَ مِنَ الْمَوْتِ ! وَلَوْ عَرَضَ لِي أَبِي فِي هَذَا الْيَوْمِ لَمْ أَجِدْ بُدًّا  
مِنْ ذَنْبِهِ . فَأَمَّا إِذْ كُنْتَ لَهَا وَكَانَتْ لَكَ ، فَاخْتَرْ خَصْلَةً مِنْ ثَلَاثِ خَصَالٍ : إِنْ  
شُئْتَ مِنَ الْأَكْحَلِ <sup>(٨)</sup> ، وَإِنْ شُئْتَ مِنَ الْأَبْجَلِ <sup>(٩)</sup> ، وَإِنْ شُئْتَ مِنَ الْوَرِيدِ <sup>(١٠)</sup> .

(١) مثل يضرب لأمر يعوق دونه عائق . والجريض : الفصص . والقريض : الشعر (٢) مثل  
يضرب إذا اشتد الأمر وتفاقم . والطبي : حملات الضرع (٣) ملحوب : موضع  
(٤) القطيبات : جمع قطيبة ، وهي ماء (٥) الذنوب : موضع . (٦) أصل المنة : المرأة تعترض في  
كل شيء (٧) الحوية : كساء يحوى حول سنام البعير ثم يركب ، ومعناه : قد تأتي المنية الشجاع  
وهو على سرجه . (٨) الأكحل : عرق في اليد (٩) الأجل : عرق غليظ في الرجل أو في  
اليدين (١٠) الوريد : عرق في العنق .



فقال : ثلاث خصال ؛ مَقَادُهَا شَرُّ مَقَاد ، وحاديها شَرُّ حَاد ، ولا خيرَ فيها  
لَمُرْتَاد ؛ فإن كنت لابدَّ قاتلي فاسقني الحمرَ حتى إذا ذَهَلَتْ لها ذَوَاهِي ، وماتت  
لها مفاصلي ؛ فشأنك وما تريد !

فأمر المنذر له بمحاجته من الحمر ، فلما أخذت منه وقرب ليذبح قال :  
وخيرني ذو البؤس في يوم بُؤسه      خللاً أرى في كلها الموت قد برق  
كما خُيِّرْتُ عادٌّ من الدهر مرّة      سحائب ما فيها لذي خيرة أنق<sup>(١)</sup>  
سحائب ريح لم توكل بيسلدة      فتترّكها إلا كما ليلة الطلق<sup>(٢)</sup>  
وأمر به ففصد ، فلما مات طلى بدمه الغريان .

---

(١) الأنق : الإحجاب بالشيء . (٢) الطلق : سير الليل لو رد القب ، وهو أن يكون بين الإبل وبين الماء ليلتان ؛ فالليلة الأولى يغلي الراعي إبله إلى الماء وينكحها مع ذلك قرعى وهي تسير ليلتشد ، فهي ليلة الطلق ، والليلة الثانية ليلة الترب ، وهو السوق الشديد .

## ٨ - السُّلَيْك بن السُّلَكَة ورفيقاه \*

كان السُّلَيْك <sup>(١)</sup> من أشدَّ رجال العرب وأنكرهم <sup>(٢)</sup> وأشعرهم ، وكان أدلَّ الناس بالأرض ، وأعلمهم بمسالكها ، وأشدَّهم عدواً على رجله لا تعلق به الخيل ، وكان يقول : اللهم إنك تهبي ما شئت لما شئت إذا شئت ، اللهم إني لو كنت ضعيفاً كنت عبداً ، ولو كنت امرأة كنت أمةً ، اللهم إني أعوذ بك من الخيبة ، أما الهيبة فلا هيبة <sup>(٣)</sup> .

ذكروا أنه أُمْلِق <sup>(٤)</sup> مرّة حتى لم يبق له شيء فخرج على رجله رجاء أن يصيب غيرة من بعض من يمرُّ به ، فيذهب يابله ، حتى أَمْسَى في ليلة من ليالي الشتاء باردة مقمرة ، فاشتمل الصَّماء <sup>(٥)</sup> ، ثم نام .

فبينما هو نائم إذ جثم عليه رجل فقعد على جنبه ، وقال : استأثر <sup>(٦)</sup> ! فرفع السُّلَيْك إليه رأسه ، وقال : الليل طویل وأنت مقمر <sup>(٧)</sup> ؛ فجعل الرجل يَلْهَزُه <sup>(٨)</sup> ويقول : يا خبيث ، استأثر ، فلما آذاه بذلك أخرج السُّلَيْك يده ، وضم الرجل إليه ضمة صرخ منها ، وهو فوقه ، ثم قال : من أنت ؟ فقال : أنا رجل افتقرت ،

\* الأغاني : ١٨ - ١٣٤ ( طبعة الساسي ) ، الأمثال : ١ - ٤١٨

(١) كان السُّلَيْك من تميم ، وأمه أمة سوداء اسمها السُّلَكَة ، وهو من أشدَّ رجال العرب وأنكرهم ، وأكثرهم علماً بالأرض وأعلمهم بمسالكها ، وله في ذلك أخبار كثيرة . قتله أسد بن مدرك سنة ١٧ ق ه تقريباً (٢) النكارة : الدهاء . (٣) أي لأهاب أحداً (٤) أُمْلِق : افتقر (٥) اشتمل الصَّماء : اشتمل الصَّماء أن يرد فضلة ثوبه على عضده اليمنى ثم ينام عليها (٦) استأثر : كن لي أسيراً (٧) ذهب مثلاً ، وأقر الرجل : ارتقب طلوع القمر (٨) يَلْهَزُه : يلكمه .

قلت : لأخرجنّ فلا أرجعُ إلى أهلي حتى أستغنى فأتيتهم وأنا غنيّ . قال الرجل : انطلقْ معي .

فانطلق فوجدا رجلاً قصّته مثل قصتهما ، فاصطحبوا جميعاً حتى أتوا الجوف<sup>(١)</sup> ؛ جوف مراد ، فلما أشرفوا عليه إذا فيه نعم<sup>(٢)</sup> قد ملأ كلّ شيء من كثرتِه ، فهابوا أن يغيروا فيطردوا<sup>(٣)</sup> بعضها ، فيلحقهم الطلب ، فقال لها سليلك : كونا قريباً مني حتى آتي الرّعاء<sup>(٤)</sup> ، فأعلم لكما علم الحىّ : أقرب أم بعيد ، فإن كانوا قريباً رجعتُ إليكما ، وإن كانوا بعيداً قلت لكما قولاً أوحى إليكما به فأغيرا .

فانطلق حتى أتى الرّعاء فلم يزل ينسقطهم<sup>(٥)</sup> حتى أخبروه بمكان الحى ، فإذا هم بعيد ، إن طُلبوا لم يُدركوا ؛ فقال السليل للرّعاء : ألا أغنيكم ؟ فقالوا : بلى ! غنّنا ، فرفع صوته وغنى :

يا صاحبيّ ألا لا حىّ بالوادي      سوى عبيدٍ وآمٍ بين أذوادٍ<sup>(٦)</sup>  
أنتظرانِ قريباً ريثَ غفَلْتِهِنَّ      أم تفتدون فإن الرّيحَ للغادى  
فلما سمعا ذلك أتيا السليلك ، فأطردوا الإبل ، فذهبوا بها ، ولم يبلغ الصّريح<sup>(٧)</sup>  
الحى ؛ فياتوهم بالإبل .

(١) موضع بأرض مراد (٢) النعم : واحد الأنعام ، وهى الإبل والشاء .

(٣) قال فى اللسان : طردت الإبل : أى ضممتها من نواحيها (٤) الرعاء : الرعاة (٥) تسقطه : عاجله ليروح بما عنده (٦) أذواد : جم ذود ، ثلاثة أبرة إلى عشرة (٧) الصريح . المستقيث كالصارخ .

## ٩ - السُّلَيْكُ يَقْتُلُ وَنَهَبُ\*

زعموا أن السُّلَيْكُ بنَ السُّلَيْكَةِ خرج يريد أن يغير في ناسٍ من أصحابه ؛  
فرَّ على بنى شيبان ، في ربيع ، والناس مخضبون في عَشِيَةِ فيها ضباب ومطر ؛ فإذا  
هو ببَيْتٍ قد انفرد عن البيوت عظيم ، وقد أَمَسَ .

فقال لأصحابه : كونوا بمكان كذا وكذا حتى آتى هذا البيت ، فلعل أصيبُ  
خيراً ، أو آتَيْكم بطعام . فقالوا له : افعل .

فانطلق إليه وَجَنَّ عليه الليل فإذا البيت يَتِ يزِيدُ الشيباني ، وإذا الشيخ  
وامرأته بفناء البيت ؛ فاحتال السُّلَيْكُ حتى دخل البيت من مؤخره ؛ فلم يلبث  
أن أراح<sup>(١)</sup> ابنُ الشيخ يابله في الليل ، فلما رآه الشيخ غضب ، وقال : هلا كنت  
عشيها ساعةً من الليل ! فقال ابنه : إنها أبتِ العشاء ! فقال يزيد : إن العاشية  
تهيجُ الآية<sup>(٢)</sup> !

ثم نفذ الشيخ ثوبه في وجهها ، فرجعت إلى مراتعها ، وتبعها الشيخ حتى  
مالت لأذني روضة ؛ فرتمت فيها ، وقعد الشيخ عندها يتعشى ، وقد خَنَسَ<sup>(٣)</sup> وجهه  
في ثوبه من البرد .

---

\* الأمثال : ١ - ٤١٧

(١) الإراحة : رد الإبل والغنم من العشى إلى مراعيها ، حيث تأوى إليه ليلاً ، وقد أراحها راعيها

(٢) أى إذا رأت التي تأبى الرعى التي تتمشى حاجتها للرعى ، فرجت معها .

(٣) خَنَسَ . قبض .

وتبعه السليك حين رآه انطلق ؛ فلما رآه مُعْتَرِزاً<sup>(١)</sup> ضربه من ورائه بالسيف ،  
فأطار رأسه ، وأطرده إبله .

وبقى أصحاب السليك - وقد ساء ظنهم ، وخافوا عليه ، فإذا به يُطْرَد  
الإبل ، فأطردوها معه !

### ١٠ - السخِيُّ الْعَدَاءُ \*

قال رجلٌ من بني تميم :

كنتُ عند المهاجر بن عبد الله وإلى اليمامة ؛ فأتني بأعرابي قد كان معروفاً  
بالسرق<sup>(٢)</sup> ؛ فقال له : أخبرني عن بعضِ عجائبك . قال : إنها لكثيرةٌ ، ومن  
أعجبها :

أنه كان لي بعير لا يُسْبِقُ ؛ وكانت لي خيلٌ لا تُلْحَقُ ، فكنتُ لا أخرج  
فأرجع خائباً ، فخرجتُ يوماً ، فاحترسْتُ<sup>(٣)</sup> ضُبًّا ، فعلقته على قَتَبِي<sup>(٤)</sup> ، ثم  
مررتُ بخيلاء سَرِيٍّ<sup>(٥)</sup> ليس فيه إلا عجوز ، قلتُ : أخلق بهذا الخيلاء أن يكون له  
رائحةٌ من غنمٍ وإبلٍ ، فلما أُمِسْتُ إذ يابلُ مائةً ، فيها شيخٌ عظيمُ البطنِ ،  
مُتَدَنٍّ<sup>(٦)</sup> اللحم ، ومعه عبد أسود وُغْدٌ<sup>(٧)</sup> .

(١) اعتز : تنحى .

\* عيون الأخبار : ١ - ١٨٧

(٢) السرق : السرقة (٣) احترش الضب : اصطاده (٤) القتب : الإكاف الصغير على قدر  
سنام البعير (٥) السري : من له مروءة في شرف (٦) شذن اللحم : كثيره (٧) الوغد : الذي  
الذي يخدع بيطنه .

فلما رآني رحب بي ، ثم قام إلى ناقة فاحتلبها ، وناولني العلبة فشربت ما يشرب الرجل ، فتناول الباقي ، ففرض به جبهته ، ثم احتلب نسع أينق ، فشرب اللبن ، ثم نحر حوارة<sup>(١)</sup> فطبخه ، ثم ألقى عظامه بيضا ، وحثا كومة من بطحاء<sup>(٢)</sup> وتوسدها ، وغط غطيطة البكر .

فقلت : هذا والله النعمة ! ثم قت إلى فحل إبله فخطمته<sup>(٣)</sup> ، ثم قرنته إلى بعيري ، وصيحت به ، فاتبعني الفحل ، واتبعته الإبل ، فسارت خلفي كأنها جبل ممدود ، فضيت أبادر ثنية بيني وبينها مسيرة ليلة للمسرع ، فلم أزل أضرب بعيري بيدي مررة ، وأقرعه برجلي أخرى ، حتى طلع الفجر .

فأبصرت الثنية ، فإذا عليها سواد ، فلما دنوت إذا أنا بالشيخ قاعداً وقوسه في حجره ، فقال : أضيفنا ؟ قلت : نعم ! قال : أتسخو نفسك عن هذه الإبل ؟ قلت : لا .

فأخرج سهماً كان نصله لسان كلب ، ثم قال : أبصير بين أذني الضب ، ثم رماه فصدع عظمه عن دماغه ، وقال : ما تقول ؟ قلت : أنا على رأي الأول ! قال : انظر هذا السهم الثاني في فقرة ظهره الوسطى ! ثم رمى به ؛ فكأثما قدره بيده ، ثم وضعه بإصبعه ، ثم قال : أرايت ؟ قلت : إني أحب أن أستثبت . قال : انظر هذا السهم الثالث في عكوة<sup>(٤)</sup> ذنبه ، والرابع والله في بطنك . ثم رماه فلم يخطئ العكوة ، فقلت : أنزل أمنا ؟ قال : نعم . فنزلت ؛ فدفعت إليه خطام فحلّه ، وقلت : هذه إبلك لم يذهب منها وبرة - وأنا أنتظر متى

(١) الحوار : ولد الناقة إلى أن يفصل عن أمه (٢) البطحاء : مسيل واسع فيه دقاق الحمى

(٣) خطمه : وضع فيه الحطام : وهو ما وضع في أفق البعير ليقاد به .

(٤) العكوة : أصل الذنب .

يرمينى بسهمٍ ينتظمُ قلبي . فلما تنحيت قال لى : أقبل ، فأقبلتُ والله خوفاً من شره ،  
لا طمعاً فى خيرهِ .

فقال : أى هذا ؛ ما أحسبك جَشِمْتَ اللَّيْلَةَ ما جَشِمْتَ إلا من حاجة . قلت :  
أجل ! قال : فاقْرُنْ من هذه الإبل بعيرين وامضِ لِطَيْبَتِكَ ، قلت : أما والله حتى  
أخبرك عن نفسك قبلاً !

ثم قلت : والله ما رأيت أعرايياً قط أشدَّ ضِرْساً ، ولا أَعْدَى رَجَلاً ، ولا أَرْمَى  
يداً ، ولا أكرم عفواً ، ولا أسخى نفساً منك !

١١ — زَيْدُ الْخَيْلِ <sup>(١)</sup> \*

أخبر شيخ من بنى نَبْهَان قال :  
أصابت بنى شَيْبَانَ سَنَةٌ ذَهَبَتْ بِالْأَمْوَالِ ؛ فخرج رجلٌ منهم بِعِيَالِهِ حَتَّى  
أُزْلِمَ الْحَبْرَةَ ، فَقَالَ لَهُمْ : كُونُوا قَرِيبًا مِنَ الْمَلِكِ يُصَبِّحْكُمْ خَيْرُهُ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكُمْ ،  
وَأَلَى أَلْيَةِ <sup>(٢)</sup> ؛ لَا يَرْجِعُ حَتَّى يَكْسِبَهُمْ خَيْرًا أَوْ يَمُوتَ .

فَنَزَّوْدَ زَادًا ثُمَّ مَشَى يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ ، فَإِذَا هُوَ بِمَهْرٍ مَقِيدٍ ، حَوْلَ خِيَاءٍ ، فَقَالَ :  
هَذَا أَوَّلُ الْغَنِيمَةِ ، وَذَهَبَ يَحْتُلُّهُ وَيَرْكَبُهُ ، فَنَوْدَى : خَلِّ عَنْهُ وَاعْنَمْ نَفْسَكَ . فَتَرَكَهُ .  
وَمَضَى سَبْعَةَ أَيَّامٍ حَتَّى انْتَهَى إِلَى عَطَنٍ <sup>(٣)</sup> إِبِلٌ مَعَ تَطْفِيلٍ <sup>(٤)</sup> الشَّمْسِ ، فَإِذَا  
خِيَاءٌ عَظِيمٌ وَقُبَّةٌ مِنْ أَدَمَ ، فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : مَا هَذَا الْخِيَاءُ بُدٌّ مِنْ أَهْلِ ، وَمَا هَذِهِ الْقُبَّةُ  
بُدٌّ مِنْ رَبِّ ، وَمَا هَذَا الْعَطَنُ بُدٌّ مِنْ إِبِلٍ . فَنَظَرَ فِي الْخِيَاءِ فَإِذَا شَيْخٌ كَبِيرٌ قَدْ  
اخْتَلَفَتْ تَرْقُوتَاهُ كَأَنَّهُ نَاسِرٌ .

قَالَ : فَجَلَسْتُ خَلْفَهُ . فَلَمَّا وَجِبَتْ <sup>(٥)</sup> الشَّمْسُ إِذَا فَارِسٌ قَدْ أَقْبَلَ لَمْ أَرَ فَارِسًا  
قَطًّا أَعْظَمَ مِنْهُ وَلَا أَجْسَمَ . وَمَعَهُ أَسْوَدَانِ يَمْشِيَانِ جَنْبَيْهِ ، وَإِذَا مِائَةٌ مِنَ الْإِبِلِ مَعَ

---

\* الْأَغَانِي : ١٦ - ٤٧ ( طَبْعَةُ السَّاسِيِّ ) .

(١) هُوَ زَيْدُ بْنُ مَهْلَهْلٍ ، كَانَ فَارِسًا مَفْغُورًا مَظْفُورًا شَجَاعًا بِمِيدِ الصَّبِيَةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَكَانَ شَاعِرًا  
مَحْسَنًا خَطِيبًا لَسَنًا ، كَرِيمًا ، وَأَدْرَكَ الْإِسْلَامَ ، وَوَفَدَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَنَةَ تِسْعٍ ، وَسَرَّ بِهِ  
وَقَرَّظَهُ وَسَمَاهُ : زَيْدُ الْخَيْرِ . وَسَمِيَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِزَيْدِ الْخَيْلِ لِكَثْرَةِ خَيْلِهِ . تَوَفَّى سَنَةَ ٩ هـ (٢) آتَى  
أَلْيَةَ : حَلَفَ بِمِائَةٍ (٣) الْعَطَنُ : مَبْرَكُ الْإِبِلِ (٤) تَطْفِيلُ الشَّمْسِ : مِيلُهَا لِلْقُرُوبِ (٥) وَجِبَتْ  
الشَّمْسُ : مَالَتْ لِلْقُرُوبِ .



فَحَلَبَهَا ، فَبَرَكَ الْفَحْلُ ، وَبَرَكَتْ حَوْلُهُ ، وَنَزَلَ الْفَارَسُ ؛ فَقَالَ لِأَحَدِ عِبْدَيْهِ : احْلُبْ الْفُلَانَةَ <sup>(١)</sup> ، ثُمَّ اسْقِ الشَّيْخَ ، فَحَلَبَ فِي عُسٍّ حَتَّى مَلَأَهُ وَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيِ الشَّيْخِ ، وَتَنَحَّى ، فَكْرَعَ مِنْهُ الشَّيْخُ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ نَزَعَ <sup>(٢)</sup> ، فَثَرَّتْ إِلَيْهِ فَشَرِبَتْهُ ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ الْعَبْدُ فَقَالَ : يَا مَوْلَايَ ؛ قَدْ آتَى عَلَى آخِرِهِ . فَفَرَحَ بِذَلِكَ وَقَالَ : احْلُبْ الْفُلَانَةَ ، فَحَلَبَهَا ، ثُمَّ وَضَعَ الْعُسَّ بَيْنَ يَدَيِ الشَّيْخِ ، فَكْرَعَ مِنْهُ وَاحِدَةً ، ثُمَّ نَزَعَ ، فَثَرَّتْ إِلَيْهِ فَشَرِبَتْ نِصْفَهُ ، وَكَرِهَتْ أَنْ آتَى عَلَى آخِرِهِ فَأَتَتْهُمْ ، فَجَاءَ الْعَبْدُ فَأَخَذَهُ ، وَقَالَ لِمَوْلَاهُ : قَدْ شَرِبَ ، فَقَالَ : دَعَهُ .

ثُمَّ أَمَرَ بِشَاةٍ فَذَبَحَتْ ، وَشَوَى لِلشَّيْخِ مِنْهَا : ثُمَّ أَكَلَ هُوَ وَعِبْدَاهُ . فَأَمْسَلَتْ حَتَّى إِذَا نَامُوا وَسَمِعَتْ الْغَطِيطَ <sup>(٣)</sup> ثَرَّتْ إِلَى الْفَحْلِ ، فَخَلَّتْ عِقَالَهُ وَرَكِبَتْهُ ، فَانْدَفَعَ بِي وَتَبِعَتْهُ الْإِبِلُ . فَشَبِثَتْ لَيْلَتِي حَتَّى الصَّبَاحِ .

فَلَمَّا أَصْبَحْتُ نَظَرْتُ فَلَمْ أَرِ أَحَدًا ، فَسَلَّلْتُهَا سَلًّا عَنِيْقًا ، حَتَّى تَعَالَى النَّهَارُ ، ثُمَّ التَفْتُ التَّفَاتَةَ ، فَإِذَا أَنَا بِشَيْءٍ كَأَنَّهُ طَائِرٌ ، فَمَا زَالَ يَدْنُو حَتَّى تَبَيَّنْتُهُ ، فَإِذَا هُوَ فَارَسٌ عَلَى فَرَسٍ ، وَإِذَا هُوَ صَاحِبِي بِالْأَمْسِ ، فَعَقَلْتُ الْفَحْلَ ، وَتَثَلْتُ كُنْفَانَتِي ، وَوَقَفْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْإِبِلِ ، فَقَالَ : احْلُلْ عِقَالَ الْفَحْلِ . فَقُلْتُ : كَلَّا وَاللَّهِ ، لَقَدْ خَلَقْتَ نُسَيَّاتٍ بِالْحَيَرَةِ ، وَآلَيْتُ أَلِيَّةً لَا أَرْجِعُ حَتَّى أَفِيدَهُنَّ خَيْرًا أَوْ أَمُوتَ ، قَالَ : فَإِنَّكَ لَمَيِّتٌ ؛ حَلَّ عِقَالَهُ لَا أَمَّ لَكَ ! فَقُلْتُ : مَا هُوَ إِلَّا مَا قُلْتُ لَكَ . فَقَالَ : إِنَّكَ لَمُتْرُورٌ ، أَنْصَبْ لِي خِطَامَهُ ، وَاجْعَلْ فِيهِ خَمْسَ عُجَجَرٍ <sup>(٤)</sup> ؛ فَفَعَلْتُ ، فَقَالَ : أَيْنَ تَرِيدُ أَنْ أَضَعَ سَهْمِي ؟ فَقُلْتُ : فِي هَذَا الْمَوْضِعِ . فَكَأَنَّمَا وَضَعَهُ بِيَدِهِ .

(١) الْفُلَانَةُ : كُنْيَاةٌ عَنْ غَيْرِ الْإِنْسَانِ (٢) نَزَعَ : انْتَهَى (٣) غَطِيطُ النَّائِمِ : نَجْوَاهُ .  
(٤) الْعُجَجَرَةُ : الْعُقْدَةُ .

ثم أقبل يرمى حتى أصاب الخمس بخمسة أسهم ، فرددت نَبْلِي <sup>(١)</sup> ، وحططت قوسي ، ووقفتُ مستسلما ؛ فدنا مني وأخذ السيف والقوس ثم قال . ارتدِفْ <sup>(٢)</sup> خلفي ، وعرف أني الرجل الذي شربتُ اللبنَ عنده ؛ فقال : كيف ظنك بي ؟ قلت : أحسن ظن . قال : وكيف ؟ قلت : لما لقيت من تعب ليلتك وقد أضفرك الله بي . فقال : أترانا كنا نهيجك وقد بتَ تنادم مهلهلا <sup>(٣)</sup> ! قلت : أزيد الخيل أنت ؟ قال : نعم ، أنا زيد الخيل ، فقلت : كُنْ خيرَ آخذ . فقال : ليس عليك بأس . ومضى إلى موضعه الذي كان فيه . ثم قال : أما لو كانت هذه الإبل لي لسلّمتُها إليك ، ولكنها لبنت مهلهل ، فأقم على فأني على غارة .

فأقمتُ أياما ، ثم أغار على بني نمر فأصاب مائة بعير ، فقال : هذه أحبُّ إليك أم تلك ؟ قلت : هذه . قال : دونكها ، وبعث معي خفراء من ماء إلى ماء حتى وردوا بي الحيرة ، فلقيني نَبَطِيّ فقال : يا أعرابي ، أيسرُّك أن لك يابلك بُسْتَانَا من هذه البساتين ؟ قلت : وكيف ذاك ؟ قال : هذا قُرْبُ نَجْرٍ يخرج ، فيملك هذه الأرض ، ويحول بين أربابها وبينها ، حتى إن أحدهم ليلتاع البستان من هذه البساتين بثمرن بعير .

قال : فاحتملتُ بأهلي حتى انتهيتُ إلى موضع ، فبينما نحن على ماء لنا ، جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلّمنا ، وما مضت أيامٌ حتى اشتريتُ بثمرن بعير من إبلي بستانا بالحيرة .

---

(١) النبل : السهام العربية ، ولا واحد لها (٢) المرتدِف : الراكب خلف الراكب (٣) مهلهل : أبو زيد الخيل .

## ١٢ — وَأَذِ الْبَنَاتِ \*

روت الرواةُ أن صَعَصَعَةَ بن ناجية لما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم قال : يا رسول الله ؛ إني كنت أعمل عملاً في الجاهلية ، أفينفعني ذلك اليوم ؟ قال : ما عملك ؟ قال : أَضَلَلْتُ<sup>(١)</sup> نَاقَتَيْنِ عَشْرَ أَوْ بَيْنَ<sup>(٢)</sup> فَرَكَبْتُ جُمَلًا ، ومضيت في بُغَائِهِمَا ، فرفع لي بيتٌ حريد<sup>(٣)</sup> ، فقصدته ؛ فإذا شيخٌ جالسٌ بفناء الدار ، فسألته عن الناقتين ، فقال : ما نارُهما<sup>(٤)</sup> ؟ قلت : مَيْسَمٌ بنى دارم ، فقال : هما عندي ، وقد أحيا الله بهما قومًا من أهلك من مُضَرٍّ ؛ فجلستُ معه لتُخْرِجَا إِلَى ، فإذا عجوز قد خرجت من كِسر البيت ، فقال لها : وضعت ؟ فإن كان سَقَبًا<sup>(٥)</sup> شارَكْنَا في أموالنا ، وإِن كانت حَائِلًا<sup>(٦)</sup> وَأَذِ نَاهَا . فقالت العجوز : وضعتُ أُنثى ، فقلت : أَتَبِيعُهَا ؟ قال : وهل تبيع العربُ أولادها ؟ قلت : إنما أشتري منك حياتها ، ولا أشتري رقبها . قال : فبكم ؟ قلت : احْتَسَكِم . قال : بالنّاقتين والجل . قلت : ذلك لك ، على أن يبلغني الجلُ وإيَّاهَا . ففعل .

فَأَمَنْتُ بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وقد صارت لي سُنَّةٌ في العرب ، على أن أشتري كل موءودة بنّاقتين عَشْرَ أَوْ بَيْنَ وِجَلٍ ، فعندى إلى هذه الغاية ثمانون ومائتا موءودة ، قد أَقْذَتَهَا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يَنْفَعُكَ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّكَ لَمْ تَبْتَغِ بِهِ وَجَهَ اللَّهِ ، وَإِنْ تَعْمَلْ فِي إِسْلَامِكَ عَمَلًا صَالِحًا ثَبَّ عَلَيْهِ .

\* السَّكَالُ لِلْمَبْرَدِ : ١ - ٢٨٩ ، أمثال الميداني : ١ - ٣٨٩

(١) أَضَلَلْتُ : صادفتها ضالّتين (٢) عَشْرَ أَوْ بَيْنَ : العشرة : الناقة التي قد أتى عليها منذ حلت عشرة أشهر (٣) بيت حريد : متنع عن الناس (٤) ما نارهما : ما وسبهما (٥) السقب : الذكر من ولد الناقة ساعة يولد (٦) الحائل : الأُنثى من أولاد الإبل ساعة توضع .

### ١٣ - أعجب السرقات \*

قال أبو الهيثم :

اجتمع مالكُ بنُ <sup>(١)</sup> الرّيب وأبو حَرْدَبَة وشيْطَاظُ يومًا ، فقالوا : نَعَالُوا نتحدث بأعجب ما عملناه في سرقتنا ، فقال أبو حَرْدَبَة :

أعجبُ ما صنعتُ وأعجب ما سرقتُ أني صَحِبتُ رَقَّةً ، فيها رجلٌ على رَحْلِ فأعجبني ، فقلت لصاحبي : والله لأسرقنَّ رَحْلَهُ ، ثم لا رَضِيتُ أو آخذ عليه جِمَالَةً <sup>(٢)</sup> .

فرمقته حتى رأيتَه قد خَفَقَ برأسه ، فأخذتُ بِخَطَامِ <sup>(٣)</sup> جملة فقدمته ، وعدلت به عن الطريق ، حتى إذا صيرته في مكان لا يثاق فيه إن استغاث أنصتُ البعير وصرعته ، فأوثقتُ يديه ورجليه وقدتُ الجمل ففقيته ، ثم رجعتُ إلى الرَقَّة ، وقد فقدوا صاحبهم فهم يسترجمون <sup>(٤)</sup> ، فقلت : مالكم ؟ فقالوا : صاحبُنا فقدناه ؛ فقلت : أنا أعلمُ الناسُ بأثره ؛ فجعلوا لي جمالة ، فخرجتُ بهم أتبع الأثر حتى وقفوا

---

\* الأغاني : ١٩٠ - ١٦٣ ( طبعة الساسي )

(١) هو مالك بن الرب كان من أجل العرب وأبينهم ، ومر به سميد بن عثمان بن عفان - لما ولده معاوية خراسان ، ومالك في قعر من أصحابه - فقال له : ويحك يا مالك ! ما الذي يدعوك إلى ما يلغني عنك من العداة وقطع الطريق ؟ قال : أصلح الله الأمير ؛ العجز عن مكافأة الإخوان ، قال : فإني أنا أغنيبتك واستصحبتك أتكف عما تفعل ؟ قال : نعم أ كف كأحسن ما كف أحد . فاستصحبه وأجرى عليه خمسمائة دينار ، وكان معه حتى قتل بخراسان ، ثم مكث مالك بخراسان حتى مات هناك (٢) الجمالة : ما يفرض على العمل (٣) الخطام : الزمام (٤) استرجع عند المصيبة : قال : إنا لله وإنا إليه راجعون .

عليه فقالوا : مالك ؟ قال : لا أدري ، نَعَسْتُ ، فانتبهتُ لخمسين فارساً قد أخذوني ؛  
فقاتلتهم فغلبوني !

قال أبو حَرَدَبَةَ : فجعلت أضحك من كذبه ، وأعطوني جِمالتي ، وذهبوا  
بصاحبهم .

وأعجب ما سرقت : أنه مرَّ بي رجلٌ معه ناقةٌ وجملٌ وهو على الناقة ، فقلت :  
لأخذنهما جميعاً ، فجعلت أعارضه وقد رأيته قد خَفَقَ برأسه ، فدُرْتُ فأخذتُ الجمل  
فخللته وسقته ، ففقيته في القصيم<sup>(١)</sup> ، ثم انتبه فالتفت فلم يرَ جملَه ، فنزل وعقل راحلته ،  
ومضى في طلب الجمل ، ودُرْتُ ؛ فخللت عقال ناقةه ، وسُقته !

فقالوا لأبي حردبة : ويحك ! فختام تكون هكذا ؟ قال : اسكتوا فكم أنكم بي  
قد تُبْتُ ، واشتريت فرساً وخرجتُ ، فبينما أنا واقفٌ إذ جاءني سهمٌ كأنه قطعة  
رِشاء<sup>(٢)</sup> فوقع في نحري فنتُ شهيداً .

قال الراوى : فكان كذلك ؛ تاب وقدم البصرة ، فاشترى فرساً ، وغزا الرومَ  
فأصابه سهمٌ في نحره ؛ فاستشهد !

ثم قالوا لِشِظَاظَ : أخبرنا أنت بأعجب ما أخذت في لصوصيتك ورأيت فيها ؟  
فقال : نعم ، كان فلان ( رجلٌ من أهل البصرة ) له بنتٌ عم ذاتُ مال كثير ، وهو  
وليُّها ، وكانت له نِسوةٌ ، فأبت أن تزوجه ، خلف ألا يزوجه من أحدٍ ضِراً لَهَا ،  
وكان يخطبها رجلٌ غنى من أهل البصرة ، فأبى أن يزوجهَا منه ، ثم إن ولى الأمر  
حججٌ ، حتى إذا كان بالدو<sup>(٣)</sup> مات فدفن براية وشيد على قبره ، فتزوجت الرجل  
الذى كان يخطبها .

(١) القصيم : الموضع الذى كانوا يسرقون فيه (٢) الرشاء : رسن الدلو (٣) الدو : مكان على  
مرحلة من البصرة .

قال شظاظ : وخرجت رقعةً من البصرة معهم بُرٍّ ومتاع ، فتبصرتهم ومامعهم واتبعتهم حتى نزلوا ، فلما ناموا بيَّتهم<sup>(١)</sup> وأخذتُ من متاعهم . ثم إن القوم أخذوني وضربوني ضرباً شديداً وجردوني ، وذلك في ليلة قرّة<sup>(٢)</sup> ، وسلبوني كل قليل وكثير ؛ فتركوني عُرياناً وتماوتُ لهم ، وارتمل القوم ، فقلت : كيف أصنع ؟ ثم ذكرت قبر الرجل ، فأتيته فزعت لوحاً ثم احترتُ فيه سرباً<sup>(٣)</sup> ؛ فدخلت فيه ؛ ثم سددتُ علىّ باللوح ، وقلت : لعلى الآن أدفأ فأتبعمهم .

ومر الرجلُ الذي تزوج بالمرأة في الرُقعة . فمر بالقبر الذي أنا فيه فوقف عليه وقال لرفيقه : والله لأنزلنَّ إلى قبر فلان ، حتى أنظر هل يحى الآن فلانة !

قال شظاظ : فعرفتُ صوته فقلعت اللوح ، ثم خرجتُ عليه بالسيف من القبر ، وقلتُ : بلى ورب السكمة لأحيينها ، فوقع والله مغشياً عليه لا يتحرك ولا يعقل ، فجلستُ على راحلته ، وعليها كل أداة وثياب وتقدير كان معه ، ثم وجهتها قصد مطلع الشمس هارباً من الناس فنجوتُ بها ؛ فكنتُ بعد ذلك أسمعُه يحدث الناس بالبصرة ويحلفُ لهم أن الميتَ الذي كان منعه من تزويج المرأة خرج عليه من قبره ، والناسُ يعجبون منه ؛ فعاقلهم يكذِّبه ، والأحقق منهم يصدقُه ، وأنا أعرف القصةَ فأضحك منهم كالمتعجب !

قالوا : فردنا . قال : فأنأ أزيدكم أعجب من هذا وأحقق من هذا : إني لأمشي في الطريق أبتغي شيئاً أسرقُه فلا والله ما وجدتُ شيئاً ، وإذا أنا بشجرة ينام من تحتها الركبان في مكان ليس فيه ظلٌّ غيرها ، وإذا أنا برجلٍ يسير على حمار له ،

---

(١) بيت فلان بنى فلان : إذا أتاكم ليلاً ، فكبسهم وهم فارون (٢) ليلة قرّة : باردة .

(٣) السرب . بيت في الأرض .

فقلت له : أسمع ! قال : نعم . قلت : إن المقيّل الذي تريد أن تقيّله يُخسّفُ  
بالدواب فيه ، فاحذره . فلم يلتفت إلى قولي ، ورمقته حتى إذا نام أقبلتُ على حمّاره  
فاستقّته ، حتى إذا برّزتُ به قطعت طرّف ذنبه وأذنيه ، وأخذت الحمار فخبأته  
وأبصرته حين استيقظ من نومه ، فقام يطلب الحمار ويثقل أثره ؛ فبينما هو كذلك  
إذ نظر إلى طرّف ذنبه وأذنيه ، . فقال : لعمري لقد حذّرتُ لو نفعني الحذر؛ واستمر  
هارباً خوفاً أن يخسّف به . فأخذت جميع ما بقي من رحله فحملته على الحمار !

## ١٤ - أعرابي في عُرس \*

قال الفضل بن العباس الهاشمي :

كان ناهض بن ثومة الكلابي يقد على جدِّي قُمَم ، فيمدحه ويصلِّه جدي  
وغيره ، وكان بدويًّا جافياً كأنه من الوحش ؛ إلا أنه طيب الحديث .

حدّثه يوماً : أنهم اتجمعوا ناحية الشام فقصد صديقاً له من ولد خالد بن يزيد  
ابن معاوية ؛ كان ينزل حلب وكان برّاً به .

قال : فررت بقرية يقال لها قرية بكر بن عاصم الهلالي ، فرأيت دوراً مُتباينة  
وخصاصاً <sup>(١)</sup> قد ضُمَّ بعضها إلى بعض ، وإذا بها ناسٌ كثيرون مقبلون ومدبرون ،  
عليهم ثياب تحكي ألوان الزَّهر ، فقلت في نفسي : هذا أحدُ العيدين : الأضحى  
أو الفطر ، ثم تاب إلى ما عَزَبَ عن عقلي فقلت : خرجت من أهل في بادية البصرة  
في صَفَر ، وقد مضى العيدان قبل ذلك ، فما هذا الذي أرى !

وبينا أنا واقف متعجب أتاني رجل ، فأخذ يدي فأدخلني داراً قوراء <sup>(٢)</sup> ،  
وأدخلني منها بيتاً قد نُجِّدَتْ فيه فرش ومُهدت ، وعليها شاب ينال فرعُ شعره  
منكبيه ، والناس حوله سباطان <sup>(٣)</sup> ، فقلت في نفسي : هذا الأمير الذي حُكِيَ لنا  
جلوسه ، وجلسُ الناس بين يديه . فقلت - وأنا مائل بين يديه : السلام عليك  
أيها الأمير ورحمة الله وبركاته . فغذَّبَ رجلٌ يدي وقال : اجلس ، فإن هذا ليس

\* الأغاني : ١٢ - ٣٣ ر

(١) الخصاص : جمع خص ، وهو من القصب (٢) دار قوراء : واسعة .

(٣) السباط : الصف .



بأمير . قات : فَمَنْ هو ؟ قال : عَرُوس<sup>(١)</sup> . فقلت : وائسكل أماء ! لَرُبَّ عروس  
رأيت به بالبادية أهون على أهله من هَنَّة<sup>(٢)</sup> !

فلم أنشَب<sup>(٣)</sup> أن دخل رجالٌ يحملون آنات<sup>(٤)</sup> مُدَوَّرات ، أما ماخف منها  
فيُحَمَلُ حَمَلًا ، وأما ما كَبَرُوتُ قُلُودُ حَرَجٍ ، فوَضَعَ ذلك أماننا ، ونَحَلَقُ القوم عليه  
حَلَقًا ، ثم أتينا بخرق بيضٍ فَأَلْقَيْتُ بين أيدينا ، فظننتها نيا بًا ، وهمت أن أسأل  
القوم منها خِرْقًا أَرْقَعُ بِهَا قِيعِي ، وذلك أني رأيت نَسَجًا متلاحمًا ، لا يبين له  
سَدَى ولا لَحْمَةً<sup>(٥)</sup> ؛ فلما بسطه القوم بين أيديهم إذا هو يغمزقُ سُرْبَعًا ، وإذا هو  
فيما زعموا صِنْفٌ من الخبز لا أعرفه .

ثم أتينا بطعام كثير بين حُلُوٍ وحامض ، وبارد وبارد ، فأكثرْتُ منه ،  
وأنا لا أعلم ما في عَقِبِهِ مِنَ التَّخَمِ والبَشَمِ ، ثم أتينا بشراب أحمر في شَنٍّ<sup>(٦)</sup> ، فقلت :  
لا حاجة لي فيه فإنني أخاف أن يقتلني ، وكان إلى جنبي رجل ناصح - أحسن الله  
جزاءه ، فإنه كان ينصح لي من بين أهل المجلس - فقال : يا أعرابي ؛ إنك قد  
أكثرْتَ من الطعام ، وإن شربت الماء سَمًا<sup>(٧)</sup> بطنك ، فلما ذكرت البطن  
تذكرت شيئًا أوصاني به أبي ، والأشياخُ من أهلي ؛ إذ قالوا : لا تزل حيًّا مادام  
بطنك شديدًا ، فإذا اختلف فأوص . فشربت من ذلك الشراب لأتداوى به ،  
وجعلت أكثر منه فلا أملَ شربه ، فتداخني من ذلك صَلَفٌ لا أعرفه من  
نَفْسِي ، وبكاء لا أعرف سببه ، ولا عهد لي بمثله ، واقتدار على أمر أظن معه أني

(١) العروس : المرأة مادام في أعراسها ، وهم عرس ، وهم عرائس . (٢) الهنة :  
كناية عن خبيس الشيء (٣) لم أنشَب : لم أليت ، قال في اللسان : وحقيقته لم يتعلق بشئ غيره ،  
ولا اشتغل بسواه (٤) آنات : جمع غير قياسي لإناء (٥) السدى من خيوط الثوب : مامد منها  
طولا ، والحمّة : مامد منها عرضاً (٦) الشن : القرية الملقى الصغيرة (٧) سَمًا : سال .

لو أردتُ نيلَ السقف لبلغته ، ولو شأوتُ الأسد لقتلته ؛ وجعلت ألفت إلى الرجل الناصح ، فتحدثني نفسي بهتم أسنانه ، وهشم أنفه ، وأهم أحياناً أن أشتمه .

فبينما نحن كذلك إذ هجم علينا شياطينُ أربعة : أحدهم قد علق في عنقه جعبةً فارسية ، مفتحة الطرفين ، دقيقة الوسط ، قد شُبكت بخيوط ، وألبست قطعةً فرو ، كأنهم يخافون عليها القرم . ثم بدر الثاني ، فاستخرج من كفه هنةً سوداء فوضعها في فيه ، وأخرج صوتاً لم أسمع - وبيت الله - أعجب منه ، فاستم بها أصرم ، ثم حرك أصابعه فيها فأخرج منها أصواتاً ليس كما بدأ ، ولكنه أتى منها - لما حرك أصابعه - بصوت عجيب ، متلائم متشاكل بعضه لبعض ، كأنه - علم الله - ينطق به . ثم بدا ثالث له وجهه كز<sup>(١)</sup> مقيت ! عليه قميص وسخ ومعه مرآتان ، فجعل يصفقُ بهما بيديه إحداهما على الأخرى ، فخالط بصوته ما يفعله الرجلان . ثم بدا رابع عليه قميص ، وسراويل قصيرة ، وخفان أجذمان ، لا ساق لواحد منهما ، فجعل يقفز كأنه يثب على ظهور العقارب ، ثم تلبط<sup>(٢)</sup> على الأرض ، فقلت : معتوه ورب الكعبة ! ثم ما برح مكانه حتى كان أغبط القوم عندي ، ورأيت القوم يحذفونه<sup>(٣)</sup> بالدرهم حذفاً منكراً ؛ ثم أرسل النساء إلينا : أن أمتعنوا من لهُوكم هذا ؛ فبعثوا بهم ، وجعلنا نسمع أصواتهم من بعد .

وكان معنا في البيت شاب لا آبه له ، فعلمت الأصواتُ بالثناء عليه والدعاء له ، فخرج وجاء بخشبة عيناها في صدرها ، فيها خيوط أربعة ، فاستخرج من خلالها عوداً ، فوضعه خلف أذنه ، ثم عرك آذانها ، وحركها بخشبة في يده ، فنطقت ورب

(٢) تلبط : اضطلع وتمرغ

(١) وجه كز : فيح  
(٣) يحذفونه : يرمونه .

الكعبة ! وإذا هي أحسنُ قَيْنَةٍ<sup>(١)</sup> رأيتها قط ! فأطربني حتى استخفني من مجلسي، فوثبت وجلست بين يديه ، وقلت : بأبي أنت وأمي ! ماهذه الدابة ؟ فلست أعرفها للأعراب ، وما أراها خلقت إلا قريباً ! فقال : هذا البربط<sup>(٢)</sup> . فقلت : بأبي أنت وأمي ! فما هذا الخيط الأسفل ؟ قال : الزير<sup>(٣)</sup> . قلت : فالذي يليه ؟ قال : المثني<sup>(٤)</sup> . قلت : فالثالث ؟ قال : المثلث<sup>(٥)</sup> . قلت : فالأعلى ؟ قال : البم<sup>(٦)</sup> . فقلت : آمنت بالله أولاً ، وبك ثانياً ، وبالربط ثالثاً ، وبالهم رابعاً .

قال الفضل : فضحك أبي والله حتى سقط ؛ وجعل ناهض يعجب من ضحكك ! ثم كان بعد ذلك يستعيد هذا الحديث ؛ ويُطْرِف به إخوانه فيضحكون منه .

---

(١) القينة : الأمة المغنية (٢) البربط : العود معرب (ربط) - بكسر الراء - وهو آلة من العازف (٣) الزير : من أوتار العود (٤) المثني : الذي يلي الزير (٥) المثلث : الذي يلي المثني (٦) البم : الذي يلي المثلث ، وهو أغلظ الأوتار .

## ١٥ - أطيب الطعام\*

صنع عبد الملك<sup>(١)</sup> بن مروان طعاماً فأكثر وأطاب<sup>(٢)</sup>، ودعا إليه الناس فأكلوا . فقال بعضهم : ما أطيب هذا الطعام ! ما نرى أن أحداً رأى أكثر منه ولا أكل أطيب منه . فقال أعرابي من ناحية القوم : أما أكثر فلا ، وأما أطيب فقد والله أكلت أطيب منه . فطلقوا يضحكون من قوله .

فأشار إليه عبد الملك فأذني منه ؛ فقال : ما أنت بمُحِقِّ فيما تقول إلا أن تُخبرني بما يبينُ به صدقك . فقال : نعم يا أمير المؤمنين ؛ بينا أنا بهجر<sup>(٣)</sup> في برث<sup>(٤)</sup> أحمر في أقصى حَجَر<sup>(٥)</sup> إذ تَوَفَّى أبى ، وترك كلاً<sup>(٦)</sup> وعيالا ، وكان له نخل ، فكانت فيه نخلة لم ينظر الناظرون إلى مثلها ، كأن تمرها أخفاف الرباع<sup>(٧)</sup> ، لم يُرَ تمر قط أغلظ ولا أصلب ولا أصغر نوى ولا أحلى حلاوة منه .

وكانت تطرُقها أتان وحشية قد ألفتها تأوى الليل تحتها ، فكانت تُنبت رجلها في أصلها ، وترفعُ يديها ، وتغطو<sup>(٨)</sup> بفيها فلا تتركُ فيها إلا النبذ<sup>(٩)</sup> والمتفرق ؛ فأعظمنى ذلك ووقع منى كل موقع .

فانطلقتُ بقوةسى وأسهمى ، وأنا أظنُّ أنى أرجع من ساعتى ؛ فكنتُ يوماً

\* الأغانى : ٨ - ٤٠ ( طبعة دار الكتب )

- (١) من أعظم الخلفاء ، نشأ في المدينة ، واستعمله معاوية عليها ، وانتقلت إليه الخلافة سنة ٦٥ هـ ، وتوفى سنة ٨٦ هـ .  
 (٢) أطاب الشيء : طيبه . (٣) هجر : مدينة بالبحرين مشهورة بالتمر .  
 (٤) البرث : الأرض اللينة السهلة . (٥) في أقصى حجر : أى في أبعد ناحية . (٦) الكل : العيال والتقل . (٧) الرباع : جمع ربع وهو الفصيل ينتج في الربيع (٨) تغطو : تتناول .  
 (٩) النبذ : اللبؤذ .

وليلاً لا أراها ، حتى إذا كان السحر أقبَلتُ ، فتهيأتُ لها فرشتها فأصْبَتْها ،  
وأجهزتُ عليها ، ثم عمدتُ إلى سرتها فاقْتَدَدْتُها ، ثم عمدتُ إلى حطب جَزَلٍ  
فجمعتُه إلى رَضْفٍ <sup>(١)</sup> ، وعمدتُ إلى زندي قدحتُ ، وأضمرتُ النار في ذلك  
الحطب ، وألقيتُ سرتها فيه ، وأدركني نومُ الشباب فلم يُوقظني إلا حرُّ الشمس  
في ظهري ، فانطلقتُ إليها فكشفتها وألقيتُ ما عليها من قذَى وسواد ورماد ، ثم  
قلبتُ منها مثل الملاءة البيضاء ، فألقيتُ عليها من رُطْب تلك النخلة المجزعة <sup>(٢)</sup>  
والمُنصفَة ، فسمعتُ لها أطيظاً <sup>(٣)</sup> كنداعي عاصر وغطفان ، ثم أقبَلتُ أتناول  
الشحمة واللحمة فأضعها بين الثمرين وأهوى بها إلى فمي ، فما أحلف إنى ما أكلتُ  
طعاماً مثله قط !

فقال له عبد الملك : لقد أكلتَ طعاماً طيباً فمن أنت ؟ قال : أنا رجلٌ  
جانبَتني عَفْنَةٌ <sup>(٤)</sup> تميم وأسد ، وكشكشة <sup>(٥)</sup> ربيعة ، وحوشى <sup>(٦)</sup> أهل اليمن - وإن  
كنتُ منهم . فقال : من أيهم أنت ؟ قال : من أخوالك من عُذرة . قال : أولئك  
فصحاه الناس ؛ فهل لك علمٌ بالشعر ؟ قال : سننى عما بدا لك يا أمير المؤمنين . قال :  
أى بيت قالته العرب أمدح ؟ قال : قول جرير :

أَلَسْتُ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونِ رَاحٍ <sup>(٧)</sup>

وكان جرير في القوم ؛ فرفع رأسه وتناول لها . ثم قال : فأى بيت قالته العرب  
أخف ؟ قال : قول جرير :

(١) الرضف : الحجارة المحماة بالشمس أو النار (٢) جزع البسر : إذا بلغ الإرباب بعضه .  
ونصف البسر : إذا بلغ الإرباب نصفه (٣) الأطيظ : الصوت (٤) العفنة : إبدال العين من الهمزة  
(٥) الكشكشة : إجعل الشين مكان الكاف (٦) الحوشى : الغامض (٧) راح : جمع  
راحة ، وهى الكف .

إذا غضبت عليك بنو تميم حَسِبْتَ الناسَ كلهمُ غضاباً  
فتحرك لها جرير . ثم قال له : فأى بيت أهبى ؟ قال : قول جرير :  
ففض الطرف إنك من نضير فلا كعباً بلغت ولا كلاباً  
فاستشرف لها جرير . ثم قال : فأى بيت أغزل ؟ قال : قول جرير :  
إن العيون التي في طرفها مريضٌ قتلنا ثم لم يُحيين قتلانا  
فاهتز جرير وطرب . ثم قال له : فأى بيت قالته العرب أحسن تشبيهاً ! قال :  
قول جرير :

سرى نحوهم ليل كان نجومه قناديلُ فيهن الذُّبَالُ<sup>(١)</sup> المقتلُ  
فقال جرير : جائزتي للعدري يا أمير المؤمنين . فقال له عبد الملك : له مثلها من  
بيت المال ، ولك جائزتك يا جرير لا تُنقص منها شيئاً . وكانت جائزة جرير أربعة  
آلاف درهم وتوابها من الحلال والكسوة . فخرج العدري وفي يده اليمنى ثمانية  
آلاف درهم ، وفي اليد اليسرى رزمة ثياب !

(١) الذبالة : الفيلة التي توضع في القنديل ، يوضع فيه الزيت ليستضاء به .

١٦ — جَحْدَر \*

كان جَحْدَر بن ربيعة من لصوص العرب وشياطينهم ، يُفسر على أحيائهم  
فِينَهَبُهَا ، وربما فتك بمن تعرض له ؛ واشتدَّ شَرُّهُ في أيام الوليد بن عبد الملك ،  
حتى أباد خَلْقًا كثيرًا .

فبلغ أمرُهُ الحِجَّاجَ <sup>(١)</sup> ؛ فكتب إلى عامله باليمامة ، يؤنبه لعجزه عن الضرب  
على يدي ذلك الفاتك ، وأمره أن يُوقَعَ به ، أو يحمله إليه أسيرًا .  
فأوطأ <sup>(٢)</sup> العاملُ جماعة من فِتْيَةِ بني حَنْظَلَةَ ، وجعل لهم الجمائل <sup>(٣)</sup> العظيمة  
إن هم أتَوْه به مَقُولًا <sup>(٤)</sup> أو مقتولا !

فأرسلوا إليه يقولون : إنهم يريدون الانقطاع إليه ، والخضوع لأمره ؛ فأخْلَدَ  
جَحْدَر إلى قولهم ، وأدخلهم في صُحبته . فأخذوا ينهبون تحت لوائه ، إلى أن صادفوا  
منه غِرَّةً <sup>(٥)</sup> ، فشدُّوا وِثاقه ، وقدموا به إلى العامل الذي وجههم به إلى الحجاج .  
فلما مَثَلُوا بين يديه قال الحجاج : أنت جَحْدَر ؟ قال : نعم ، فقال : وما جرَّأك  
على ما بلغني عنك ؟ قال : جَوَّرَ الزمان ، وجراءة الجنَّان ! قال : وما بلغ من أمرك ؟  
قال : لو ابتلاني الأمير ، وجعلني مع الفرسان لرأى مني ما يعجبه .  
فقال : يا جحدر ؛ إني قاذفٌ بك إلى حفيرة بها سبعٌ شرس ، فإن قتلت

\* المستطرف : ١ - ٢٢٤ ، المحاسن والمساوي : ٧٧ ( طبع ليزج ) .

(١) نشأ بالطائف ، وولى العراق والشرق ، وهلك بواسطة سنة ٩٥ هـ (٢) أوطأ جماعة : انفق معهم (٣) الجمالة ما جعل للانسان من شئ على فعل (٤) النل : طوق من الحديد يحمل في العنق (٥) الغرة : الفعلة .

كفنانا مثوثتك ، وإن قتلته عفونا عنك لشجاعتك ! فقال : أصلح الله الأمير !  
لقد قرُبَ الفرج !

فأمر الحجاج بحبسه ، وكتب إلى العامل أن يرتاد<sup>(١)</sup> له سُبُعاً عَتِيّاً<sup>(٢)</sup> ، ويحمله  
إليه . فارتاد له أسداً خبيثاً ، كرهه المنظر ، قد أفنى جميع ما باليامة من حيوان ،  
ووضعه في قفص من حديد ، وأنفذه إلى الحجاج .

فأمر أن يُلقَى في الحفيرة ، ولا يُطعم شيئاً ثلاثة أيام ، حتى إذا ما اشتد به  
الجوع ، أخرج إليه جحدر ، وما أعطى إلا سيفاً ، والحجاجُ مشرف على الحفيرة ؛  
والناسُ حوله ينظرون إلى الأسد ما هو صانع بفريسته !

فلما رُفِعَ<sup>(٣)</sup> له نهض وزار زئيراً رجّ الجبال ، وراع الحاضرين ، فأنشد جحدر :

ليثٌ وليثٌ في مجالِ ضنكٍ كلاهما ذو قوّةٍ وسفكٍ  
وصولةٍ وبطشةٍ وفتكٍ إن يكشف الله قناعَ الشكِّ  
فأنتَ لي في قبضتي ومِلْكِي

ثم أدلى به ، فوقع عليه وقوعَ الصاعقة ، فصرخ الأسدُ عند رؤيته صرخةً  
عظيمة ، فأجابه هو بأعظم منها ، وضربه بسيفه ضربةً فلقتْ هامته ؛ فكبر الناس ،  
وأعجب به الحجاج ، وقال . لله دَرَكُك<sup>(٤)</sup> ! ما أنجذك<sup>(٥)</sup> !

ثم خيره بين أن يُقيم عنده مكرماً ، أو يلحقَ ببلاده على ألا يؤذى أحداً ،  
ولا يحدث حدثاً ؛ فاختارَ جحدر الإقامة معه ، وأحسن أدبه ، حتى حَظِيَ عنده وجعله  
من مُتَمَّارِهِ وخواصه ؛ وبعد ذلك بزمَ غير طويل ولآه اليامة ، ومكث فيها مدة ،  
قام فيها بأعباء الولاية خيرَ قيام .

(١) يرتاد : يطلب (٢) العتي : ما جاوز الحد ، ويقصد : الشديد المائل (٣) رفع : ظهر من بعيد  
(٤) الدر : العمل من خير أو شر ؛ والله درك أي ته عمك ؛ يقال لمن يمدح ويتعجب من عمله .  
(٥) ما أنجذك : ما أشجعك فيما يعجز عنه غيرك .



## ١٧ - صديقنا ابن سريج على قبره \*

حدث إسحاق بن يعقوب عن أبيه قال :

إِنَّا لِبَنِيَاءِ دَارِ عَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ بِالْأَبْطَحِ فِي صُبْحِ خَامِسَةِ مِنَ الثَّمَانِ <sup>(١)</sup> ، فَمَا إِنِ  
دَرَيْتُ إِلَّا بِرَجُلٍ عَلَى رَاحِلَةٍ ، عَلَى رَاحِلٍ جَمِيلٍ وَأَدَاةٍ حَسَنَةٍ ، مَعَهُ صَاحِبٌ لَهُ  
عَلَى رَاحِلَةٍ قَدْ جَنَّبَ <sup>(٢)</sup> إِلَيْهَا فَرَسًا وَبَغْلًا ، فَوَقَفَا عَلَيَّ وَسَلَّانِي ، فَانْتَسَبْتُ لَهُمَا  
عُثْمَانِيَا ، فَنَزَلَا وَقَالَا : رَجُلَانِ مِنْ أَهْلِكَ أَقْدَمْتُنَا حَاجَةً نَحْبُ أَنْ نَقْضِيهَا قَبْلَ أَنْ  
نُشَدَّه <sup>(٣)</sup> بِأَمْرِ الْحَجِّ ؛ فَقُلْتُ : مَا حَاجَتُكُمَا ؟ قَالَا : نَرِيدُ إِنْسَانًا يَقِفُنَا عَلَى قَبْرِ  
عُبَيْدِ بْنِ سُرَيْجٍ !

قال : فَهَضَمْتُ مَعَهُمَا حَتَّى بَنَيْتُ بِهِمَا مَحَلَّةَ بَنِي قَارَةَ مِنْ خُرَاعَةِ بَمَكَةَ ،  
وَمِنْ مَوَالِي عُبَيْدِ بْنِ سُرَيْجٍ <sup>(٤)</sup> ، ثُمَّ التَّمَسْتُ لَهُمَا إِنْسَانًا يَصْحَبُهُمَا حَتَّى يَبْقِيَهُمَا عَلَى  
قَبْرِهِ بِدَسْمٍ <sup>(٥)</sup> ، فَوَجَدْتُ ابْنَ أَبِي دُبَّاءَ كُلِّ فَاَنْهَضْتُهُ مَعَهُمَا . ثُمَّ أَخْبَرَنِي بَعْدُ :  
أَنَّهُ لَمَّا أَوْقَفَهُمَا عَلَى قَبْرِهِ نَزَلَ أَحَدُهُمَا فَحَسَرَ عِمَامَتَهُ عَنْ وَجْهِهِ ، فَإِذَا هُوَ عَبْدُ اللَّهِ  
ابْنُ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَمَقَرَّ نَاقَتَهُ ، وَانْدَفَعَ يَنْدُبُهُ بِصَوْتٍ شَجْوِيٍّ  
كَلِيلٍ حَسَنٍ :

وَقَفْنَا عَلَى قَبْرِ بَدَسْمٍ فَهَاجَنَا وَذَكَرْنَا بِالْعَيْشِ إِذْ هُوَ مُضْجِبٌ <sup>(٦)</sup>

\* الأغانى : ١ - ٣٢٠ ( طبعة دار الكتب )

- (١) أى من أيام الحج (٢) جنب فرساً : أى قاده إلى جنبه (٣) نشده : نشغل  
(٤) كان عبيد بن سريج مغنياً من أهل مكة ، كان يفتي مرتجلاً ويوقع بقضيب ، ويضرب بالعود ؛  
غنى في خلافة عثمان بن عفان ، وتوفى في خلافة هشام بن عبد الملك ، مات نحو سنة ٩٨ هـ (٥) دسم :  
موضع قرب مكة (٦) المصحب : الدليل المتقاد بعد صعوبة .

فجالت بأرجاء الجفون سَوافحٌ      من الدَّمعِ تستنلي الذي يتعمَّبُ  
إذا أبطأتُ عن ساحة الخلدِّ ساقها      دمٌ بعد دمعٍ إثرهُ يتصبَّبُ  
فإن تُسعيداً نندُبُ عبيداً بِعِوَلَةٍ<sup>(١)</sup>      وَقَلَّ لَهُ مِنَّا الْبُكَاءُ وَالتَّحَوُّبُ<sup>(٢)</sup>  
ثم نزل صاحبه فمقر نأقته . وقال له القرشيُّ : خُذْ في صوت أبي يحيى ؛  
فاندفع يُفَنِّي :

أُسعيداني بِعِبرةِ أُسرَابٍ<sup>(٣)</sup>      من دُمُوعِ كثيرةِ التَّسْكَابِ  
إنَّ أَهلَ الحِصَابِ<sup>(٤)</sup> قد تركوني      مولهاً مولماً بأهلِ الحِصَابِ  
أهلِ بيتٍ تَتَابَعُوا<sup>(٥)</sup> لِلنَّسَايَا      ما على الموتِ بعدهمُ من عِتَابِ  
فَارْقُونِي وقد علمتُ يَقِيناً      ما لِمَنْ ذاقَ مِيتَةً من إِيَابِ  
كَمْ بِذَلِكَ الْحُجُوجُونَ<sup>(٦)</sup> من حَيٍّ صدق      من كهولٍ أَعْفَسَةٍ وشبابِ  
سَكَنُوا الْجَزْعَ جَزَعِ بيتِ أبي مو      سى إلى النخلِ من صُفَى السَّبَابِ<sup>(٧)</sup>  
فَلِيَ الْوَيْلُ بِمَدَمٍ وَعَلَيْهِمْ      صِرْتُ فُرداً وملني أَصْحَابِي  
قال ابنُ أبي دُبَايَ كل : فوالله ما تَمَّ صاحبه منها ثلاثاً حتى غَشِيَ على صاحبه ،  
وأقبل يصلحُ السرج على بغلته وهو غير مُعَرَّجٍ عليه . فسألته من هو ؟ فقال :  
رجلٌ من جُدَام . قلتُ : بمن تُعرَفُ . قال : بعبداً لله بنِ المُنَشَّرِ . قال : ولم يَزَلِ  
القرشيُّ على حاله ساعة ، ثم أَفاق .

ثم جمل الجذامى يَنْضَحُ الماء على وجهه ، ويقول كالمعائب له : أنت أبدأ

(١) أعول : ارتفع بكأؤه ، والاسم العولة (٢) التعوب : التوجع (٣) أسراب : جم سرب  
وهو الماء السائل (٤) الحصاب : موضع الجمار (٥) التتابع : الوقوع في التمرن غير فكر ولا روية  
(٦) الحجون : جبل بأعلى مكة عند مدافن أهلها (٧) صفى السباب : موضع بمكة ، والمراد بأبي  
موسى أبو موسى الأشعري .

مَصْنُوبٌ<sup>(١)</sup> على نفسك، وَمَنْ كَلَّفَكَ مَا تَرَى ! ثُمَّ قَرَبَ إِلَيْهِ الْفَرَسَ ؛ فَلَمَّا عَلِمَ  
اِسْتَخْرَجَ الْجُذَامَى مِنْ خُرْجٍ عَلَى بَقْلٍ قَدَحًا وَإِدَاوَةَ مَاءٍ ، فَجَمَلَ فِي الْقَدَحِ تَرَابًا  
مِنْ تَرَابِ قَبْرِ ابْنِ سَرِيحٍ وَصَبَّ عَلَيْهِ مَاءً مِنَ الْإِدَاوَةِ . ثُمَّ قَالَ : هَاكَ فَاشْرَبْ هَذِهِ  
السَّلَوةَ<sup>(٢)</sup> ، فَشَرَبَ . ثُمَّ فَعَلَ هُوَ مِثْلَ ذَلِكَ وَرَكَبَ الْبَغْلَ وَأَرْذَفَنِي .

فَخَرَجَا وَاللَّهُ مَا يَعْرِضَانِ بِذِكْرِ شَيْءٍ مِمَّا كَانَا فِيهِ ، وَلَا أَرَى فِي وَجُوهِهِمَا شَيْئًا  
مِمَّا كُنْتُ أَرَى قَبْلَ ذَلِكَ .

فَلَمَّا اشْتَمَلَ عَلَيْنَا أَبْطَحَ مَسَكَةً قَالَا : انْزِلْ يَا خَزَاعِي ! فَزِلْتَ وَأَوْمَأَ الْفَتَى  
إِلَى الْجُذَامَى بِكَلَامٍ ، فَمَدَّ يَدَهُ إِلَيْهَا فِيهَا شَيْءٌ فَأَخَذَتْهُ فَإِذَا هُوَ عَشْرُونَ  
دِينَارًا ، وَمُضِيَا .

فَانْصَرَفَتْ إِلَى قَبْرِهِ بِيَعِيرَيْنِ فَاحْتَمَلَتُْ عَلَيْهِمَا أَدَاةَ الرَّاحِلَتَيْنِ اللَّتَيْنِ عَقَرَاهُمَا  
فَبِعْتُهُمَا بِثَلَاثِينَ دِينَارًا !

---

(١) مصبوب على نفسك ؛ أى عنوث على اتباعها تستغويك فتسلس لها القياد (٢) السلوة : أن يؤخذ من تراب قبر ميت فيذر على الماء ويسقاه العاشق ليلسو .

## ١٨ — قوة وبطش\*

كان هلال<sup>(١)</sup> فارساً شجاعاً شديد البأس والبطش ، أكثر الناس أكلاً ، وأعظمهم في حرب غناء . وكان يَرِدُ مع الإبل فياً كل ما وجد عند أهله ، ثم يرجع إليها ولا يتزود طعاماً ولا شراباً حتى يرجع يوم وردها ، لا يذوق فيها بين ذلك طعاماً ولا شراباً ، وكان عادى الخلق<sup>(٢)</sup> ، لا توصف صفته .

وكان يوماً في إبل له ، وذلك عند الظهيرة في يوم شديد وقع الشمس ، مُتَحَدِمُ الهاجرة<sup>(٣)</sup> ، وقد عمد إلى عصاه فطرح عليها كسائه ، ثم أدخل رأسه تحت كسائه من الشمس ؛ فبينما هو كذلك إذ مر به رجلان : أحدهما من بني نَهْشَل ، والآخر من بني قُفَيْم ، كانا أشدَّ تَمِيمَيْنِ في ذلك الزمان بطشاً ، وقد أقبلتا من البحرين ، ومعهما<sup>(٤)</sup> أنواط من تمر هَجَر<sup>(٥)</sup> ، وكان هلالٌ بناحية الصعاب<sup>(٦)</sup> .

فلما انتهيا إلى الإبل — ولا يعرفان هلالاً بوجهه ، ولا يعرفان أن الإبل له — ناديا : ياراعى ، أعندك شرابٌ تسقيننا ؟ وهما يظنانه عبداً — فناداهما هلال ورأسه تحت كسائه : عليكما بالناقة التي صفتها كذا في موضع كذا ، فأنبأها : فإن عليها وطبين<sup>(٧)</sup> من لبن ، فاشريا منهما ما بدا لكما . فقال له أحدهما : ونحك ! انهض .

\* الأغاني : ٣ - ٥٣ ( طبعة دار الكتب )

- (١) هلال بن الأسعر : شاعرا انتهر في العصر الأموي ، وكان فارساً شجاعاً ، مات نحو سنة ١٣٠ هـ .  
 (٢) عادى الخلق : ملاح صخر الجسم ، نسبة إلى عاد (٣) الهاجرة : نصف النهار (٤) أنواط : جمع نوط ، والنوط : حلقة لصغيرة فيها التمر ونحوه (٥) هجر : قاعدة البحرين ، مشهورة بالتمر ، وقيل : ناحية البحرين كلها هجر (٦) الصعاب : جبل بين اليمامة والبحرين (٧) الوطب : سقاء اللبن خاصة .

يا غلام فأتِ بذلك اللبن ! فقال لها : إن تلك لكما حاجة فستأتيانها ، فتخدران<sup>(١)</sup>  
الوطبين فتشربان .

فقال أحدهما : إنك لغلظ الكلام ، قم فاستقنسا ثم دنا من هلال وهو على  
تلك الحال ، فقال لها - حيث قال له أحدهما : إنك لغلظ الكلام - أراكما والله  
ستلقيان هواناً وصغاراً ؛ وسيماً ذلك منه ؛ فدنا أحدهما فأهوى له ضرباً بالسوط على  
عجزه وهو مضطجع ، فتناول هلال يده فاجتذبه إليه ، ورماه تحت فخذه ، ثم  
ضغطة ضغطة ، فنادى صاحبه : ويحك ! أغثنى قد قتلتني ! فدنا صاحبه منه ، فتناوله  
هلال أيضاً فاجتذبه فرمى به تحت فخذه الأخرى . ثم أخذ برقابهما فجعل يصك  
برءوسهما بعضاً ببعض ؛ لا يستطيعان أن يمتنما منه .

فقال أحدهما : كنْ هلالاً ولا نبأى ما صنعت ! فقال لها : أنا والله هلال ،  
ولا والله لا تفلتان مني حتى تُعطيانى عهداً وميثاقاً لا تخيسان به<sup>(٢)</sup> ؛ لتأتينان المرء<sup>(٣)</sup> ،  
إذا قدمتما البصرة ، ثم لتناديان بأعلى أصواتكما بما كان منى ومنكما .  
فعاheadاه وأعطياه نوطاً من التمر الذي معهما ، وقدما البصرة ، فأتيا المرء ،  
فناديا بما كان منه ومنهما .

(١) حذر الشيء : أنزله من علو . (٢) لا تخيسان به : لا تفدرانه به ولا تنكثان .  
(٣) المرء : موضع بالبصرة ؛ كان سوقاً للابل ، ثم صار محلة عظيمة سكنها الناس ، وبه كانت  
مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء .

## ١٩ — لا تمرضوا لهذا الشيطان \*

حدث خالد عن كَنيف بن عبد الله المازني قال : كنتُ يوماً مع هلال ، ونحن نبعي إبلًا لنا . فدَقَعْنَا إلى قومٍ من بَكْر بن وائل ، وقد لَفِينَا<sup>(١)</sup> وعَطِشْنَا ، وإذا نحن بفتيةٍ شبابٍ عند رَكِيَّةٍ<sup>(٢)</sup> لهم ، وقد وَرَدَتْ إبلهم ، فلما رأوا هلالًا استهولوا خَلَفَهُ وقامته .

فقام رجلان منهم إليه ، فقال له أحدهما : يا عبدَ الله ، هل في الصِّراع ؟ فقال له هلال : أنا إلى غير ذلك أحوج . قال : وما هو ؟ قال : إلى لبن وماء ؛ فإنني لَنِبٌ ظَمآن ، قال : ما أنت بذائق من ذلك شيئًا حتى نعطينا عهدًا ؛ لتُجِيبَنَّا إلى الصراع إذا أَرَحْتَ<sup>(٣)</sup> ورويت .

فقال لها هلال : إنني لكم ضيف ، والضيفُ لا يُصارعُ ربَّ منزله ، وأنتم مكتفون من ذلك بما أقولُ لكم : اعمدوا إلى أشدِّ غُلٍ في إبلكم وأهْيَبِهِ صولةً ، وإلى أشدِّ رجلٍ منكم ذِرَاعًا ؛ فإن لم أقبض على هامةِ البعير وعلى يد صاحبكم فلا يمتنعُ الرجلُ ولا البعيرُ حتى أَدْخَلَ يد الرجل في فم البعير ، فإن لم أفعل ذلك فقد صرعتُموني ، وإن فعلته علمتم أن صراع أحدكم يُيسرُ من ذلك .

فمجبوا من مقاتلته تلك ، وأَوْمَثُوا إلى فَحْلِ في إبلهم هَامِجٍ صَائِلٍ قَطِمٍ<sup>(٤)</sup> ، فأتاه

\* الأغاني : ٥٥-٣ ( طبعة دار الكتب )

(١) لَب : تمب وأصابه الإعياء (٢) الركية : البئر (٣) أراح الرجل : رجعت إليه نفسه بعد الإعياء (٤) القطم : الهاج الذي صعب ركوبه .

هلال ومعه نفرٌ من أولئك القوم وشيخٌ لهم ، فأخذ بهامة الفحل مما فوق مشفره ، فضغطها ضغطةً جَرَّجِرَ<sup>(١)</sup> الفحلُ منها واستخَذَى<sup>(٢)</sup> ورَّغَا . وقال : لِيُفْطِنِي من أَحْبَبْتُ يده أو لِحْمَا في فم هذا الفحل .

فقال الشيخ : يا قوم ، تنكَّبوا هذا الشيطان ، فوالله ما سمعتُ الفلان<sup>(٣)</sup> - بمعنى هذا الفحل - جَرَّجِرَ منذ بَزَلَ<sup>(٤)</sup> قبل اليوم ، فلا تعرضوا لهذا الشيطان . وجعلوا يَتَّبِعُونَهُ وينظرون إلى خَطْوِهِ وَيَعْجَبُونَ منه حتى جَاوَزَهُمْ .

---

(١) جر جر : ردد صوته في حنجرتة . (٢) استخذى . خضع . (٣) الفلان والفلانة : كناية عن غير الآدميين ، تقول : ركبت الفلان وركبت الفلانة ، أما فلان وفلانة فهما كناية عن أسماء الآدميين .  
(٤) بزل البعير فهو بازل ، أى : دخل في سנתه التاسعة .

## ٢٠ — هلال يصارع عبداً جباراً\*

حَدَّث مَنْ سَمِعَ هَلالًا يَقُولُ : قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ ، وَعَلَيْهَا رَجُلٌ مِنْ آلِ مَرْوان ،  
فَلَمْ أَزَلْ أَضَعُ عَنْ إِبِلِي ، وَعَلَيْهَا أَحْمَالٌ لِلتَّجَارِ ، حَتَّى أَخَذَ بِيَدِي ، وَقِيلَ لِي : أَجِيبِ الْأَمِيرَ .  
قُلْتُ لَهُمْ : وَيَلَكُمْ ! إِبِلِي وَأَحْمَالِي ! فَقِيلَ : لَا بَأْسَ عَلَى إِبِلِكَ وَأَحْمَالِكَ .  
فَانْطَلِقْ بِي حَتَّى أُدْخِلْتُ عَلَى الْأَمِيرِ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قُلْتُ : جُعِلْتُ  
فِدَاكَ ! إِبِلِي وَأَمَانَتِي ، فَقَالَ : نَحْنُ ضَامِنُونَ لِإِبِلِكَ وَأَمَانَتِكَ حَتَّى تَوْدِّيَهَا إِلَيْكَ ؛  
فَقُلْتُ عِنْدَ ذَلِكَ : فَمَا حَاجَةُ الْأَمِيرِ إِلَيَّ ؟ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ! فَقَالَ لِي - وَإِلَى جَنْبِهِ  
رَجُلٌ أَصْفَرٌ ، مَارَأَيْتَ رَجُلًا قَطُّ أَشَدَّ خَلْقًا مِنْهُ ، وَلَا أَغْلَظَ عُنْقًا ، مَا أَدْرَى أَطُولُهُ  
أَكْثَرَ أَمْ عَرَضُهُ - : إِنَّ هَذَا الْعَبْدَ الَّذِي تَرَى ، مَاتَرَكَ بِالْمَدِينَةِ عَرِيًّا يُصَارِعُ إِلَّا  
صَرَعهُ ، وَبَلَّغَنِي عَنْكَ قُوَّةً فَأَرَدْتُ أَنْ يُجَرِّى اللَّهُ صَرَعهُ<sup>(١)</sup> هَذَا الْعَبْدَ عَلَى يَدِكَ ؛ فَتَدْرِكُ  
مَاعِنْدَهُ مِنْ أَوْتَارِ الْعَرَبِ .

فَقُلْتُ : جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ الْأَمِيرِ ، إِنِّي لَنَفَبٌ نَصَبٌ جَائِعٌ ، فَإِنْ رَأَى الْأَمِيرُ  
أَنْ يَدْعَنِي ، حَتَّى أَضَعَ عَنْ إِبِلِي ، وَأَوْدَى أَمَانَتِي ، وَأُرِيحَ يَوْمِي هَذَا وَأَجِئْتُهُ غَدًا - فليُفْعَلْ .  
فَقَالَ لِأَعْوَانِهِ : انْطَلِقُوا مَعَهُ فَأَعِينُوهُ عَلَى الْوَضْعِ عَنْ إِبِلِهِ وَأَدَاءِ أَمَانَتِهِ ، ثُمَّ  
انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى الْمَطْبَخِ فَأَشْبِعُوهُ . ففَعَلُوا جَمِيعَ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ . فَظَلَّتْ بَقِيَّةُ يَوْمِي ذَلِكَ ،  
وَبَتُّ لَيْلَتِي تِلْكَ بِأَحْسَنِ حَالٍ شَبَمًا وَرَاحَةً وَصَلَاحٍ أَمْرٍ ؛ فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ

\* الْأَغَانِي : ٣-٥٦ ( طَبْعَةُ دَارِ الْكُتُبِ ) .

(١) صَرَعه ، أَيْ قَتَلَهُ .



غدوت عليه وعلى جُبَّة لي صوف وَبَت<sup>(١)</sup> ، وليس على إزار ، إلا أنى قد  
شدتُ بعمامتي وسطى . فسَلَمْتُ عليه فردَّ على السلام . وقال للأصفر : قم إليه ،  
فقد أرى الله أتك بما يُخزرك . فقال العبد : انزِر يا عرابي ، فأخذتُ بتي فَأَنْزَرْتُ  
به على جُبَّتِي ؛ فقال : هيهات ! هذا لا يثبت ، إذا قبضتُ عليه جاء في يدي؛ فقلت:  
والله مَالِي من إزار .

فدعا الأميرِ مَنَلَحَقَةً ما رأيتُ قبلها ، ولا عَلاً جلدِي مثلها ، فشددتُ بها  
على حَقْوِي<sup>(٢)</sup> وخلصتُ الجُبَّة .

وجعل العبدُ يدور حولي ويريد خَتْلِي وأنا منه وَجِل ، ولا أدري كيف  
أصنع به ! ثم دنا مني دَنَوَةً ، فَتَقَدَّ<sup>(٣)</sup> جَبْهَتِي بظفره فَقَدَّة ظننت أنه قد شَجَّنِي  
وأوجعني . ففاظنني ذلك ، فجعلت أنظر في خَلْقِهِ ؛ بِمَ أَقْبِضُ منه . فما وجدت في  
خَلْقِهِ شيئاً أصغر من رأسه ، فوضعتُ إبهامي في صَدُغَيْهِ وأصابعي الأخرى في أصل  
أذنيه . ثم غَمَزَتْهُ غَمَزَةً صاح منها : قتلتنى ! قتلتنى ! فقال الأمير : اغمس رأس  
العبد في التراب . فقلت له : ذلك على .

فغمستُ والله رأسه في التراب ، ووقع شبيهاً بالممشي عليه . فضحك الأمير  
حتى اسْتَلَقَى ، وأمر لي بمجازة وِصْلَةٍ وكُسوة ، وانصرفت .

(١) البت : كساء غليظ مهلبل مربع أخضر (٢) الحقو: الحصر (٣) قد الشيء: قره بإصبعه .

## ٢١ - حديث عن الغريين\*

قال المهدي ذات ليلة - وكان أميراً على الرمي من قبل أبيه المنصور: يا شرقي<sup>(١)</sup>،  
أريح قلبي بشيء، بلهيه! قال: نعم أصلح الله الأمير:  
ذكروا أنه كان في ملوك<sup>(٢)</sup> الحيرة ملك له نديمان: قد نزلا من قلبه منزلة  
مكيئة، وكانا لا يفارقانه في لهنّوه ومنامه ويقظته، وكان لا يقطعُ أمراً دونهما،  
ولا يصدرُ إلّا عن رأيهما، فغبر بذلك دهرًا طويلا.  
فبينما هو ذات ليلة في شُرْبِه ولهنّوه إذ غلب عليه الشراب؛ فأزال عقله، فدعا  
بسيّفه وانتصاه، وشد عليهما فقتلهما، وغلبته عيناه فنام.  
فلما أصبح سأل عنهما فأخبر بما كان منه؛ فأكبّ على الأرض؛ عاضاً لها؛  
تأسفاً عليهما، وجزعاً لفراقهما، وامتنع من الطعام والشراب، ثم حلف لا يشرب  
شراباً يزُجج قلبه ماعاش! وواراهما وبنى على قبريهما بناءين، وسماها الغريين<sup>(٣)</sup>،  
وسنّ ألا يمرّ بهما أحدٌ من الملِكِ فَمَنْ دونه إلا سجد لهما، وكان إذا سنّ الملِكُ  
سنة توأرتوها، وأحيوا ذكرها ولم يُميتوها، وجعلوها عليهم حكماً واجباً وفضلاً لازماً،  
وأوصى بها الآباء أعقابهم.  
فغبر الناس بذلك دهرًا طويلا، لا يمرُّ أحد من صغير ولا كبير إلا سجد لهما؛

\* مروج الذهب: ٢-٢٥٢، معجم البلدان: ٦-٢٨٣.

(١) هو الشرقي بن القنطاري: شاعر كلبي، كان وافر الأدب، عالماً بالنسب، وكان المنصور قد ضمه  
إلى المهدي حين خلفه بالري، وأمره أن يأخذه بحفظ أيام العرب، ومكارم الأخلاق، ودراسة  
الأخبار، وقراءة الأشعار (٢) ذكروا أنه النعمان بن المنذر (٣) الغريان: بناء ان بالكوفة؛  
قبل سميّا بذلك لأن النعمان كان يغريهما بدم من يقتله.

فصار ذلك سنة لازمة كالشريعة والفريضة ، وحُكِمَ فيمن أبى أن يسجد لها بالقتل  
بعد أن يُحْكَمَ له بخصلتين يُجَابُ إليهما كائنا ما كانا !

فر يوما قصَّار<sup>(١)</sup> معه كارة<sup>(٢)</sup> ثياب ، وفيها مِدَقَّتُهُ<sup>(٣)</sup> ، فقال الموكلون  
بالفرَّيين للقصَّار : اسجد ! فأبى أن يفعل . فقالوا له : إنك مقتول إن لم  
تفعل ؛ فأبى .

فرفعوه إلى الملك ، وأخبروه بقصته ، فقال : ما منكم أن تسجد ؟ قال :  
سجدت ولكن كذبوا على ! قال : الباطل قلت فاحتكم في خصلتين ؛ فأنت  
مُجَابٌ إليهما ، وإنى قاتلك ! قال : لا بدَّ من قتلى بقول هؤلاء ؟ قال : لا بد من  
ذلك ، قال : فإني أحتكم أن أضرب رقبة الملك بمدقتي هذه ! قال له الملك : يا جاهل ؛  
لو حكمت على أن أُجْرَى على من تُخَلِّف وراءك ما يعينهم كان أصلح لهم !

قال : ما أحكم إلا بضربة لرقبة الملك ! فقال الملك لوزرائه : ماتون فيما حكم  
به هذا الجاهل ؟ قالوا : نرى أن هذه سنة ، وأنت أعلم بما في نقض السنن من العار  
والنار وعظم الإثم ، وأيضاً إنك متى نقضت سنة نقضت أخرى ، ثم يكون ذلك  
لِمَن بعدك كما كان لك ، فتبطل السنن !

قال : فارغبوا إلى القصَّار أن يحكم بما شاء ويعفينى من هذه ؛ فإني أجيئه  
إلى ما شاء ، ولو بلغ حكمه شَطْرَ ملكي ! فرغبوا إليه ، فقال : ما أحكم إلا  
بضربة في عنق الملك !

فلما رأى الملك ذلك وما عزم عليه القصَّار ، قعد مقعداً عاماً ، وأحضر القصَّار ،

(١) قصر الثوب : صورته ودقه ، وسمى القصَّار لأنه يندق الثياب بالقصرة وهي قطعة من الخشب

(٢) الكارة : ما يحمل على الظهر من الثياب . (٣) المِدَق : ما يندق به .

فأبدى مِدَقَّتَه ، وضرب بها عنق الملك ؛ فأوهنه وخرَّ مغشياً عليه !

فأقام يشكو ما به سنة ، فلما أفاق وتكلَّم ، وأكل وشرب سألَ عن القصار ، فقيل : إنه محبوبس ؛ فأمر بإحضاره فحضر ؛ فقال : لقد بقيتُ لك خصلة فاحكم بها ، فإنى قاتلك لا محالة ؛ إقامةً للسنة ! قال القصار : فإذا كان لابد من قتلى فإنى أحكم أن أضرب الجانب الآخر من رقبة الملك مرة أخرى !

فلما سمع الملكُ ذلك خرَّ على وجهه من الجزع ، وقال : ذهبتُ <sup>(١)</sup> والله نفسى إذن . ثم للقصار : ويلك دَعْ عنك ما لا ينفعك ، فإنه لم ينفعك منه ما مضى ، واحكم بغيره وأنفذه لك كائنًا ما كان ! قال : ما أرى حتى إلا ضربة أخرى ! فقال الملك لوزرائه : ما ترون ؟ قالوا : هذا حقه ! قال : ويلسكم ! إن ضُرب الجانب الآخر ما شربت الماء البارد أبداً ؛ لأنى أعلم ما قد نالنى .

قالوا : فما عندنا حيلة !

فلما رأى ما قد أشرف عليه قال للقصار : أخبرنى . ألم أكن قد سمعتك تقول يوم أتى بك الموكلون بالغريرين : إنك قد سجدت ، وإنهم كذبوا عليك ؟ قال : قد كنتُ قلتُ ذلك فلم أصدق ! قال : فكنت سجدت ؟ قال : نعم ! فوثب من مجلسه ، وقبل رأسه ، وقال : أشهد أنك صادق ، وأهم كذبوا عليك ، وقد وليتك موضعهم ، وجعلت إليك أمرهم .

فضحك المهدي حتى فخص برجليه ، وقال : أحسنت ! ووصله .

---

(١) ذهبت نفسى ، أى هلكت .

٢٢ — العصا\*

قال الشرقي بن القطامي :

خرجتُ من الموصل أريد الرقة<sup>(١)</sup> ؛ فصحبني فتى من أهل الجزيرة ، وذكر  
أنه من ولد عمرو بن كلثوم ، ومعه مزود<sup>(٢)</sup> وركوة<sup>(٣)</sup> وعصا ، ورأيتُه  
لا يفارقها ؛ مُشاةً كُنَّا أورو كباناً ؛ وهو يقول : إن الله جعل جماع أمر  
موسى ، وأعاجيبه وبراهينه ومآربه في عصاه ؛ وجعل يكثرُ من هذا وأنا أضحك  
متهاوناً بما يقول .

فتخلف المكارى<sup>(٤)</sup> ؛ فكان حمارُ الفتى إذا وقف أكرهه بالعصا ، ويقف  
حمارى ، ولا شيء في يدي ؛ فيسبقني إلى المنزل فيستريح ويريح ، ولا أقدر على  
البراح حتى يوافيني المكارى . فقلت : هذه واحدة !

ثم خرجنا من غدٍ مشاةً ؛ فكان إذا أعيا توكتاً على العصا ، واعتمد عليها ،  
ومرّ كأنه سهمٌ زالج<sup>(٥)</sup> ، حتى انتهينا ، وقد تفسختُ من الكلال ، وإذا فيه  
فضلٌ كثير ؛ فقلت : وهذه أخرى !

فلما كان في اليوم الثالث هَجَمْنَا على حية منكرة ؛ فسارت إلينا فأسلمته إليها ،  
وهربتُ منها ، فضربها بالعصا ، ، فقلت : هذه ثالثة !

---

\* عيون الأخبار : ١-١٣٩

(١) الرقة : بلد على الفرات . (٢) المزود : وعاء الزاد . (٣) الركوة : إناء صغير من  
جلد يشرب فيه الماء . (٤) المكارى : المستأجر لسوق الدواب ، وهو اسم فاعل من كارى ،  
والجمع المكارون . (٥) زالج : مارق .

وخرجنا في اليوم الرابع ، وبنّا قَرَمَ<sup>(١)</sup> إلى اللحم ، فاعترضتنا أرنب ، فحذفها بالعصا ، وأدركنا ذَكَاتَهَا<sup>(٢)</sup> فقلت : هذه رابعة !

فأقبلتُ عليه ؛ فقلت : لو أن عندنا ناراً ما أخرتُ أكلها إلى المنزل فأخرج هوَيْدًا من ميزْوِدِهِ ثم حكته بالعصا ؛ فأورتُ إِيْرَاءَ المَرْخِ والعَفَارِ<sup>(٣)</sup> ، ثم جمع ما قدر عليه من الفَنَاءِ<sup>(٤)</sup> والحشيش ، وأوقد ناراً ، وألقى الأرنبَ في جوفها ، فأخرجناها ، وقد لُزِقَ بهما من الرماد والتراب ما بَفَضَها إلىّ ، فعلقها بيده اليسرى ، ثم ضرب جُنُوبَهَا بالعصا ضرباً رقيقاً ، حتى انتثر كلُّ شَيْءٍ عليها ، فأكلناها ، وسكن القَرَمُ ، وطابت النفس ؛ فقلت : هذه خامسة !

ثم نزلنا بعضَ الخانات ، وإذا البيوتات مملوءة رَوْتًا وترباً ؛ فلم نجد موضعاً نَقْلَ فيه فنظر إلى حديدة مطروحة في الدار ، فأخذها ، فجعل العصا نصاباً<sup>(٥)</sup> لها ، ثم قام فجرف ذلك الروث والتراب ، وجرد الأرض ، حتى أظهر بياضها ، وطابت ريحها ، فقلت : وهذه سادسة !

ثم نزع العصا من الحديدة ، فأوتدها<sup>(٦)</sup> في الحائط ، وعلق عليها ثيابه وثيراني ، فقلت : هذه سابعة !

فلما صرنا إلى مَفْرَقِ الطريقين وأردتُ مفارقتَه ، قال لي : لو عدلتَ معي فبتَّ عندي ! فعدلت معه ، فأدخلني منزلاً يتصل بِبَيْعَةٍ<sup>(٧)</sup> ، فإزال يحدثني

---

(١) القرم : شدة شهوة اللحم (٢) ذكاتها : ذبحها (٣) المرخ : شجر شديد الوري ، ومثله العفار (٤) الفناء : البالي من ورق الشجر الخالط زبد السيل (٥) النصاب : ما عسكها به (كالايد الفأس) (٦) أوتدها : ثبتها (٧) البيعة : كنيسة النصارى .

وَيُطْرِفَنِي<sup>(١)</sup> اللَّيْلَ كُلَّهُ ، فَلَمَّا كَانَ السَّحَرُ أَخَذَ الْعَصَا بِعَيْنِهَا ، وَأَخَذَ خَشَبَةً أُخْرَى فَقَرَعَ بِهَا الْعَصَا ، فَإِذَا نَاقُوسٌ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا مِثْلُهُ ، وَإِذَا هُوَ أَحْذَقُ النَّاسِ بِهِ ، فَقُلْتُ لَهُ : وَيْحَكَ ! أَمَا أَنْتَ بِمُسْلِمٍ ! قَالَ : بَلَى . قُلْتُ : فَلِمَ تَضْرِبُ بِالنَّاقُوسِ ! قَالَ : لِأَنَّ أَبِي نَصْرَانِي ، شَرِيحٌ كَبِيرٌ ضَعِيفٌ وَأَنَا أَبْرَهُ .

فَإِذَا هُوَ شَيْطَانٌ مَارِدٌ ، مِنْ أَطْرَفِ النَّاسِ ، وَأَكْثَرُهُمْ أَدْبًا فَخْبَرْتَهُ بِالَّذِي أَحْصَيْتُ مِنْ خِصَالِ الْعَصَا ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَوْ حَدَّثْتُكَ عَنْ مَنَاقِبِ الْعَصَا لَيْلَةً إِلَى الصَّبَاحِ مَا اسْتَنْفَذْتُهَا .

---

(١) يَطْرِفُنِي ، أَيِ يَمْتَعْنِي بِالطَّرْفِ وَالْأَحَادِيثِ .

### ٢٣ - ضَرَار بن القَعْقَاع \*

زعم الأصمى<sup>(١)</sup> أن حرباً كانت بالبادية ، ثم اتصلت بالبصرة ، فتفاقم الأمر فيها ، ثم مشى بين الناس بالصلح ، فاجتمعوا في المسجد الجامع . قال : فَبِعِثْتُ وأنا غلام إلى ضَرَار بن القَعْقَاع من بني دارِم ، فاستأذنتُ عليه ، فأذن لي ، فدخلت فإذا به في شَمْلَةٍ<sup>(٢)</sup> يَخْلُطُ بَزْراً لعنزٍ له حَلُوبٌ بِمُجْتَمَعِ القوم ، فَأَمْهَلَ حتى أَكَلَتِ العنزُ ، ثم غَسَلَ الصَّحْفَةَ<sup>(٣)</sup> وصاح : يا جاريةُ غَدِينَا ؛ فَأَتَتْهُ بَزِيتٌ وَتَمَرٌ . فدعاني فَقَذَرْتُهُ<sup>(٤)</sup> أن آكلَ معه ، حتى إذا قَضَى من أَكَلِهِ حَاجَةً وَتَبَّ إلى طِينِ مُلَقَى في الدار ، ففسلَ به يَدَهُ ، ثم صاح : يا جارية ، اسقيني ماء ، فَأَتَتْهُ بِمَاءٍ فَشَرَبَهُ ، ومسحَ فَضْلَهُ على وجهه ، ثم قال : الحمد لله ، ماء الفُرَاتِ بتمر البصرة بَزِيتِ الشَّامِ . متى نُؤَدِّي شُكْرَ هذه النِّعَمِ ! ثم قال : يا جارية ، على بردائي ، فَأَتَتْهُ بِرِدَاءٍ عَدَنِيٍّ ، فَأَرْتَدِي به على تلك الشَّمْلَةِ . قال الأصمى : فتَجَافَيْتُ عنه استقباحاً لَزِيَّةٍ .

فلما دخل المسجد صلى ركعتين ، ثم مشى إلى القوم ، فلم تَبْقَ حُبُوءَةٌ إِلَّا حَلَّتْ بِإِعْظَامِهِ له ثم جلس فتحَمَلَ جميع ما كان بينَ الأحياءِ<sup>(٥)</sup> في مَالِهِ ، وانصرف .

\* الكامل للمبرد : ١ - ٨١

(١) هو أبو سخيذ عبد الملك بن قريش ، اشتهر بالرواية والتضلع من اللغة . توفي سنة ٢١٦ هـ  
(٢) الشملة : كساء يشتمل به (٣) الصفحة : إناء كالقصعة (٤) قذرت : أى استقدرته وكرهته . (٥) الأحياء : جمع حى ، وهو البطن من بطون العرب .



## البَابُ الثَّانِي

---

في القصص التي تصف أحوال المرأة المريية ،  
وما تجرى عليه في تربية أطفالها ؛ ومعاشرتها زوجها ،  
ومعاونتها له في الحياتين : الاجتماعية والمدنية ، بالسعى  
معه في سبيل الرزق ، والاشتراك في خوض معامع  
الحروب ، والأخذ بقسط من الثقافة الأدبية السائدة  
في ذلك العهد .

## ٥٦ - مصرع الزَّباء \*

كان يَدِيمَة<sup>(١)</sup> قد ملك ماعلى شاطئ الفرات ، وكانت الزَّباء ملكة الجزيرة ، وكان جَذِيمَة قد وَتَرَها بقتل أبيها ، فلما استجمع أمرُها ، وانتظم شملُ مُلكها ، أَحَبَّت أن تغزو جَذِيمَة . ثم رأت أن تكتبَ إليه : أنها لم تجد مُلكَ النساءِ إلا قُبْحاً في السَّماع ، وَضَعْفاً في السلطان ، وأنها لم تجد لِمُلكها موضعاً ، ولا لنفسها كفوّاً غيركِ ؛ فأقبلَ إلى الأجمع مُدْكِ إلى مُلككِ ، وأصل بلادى ببلادكِ ، وتقلدُ أمرى مع أمرك .

فلما أتى كتابُها جَذِيمَة ، وقَدِمَ عليه رسلُها استخفّه ما دَعَتْهُ إليه ، ورغب فيما أطمعتهُ فيه ؛ فجمع أهلَ الحِجَا والرأى من ثِقَاتِهِ - وهو يومئذ ببَقَّة من شاطئ الفرات - وعرض عليهم ما دَعَتْهُ إليه وعرضت عليه ؛ فاجتمع رأيهم على أن يسيرَ إليها فيستولوا على ملكها .

وكان فيهم قَصِير - وكان أَرِيْباً حازماً عند جَذِيمَة - فخالفهم فيما أشاروا به ، وقال : رأى قاتر ، وغَدْرٌ حاضر<sup>(٢)</sup> . ثم قال لجَذِيمَة : رأى أن تكتبَ إليها ، فإن كانت صادقة في قولها فلتَقْبِلْ إليك ، وإلا لم تمكَّنْها من نفسك ، ولم تقع في حَبَاكُهَا ، وقد وَتَرَتها وقتلت أباهَا ؛ فلم يوافق جَذِيمَة وقال له : رأيك في الكِنَ لا في الضَّحَّ<sup>(٣)</sup> .

\* جمع الأمثال : ١- ٢١٣ ، جهرة الأمثال : ٦٢  
(١) انظر صفحة ٢ من هذا الجزء (٢) ذهب مثلاً (٣) الضح : الشمس وضوءها ، والكن : وراء كل شيء وسره . ذهب مثلاً .

ودعا جَذِيمة عمرو بن عدى ابن أخته فاستشاره فشجّعه على المسير ، وقال :  
إن قومي مع الزَّباء ولو رأوك صاروا معك ، فأحبَّ جَذِيمة ما قاله ، وعَصَا قصيراً ،  
فقال قصير : لا يُطاعُ قصيرُ أمرٍ<sup>(١)</sup> .

واستخلف جَذِيمة عمرو بن عدى على مُلكه وسلطانه ، وسار في وُجُوهِ  
أصحابه ، فأخذ على شاطئِ القرات من الجانب الغربي ، فلما نزل دعا قصيراً فقال :  
ما الرأي يا قصير ؟ فقال قصير : بِنَّةٌ خلَّفتُ الرأي<sup>(١)</sup> . قال : وما ظنُّك بالزَّباء ؟ قال :  
القولُ ردّاف ، والحزْمُ عثراته تُخَافُ<sup>(١)</sup> .

واستقبلته رُسُلُ الزَّباء بالهدايا والألطاف ، فقال : يا قصير ؛ كيف ترى ؟ قال :  
خَطْبٌ يسير في خطب كبير<sup>(١)</sup> . وستَلْقَاكَ الجيوش ؛ فإن سارت أمامك فالمرأةُ  
صادقة ، وإن أخذتْ جنبَتَيْكَ ، وأحاطت بك من خلفك فالقوم غادرون بك ، وإذن  
فاركب العصا<sup>(٢)</sup> فإنها لا يسرُ سبارها - وكانت العصا فرساً لجذيمة لا تُجَارَى -  
وإني راكبها ومُسيّرُك عليها .

فلقيته الخيولُ والكتائب ، فحالت بينه وبين العصا ؛ فركبها قصير ، ونظر  
إليه جذيمة على متن العصا مولياً ، فقال : ويل أمّه حَزْماً على متن العصا<sup>(١)</sup> ! ووجرت  
به إلى غروب الشمس ثم نفقت ، وقد قطعت أرضاً بعيدة .

وسار جذيمة وقد أحاطت به الخيلُ حتى دخل على الزَّباء . فلما رآته قالت :  
أشوار<sup>(٣)</sup> عروس ترى ؟ فقال : أمر غديرٍ أرى ! ثم دعت بالسيف والنَّطع ، وقالت :  
إن دماء الملوك شفاء من الكلب ، فأمرت بَطَسَتْ من ذهب قد أعدته له وسقته

(١) ذهب أمثالا (٢) العصا : اسم الفرس (٣) الشوار : الهيئة والزينة .

الخر حتى سكر ، وأخذت منه الخمر مأخذها ، فأمرت بـإِراهِشِيهِ <sup>(١)</sup> فقطعا ،  
وقدّمت إليه الطّست - وقد قيل لها : إن قَطُرَ من دمه شيء في غير الطّست طَلِبْ  
بدمه - فلما ضَعَفَتْ يداه سَقَطَتْ قَطُرَ من دمه شيء في غير الطّست ؛ فقالت : لا تُضَيِّعُوا  
دمَ الملك . فقال جَذِيمة : دَعُوا دَمًا ضَيَّعَهُ أَهْلُهُ <sup>(٢)</sup> . وهَلَكَ جَذِيمة .

وخرج قصير من الحى الذى هلك المصا بين أظهرهم ، حتى قدم على عمرو  
ابن عدى - وهو بالحيرة - فقال له قصير : أثار أنت ؟ قال : بل ثائرٌ سائر <sup>(٣)</sup> .  
ووافق قصيرُ الناس وقد اختلفوا ، فأصلح بينهم ، ثم قال لعمرو بن عدى :  
تهيأ واستعِدْ ولا تُطِلَنَّ <sup>(٤)</sup> دمَ خالك . قال : وكيف لى بها وهى أَمْنَعُ من  
عُقَابِ الجو <sup>(٥)</sup> !

وكانت الزباء سألت كاهنة لها عن هلاكها ؛ فقالت : أرى هلاكك بسبب  
غلام مهين غير أمين ، وهو عمرو بن عدى . ولن تموتى بيده ، ولكن حَتَفَكَ  
بيدك ، ومن قبَله ما يكون من ذلك .

فحدّرتُ عمراً ، واتَّخَذَتْ لها نفقاً من مجلسها الذى كانت تجلسُ فيه إلى حصن  
لها فى داخل مدينتها ، وقالت : إن فاجأتى أمرٌ دخلتُ النفق إلى حصنى . ودعتُ  
رجلاً مصوراً من أجود أهل بلاده تصويراً ، وأحسنهم عملاً ، فجهّزته وأحسن  
إليه ، وقالت : ميرحتى تقدّم على عمرو بن عدى متسكراً ، فتخلو بحشمه فتنضم إليهم  
وتخالطهم وتعلمهم ما عندك من العلم بالصور ، ثم أثبتت <sup>(٦)</sup> لى عمرو بن عدى معرفة ؛  
فصوره جالساً وقائماً وراكباً ومُتَفَضِّلاً <sup>(٧)</sup> ومتسلحاً بهيئته ولبسته ولونه ، فإذا أحكمت  
ذلك فأقبل إلى .

(١) الراهشان: عرقان فى باطن الذراعين (٢) ذهب أمثالا (٣) طل دمه: هدر أو ألا يثار به  
(٤) أثبتته : عرفه حق المعرفة . (٥) المتفضل : من يلبس ملابس النوم وهى لبسة المتفضل .

فانطلق المصور حتى قدم على عمرو بن عدى ، وصنع الذى أمرته به الزباء ، وبلغ من ذلك ما أوصته به ، ثم رجع إلى الزباء يعلم ما وجهته له من الصورة على ما وصفت وأرادت أن تعرف عمرو بن عدى ، فلا تراه على حال إلا عرفته وحذرتة وعلمت علمه .

وقال قصير لعمرو بن عدى : اجدع أنى <sup>(١)</sup> ، واضرب ظهري ، ودغنى وإياها . فقال عمرو : ما أنا بفاعل ، وما أنت لذلك مستحقا عندي . فقال قصير : خل غنى إذن وخلاك ذم <sup>(٢)</sup> ! فقال له عمرو : فانت أبصر . فجدع أنفه وأثر آثاراً بظهره ؛ فقالت العرب : لأمر ما جدع قصير أنفه <sup>(٣)</sup> .

ثم خرج قصير كأنه هارب ، وأظهر أن عمراً فعل ذلك به ، وأنه زعم أنه مكر بخاله جديمة وغره ؛ فسار حتى قدم على الزباء ، فقبل لها : إن قصيراً بالباب . فأمرت به فأدخل ، فإذا أنفه قد جدع ، وظهره قد ضرب ؛ فقالت : ما الذى أرى بك يا قصير ؟ قال : زعم عمرو أنى قد غررت خاله وزينت له المصير إليك وغششته وما لآئك ؛ ففعل بى مائرتين ؛ فأقبلت إليك . فأكرمته ، وأصابته عنده من الخزم والرأى ما أرادت .

فلما عرف أنها استرسلت إليه ، ووثقت به قال : إن لى بالعراق أموالاً كثيرة وطرائف وثياباً وعطراً ، فأبعثنى إلى العراق ، لأحمل مالى وأحمل إليك من بزها <sup>(٤)</sup> وطرائفها وطيبها ، لتصيبى من ذلك أرباحاً عظيمة ، وبعض مالا غنى للملوك عنه . وكان أكثر ما يطرفها <sup>(٥)</sup> من الصرقان <sup>(٥)</sup> ، وكان يعجبها ؛ فلم يزل يزىن ذلك حتى أذنت له ، ودفعت إليه أموالاً ، وجهزت معه عبيداً .

(١) جدع أنفه : قطعا (٢) ذهبت أمثالا (٣) البر : الثياب (٤) يطرفها : يعطيها .  
(٥) الصرقان : تمر رزين صلب .

فسار قصير بما دفعت إليه حتى قَدِمَ العراق ، وأتى الحيرة متنكراً ، فدخل على عمرو بن عدى فأخبره الخبر ، وقال : جهزنى بصنوف البزّ والأمتعة ؛ لعل الله يُمكنُ من الزّباء ؛ فتصيبَ ثأرك ، وتقتلَ عدوك . فأعطاه حاجته .

فرجع بذلك إلى الزّباء ؛ فأعجبها ما رأت ومَرَّها ، وازدادت به ثقةً ، وجَهَّزته ثانيةً ؛ فسار حتى قدم على عمرو فجهَّزه وعاد إليها .

ثم عاد الثالثة وقال لعمرو : اجتمع لى ثقات أصحابك ، وهَيِّئِ الفرائر واحمل كل رجلين على بعيرٍ فى غِاراتين ، فإذا دخلوا مدينة الزّباء أَمْتُك على باب نَفَقِها ، وخرجت الرجالُ من الفرائر فصاحوا بأهل المدينة ، فَمَن قَاتَلَهُمْ قَتَلُوهُ ؛ وإن أَقْبَلَتِ الزّباء تريد التَّفَقُّ جَلَّلتها بالسيف .

ففعل عمرو ذلك ، وحمل الرجال فى الفرائر بالسلاح ، وسار يَكُنُّ النهار ويسرى بالليل ، فلما صار قريباً من مدينتها تقدّم قصير فبشّرها ؛ وأعلمها بما جاء به من المناع والطرائف ؛ وقال لها : آخر البزّ على القُلُوص<sup>(١)</sup> . وسألها أن تخرج فتنظر إلى ما جاء به . وقال لها : جئت بما صاء وصمّت<sup>(٢)</sup> .

ثم خرجت الزّباء فأبصرت الإبل تكادُ قوائمها تَسُوخُ فى الأرض من ثقل أحمالها ، فقالت يا قصير :

ما للجِبالِ مَشِيْهاً وئيداً      أَجَنْدَلاً يَحْمِلُنْ أَمَ حديداً  
أَمْ صَرَفاً تَارِزاً شَدِيداً<sup>(٣)</sup>

(١) ذهبت مثلاً ، والبزّ : الثياب ، والقُلُوص : الأتقى الشابة من الإبل . (٢) أراد بما صاء : الشاء والإبل ، وبما صمّت : الذهب والنقضة ، وهو يريد أنه جاء بكل شيء ، وقد ذهبت مثلاً . (٣) التارز : اليابس .

فقال قصير في نفسه :

\* بل الرجال قُبَضًا قعوداً \*

فدخلت الإبل المدينة ؛ حتى كان آخرُها بعيداً مرّةً على بواب المدينة ، وكانت بيده مَنخَسَةٌ ؛ فنخس الغرارة ، فأصاب خَاصِرَةَ الرجل الذي فيها ، فسمع له صوتاً ، فقال : شرٌّ في الجِوَالِقِ <sup>(١)</sup> !

فلما توسطت الإبلُ المدينةَ أُنيختْ ، ودلَّ قصيرُ عمرأ على باب النَّفَقِ الذي كانت الزِّبَاءُ تدخله ، وأرَّته إياه قبل ذلك ، وخرج الرجال من الغرائر ، فصاحوا بأهل المدينة ، ووضعوا فيهم السلاح ، وقام عمرو على باب النَّفَقِ ، وأقبلت الزِّبَاءُ تريده ، فأبصرت عمرأ فعرَفَتْهُ بالصورة التي صُوِّرَتْ لها ؛ فَصَّتْ خَاتَمَهَا - وكان فيه السم - وقالت : ييذى لا يبيد عمرو <sup>(١)</sup> . وتلقاها عمرو فجَلَّلَهَا بالسيف وقتلها ، وأصاب ما أصاب من المدينة وأهلها ؛ وانكفأ راجعاً إلى العراق .

---

(١) ذمبت مثلاً .

## ٢٥ - قَبِّحَ اللهُ جَمَالاً لَا نَفْعَ فِيهِ \*

كانت عَثْمَةُ بنت ابن مطرود أَلْبَجَلِيَّةَ ذات عقل ورأى مستمع في قومها ، وكانت لها أخت يقال لها خَوْدٌ ؛ ذات جمال ومينس وعقل . ثم إن سبعة إخوة من الأزد خطبوا خَوْدًا إلى أبيها ، فأتوه وعليهم الحُلَلُ اليمانية ، وثمتهم النِّجَائِبُ الفُرَّةُ <sup>(١)</sup> . فقالوا : نحن بنو مالك بن غَفِيلَةَ . فقال لهم : انزلوا على الماء ، فنزلوا ليلتهم ثم أصبحوا غادين في الحُلَلِ والهيئة ، ومعهم ربيبة <sup>(٢)</sup> لهم كاهنة يقال لها : الشعثاء . فمروا بوسيدها <sup>(٣)</sup> ، يتعترضون لها ، وكلهم وسيمٌ جميل ، وخرج أبوها فجلسوا إليه ، فرحب بهم ، فقالوا : بلغنا أن لك بنتاً ، ونحن كما ترى شباب . وكلنا يمنع الجانب ، ويمنع الراغب . فقال أبوها : كلكم خيار . فأقيموا حتى نرى رأينا .

ثم دخل على ابنته فقال : ما ترين ؟ فقد أتاكَ هؤلاء القوم . فقالت : زوِّجني على قدرى ، ولا تشطط في مهرى ؛ فإن تخطئني أحلامُهم فلا تخطئني أجسامهم . لعل أصيب ولداً ، وأكثر عدداً .

فخرج أبوها ، فقال : أخبروني عن أفضلكم ، قالت ربيبتهم الشعثاء الكاهنة : اسمع أخبرك عنهم : هم إخوة ، وكلهم أسوة . أما الكبيرُ فمالك ، جرى فاتك ، يتعبُ السنايك <sup>(٤)</sup> ، ويستصغر المهايك . وأما الذى يليه فالعمرو ،

\* نجم الأمثال : ١٠ - ٩٠

(١) فره : جمع فاره ، وهو من الدواب الجيد السير النشيط الخفيف (٢) الربيبة : الحاضنة

(٣) الوصيد : الفناء (٤) السنايك : أطراف حوافر الخيل .



بحر غمر<sup>(١)</sup>، يقصر دونه الفخر، نهذ<sup>(٢)</sup> صقر. وأما الذى يليه فعلقمة، صليب<sup>(٣)</sup> الممجة، مَنِيعُ المَشْتَمَةِ، قليل الجمجمة<sup>(٤)</sup>. وأما الذى يليه فعاصم، سيد ناعم، جلد صارم، أبى حازم، جيشه غانم، وجارؤه سالم. وأما الذى يليه فتواب، مربيع الجواب، عتيد الصواب، كريم النصاب<sup>(٥)</sup>؛ كليث الغاب. وأما الذى يليه فمذرك، بذول لما يملك، عزوب<sup>(٦)</sup> عما يترك، يُفنى ويهلك.

وأما الذى يليه فجندل، لقرنه مجدل<sup>(٧)</sup>، مقل لما يحمل، يُعطى ويَبْذَلُ، وعن عدوه لا ينكل<sup>(٨)</sup>.

فشاورت أختها عثمة فيهم، فقالت: ترى الفتيان كالتخل، وما يدريك ما الدخل<sup>(٩)</sup>، اسمى منى كلمة: إن شر الغريبة يُمتن، وخيرها يُدفن، تزوجى فى قومك، ولا تفرزكِ الأجسام.

فلم تقبل منها، وبعثت إلى أبيها: زوجنى مذركا، فتم ذلك على مائة ناقة ورعاتها. وتحملا مذرك، فلم تلبث عنده إلا قليلا حتى صبحهم فوارس من بنى مالك ابن كنانة، فاقتلوا ساعة. ثم انكشف عنها زوجها وإخوته وعشيرته. فسُبيت فيمن سبين من النساء!

فبينما هى تسير بكت، فقالوا: ما يبكيك؟ أعلى فراق زوجك؟ قالت: قبح الله جمالا لا نفع معه، إنما أبكى على عضياني أختى فى قولها: « ترى الفتيان

---

(١) الغمر: [مُعْظَمُ البحر (٢) التهد: الأسد والكريم (٣) الصليب: الشديد .  
(٤) قليل الجمجمة: كلامه بين (٥) النصاب: الأصل (٦) عزوب: بعيد (٧) جلد: صرعه على  
الجدالة (الأرض) (٨) لا ينكل: لا يجبن (٩) ذهب مثلا. يضرب لمن يكون منظره  
خير من مخبره.

كالنخل ، وما يدريك ما الدخل ! » ، وأخبرتهم كيف خطبوها .  
فقال لها رجل منهم - يكنى أبا نُوَّاس - شابٌ أسود أفوه<sup>(١)</sup> مضطرب  
الخلق - أترضين بي على أن أمتك من ذئاب العرب ؟ فقالت لأصحابه :  
أ كذلك هو ؟ قالوا : نعم ، إنه مع مائر بن ليمع الحليلة<sup>(٢)</sup> ، وتثقيب<sup>(٣)</sup>  
القبيلة .

قالت : هذا أجمل جمال وأكمل كمال ؛ قد رضيتُ به . فزوّجوها منه .

---

(١) رجل أفوه : عظيم الفم (٢) الحليلة : الزوجة .

## ٢٦ — أفضلُ النساءِ وأفضلُ الرجالِ \*

خرجت المجفاه بنتُ علقمة السعدية وثلاثُ نسوةٍ من قومها ، وتواعدن روضةً يتحدثُن فيها ، فوافين بها ليلاً في قمرٍ زاهر ، وليلة طُلعةٍ ساكنة ، وروضةٍ معشبةٍ خصبة .

فلما جلسنَ قلنَ : مارأينا كالليلة ليلةً ، ولا كهذه الروضةِ روضةً أطيَّبَ ريحاً ولا أنضَرَ ائِمْ أَفْضَنَ في الحديث ، قلنَ : أىُّ النساءِ أفضل ؟ قالت إحداهنَ : الخُرُودُ <sup>(١)</sup> الوُدُودُ الوُلُود . قالت الأخرى : خيرهنَ ذاتُ الفَناءِ ، وطيبِ الثناءِ ، وشدةِ الحياءِ . قالت الثالثة : خيرهنَ السُّمُوعُ <sup>(٢)</sup> ، النَّفُوعُ ، غيرُ المنُوع . قالت الرابعة : خيرهنَ الجامعةُ لأهلها ، الوادِعةُ ، الرافعةُ لا الواضعة .

قلنَ : فأىُّ الرجالِ أفضل ؟ قالت إحداهنَ : إن أبي يُكرِّمُ الجارَ ، ويُعظِّمُ النارَ ، وينحَرُ العِشَارَ <sup>(٣)</sup> بَعْدَ الحِوَارِ <sup>(٤)</sup> ، ويحملُ الأمورَ الكِبَارَ ، ويأنفُ من الصِّغَارِ .

فقالَت الثانية : إن أبي عظيمُ الخطَرِ ، منيعُ الوَزَرِ <sup>(٥)</sup> ، عزيزُ النَّفَرِ ، يُحمَدُ منه الوِردُ <sup>(٦)</sup> والصَّدَرُ .

\* بحج الأمثال ٢ : ٧٢

(١) الخُرود : الحية الطويلة السكوت (٢) السموع : التي تسمع القول (٣) العشار : جمع عشار ، وهى الناقة التى مضى لجلها عشرة أشهر (٤) الحوار : ولد الناقة ساعة تضعه ، أو إلى أن يفصل عن أمه (٥) الوزر : اللبأ (٦) الورد : الورد على الماء ، والصدر : المودة من الاستقاء .

فقلت الثالثة : إن أبي صدوق اللسان ، حَدِيدُ الْجَنَانِ <sup>(١)</sup> ، كثير الأَعْوَان ،  
يُرَوِّى السَّنَانُ عِنْدَ الطَّعَانِ .

قلت الرابعة : إن أبي كريم النَّزَالِ ، مُنِيف <sup>(٢)</sup> الْمَقَالِ ؛ كثيرُ النَّوَالِ ، قليلُ  
السُّوَالِ ، كريمُ الْفَعَالِ .

ثمُ تَنَافَرَنَ <sup>(٣)</sup> إِلَى كَاهِنَةٍ مَعْمَنَ فِي الْحَيِّ ، فَقَان لَهَا : اسمي ما قلنا ، واحكي  
بيننا وَاغْدِلِي ؛ ثمُ أَعَدَّنْ عَلَيْهَا قَوْلَهُنَّ ، فقالت لهن : كلُّ واحدةٍ مِنْكُن مَارِدَةٌ <sup>(٤)</sup> ،  
بَأبيها وَاجِدَةٌ <sup>(٥)</sup> ، على الإحسان جَاهِدَةٌ ، لصَوَاحِبَاتِهَا حَاسِدَةٌ ، وَلَكِنْ اسْمُن قَوْلِي :  
خير النساءِ الْمُبْقِيَةُ عَلَى بَعْلَاهَا ، الصَّابِرَةُ عَلَى الضَّرَاءِ مَخَافَةٌ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهَا ؛  
فهي تُؤَثِّرُ حَظَّ زَوْجِهَا عَلَى حَظِّ نَفْسِهَا ، فَتلكَ الْكَرِيمَةُ الْكَامِلَةُ . وخير الرجالِ  
الْجَوَادُ الْبَاطِلُ ، الْقَلِيلُ الْفَسَلُ ، إِذَا سَأَلَهُ الرَّجُلُ أَفْهَاءَ قَلِيلِ الْعِلَالِ ، كَثِيرَ النَّفْلِ <sup>(٦)</sup> ،  
ثمُ قالت : « كُلُّ فَتَاةٍ بِأَبِيهَا مُعْجَبَةٌ <sup>(٧)</sup> » .

---

(١) الجنان : القلب (٢) منيف المقال : مرتفع (٣) تنافرن : ذهبن وتحاكمن (٤) ماردة : عانية  
قد بلغت القاية (٥) وجد به : أحبه (٦) النفل : العطية (٧) ذهبت : مثلاً .

## ٧ - نَكْبَةُ جَلِيلَةَ\*

كانت جَلِيلَةُ بنتُ مُرَّةَ أُختُ جَسَّاسٍ زوجِ الكَلِيبِ بنِ ربيعة<sup>(١)</sup>؛ فلما قُتِلَ جَسَّاسُ<sup>(٢)</sup> كَلِيبًا اجتمع نساء الحى للمأتمِّ، فَقُلْنَ لأختِ كَلِيبِ: رَحِّلِي جَلِيلَةَ عن مَأْتَمِكِ؛ فَإِنَّ قِيَامَهَا فِيهِ شِمَاتٌ وَعَارٌ عَلَيْنَا عِنْدَ الْعَرَبِ؛ فَقَالَتْ لَهَا: يَا هَذِهِ؛ اخْرُجِي عن مَأْتَمِنَا، فَأَنْتِ أُخْتُ وَاثِرِنَا وَشَقِيقَةُ قَاتِلِنَا؛ فخرَجَتْ وهى نَجْمٌ أَعْطَافَهَا؛ فَلَقِيَهَا أَبُوهَا مُرَّةٌ، فَقَالَ لَهَا: مَا وَرَاءُكَ يَا جَلِيلَةُ؟ قَالَتْ: نُكْلُ الْعَدَدِ، وَحُزْنُ الْأَبْدِ، وَفَقَدْ حَلِيلٌ، وَقُتِلَ أَخِي عن قَلِيلٍ، وَبَيْنَ ذَيْنِ غَرَسِ الْأَحْقَادِ، وَتَفَتَّتِ الْأَكْبَادُ؛ فَقَالَ لَهَا: أَوْ يَكْفُ ذَلِكَ كَرَمُ الصَّفْحِ وَإِغْلَاءُ الدِّيَّاتِ؟ فَقَالَتْ جَلِيلَةُ: أُمْنِيَّةٌ مَخْدُوعٌ وَرَبُّ الْكَمْبَةِ! أَبَا لِبْدُنِ<sup>(٣)</sup> تَدْعُ لَكَ تَغْلِبُ دَمَ رَبِّهَا!

ثم بلغ جَلِيلَةُ أَنَّ أُخْتَ كَلِيبِ قَالَتْ حِينَ رَحَلَتْ: رِحْلَةُ الْمُتَسَدِّى وَفِرَاقِ الشَّامِتِ! وَيْلٌ غَدًا لَّآلِ مُرَّةَ؛ مِنَ الْكَرَّةِ بَعْدَ الْكَرَّةِ! فَقَالَتْ: وَكَيْفَ تَشَمَّتِ الْحُرَّةَ مَهْثَكَ سِتْرَهَا، وَتَرْقُبُ وَتَرِهَا! أَسْعَدَ اللَّهُ<sup>(٤)</sup> جَدَّ أُخْتِي، أَفَلَا قَالَتْ: نَفَرَةُ الْحَيَاةِ، وَخَوْفُ الْإِعْتِدَاءِ! ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَقُولُ:

\* الْأَغَانِي: ٥-٦٣ (طبعة دار الكتب)، نَهَايَةُ الْأَرْب: ٥-٢١٤، ابن الْأَثِير: ١-٢١٦ مَهْذَبُ الْأَغَانِي: ١-٨٥

(١) كَانَ كَلِيبُ بْنُ رَبِيعَةَ سَيِّدَ رَبِيعَةَ، يَنْزِلُهُمْ وَيَرْحَلُهُمْ، وَلَا يَصْدُرُونَ فِي شَيْءٍ إِلَّا عَنْ أَمْرِهِ، وَلَا يَجِيرُ أَحَدٌ مِنْ بَنِي رَبِيعَةَ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَكَانَ يَحْمِي أَمْكِنَةَ الْعَبِيدِ وَحِيَاضَ الْمَاءِ. وَضُرِبَ بِهِ الْمَثَلُ فَقَالُوا: أَعَزُّ مِنْ كَلِيبِ (٢) كَانَ لَجَسَّاسٍ خَالَةٌ مِنْ بَنِي سَعْدٍ جَاوَرَتْ بَنِي مُرَّةَ، فَتَزَلَّتْ عَلَى جَسَّاسِ بْنِ أُخْتِهَا، وَمَعَهَا نَاقَةٌ، فَتَدَّتِ النَّاقَةَ يَوْمًا، فَدَخَلَتْ فِي لَبْلِ كَلِيبِ تَرَعَى فِي حِمَاهِ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا فَأَنْكَرَهَا وَرَمَاهَا بِسَهْمٍ فِي ضَرْعِهَا، فَوَلَّتْ حَتَّى بَرَكْتَ بِفَنَاءِ صَاحِبَتِهَا، وَضَرْعِهَا بِشَخْبِ دِمَائِهِ، فَصَاحَتْ: وَادِّاهُ! فَتَقَتَّلَ جَسَّاسُ كَلِيبًا لَذَلِكَ، وَقَتَّلَ جَسَّاسٌ نَحْوَ سَنَةِ ٨٥ ق. هـ. (٣) الْبَدَنُ: جَمْعُ بَدَنَةٍ تَكُونُ مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ. (٤) الْجَدُّ هُنَا: الْحَفَظُ.

يابنة الأقوام إن شئت فلا  
 فإذا أنت تبيننت الذي  
 إن تكن أخت امرئ ليمت علي  
 جلّ عندى فعل جساس فيا  
 فعل جساس على وجدى به  
 تحمل العين قذى العين كما  
 ياقتيلاً قوض الدهر به  
 هدم البيت الذى استحدثته  
 يانسأى دونكن اليوم قد  
 خصنى قتل كليب بلطى  
 ليس من يبكى ليومين كن  
 يشفى المدرّك بالنار ، وفى  
 ليتّه كان ديمى فاحتلبوا  
 إننى قاتلة مقتولة  
 تعجلى باللوم حتى نسأل  
 يوجب اللوم قلوبى واغذلى  
 شفق منها عليه فافعل  
 حسرتى عما انجملت أو تنجلى !  
 قاطع ظهري ومذن أجلى  
 تحمل الأم أذى ما تفتلى<sup>(١)</sup>  
 سفّ بيتى جميعاً من عل  
 وانثنى فى هدم بيتى الأول  
 خصنى الدهر برزء معضل  
 من ورأى ولطى مستقبلى  
 إنما يبكى ليوم ينجلي  
 دركى نأرى ككل الشكّل<sup>(٢)</sup>  
 بدلاً منه دماً من أكل<sup>(٣)</sup>  
 ولعل الله أن يرتاح لى !

(١) نفلى : تربي (٢) الشكّل : التى لازمها الحزن (٣) الأكل : عرق فى الذراع يفصد .

## ٢٨ — كأنما تزوجت بنت قيس بن خالد ! \*

كان زُرارة بن عُدُس رجلاً شريفاً ، فنظر ذات يوم إلى ابنه لَقِيط ، فرأى منه خِيَلًا ونَشَاطًا ، وقد جعل يضربُ غُلْمَانَهُ — وهو يومئذ شاب — فقال له : لقد أصبحتَ تصنعُ صنيعاً كأنما جئتني بمائةٍ من هِجَانٍ <sup>(١)</sup> ابن اللنذر بن ماء السماء ، أو تزوجت بنت قيس بن خالد ! قال لقيط : لله على ألا يمسه رأسى غُسل ، ولا آكل لحماً ولا أشرب خمرًا حتى أجسهما جميعاً أو أموت .

فخرج لقيط ومعه ابنُ خال له يقال له القراد بن إهاب ، وكلاهما كان شاعراً شريفاً ، فسارا حتى أتيا بني شَيْبَانَ ، فسَلَمَا على نَادِيهِمْ ، ثم قال لقيط : أفيكم قيس بن خالد ؟ — وكان سيدَ ربيعة يومئذ — قالوا : نعم . قال : فأَيْكُمْ هو ؟ قال قيس : أنا قيس ، فما حاجتك ؟ قال : جئتُك خاطباً ابنتك — وكانت على قيس يمينٌ ألا يخطبَ إليه أحد ابنته عَلاَنية إلا أصابهَ بَشَرٌ ، وسمِعَ <sup>(٢)</sup> به — فقال له قيس : ومن أنت ؟ قال : لَقِيط بن زُرارة بن عُدُس . قال قيس : عجبا منك ! هَلَا كان هذا بيني وبينك ؟ قال : لِمَ يَعمى ؟ فوالله إن فيك لرَغْبَةً ، وما بى من عَيبٍ ، ولئن ناجيتُك لا أخدعُك ، ولئن عالتُك لا أفصحُك . فأعجبَ قيساً كلامُهُ وقال : كَفْ ، كريم ، إني قد زوَّجتُك ومهرتُك مائة ناقة ؛ ليس فيها نابٌ ولا كَرُومٌ <sup>(٣)</sup> ، ولا تبیت عندنا عَزَبًا ولا مَحْرُومًا .

\* الأغاني : ٩ - ١٣٠ ( طبعة الساسي ) ، مجمع الأمثال : ٢ - ١٥٣  
(١) لابل هجان : بيض كرام (٢) سمع به : فضحه وشتمه (٣) الناب : الناقة المسنة ، والكزوم . ناقة ذهبت أسنانها هرمًا .

ثم أرسل إلى أم الجارية : إني قد زوجت لقيط بن زُرارة ابنتي فلانة فاضعيتها ، واضربى لها ذلك البلق<sup>(١)</sup> ؛ فإن لقيط بن زُرارة لا يبيت فينا عزباً .

وجلس لقيط يتحدث معهم . فذكروا الغزو ، فقال لقيط : أما الغزو فأزداها للفتح ، وأهزلها للجبال ، وأما المقام فأنسئها للجبال ، وأحبها للنساء . فأعجب ذلك قيساً ، وأمر لقيطاً فذهب إلى البلق فجلس فيه ، وبعث إليه أم الجارية بمخمرة وبمخور ، وقالت للجارية : اذهبي إليه فوالله لئن ردّها ما فيه خير ؛ فلما جاءته الجارية بالمخمرة بمخر شفره ولحيته ، ثم ردّها عليها ، فلما رجعت الجارية إليها خبرتها بما صنع ، فقالت : إنه خلّيق للخير .

فلما أمسى لقيط أهديت الجارية إليه ، فمازحها بكلام اشمازت منه ، فنام وطرح عليه طرف خميسة<sup>(٢)</sup> ، وبات قريباً منه .

فلما استنقل انسلت فرجعت إلى أمها ، فانتبه لقيط فلم يرّها ، فخرج حتى أتى ابن خاله قراداً وهو في أسفل الوادي ، فقال : ارحل يعيرك<sup>(٣)</sup> ، وإياك أن يُسمع رُغاؤها .

فتوجّها إلى المنذر بن ماء السماء ، وأصبح قيس ففقد لقيطاً ، فسكت ولم يذكر ما الذي ذهب به ، ومضى لقيط حتى أتى المنذر ، فأخبره ما كان من قول أبيه وقوله ، فأعطاه مائة من هجائنه<sup>(٤)</sup> ، فبعث بها قراد إلى أبيه زُرارة ، ثم مضى إلى كسرى فكساه وأعطاه جوهرأ ، ثم عاد إلى قيس بن خالد فجهر بنته ، ولما أرادت الرحيل قال لها : يا بنية ، كوني لزوّجك أمةً يكن لك عبداً ؛ وليكن أكثر

(١) البلق : الفسطاط (٢) الخميسة : كساء أسود مربع له علان (٣) البعير : الجمل البازل أو الجذع ، وقد يكون للأنثى ، ورحل البعير : حط عليه الرحل (٤) هجائه ، أى هجانه .



طبيك الماء فإنك إنما يذهب بك إلى الأعداء ، واعلمى أن زوجك فارس مُضر ،  
وأنه يوشك أن يقتل أو يموت ، فلا تخمشى عليه وجهاً ولا تحلقى شعراً ، قالت  
له : أما والله لقد رببتنى صغيرة ، وأقصيتنى كبيرة ، وزودتنى عند الفراق  
شرّاً زَاداً !

وارتحل بها لقيط ، فجعلت لا تمرّ بحىٍّ من أحياء العرب إلا قالت : يا لقيط ،  
أهؤلاء قومك ؟ فيقول : لا ، حتى طلعت على محلة بنى عبد الله بن دارم ، فرأت  
القياب والخيل العراب ؛ فقالت : يا لقيط ، أهؤلاء قومك ؟ قال : نعم . فأقام أياماً  
يُطعم وينحر ، ثم أقامت عنده حتى قُتل يوم جَبَلَة <sup>(١)</sup> .

فبعث إليها أبوها أخاً له ليتحمّل إليه ، فلما ركبت أقبلت حتى وقفت على  
نادى بنى عبد الله بن دارم ، فقالت : يا بنى دارم ؛ أوصيكم بالفرائب خيراً ، فوالله  
ما رأيتُ مثلَ لقيط لم تنح . رَأَتْ وَجْهَهَا ، ولم تحلق عليه شعراً ، فلولا أنى  
غريبة لمحشت وحلقت . فأنثوا عليها .

(١) جبلة : هضبة حراء بين الشريف والشرف ، وهما ماءان لبنى نعيم وبني كلاب ، وكان  
اليوم بين عيس وذبيان ابني بغيض .

٢٩ — ما وراءك يا عصام\*

لما بلغ الحارث بن عمرو<sup>(١)</sup> ملك كِنْدَةَ جمالُ ابنة عوف بن مُحَلَّم الشَّيْبَانِي ،  
وكالها وقوة عقلها ، دعا امرأة من بنى كِنْدَةَ يقال لها عصام ، ذات عقلٍ ولسانٍ  
وأدبٍ وبيانٍ ، وقال لها : اذهبي حتى تَعْلَمِي لى علم ابنة عوف .

ففضت حتى انتهت إلى أمها ، فأعلمتها ما قدمت له ، فأرسلت إلى ابنتها ،  
وقالت : أى بُنْيَة ؛ هذه خالتك أنتك لتنظرَ إليك ، فلا تسترى عنها شيئاً أرادت  
النظر إليه من وَجْهِ وخلقٍ ، وناطقها إن استنطقتكَ .

فدخلت عصامُ إليها ، فنظرت إلى مالم ترَ عينها مثله قطُّ بهِجَةً وحُسناً وجمالاً ؛  
فإذا هى أكلُ الناس عقلاً وأفصحهم لساناً ؛ فخرجت من عندها وهى تقول :  
ترك الخداع من كَشَفِ القناع .

ثم أقبلت إلى الحارث ، فقال لها : ما وراءك يا عصام ؟ قالت : صرَّحَ الخضُ  
عن الزُّبْدِ<sup>(٢)</sup> . قال : أخبريني . قالت : أخبرُك صِدْقاً وحقاً .

رأيت جبهةً كالمرآة الصقيلة ، يزينها شعر حالكٌ كأذناب الخيل المصفورة ،  
إن أرسلته خِلْتَه السلاسل ، وإن مَشَطْتَهُ قَلت عناقيدُ كرمٍ جلاها الواابل<sup>(٣)</sup> ،  
وحاجبين كأنهما خطاً بقلم أو سُوداً بمُحْمَرٍ<sup>(٤)</sup> ، قد تَمَوَّسَا على عَيْنِ الضُّلَيْةِ

\* بجمع الأمثال : ٢ - ١٩٢ ، العقد الفريد : ٣ - ٢٢٣

(١) كان الحارث بن عمرو من أشرف العرب في الجاهلية ، وكان مطاعاً في قومه ، قوياً في عصبته ،  
وكانت تضرب له قبة في عكاظ ، توفي نحو سنة ٤٥ ق . هـ . (٢) مخض اللين : أخذ زبده ، والصرع :  
التين . وهو مثل ؛ يضرب للأمر إذا انكشف وتبين (٣) الواابل : المطر الشديد (٤) اللحم : الفحم .

المُبَهْرَة <sup>(١)</sup> ، التي لم يَرُ عَها قَانِصٌ ولم يَذْعَرْها قَسُورَةٌ <sup>(٢)</sup> ، بينهما أنفٌ كحدِّ السيف المصقول ، لم يَخْنِس <sup>(٣)</sup> به قِصَرٌ ، ولم يَمَضِ به طُولٌ ، حُفَّتْ به وَجَنَتَانِ كالأَرْجَوَانِ <sup>(٤)</sup> في بياضِ تَحْضٍ كالجَمَانِ <sup>(٥)</sup> ، شُقَّ فيه فَمٌ كالتَّحَاتِمِ ، لذيدِ المَبْتَسِمِ فيه ثَنَائِيَا غُرٌّ ، ذَوَاتُ أَشْرٍ <sup>(٦)</sup> ، وأسنان تَبْدُو كالدُّرَرِ ، يَتَقَلَّبُ فيه لِسَانٌ ذُو فَصَاحَةٍ وِبيانٍ ، يَحِرُّ كَه عَقْلٌ وافرٌ ، وجوابٌ حاصرٌ <sup>(٧)</sup> ... إلى أن قالت : فأما ما سوى ذلك فتركتُ أن أَصِفَه . غير أنه أَحْسَنُ ما وَصَفَه واصفٌ بنظم أو نثر . فأرسل الملك إلى أبيها فخطبها ، فزوجه إياها .

فلما نُحِجَتْ إلى زوجها ؛ قالت لها أمها ، أُمَامَةُ بنت الحارث :  
أى بُنْيَّةٌ ؛ إن الوَصِيَّةَ لو تُرِكَتَ لَفَضَّلِ أدبٌ ، تُرِكَتَ لذلك منك ، ولكنها تذكرةٌ للغافل ؛ ولو أن امرأةً استغفنت عن الزوج لَغَيَّ أبويها ، وشدة حاجتهما إليها كنتُ أغنى الناس عنه ، رَسَكَنَّ النساءُ خُلُقُنَ للرجال ، ولهنَّ خُلُقُ الرجال .

أى بُنْيَّةٌ ؛ إنكِ فَارَقْتِ الجِوَّ الذي منه خرجتِ ، وخَلَقْتِ العُشَّ الذي فيه دَرَجْتِ ، إلى وَكْرٍ لم تَعْرِفِيهِ ، وقرينٍ لم تَأَلَفِيهِ ، فأصبح بملكه عليك رقيقاً ومليكا ، فكوني له أمةً يَكُنْ لك عَبْدًا وشيكاً <sup>(٨)</sup> .

يابنَّةِ أَجْمَلِي عني عَشَرَ خصال تكن لك ذُخْرًا وذكرًا : الصُّعْبَةُ بالقناعة ، والمُعَاشِرَةُ بِحُسْنِ السَّمْعِ والطاعة ، والتَعَهُّدُ لمَوْعِدٍ عَيْنِهِ ، والتَفَقُّدُ لمَوْضِعٍ أَنْفِهِ ؛ فلا تقع

(١) المبهرة : الرقيقة البشرة الناصعة البياض (٢) القسورة : الرماة من الصيادين (٣) خنس : تأخر ، والخنس : تأخر الأنت عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة (٤) الأرجوان : صبغ أحمر (٥) الجمان : اللؤلؤ (٦) أشر الأسنان : التحريز الذي فيها (٧) انظر بقية الوصف في مراجع القصة (٨) الوشيك : السريم .

عينه منك على قبيح ، ولا يشم منك إلا أطيّب ريح ، والكحل أحسن الحسن ،  
والله أطيّب الطيب المفقود ، والتمهّد لوقت طعامه ، والهدوّ عنه عند منامه ؛ فإنّ  
حرارة الجوع ملهبة ، وتنقيص النوم مفضبة . والاحتفاظ ببيتّه وماله ،  
والإرعاء<sup>(١)</sup> على نفسه وحشمه وغياله ، فإنّ الاحتفاظ بالماء حسن التقدير ، والإرعاء  
على العيال والخشم جميل حسن التدبير ؛ ولا تفضي له سرّاً ، ولا تعصى له أمراً ؛  
فإنك إن أفضيت سرّه لم تأمن غدره ، وإن عصيت أمره أوغرت صدره ؛  
نم اتقى مع ذلك الفرح إن كان ترحاً ، والاكتئاب عنده إن كان فراحاً ، فإنّ  
الخصلة الأولى من التقصير ، والثانية من التكدير ، وكوفي أشد ما تكونين له  
إعظماً يكن أشد ما يكون لك إكراماً ، وأشد ما تكونين له موافقةً يكن أطول  
ما تكونين له مرافقة .

واعلم أنّك لا تصلين إلى ما تحبين حتى تؤثرى رضاه على رضاك ، وهواه  
على هوائك فيما أحببت وكرهت : والله بخير لك !

### ٣٠ - لَا أَتَزَوَّجُ إِلَّا مِنْ كَرِيم\*

كانت امرأة من العرب من بنات ملوك اليمن ذات جمال وكمال ، وحسب ومال ، قالت ألا تزوج نفسها إلا من كريم ، ولئن خطبها لئيم لتجد عن أنفه ؛ فتحامها الناس حتى انتدب<sup>(١)</sup> إليها زيد الخيل ، وحاتم بن عبد الله ، وأوس ابن حارثة الطائيون ، فارتحلوا إليها .

فلما دخلوا عليها قالت : مرحباً بكم ، ما كنتم زوّاراً ؛ فما الذى جاء بكم ؟ قالوا : جنناً زوّاراً خطّاباً ، قالت : أكفاه كرام . ثم أنزلتهم وفرقت بينهم ، وأسبغت لهم القرى ، وزادت فيه .

فلما كان اليوم الثانى بعثت بعض جواربها متكررة في زى سائلة تتعرّض لهم ؛ فدفع إليها زيد وأوس شطراً ما حمل إلى كل واحد منهما . فلما صارت إلى رخل حاتم دفع إليها جميع ما كان من نفقته ، وحمل إليها جميع ما حمل إليه . فلما كان اليوم الثالث دخلوا عليها ، فقالت : ليصف كل واحد منكم نفسه في شعره ؛ فابتدر زيد وأنشأ يقول :

هلاً سألت بنى ذبيان : ما حسبي	عند الطعان إذا ما احترت الحدق <sup>(٢)</sup>
وجاءت الخيل محمراً بوادرها <sup>(٣)</sup>	بالماء يسفح من لبائها العلق <sup>(٤)</sup>
والجار يعلم أتى لست خاذله	إن ناب دهر لعظم الجار معترق <sup>(٥)</sup>

\* الخزانة : ٤ - ١٦٠ ( طبعة السلفية ) ، ذيل الأمل : ١٥٤ ( طبعة دار الكتب ) ، سرح الميون : ٧٥ .

(١) انتدب إليها : أسرع وخف . (٢) إذا ما اشتد الحرب . (٣) البادرة : اللحمة التى بين اللسك والعنق ، وهى تحمر من الدم الذى يسيل عليها من فرسانها . (٤) العلق : الدم . (٥) اعترقه : أكل ما عليه من اللحم .

هذا الثناء ، فإن تَرْضَى فراضيةً أوتسخطى فإلى من تُعْطَفُ العُنُقُ !  
وقال أوس بن حارثة : إنك لتعلمين أننا أكرمُ أحساباً ، وأشهرُ أفعالاً من أن  
نُصِفَ أنفسنا لك ؛ أنا الذى يقول فيه الشاعر :

إلى أوس بن حارثة بن لأمٍ لِيَقْضَى حاجتي ولَقَدْ قضاها  
فما وطفى الحصى مثلُ ابنِ سَعْدَى ولا لبسَ النعالَ ولا احتَذَاها  
وأنا الذى عَقَّتْ عقيقته <sup>(١)</sup> ، وأعتقت عن كلِّ شعرةٍ فيها عنه نَسَمَةً ، ثم  
أنشأ يقول :

فإن تَنكِحَنِ ماوِيَةَ الخير حاتماً فإِنا مثله فِينا ولا فى الأعاجِمِ  
فَتَى لا يَزَالُ الدهرُ أَكْبَرُ هَمِّهِ فَكالكُ أُسِيرُ أو مَعُونَةُ غارِمِ  
وإن تَنكِحَنِ زَيْدًا ففارسُ قَوْمِهِ إِذا الحربُ أَقْعَدَتْ كلَّ قائِمِ  
وإن تَنكِحَنِى تَنكِحَنِى غَيْرَ فَاجِرٍ ولا جارفِ جَرْفِ العَشِيرَةِ هَادِمِ  
ولا مَتَقٍ يَوْمًا - إِذا الحربُ شَمَرَتْ - بِأَنْفُسِهَا نَسِي ، كَفِيعِلِ الْأَشْأَمِ <sup>(٢)</sup>  
وإن طَارِقُ الْأَضْيَافِ لاذَ بِرَحْله وَجَدْتَ ابنَ سَعْدَى لِلرِّمَى غَيْرَ عَاتِمِ <sup>(٣)</sup>  
فأَيَّ فتى أَهْدَى لَكَ اللهُ فاقْبَلِ فَإِنَّا كرامٌ من رُمُوسٍ أَكْرامِ  
وأنشد حاتم يقول :

أماوِيّ قد طال التَّجَنُّبُ والهَجْرُ وَقَدْ عَذَّرْتَنِي <sup>(٤)</sup> فى طَلابِكُمْ عُدْرُ <sup>(٥)</sup>  
أماوِيّ إِن المَالَ غَدٍ وَرَاحٌ وَيَبْقَى من المَالِ الْأَحَادِيثُ وَالذِّكْرُ

(١) العقيقة : شعر كل مولود من الناس . (٢) الأشأم : جمع أشأم وهو ضد الأيامن .  
(٣) عَم الرجل عن الشيء : كَف عنه بعد المضي فيه . (٤) عذرتنى : أى رفعت عني  
اللوم وعجت الإساءة وطمستها . (٥) العذر : جمع عذير ، والعذير هو الحال .

أَمَاوِيَّ إِنِّي لَا أَقُولُ لِسَائِلٍ إِذَا جَاءَ يَوْمًا : حَلَّ فِي مَالِنَا النَّزْرُ <sup>(١)</sup>  
أَمَاوِيَّ إِنَّمَا مَا نَسِعَ فُبَيْنَ وَإِنَّمَا عَطَا لَا يُنْهِنُهُ <sup>(٢)</sup> الزَّجْرُ  
أَمَاوِيَّ مَا يُغْنِي الثَّرَاءَ عَنِ الْفَتَى إِذَا حَشَرَجَتْ <sup>(٣)</sup> يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ  
أَمَاوِيَّ إِنْ يُصْبِحُ صَدَائِي <sup>(٤)</sup> بِقَفْرَةٍ مِنْ الْأَرْضِ لَا مَالًا لَدَيَّ وَلَا خَمْرُ  
تَرَى أَنْ مَا أَنْفَقْتُ لَمْ يَكُ ضَائِرِي وَأَنْ يَدِي مِمَّا بَخِلْتُ بِهِ صِفْرُ  
أَمَاوِيَّ إِنِّي رُبُّ وَاحِدٍ أَمَةٍ أَخَذْتُ فَلَا قَتْلَ عَلَيْهِ وَلَا أَمْرَ  
وَقَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ لَوْ أَنَّ حَاتِمًا أَرَادَ ثَرَاءَ الْمَالِ كَانَ لَهُ وَفْرُ  
أَمَاوِيَّ إِنْ الْمَالُ مَالٌ بَذَلْتُهُ فَأَوَّلُهُ شُكْرُ وَآخِرُهُ ذِكْرُ  
وَلَمَّا لَا آلُو <sup>(٥)</sup> بِمَالِي صَنِيعَةً فَأَوَّلُهُ زَادٌ وَآخِرُهُ ذُخْرُ  
يُفَكُّ بِهِ الْعَانِي <sup>(٦)</sup> وَيُوْثِقُ كُلُّ طَبِيبًا وَمَا إِنْ يَعْرِيه الْقِدَاحُ <sup>(٧)</sup> وَلَا الْقَمْرُ  
وَلَا أَظْلِمُ ابْنَ الْعَمِّ إِنْ كَانَ إِخْوَتِي شُهُودًا وَقَدْ أَوْدَى يَأْخُوْتُهُ الدَّهْرُ  
غَنِينًا <sup>(٨)</sup> زَمَانًا بِالتَّصْلُكِ وَالْفِنَى وَكُلًّا سَقَانَاهُ بِكَأْسِيهِمَا الدَّهْرُ  
فَمَا زَادَنَا بَأْوًا <sup>(٩)</sup> عَلَى ذِي قَرَابَةٍ غِنَانًا ، وَلَا أَزْرَى بِأَحْسَابِنَا الْفَقْرُ  
وَمَا ضَرَّ جَارًا يَابِنَةَ الْقَوْمِ فَاعْلَمِي يُجَاوِرُنِي إِلَّا يَكُونُ لَهُ سِتْرُ  
بِعَيْنِي عَنْ جَارَاتِ قَوْمِي غَفْلَةً وَفِي السَّمْعِ مِنِّي عَنْ أَحَادِيثِهَا وَقُرُ  
فَقَالَتْ : أَمَا أَنْتِ يَا زَيْدَ فَقَدْ وَتَرْتِ الْعَرَبَ ، وَبِقَاؤِكَ مَعَ الْحَرَّةِ قَلِيلٌ ، وَأَمَّا  
أَنْتِ يَا أَوْسَ فَرَجَلُ ذَوْضَرَّائِرَ ، وَالدَّخُولُ عَلَيْهِنَّ شَدِيدٌ ، وَأَمَا أَنْتِ يَا حَاتِمَ فَرَضِي  
الْأَخْلَاقَ ، مُحَمَّدُ النَّسِيمِ ، كَرِيمُ النَّفْسِ ، وَقَدْ زَوَّجْتُكَ نَفْسِي !

(١) النزر : القلة (٢) نهيه : منعه (٣) الحشرجة : الرغبة عند الموت (٤) الصدى : ما يبق من الميت في قبره (٥) لا آلو : لا أقصر (٦) العاني : الأسير (٧) القداح : قبح الميسر . القمر : المقامرة (٨) غنينا : غنى بالمساكنة : أقام به (٩) البأو : الكبر والفخر .

٣١ — سبيّة عُرْوَة بن الورد\*

أصاب عُرْوَة<sup>(١)</sup> بن الورد امرأة من بنى كنانة ، يقال لها سلمى ، فأعتقها واتخذها لنفسه ، فكثرت عنده بضع عشرة سنة وولدت له أولاداً ، وهو لا يشك في أنها أرغب الناس فيه ، وهى تقول له : لو حَجَجْتَ بى ، فأمرُ على أهلى وأراهم ! فحَجَّ بها ، فاتى مكة ، ثم أتى المدينة ، وكان يُخالط من أهل يثرب بنى النضير ، فيُقرضونه إن احتاج ، ويُبأيهم<sup>(٢)</sup> إذا غنم .

وكان قومها يُخالطون بنى النضير ، فاتوهم وهو عندهم ، فقالت لهم سلمى : إنه خارجٌ بى قبل أن يخرج الشهر الحرام ، فتعالوا إليه ، وأخبروه أنكم تستحيون أن تكون امرأة منكم معروفة النسب صحيحته سبيّة ، واقتدوني منه ، فإنه لا يرى أنى أفاقه ، ولا اختار عليه أحداً ؛ فاتوه فسقوه الشراب ، فلما سمل قالوا له : فادنا<sup>(٣)</sup> بصاحبتنا ؛ فإنها وسيطة<sup>(٤)</sup> النسب فينا ، معروفة ، وإن علينا سبيّة أن تكون سبيّة ، فإذا صارت إلينا ، وأردت معاودتها ، فاخطبها ؛ فإننا نزوجك ؛ فقال لهم : ذاك لكم ؛ ولكن لى الشرط فيها أن تخيروها ، فإن اختارتنى انطلقت معى إلى ولديها ، وإن اختارتكم انطلقتم بها ؛ قالوا : ذاك لك . قال : دعوا ذلك إلى غد .

\* الشعر والشعراء : ٢٦ ، الأغاني : ٣-٧٦ ( طبعة دار الكتب )

(١) عروة بن الورد : شاعر من شعراء الجاهلية ، وفارس من فرسانها العدودين المقدمين الأجراد . وكان يلقب عروة الصعاليك ؛ لأنه كان كالرئيس عليهم يجمعهم ويقوم بأمرهم . توفى نحو سنة ٣٠ ق هـ . (٢) يبايعهم : يعقد معهم البيع . (٣) المفاداة : إيقاد الأسير بالفدية . (٤) وسيطة النسب : حسيبة كريمة .



فلما كان الغد جاءوه فامتنع من فدائها ، فقالوا له : قد فادَيْتَنَّا به منذ البارحة ؛  
وشهد بذلك جماعةٌ ممن حضر ، فلم يَقْدِر على الامتناع وفادائها ، فلما فادَوْهُ خَيْرُوهَا  
فاختارت أهلها ؛ ثم أقبلت عليه ، فقالت : يا عُرْوَةُ ، أما إني أقول فيك - وإن  
فارقتك - الحق : والله ما أعلم امرأةً من العرب ألفت سِتْرَها على بعلٍ خير منك ،  
وأغض طرفاً ، وأقل فحشاً ، وأجودَ يداً ، وأحصى إحصائيه <sup>(١)</sup> . وما مرَّ علىَّ يومٌ  
منذ كنتُ عندك إلا والموتُ فيه أحبُّ إلى من الحياة بين قومك ، لأني لم أكن  
أشاه أن أسمع امرأةً من قومك تقول : قالت أمةٌ عُرْوَةُ كذا وكذا ؛ والله لا أنظرُ  
في وجه غطفانيةٍ أبداً <sup>(٢)</sup> ، فازجِع راشداً إلى وَلَدِكَ وأحسِن إليهم !

ثم تزوجها رجلٌ من بني عَمِّها ، فقال لها يوماً : ياسلمى ؛ أثني علىَّ كما أثنتِ  
على عُرْوَةَ - وقد كان قولها فيه شُهرٍ - فقالت له : لا تكلفني ذلك ؛ فإني إن قلتُ  
الحقَّ غَضِبْتَ ، ولَا واللاتِ والعزى لا أكذب ؛ فقال : عزمتُ عليك لتأثيني في  
مجلس قومي فلتُثني عليَّ بما تعملين .

وخرج فجلسَ في ندَى القوم ، وأقبلت فرماها القومُ بأبصارهم ، فوقفَت عليهم  
وقالت : أنعموا صباحاً ، إن هذا عَزَمَ عليَّ أن أثني عليه بما أعلم . ثم أقبلت عليه  
فقالت : والله إن شُرَيْكَ لَأَشْتَفَا <sup>(٣)</sup> ، وإنك لتنامُ ليلةً تخاف ، وتشبعُ ليلةً  
تُضَافُ ، وما تُرْضِي الأهلَ ولا الجانبَ <sup>(٤)</sup> . ثم انصرفت . فَلَامَهُ قَوْمُهُ ، وقالوا :  
ما كان أغناكَ عن هذا القولِ منها .

(١) الحقيقة : ما يجب على الرجل أن يحويه (٢) غطفان : هم قوم عُرْوَةَ (٣) الاشتفاف : شرب  
كل ما في الإناء (٤) الجانب : التريب ، والمراد به الضيف .

### ٣٢ - لو كان النساء كمثل هذى \*

قال الحارث<sup>(١)</sup> بن عوف يوماً لخارجة بن سنان المرسي: أتراني أخطبُ إلى أحدٍ فيردني؟ فقال له: نعم! قال: ومن ذاك؟ قال: أوس بن حارثة الطائي؛ فقال الحارث لفلانته: ارحل بنا. ففعل، وركبا حتى أتيا أوس بن حارثة في بلاده، فوجداه في فناء منزله، فلما رأى الحارث بن عوف قال: مَرَّحِبًا بك يا حارث، قال: وَبِكَ، قال: ما جاء بك؟ قال: جئتُك خاطبًا، قال: لست هناك!

فانصرف ولم يكلمه، ودخل أوس على امرأته مُغَضَّبًا - وكانت من عبس - فقالت: من رجل! واقف عليك فلم يُبطل، ولم تسكَّمه؟ قال: ذاك سيدُ العرب الحارث بن عوف، قالت: فما لك لم تستنزلهُ؟ قال: إنه استعظم<sup>(٢)</sup>. قالت: وكيف؟ قال: جاءني خاطبًا. قالت: أفتريدُ أن تزوجَ بناتك؟ قال: نعم، قالت: فإذا لم تزوجَ سيدَ العرب فمن؟ قال: قد كان ذلك. قالت: فتدَّارك ما كان منك. قال: بماذا؟ قالت: تلحقهُ فتدُّه، قال: وكيف وقد فرط مني ما فرط إليه! قالت: تقولُ له لقيتني مُغَضَّبًا بأمرٍ لم تُقدِّم فيه قولاً، فلم يكن عندي فيه من الجواب إلا ما سمعت. عدُّ ولك عندي كل ما أحببت، فإنه سيفعل. فركب في أثرها.

قال خارجة بن سنان: فوالله إني لأسيرُ مع الحارث إذ حانت مني التفاتةُ فرأيت أوسًا، فأقبلتُ على الحارث - وما يكلمني غمًّا - فقلت له: هذا أوس بن

\* الأغانى: ١٠ - ٢٩٤ (طبعة دار الكتب)، المستطرف: ٢ - ٢٢٢

(١) الحارث بن عوف من بني مرة، أسلم وحسن إسلامه وبعث معه رسول الله رجلاً من الأنصار في جواره يدهو قومه إلى الإسلام، فقتلوا الأنصارى (٢) استعظم: فعل فعل الحمق.

حارثة في أثرنا ، قال : وما نصنعُ به ؟ امض . فلما رأنا لا تقفُ عليه صاح : يا حارث ! اربّع<sup>(١)</sup> على ساعة ، فوقفنا له ، فكلمتهُ بذلك الكلام ، فرجع مسروراً .

ودخل أوس منزله ، وقال لزوجته : ادعى لي فلانة - لأكبرِ بناتِه - فأتته ، فقال : يا بُنية ، هذا الحارثُ بن عوف ، سيدٌ من سادات العرب ، قد جاءني طالباً خاطباً ، وقد أردتُ أن أزوجهُك منه ، فما تقولين ؟ قالت : لا تفعل ، قال : ولم ؟ قالت : لأنني امرأة ، في وجهي ردّة<sup>(٢)</sup> ، وفي خلقي بعضُ المهدة<sup>(٣)</sup> ، ولست بابنةِ عمه فيزعمَ رَحِي ، وليس ببارك في البلد فيستحي منك ، ولا آمنُ أن يرى مِنِّي ما يكره فيطلقني ، فيكونَ عليّ في ذلك ما فيه .

قال : قومي ، بارك الله عليك ، ادعى لي فلانة - لابنته الوُسْطَى - فدعها ، ثم قال لها مثل قوله لأختها ، فأجابته بمثل جوابها ، وقالت : إني خرفاء<sup>(٤)</sup> ، وليست بيدي صناعة ، ولا آمنُ أن يرى مِنِّي ما يكره ، فيطلقني ، فيكونَ عليّ في ذلك ما تعلم ، وليس بابنِ عمي فيزعمُ حقّي ، ولا جارك في بلدك فيستحييك<sup>(٥)</sup> ، قال : قومي ، بارك الله عليك ، ادعى لي بهيسة - صُفْرَى بناتِه - فأتى بها ، فقال لها كما قال لها ، فقالت : أنتَ وذاك فقال لها : قد عرَضْتُ ذلك على أختيك فأبتاه ، فقالت - ولم يذكر لها مقلتيهما - : لكني والله الجميلةُ وجهاً ، الصنّاعُ يداً ، الرفيعةُ خلقاً ، الحسيدةُ أباً ، فإن طلقني فلا أخلفَ اللهُ عليه بخير ! فقال له بارك الله عليك . ثم خرج إلى الحارث فقال : زوجتك يا حارثُ بهيسة بنت أوس ؛ قال : قبلت : فأمر أُمّها أن تهَيِّئها ؛ وتُصلحَ من شأنها ؛ ثم أمر بيوتَ فُضْرَب له ؛ وأنزله إياه ؛ فلما هَيَّئَتْ بُعثَ بها إليه .

(١) رجع عليه : وقف له ، أو مال إليه (٢) الردة : شيء من قبح (٣) المهدة : العيب

(٤) خرفاء : امرأة غير صنّاع (٥) ليستحييك : يستحي منك .

قال خَارِجَةُ بن سنان : فلما أَدخلتُ إليه كَبِثَ هُنَيْهَةٌ ثم خرج إلى ، قلت : أفرغتَ من شأنِكَ ؟ قال : لا والله . قلت : وكيف ذاك ؟ قال : لَمَّا دخلتُ إليها قالت : مَهْ ! أَعِنْدَ أَبِي وإِخْوَتِي ؟ هذا والله مَالًا يَكُون . قال خَارِجَةُ : ثم أمرُ بِالرَّحْلةِ ؛ فَارتحلنا وَرَحَلْنَا بها معنا ؛ فَسَرَّنا ما شاءَ اللهُ ، ثم قال لي : تَقَدَّم ، فَتقدَّمتُ ، وَعَدَلُ بها عن الطريق ؛ فَسألْتُ أَنْ لَحِقَ بِي ؛ فقلت : أفرغتَ ؟ قال : لا والله ، قلتُ : وَلِمَ ؟ قال : قالت لي : أَكَمَا يُفعلُ بِالْأُمَّةِ الْجَلِيلَةِ <sup>(١)</sup> أَوِ السَّيِّئَةِ الْأَخِيذَةِ <sup>(٢)</sup> ! لا والله ، حَتَّى تَنْهَرَ الْجَزُورَ <sup>(٣)</sup> وَتَذْبِجَ الْغَنَمَ ، وَتَدْعُوَ الْعَرَبَ ، وَتَعْمَلَ مَا يُعْمَلُ لِمِثْلِي ! قلت : والله إِنِّي لَأَرَى هِمَّةً وَعَقْلًا ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ الْمَرْأَةُ مُنْجِبَةً إِنْ شَاءَ اللهُ .

قال خَارِجَةُ : فرحلنا حتى جئنا بلادنا ، فَأَحْضَرَ الْإِبِلَ وَالْغَنَمَ ، ثم دخل عليها ، وخرج إلى ، فقلت : أفرغتَ ؟ قال : لا ، قلت : ولم ؟ قال : دخلتُ عليها ، وقلتُ لها : قد أَحْضَرْنَا مِنَ الْمَالِ ما قد تَرَيْنَ ، فقالت : والله لقد ذُكِرْتُ لِي مِنَ الشَّرَفِ ما لا أَرَاهُ فَيْكَ ! قلت : وكيف ؟ قالت : أَتَفَرَّغُ لِلنِّسَاءِ - وَالْعَرَبُ تَقْتُلُ بَعْضُهَا بَعْضًا <sup>(٤)</sup> ! قلت : فَيَكُونُ ماذا ؟ قالت : اخرج إلى هؤلاء القوم فأصلِحْ بينهم ، ثم ارجع إلى أَهْلِكَ فلن يَفُوتَكَ ما تَريدُ ، فقلت : والله إِنِّي لَأَرَى هِمَّةً وَعَقْلًا ، ولقد قالت قولاً ...

قال خَارِجَةُ : ثم قال الحارث : اخرج بنا ، فخرجنا حتى أَتَيْنَا الْقَوْمَ فَشِينَا فِيما بينهم بِالصِّلَحِ ، فَاصْطَلَحُوا عَلَيَّ أَنْ يَحْتَسِبُوا الْقَتْلَ ، فَيُؤَخِّذُ الْفَضْلُ مِنْهُ هُوَ عَلَيْهِ ، فَحَمَلْنَا عَنْهُمْ الدِّيَّاتَ ، فَكَانَتْ ثَلَاثَةُ آلَافٍ بَعِيرٍ فِي ثَلَاثِ سِنِينَ ، فَانْصَرَفْنَا بِأَجَلٍ الذِّكْرُ ! فَمَدَحَ بِذَلِكَ وَقَالَ فِيهِ زَهِيرُ قَصِيدَتِهِ :

\* أَمِنْ أُمَّ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ \*

(١) الجليية : المجلوبة (٢) الأخيذة : المأخوذة (٣) جمع جزور ؛ وهو البعير (٤) كان ذلك في أيام حرب عيس وذيان ، وهى المروقة بحرب داحس والغبراء .

### ٣٣ - بنت حاتم الطائي \*

قال علي بن أبي طالب - عليه السلام : يا سبحان الله ! ما أزهّد كثيراً من الناس في الخير ! عجبتُ لرجلٍ يميّته أخوه في حاجةٍ فلا يرى نفسه للخير أهلاً ! فلو كنّا لا نرجو جنة ولا نخافُ ناراً ، ولا ننتظر ثواباً ، ولا نخشى عقاباً لكان ينبغي لنا أن نطلبَ مكارمَ الأخلاق ؛ فإنها تدل على سبيل النجاة .

فقام إليه رجل فقال : فذاك أبي وأمي يا أمير المؤمنين ! أسمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ، وما هو خيرٌ منه ؛ لما أتينا بسبائياً طيئاً كانت في النساء جاريةٌ حَمَاءُ <sup>(١)</sup> ، حوزراه العينين <sup>(٢)</sup> لَمَسَاءُ <sup>(٣)</sup> ، لَمِيَاءُ <sup>(٤)</sup> عَيْطَاءُ <sup>(٥)</sup> ، شَمَاءُ الأنف ، مُعْتَدِلَةٌ القامة .

فلما رأيتها أُعجبتُ بها ؛ فقلت : لأطلبنّها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليجعلها من قَيْئِي <sup>(٦)</sup> ، فلما تكلّمتُ أنسيتُ جمالها لما سمعتُ من فصاحتها ، قالت : يا محمد ، هلك الوالد ، وغاب الوافد ؛ فإن رأيتَ أن تخلّي عني ، فلا تُشِمّتْ بي أحياء العرب ! فإنني بنتُ سيّدٍ قومي ؛ كان أبي يَفكُّ العاني ، ويحيي الذّمَارَ ؛ ويُقرّي الضيف ، ويُشبع الجائع ، ويفرّجُ عن المكروب ، ويُطعمُ الطعام ، ويُفشي السلام ، ولم يردّ طالب حاجة قط ؛ أنا بنتُ حاتم طيئ . فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا جارية ؛ هذه صفاتُ المؤمن ، ولو كان أبوك إسلامياً لترحمنا عليه ، خالوا عنها ، فإن أباهما كان يحب مكارم الأخلاق !

\* الأغاني : ١٦-٩٠٣ ( طبعة الساسي ) ، شرح الميرون : ٧٣

(١) حماء : سوداء (٢) الحوز : سواد العين كلها ؛ مثل الظباء ، ولا يكون في بني آدم ، بل يستمر لها (٣) جارية لَمَساء : في شفتها أدنى سواد ، مشربة بحمرة (٤) اللمي : سمرّة في الأنف (٥) امرأة عيطاء : طويلة العنق (٦) النوى : الغنية .

### ٣٤ — أيتها أعظم العرب مصيبة ؟ \*

لما كانت وقعة بدر قُتل فيها عُتْبَةُ بن ربيعة ، وشَيْبَةُ بن ربيعة ، والوليد ابن عُتْبَةَ ، فأقبلت هند بنتُ عتبة تزويهم ، وبلغها تسويم<sup>(١)</sup> الخنساء<sup>(٢)</sup> هودجها في الموسم ، ومعاظمتها العرب بمصيبتها بأبيها عمرو بن الشريد وأخوها صخر ومعاوية ، وأنها جعلت تشهد الموسم وتبكيهم ، وقد سوّمت هودجها براية ، وأنها تقول : أنا أعظم العرب مصيبة ؛ وإن العرب قد عرفت لها بعض ذلك .

فلما أصيبت هند<sup>(٣)</sup> بما أصيبت به وبلغها ذلك ، قالت : أنا أعظم من الخنساء مصيبة ، وأمرت بهودجها فسوّم براية ، وشهدت الموسم بمسكاظ - وكانت سوقاً يجتمع فيها العرب - فقالت : اقرّوا جلي يحمل الخنساء ، ففعلوا ؛ فلما أن دنت منها قالت لها الخنساء : مَنْ أنت يا أختي ؟ قالت : أنا هند بنتُ عتبة أعظم العرب مصيبة ، وقد بلغني أنك تعاضلين العرب بمصيبتك ، فبِمَ تعاضلينهم ؟ قالت الخنساء : بعمر بن الشريد ، وصخر ، ومعاوية ابني عمرو . وبِمَ تعاضلينهم أنت ؟ قالت : بأبي عتبة بن ربيعة ، وعمي شيبه بن ربيعة ، وأخي الوليد ؛ قالت الخنساء : أو سواء عندك ؟ ثم أنشأت تقول :

\* الأغانى : ٢١٠-٤ ( طبعة دار الكتب ) ، معاهد التنصيص : ١-١١٧  
(١) سوم القى : جعل له سومة وعلامة ليعرف ويميز (٢) اسمها قحضر بنت عمرو بن العريد السلي ، كانت من شواهر العرب ، المعترف لمن بالقدم وأدركت الإسلام ، وأسلفت ومات أولادها الأربعة في حرب القادسية ، وأكثر شعرها في رثاء أخوها معاوية وصخر ، ومات في زمن معاوية بالبادية (٣) هي هند بنت عتبة زوج أبي سفيان وأم معاوية :

أَبْكَى أَبِي عَمْرَأَ بَعِينَ غَزِيرَةً      قَلِيلٍ إِذَا نَامَ انْخَلِي هُجُودُهَا  
وَصِنُوءِي ، لَا أَنْتَى مَعَاوِيَةَ الَّذِي      لَهُ مِنْ سَرَاةِ الْحَرَّتَيْنِ <sup>(١)</sup> وَفُودُهَا  
وَصَخْرَاءُ ، وَمَنْ ذَا مِثْلُ صَخْرٍ إِذَا غَدَا      بِسَاهَةِ الْأَطَالِ قُبَاً <sup>(٢)</sup> يَقُودُهَا  
فَذَلِكَ يَاهِنْدُ الرِّزِيَّةُ فَاعْلَمِي      وَنِيرَانُ حَرْبٍ حِينَ شَبَّ وَقُودُهَا

فَقَالَتْ هِنْدُ تَجْبِيهَا :

أَبْكَى عَمِيدَ الْأَبْطَحَيْنِ <sup>(٣)</sup> كَلَيْهِمَا      وَحَامِيَهَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ يُرِيدُهَا  
أَبِي عَتَبَةَ الْخَلْبَرَاتِ وَيُنْحَكِ فَاعْلَمِي      وَشِبَّةَ الْخَالِجِ الذَّمَارِ وَلِيدُهَا  
أُولَئِكَ آلُ الْمَجْدِ مِنْ آلِ غَالِبٍ      وَفِي الْعَزِّ مِنْهَا حِينَ يُنْبِئُ عَدِيدُهَا <sup>(٤)</sup>  
ثُمَّ قَالَتْ :

مَنْ حَسَّنَى الْأَخَوَيْنِ كَالْفُصَيْنِ أَوْ مِنْ رَأَاهُمَا <sup>(٥)</sup> !  
قَرْمَانٌ لَا يَتَقَالَمَا      نَ وَلَا يَرَامُ حَاهُمَا  
وَيُنْبِي عَلَى الْأَخَوَيْنِ وَالْقَبْرِ الَّذِي وَارَاهُمَا  
لَا مِثْلَ كَهْلٍ فِي الْكُهْوِ      لَ وَلَا فَتَى كَفْتَاهُمَا  
أَسْدَانٌ لَا يَسْذَلَا      نَ وَلَا يَرَامُ حَاهُمَا  
رُمُحَانٌ خَطَّيَانِ فِي      كَبْدِ السَّمَاءِ سَنَاهُمَا  
مَا خَلَفَا إِذْ وَدَّعَا      فِي سُودَدٍ شَرَّوَاهُمَا <sup>(٦)</sup>  
سَادَا بِفَسِيرٍ تَكْلُفٍ      عَفْوًا يَفِيضُ نَدَاهُمَا

(١) الحرة : الأرض ذات الحجارة السود . والمراد حرة بن سليم ، وحرة بن هلال بالحجاز .  
أى هو مقصد الأشراف تأتبه وفودها فيما يلزم بها (٢) الساهة : الدقيقه ، والأطال : جم لطل  
وهو الخاصرة ، والقب : جمع أقب ، وهى الفرس الدقيقه الحصر ، الضامرة البطن (٣) الأبطحان  
تريد بطحاء مكة وسهل تهامة (٤) عديدها : جموعها (٥) راما : أصله رآها (٦) شرؤاها :  
مثلها .

٣٥ — شجاعة صفية بنت عبد المطلب \*

قالت صفية بنت عبد المطلب : كان حسان<sup>(١)</sup> بن ثابت معصا في حصن قارع<sup>(٢)</sup> يوم الخندق ، ومعنا النساء والصبيان ، فر بنا رجل من يهود ، فجعل يطيف بالحصن ؛ فقلت : يا حسان ؛ إن هذا اليهودي - كما ترى - يطيف بالحصن ، وأنا والله لا آمن أن يدُلَّ علينا من وراءنا من يهود ، ورسول الله قد شغل عنا ؛ فانزل إليه واقتله . فقال : يفرُّ الله لكِ يا بنتَ عبد المطلب ، لقد عرفتِ ما أنا بصاحب شجاعة !

قالت : فلما قال لي ذلك ولم أرَ عنده شيئا ، اعتجرت<sup>(٣)</sup> ، ثم أخذتُ عموداً ، ونزلتُ إليه من الحصن فضربتُه بالعمود حتى قتلته ؛ فلما فرغتُ منه رجعتُ إلى الحصن ، وقلت : يا حسان ؛ انزلْ إليهِ ، فاسلبه<sup>(٤)</sup> فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل ! فقال : مالي بسلبه من حاجتِ يا بنت عبد المطلب !

---

\* الفرر : ٢٢٥ ، معاهد التنصيص ١ - ٧٤ الأغاني ٤ - ١٦٥ ( طبعة دار الكتب ) .  
(١) هو شاعر الرسول ، وقد نشأ في الجاهلية ونبه شأنه فيها ، وعاش طويلا في الإسلام ، ومات في خلافة معاوية سنة ٥٢ هـ . (٢) حصن بالمدينة ، ويوم الخندق واقعة مشهورة بين رسول الله والمفركين . (٣) اعتجرت المرأة : لبست العجر وهو ما تشده على رأسها (٤) سلبه : السلب ما يأخذ أحد القوتين في الحرب من قرنه مما يكون عليه ومعه . من ثياب وسلاح ودابة .



### ٣٦ - الخنساء عند عائشة \*

دخلت الخنساء على عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ، وعليها صِدار <sup>(١)</sup> من شعر ، قد استشعرته إلى جلدها ؛ فقالت لها : ما هذا يا خنساء ؟ فوالله لقد توفى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فما لبسته .

قالت : إن له معنى دعانى إلى لباسه ؛ وذلك أن أبى زوجى سيد قومه ، وكان رجلاً مثلاًفاً ، فأُسْرِفَ في ماله ، حتى أنفدَه ، ثم رجع إلى مالى ، فأنفدَه أيضاً .

ثم التفت إلى فقال : إلى أين يا خنساء ؟ قلت : إلى أخى صخر ، فأتيناه ، فقسم ماله شطرين <sup>(٢)</sup> ، ثم خيرنا في أحسن الشطرين ، فرجعنا من عنده على حال حسنة ؛ فلم يزل زوجى حتى أذهب جميعه .

ثم التفت إلى ، فقال : إلى أين يا خنساء ؟ قلت : إلى أخى صخر ، فرحلنا إليه فقسم ماله شطرين ، وخيرنا في أفضل الشطرين .

فقالت له زوجته : أما ترضى أن تشاطرهم مالك حتى تحيّرهم بين الشطرين !

فقال :

والله لا أمنحها شِرارها فلو هلكْتُ قدَدْتُ <sup>(٣)</sup> خِمارها

\* واتَّخَذْتُ من شعرِ صِدَارها \*

فَأَلَيْتُ ألا يفارق الصِّدَارُ جِسدِي ما بقيت !

\* المقد الفريد : ١ - ٢٢ ، سرح العيون : ٢٩٩

(١) الصدار : ثوب رأسه كالقنعة ، وأسفله يفتش الصدر والنكبين ، وكانت المرأة إذا فقدت جميعها فأحدثت عليه لبست صداراً من صوف . (٢) شطر الشيء : نصفه . (٣) قددت : قدت .

### ٣٧ - إلهٌ عمر يعلم\*

نهى عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه فى خلافته عن مَذَقِ (١) اللَّبَنِ بِالماء ، فخرج ذات ليلة فى حَواشى المدينة ، فإذا بإمرأةٍ تقولُ لابنةِ لها : ألا تَمَذِّقِينَ لبنك فقد أَصْبَحْتَ ؟ فقالت الجارية : كيف أَمَذِّق وقد نهى أميرُ المؤمنين عن اللَذِّق !

فقالت : قد مَذَّقَ الناسُ فامَذِّقِي فما يدري أميرُ المؤمنين ؟ فقالت : إن كان عمرُ لا يعلم فإنَّه عمرٌ يعلم ، ما كنتُ لأفعله وقد نهى عنه .

فوقعت مقالتها من عمر . فلما أصبح دعا عاصمًا ابنه ، فقال : يا بنى ؛ اذهب إلى موضع كذا وكذا فاسأل عن الجارية - وَوصفها له - فذهب عاصم ، فإذا جاريةٌ من بنى هلال . فقال عمر : اذهب يا بنى فتزوجها ، فما أحرأها أن تأتى بقراس يَسُودُ العرب ، فتزوجها عاصم بن عمر ، فولدت له أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب فتزوجها عبد العزيز بن مروان ؛ فأنت بعمر بن عبد العزيز !

---

\* سيرة عمر بن عبد العزيز : ١٧ ، نهاية الأرب : ٣ - ٢٣٨ ، مجمع الأمثال ٢ - ١٣٨ ، ابن أبي الحديد : ١١٠ .  
(١) اللَذِّق : الخلط .

### ٣٨ — كذلك الدهر !\*

لما قدم سعد بن أبي وقاص<sup>(١)</sup> القادسية ، أتته حُرقة بنت النعمان بن المنذر في جوارٍ كلهن في مثل زِيَّها ، بطلبنَ صَلَّته .

فلما وقفنَ بين يديه قال : أَيْتَكُنْ حُرقة ؟ قلن : هذه . قال لها : أنتِ حُرقة ؟ قالت : نعم ، فما تَكْرَارُكَ في السؤال ؟ إن الدنيا دارٌ زاول ، لا تدومُ على حال ؛ إنا كنّا ملوكَ هذا المِصر ، يُجْبَى إلينا خَراجُه ، وِطْيعنا أهلُه مَدَى الإمرَةِ وزمان الدولة ، فلما أذبر الأمر واتقضى ، صاح بنا صائح الدهر فصدع عَصَانا ، وشَتَّت مَلَأَنَا . وكذلك الدهر يا سعد ؛ إنه ليس يأتي قوماً بِمِسرَةٍ إلَّا ويُعقبهم حِسرة . ثم أنشأت تقول :

بيننا نَسوسُ الناسَ والأمرُ أمرُنا      إذا نحنُ فيهم سوقَةٌ نَنصَفُ<sup>(٢)</sup>  
فأفٍّ لِدُنْيَا لا يدومُ نعيمُها      تَقَلَّبُ تاراتٍ بنا وتَصَرَّفُ !

فقال سعد . قاتل الله عدىَّ بنَ زيدٍ كأنه ينظر إليها حيث يقول :

إِنَّ لِلدَّهْرِ صَوْلَةً فَاحْذَرْنَهَا      لا تَبْتَئَنَّ قَدْ أُمِنْتَ الدَّهَوْرَا  
قَدْ بَيَّيْتُ الْفَتَى مُعَافَى فَيَزْدَى      وَلَقَدْ كَانَ آمِنًا مَسْرُورًا

ودخل عمرو بن معد يكرب — وكان من قُصَّاد النعمان — وهى بين يدي سعد ، فلما نظر إليها قال : أنتِ حُرقة ؟ قالت : نعم . قال : فما دَهَمُكَ ؟ أين تتابع

\* خزانة الأدب : ٣-١٨١ ( المطبعة الأميرية )

(١) هو قاتج العراق ومدائن كسرى ، وفقد بصره في آخر حياته ، وتوفى سنة ٥٥ هـ .

(٢) نَنصَفُ : نخدم .

تَعْمِكَ ، وسطوات نَعْمِكَ ؟ فقالت : يا عَمْرُو ، إن للدهر عَثْرَاتٍ تَعَثِّرُ بِالْمُلُوكِ وَأَبْنَاءَهُمْ  
فَتُخَفِّضُهُمْ بَعْدَ رِفْعَةٍ ، وَتُقَرِّدُهُمْ بَعْدَ مَنَعَةٍ ، وَتُذَلِّهِمْ بَعْدَ عِزٍّ . إن هذا الأَمْرَ كُنَّا  
نَنْتَظِرُهُ فَلَمَّا حُلِّمَ لَمْ نُنْكِرْهُ .

فلما انصرفت من لَدُنْ سَعْدٍ لَقِيَهَا نِسَاءُ الْقَادِسِيَّةِ فَقُلْنَ لَهَا : مَا فَعَلَ بِكَ الْأَمِيرُ ؟  
قالت : أَكْرَمَ وَجْهِي ، وَإِنَّمَا يُكْرِمُ الْكَرِيمَ الْكَرِيمُ .

### ٣٩ — لَا تَذْهَبِي بِنَفْسِكَ عَنِ الْحَقِّ \*

قال علي بن أبي رافع : كُنْتُ عَلَى بَيْتِ مَالِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَكَاتِبِهِ ،  
فَكَانَ فِي بَيْتِ مَالِهِ عِقْدٌ لَوْلُو كَانَ أَصَابَهُ يَوْمَ الْبَصْرَةِ ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى بِنْتِ عَلِيٍّ  
ابْنِ أَبِي طَالِبٍ ؛ فَقَالَتْ لِي : إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ فِي بَيْتِ مَالِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عِقْدَ لَوْلُو ،  
وَهُوَ فِي يَدِكَ ، وَأَنَا أَحَبُّ أَنْ يُعِيرَنِيهِ ، أَنْ يَحْتَمِلُ بِهِ فِي يَوْمِ الْأَضْحَى .

فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهَا : عَارِيَّةٌ مَضْمُونَةٌ ، مَرْدُودَةٌ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يَا بِنْتَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .  
فَقَالَتْ : نَعَمْ ! عَارِيَّةٌ مَرْدُودَةٌ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ .

فَدَفَعْتُهُ إِلَيْهَا وَإِذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ رَأَاهُ عَلَيْهَا فَعَرَفَهُ ؛ فَقَالَ لَهَا : مِنْ أَيْنَ جَاءَ إِلَيْكَ  
هَذَا الْعِقْدُ ؟ فَقَالَتْ : اسْتَعْرَضْتُهُ مِنْ ابْنِ أَبِي رَافِعٍ خَازِنِ بَيْتِ مَالِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛  
لِأَنْتَزِيلٍ بِهِ فِي الْعِيدِ ، ثُمَّ أَرُدُّهُ .

فبعث إلى أمير المسلمين فجثته ؛ فقال لى : أَمْخُونُ المسلمين يابن أبى رافع ؟  
فقلت : معاذ الله أن أخونَ المسلمين ! فقال : كيف أعرّت بنت أمير المؤمنين  
العقد الذى فى بيت مال المسلمين بغير إذنى ورضاهم ! فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ إنها  
بنتك ؛ وسألتنى أن أعبرها العقدتين به فأعرّتها إياه عاريةً مضمونة مردودة على  
أن تردّه سالمًا إلى موضعه ؛ فقال : رُدّه من يومك ، وإياك أن تعود إلى مثله ؛  
فتنالك عقوبتى . ثم قال : ويل لابنتى ! لو كانت أخذت العقد على غير عاريةٍ  
مردودة مضمونة لكانت إذن أولَ هاشمية قُطِعَت يَدُها فى سرقة .

فبلغت مقالته ابنته ، فقالت له : يا أمير المؤمنين ؛ أنا ابنتك وبَضْعَةٌ<sup>(١)</sup>  
منك ، فمن أحقُّ بلبسِهِ منى ! فقال لها : يا بنت أبى طالب ؛ لا تذهبي بنفسك عن  
الحق ! أكلُّ نساء المهاجرين والأنصار يتزيّن فى مثل هذا العيد بمثل هذا !  
فقبضته منها ورددته إلى موضعه .

---

(١) بضعة ، أى قطعة .

٤٠ — المغيرة يخطب بنت النعمان \*

سار المغيرة <sup>(١)</sup> بن شعبة — حينما كان والياً على الكوفة — إلى دير هند بنت النعمان بن المنذر ، وهي فيه عميةا مُترَهبة ، فاستأذنَ عليها ، فقبل لها : أميرُ هذه المدَرّة <sup>(٢)</sup> بالباب ! فقالت : قولوا له : أَمِنْ وَلَدِ جَبَلَة بن الأيهم أنت ؟ قال : لا . قالت : أَمِنْ وَلَدِ لُنْدَرِ بن السماء ؟ قال : لا . قالت : فمن أنت ؟ قال : المغيرة ابن شعبة الثقفي ! قالت : فما حاجتك ؟ قال : جئتُكِ خاطباً ! قالت : لو كنت جئتني لجمالٍ أو لِمَالٍ لأُطْلِبْتِكِ <sup>(٣)</sup> ، ولكنك أردت أن تتشرف بي في محافل العرب ، فتقول : تزوّجتُ ابنةَ النعمان بن المنذر ، وإلا فأى خير في اجتماع أعور وعمياء ؟

فبعث إليها : كيف كان أمرُكم ؟ فقالت : سأختصرُ لك الجوابَ : أَمْسَيْنَا مساءً وليس في الأرض عَرَبِيٌّ إلا وهو يرغب إلينا وَيَرَهْبُنَا ، ثم أصبحنا وليس في الأرض عَرَبِيٌّ إلا ونحن نرغبُ إليه ونرهبه .

\* الكامل للمبرد : ١ - ١٧٧ ، السمودي : ٢ - ٦٨

(١) المغيرة بن شعبة : من ثقيف ، أسلم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وشهد يعة ارضوان وفتوح الشام واليرموك ، والقادسية ، وولاه عمر البصرة ، ومات بالكوفة وهو أميرها سنة ٥٠ هـ .

(٢) المدرة : المدينة الفخمة . (٣) أطلبه : أعطاه ما طلبه .

## ٤١ — ولقد آيت على الطوى \*

قال تميم بن عدى اليزبوعى :

كنتُ مع عبد الله بن العباس <sup>(١)</sup> عند مُنصرفه من دمشق ، فسألته فى بعض الأيام وقلتُ له : بماذا يتمُّ عقلُ الرجل ؟ فقال : إذا صنع المعروفَ مبتدئاً به ، وجادَ بما هو محتاجٌ إليه ، وتجاوز عن الزلة ، وجازى على المسكرمة ، وتجنَّب مواطنَ الاعتذار ؛ فقد تمَّ عقله . فحفظتُ ذلك منه ، وألصقته بقلبي .

ثم بعد أيام نزلنا منزلاً ، فطلبنا طعاماً فلم نجده ، ولا قدَرنا عليه — فإنَّ زياداً كان قد نزل بذلك المنزل قبلنا بأيام قليلة فى جمعٍ كثير ؛ فأتوا على ما كان فيه من الطعام — فقال عبدُ الله لوكيله : اخرج إلى هذه البرية ، فاعلِّك تجدُ بها راعياً معه طعام ، فضى الوكيلُ ومعه غلمان ؛ فأطالوا التوقف ، فلما كادوا يرجعون لآح لهم خيباء ، فأثموه ؛ فوجدوا فيه عجوزاً ، فقالوا لها: هل عندك طعامٌ نبتاعه منك؟ فقالت: أمَّا طعامٌ يبيع فلا ؛ ولكن عندى أكلة لى ، وبأولادى إليها أمسُ حاجة ، قالوا : وأين أولادك ؟ قالت : فى رعيهم ، وهذا وقتُ عودتهم . قالوا : فما أعددتِ لهم ؟ قالت :

\* العقد الفريد للملك السعيد : ١٣

(١) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب : ولد قبل الهجرة بسنتين ، وكان رسول الله يحبه ويقربه ودعاه فقال : « اللهم علمه التأويل » فكان أعلم الناس بآيات القرآن وتأويلها والفقه فى الدين ، على ما أوتيته من لسان ذلق غواس على موضع الحاجة ، وعاش عمره عجباً إلى الخلفاء . وتوفى سنة ٦٨ هـ .

خُبْزَةً<sup>(١)</sup> تَحْتَ مَلَّتِهَا<sup>(٢)</sup> أُنْتَظَرُ بِهَا أَنْ يَجِثُوا ، قَالُوا لَهَا . فَجَوَدَى لَنَا بِنَصْفِهَا ، قَالَتْ :  
لَا ؛ وَلَكِنْ بِهَا كُلَّهَا . قَالُوا : وَلَمْ مَنَعْتَ النِّصْفَ وَجُدْتَ بِهَا كُلَّهَا ، وَلَا خُبْزَ عِنْدَكَ  
غَيْرَهَا ؟ قَالَتْ : إِنْ إِعْطَاءَ الشُّطْرِ<sup>(٣)</sup> مِنْ خُبْزَةٍ نَقِصَةَ ؛ فَأَنَا أَمْنَعُ مَا يَنْقُصُنِي ، وَأَجُودُ  
بِمَا يَرْفَعُنِي ، فَأَخَذُوا الْخُبْزَةَ لَقَرَطٍ حَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا . وَانصَرَفُوا ؛ وَلَمْ تَسْأَلِ : مَنْ هُمْ ؟  
وَلَا مِنْ أَيْنَ جَاءُوا !

فَلَمَّا أَتَوْا عَبْدَ اللَّهِ ، وَأَخْبَرُوهُ خَبَرَ الْعَجُوزِ عَجِبَ مِنْ ذَلِكَ ، وَقَالَ : ارْجِعُوا  
إِلَيْهَا فَاحْمِلُوهَا فِي دَعَةٍ ، وَأَحْضَرُوهَا ؛ فَرَجِعُوا إِلَيْهَا ، وَقَالُوا لَهَا : إِنْ صَاحِبُنَا أَحَبَّ  
أَنْ يَرَكَ . قَالَتْ : وَمَنْ صَاحِبُكُمْ ؟ قَالُوا : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ . قَالَتْ : مَا أَعْرِفُ  
هَذَا الْأَسْمَ . قَالُوا : الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَهُوَ عَمُّ النَّبِيِّ . قَالَتْ : وَاللَّهِ هَذَا الشَّرَفُ  
الْعَالِي وَذِرْوَتُهُ الرَّفِيعَةُ ، وَمَاذَا يَرِيدُ مِنِّي ؟ قَالُوا : يَرِيدُ أَنْ يَكَاثَبَكَ عَلَى مَا كَانَ  
مِنْكَ . قَالَتْ : لَقَدْ أَفْسَدَ الْمَاشِيَّ مَا أَثَّلَ لَهُ ابْنُ عَمَّةٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ! وَاللَّهِ لَوْ كَانَ  
مَا فَعَلْتُ مَعْرُوفًا مَا أَخَذْتُ عَلَيْهِ ثَوَابًا ؛ وَإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ يَجِبُ عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ أَنْ  
يَفْعَلَهُ . قَالُوا : فَإِنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَرَكَ وَيَسْمَعَ كَلَامَكَ . قَالَتْ : أَصِيرُ إِلَيْهِ ؛ لِأَنِّي  
أَحَبُّ أَنْ أَرَى رَجُلًا مِنْ جَنَاحِ النَّبِيِّ وَاعْضُوًا مِنْ أَعْضَائِهِ .

فَلَمَّا سَارَتْ إِلَيْهِ رَحَّبَ بِهَا وَأَدْنَى بِمَجْلِسِهَا ، وَقَالَ : مِمَّنْ أَنْتِ ! قَالَتْ : مِنْ  
كَلْبٍ . قَالَ : كَيْفَ حَالُكَ ؟ قَالَتْ : لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا مَا يَفْرَحُ إِلَّا وَقَدْ بَلَغَتْهُ ، وَإِنِّي  
الآنَ أَعِيشُ بِالْقَفَاةِ ، وَأَصُونُ الْقَرَابَةَ ، وَأَنَا أَنْتَوِّعُ مَفَارِقَةَ الدُّنْيَا صَبَاحًا وَمَسَاءً . قَالَ :

---

(١) الخُبْزَةُ : عَجِينٌ يَوْضَعُ فِي الْمَاءِ حَتَّى يَنْضَجَ (٢) الْمَلَّةُ : الرَّمَادُ الْحَارُّ وَالْجَمْرُ

(٣) شَطْرُ الشَّيْءِ : نَصْفُهُ .



أخبرني ، ما الذي أعددت لأولادك عند انصرافهم بعد أخذنا الخبزة ؟ قالت :  
أعددت لهم قول العربي :

ولقد أبيت على الطوى وأظله حتى أنال به كريم المأكلي

فأنجبه قولها ؛ وقال لبعض غلمانه : انطلق إلى خبائسها ، فإذا أقبل بنوها ،  
فجئ بهم . فقالت للغلام : انطلق ، فكن بفناء البيت ، فإنهم ثلاثة ، فإذا رأيتهم  
تجد أحدهم دائم النظر نحو الأرض ، عليه شعار الوقار ، فإذا تكلم أفصح ، وإذا  
طلب أنجح . والآخر حديد النظر ، كثير الحذر ، إذا وعد فعل ، وإن ظلم قتل .  
والآخر كأنه شعلة نار وكأنه يطلب بئار ، فذاك الموت المائت والداء الكابت ،  
فإذا رأيت هذه الصفة فيهم ، فقل لهم عني : لا تجلسوا حتى تأتونى .

فانطلق الغلام ، فأخبرهم الخبر ، فما بعد أمدّه حتى جاءوا ، فأدناهم عبد الله  
وقال : إني لم أبعث إليكم وإلى والدكم إلا لأصلح من أمركم ، وأصنع ما يجب  
لكم ؛ فقالوا : إن هذا لا يكون إلا عن مسألة أو مكافأة فعل جميل تقدّم ، ولم يصدر  
منا واحدة منهما ؛ فإن كنت أردت التكرّم مبتدئاً فمعرفة مشكور ، وبرك  
مقبول مبرور . فأمر لهم بسبعة آلاف درهم وعشرين من النوق ؛ فقالت لهم  
العجوز : ليقبل كل واحد منكم بيتاً من قوله :

فقال الأكبر :

شهدت عليك بحسن المقال وصدق الفعل وطيب الخبر

وقال الأوسط :

تبرعت بالتبذل قبل السؤال فعال كريم عظيم الخطر

وقال الأصغر :

وَحَقَّ لِمَنْ كَانَ ذَا فَعْلُهُ    أَنْ يَسْتَرْقَّ رِقَابَ الْبَشَرِ

وقالت العجوز :

فَعَمَّرَكَ اللَّهُ مِنْ مَاجِدٍ    وَوُقِّيتَ - مَاعَشَتْ شَرَّ الْقَدَرِ

ثم ودَّعوه وانصرفوا .

قال تميم اليزبوعى : فالتفت إلى وقال لى : يا تميم ؛ وودت لو وَجَدْتُ مُزِيداً  
فى ابتداء المعروف إلى هذه المرأة وبنيتها ، وجعل يتأوّه من تقصيره عن مراده فى  
ذلك . فقلت له : لقد أحسنتَ وَأَرْجَحْتَ وقد شهد فعلك بما سبق من قولك ،  
فأنتَ أتمُّ الناسِ عقلاً ، وأكملهم مِرْوَءَةً !

## ٤٢ — أبو الأسود الدؤلى وزوجه \*

قال أبو محمد القشيري :

كان أبو الأسود <sup>(١)</sup> الدؤلى من أكبر الناس عند معاوية بن أبي سفيان ، وأقربهم مجلساً ، وكان لا ينطق إلا بعقل ، ولا يتكلم إلا بعد فهم .

فبينما هو ذات يوم جالس ، وعنده وجوه قريش وأشراف العرب ، إذ أقبلت امرأة أبي الأسود حتى حاذت معاوية وقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ؛ إن الله جعلك خليفة في البلاد ، ورفيقاً على العباد ؛ يُستسقى بك المطر ، ويُستنبت بك الشجر ، وتؤلف بك الأهواء ، ويأمن بك الخائف ، ويردع بك الجانف <sup>(٢)</sup> ، فأنت الخليفة المصطفى ، والإمام المرتضى ، فأسالُ الله لك النعمة في غير تغيير ، والعافية من غير تعذير <sup>(٣)</sup> . قد ألباني إليك يا أمير المؤمنين أمر ضاق على فيه للنهج ، وتفاقم على منه الخرج ، لأمر كرهت عاره ، لما خشيت إظهاره ؛ فليُنصِفني أمير المؤمنين من الخصم ، فإني أعوذ بعفوته <sup>(٤)</sup> من العار الويل ، والأمر الجليل ؛ الذي يشتد على الحرائر ذات البعول الأجائر <sup>(٥)</sup> .

فقال لها معاوية : ومن بلك هذا الذي تصفين من أمره المنكر ؛ ومن فعله المشهر ؟ فقالت : هو أبو الأسود الدؤلى .

\* بلاغات النساء : ٥٣

(١) اسم ظالم بن عمرو ، وأبو الأسود كنيته ، وهو معدود في التابعين والفقهاء والشعراء والمحدثين والأشراف والفرسان والأمراء والدهاة والنحويين ، كان أكثر الناس تعلقاً ببلد بني أبي طالب وعنه أخذ النحو ، توفي سنة ٩٩ هـ (٢) الجانف : المائل (٣) تعذير : قص (٤) العقوة في الأصل : ماحول الدار (٥) البعول : جم بعل ، وهو الزوج ، والأجائر : جم أجور ؛ تفضيل من جار :

فالتفت إليه وقال : يا أبا الأسود ؛ ما تقول هذه المرأة ؟ فقال أبو الأسود : هي تقول من الحق بعضاً ، ولن يستطيع أحدٌ عليها نقضاً ، أما ما ذكرت من طلاقها فهو حق ؛ وأنا نخبرُ عنه أميرَ المؤمنين بالصدق ؛ والله يا أميرَ المؤمنين ما طلقَتْها عن رِيبَةٍ ظهرت ، ولا لأى هفوةٍ حضرت ؛ ولكن كرهت شمالكها ؛ فقطعتُ عنى حبالها . فقال معاوية : وأى شمالكها يا أبا الأسود كُرفت ؟ فقال : يا أميرَ المؤمنين ؛ إنك مهتَجُّها على بجواب عتيدي<sup>(١)</sup> ولسانٍ شديد .

فقال معاوية : لا بد لك من محاورتها ، فاردُدْ عليها قولها عند مراجعتها . فقال أبو الأسود : يا أميرَ المؤمنين ؛ إنها كثيرة الصَّخب ، دائمة الذَّرب<sup>(٢)</sup> ، مهينة للأهل ، مؤذية للبخل ، مُسيئة إلى الجار ، مُظهرة للعار ، إن رأت خيراً كتمته ، وإن رأت شراً أداعته .

فقلت : والله لولا مكانُ أميرِ المؤمنين ، وحضورُ مَنْ حضره من المسلمين ، لرددتُ عليك بَوادرَ كلامك ، بنوافذٍ أقرعُ بها كلَّ<sup>(٣)</sup> سِيَّامِك ؛ وإن كان لا يحملُ بالمرأة الحرَّة أن تشتمَ بعلًا ، ولا أن تظهر لأحد جهلاً .

فقال معاوية : عزمتُ عليك لما أجبتَه . فقلت : يا أميرَ المؤمنين ما علمته إلا ستولاً جهولاً ، مُلِحاً بخيلاً<sup>(٤)</sup> ، إن قال فشرُّ قاتل ، وإن سكت فذودٌ غائل<sup>(٥)</sup> ، ليثٌ حين يَأْمَن ، وثعلبٌ حين يخاف ، شحيحٌ حين يُضَاف ، إذا ذُكِرَ الجود انقمع ؛ لما يعرف من قِصرِ رِشائه<sup>(٦)</sup> ، ولو لم آبائه ، ضيفه جائع ، وجاره ضائع ؛ لا يحفظُ جاراً ؛ ولا يحمى

(١) عتيدي : حاضر (٢) الذرب : حدة اللسان (٣) يقال : كل السيف ؛ إذا لم يقطع ، فهو كل وكليل (٤) اشتهر أبو الأسود بالبخل ، وله في ذلك نواذر (٥) الدقائق : جمع دغيلة ، والدغيلة : دخل في الأمر مفسد (٦) الرشاء في الأصل : الحبل .

ذِمَارًا ، وَلَا يُدْرِك ثَارًا ، أَكْرَمُ النَّاسِ عَلَيْهِ مَنْ أَهَانَهُ ، وَأَهْوَنُهُمْ عَلَيْهِ مَنْ أَكْرَمَهُ .

فقال معاوية : سبحان الله لما أتاني به هذه المرأة من السَّجْعِ ! فقال أبو الأسود : أصلح الله أمير المؤمنين ؛ إنها مطلقة ، وَمَنْ أَكْثَرَ كَلَامًا مِنْ مُطَلَّقة ! ثم قال لها معاوية : إِذَا كَانَ رَوَاحًا<sup>(١)</sup> فتمالي أفصل بينك وبينه بالقضاء .

فلما كان الرواح جاءت ومعهما ابنتها قد احتضنته ؛ فلما رآها أبو الأسود قام إليها ليُنْتَرِعَ ابنه منها ، فقال له معاوية : يَا أَبَا الْأَسود ، لَا تُعْجِلِ الْمَرْأَةَ أَنْ تَنْطِقَ بِحُجَّتِهَا .

قال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ أَنَا أَحَقُّ بِحَمْلِ ابْنِي مِنْهَا ، فقال له معاوية : يَا أَبَا الْأَسود دَعَهَا تَقُلْ . فقال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، حَمَلْتُه قَبْلَ أَنْ تَحْمِلَهُ . فقالت : صدق والله يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، حَمَلَهُ خِفًا وَحَمَلْتُه ثِقَلًا ، إِنَّ بَطْنِي لَوِيعَاؤُهُ ، وَإِنْ ثَدْيِي لَسِقَاؤُهُ ، وَإِنْ حِجْرِي لَفِنَاؤُهُ . فقال معاوية : سبحان الله لما أتيتني به ! ثم قال لأبي الأسود : إنها قد غلبتك في الكلام ، فكلف لها أحيانًا لملك تغلبها ؛ فأنشأ يقول :

مَرْحَبًا بِالتِّي تَجْمُرُ عَلَيْنَا      ثُمَّ مَهْلًا بِالْحَامِلِ الْمُحْمُولِ  
أَغْلَقْتُ بَابَهَا عَلَى وَقَالَتْ :      إِنْ خَيْرَ النِّسَاءِ ذَاتُ الْبُعُولِ  
شَغَلَتْ نَفْسَهَا عَلَى فَرَاغًا      هَلْ سَمِعْتُمْ بِالْفَارِغِ الْمَشْغُولِ !

فأجابته :

لَيْسَ مَنْ قَالَ بِالصَّوَابِ وَبِالْحَقِّ كَمَنْ جَارَ عَلَى مَنَارِ السَّبِيلِ  
كَانَ ثَدْيِي سِقَاءَهُ حِينَ يُضْحِي      ثُمَّ حِجْرِي فَنَاءَهُ بِالْأَصِيلِ  
لَسْتُ أَبْنَى بِوَاحِدِي يَابْنَ حَرْبٍ      بَدَلًا مَا عَلِمْتَهُ وَالْخَلِيلِ<sup>(٢)</sup>

فقضی لها معاوية عليه ، واحتملت ابنتها وانصرفت .

(١) الرواح : العشى . (٢) تريد بالخليل محمداً رسول الله .

٤٣- إن قريشا تحدث أنك من أحلمها\*

كتب معاوية إلى واليه بالكوفة أن يحمل إليه أم الخير بنت الحريش  
البارقية برحليها ، وأعلمه أنه مجازيه بقولها فيه ؛ بالخير خيراً وبالشر شراً .  
فلما ورد عليه كتابه ركب إليها فأقرأها إياه ؛ فقالت : أما أنا فغير زائفة عن  
طاعة ، ولا مُتَعَلِّة بكذب ! ولقد كنت أحب لقاء أمير المؤمنين لأموٍرٍ مُتَخَلِّجٍ<sup>(١)</sup>  
في صدري .

فلما حملها وأراد مفارقتها ، قال لها : يا أم الخير ، إن أمير المؤمنين كتب إلى :  
إنه يجازيني بقولك في بالخير خيراً وبالشر شراً ، فما عندك ؟ قالت : يا هذا ؛  
لا يُطْمَعُكَ بِكَ بى أن أسرك بباطل ، ولا تؤيسنك معرفتى بك أن أقول فيك  
غير الحق ؟

فسارت خير مسير ، حتى قديمت على معاوية ، فأنزلها مع جريمه ثلاثاً ، ثم  
أذن لها في اليوم الرابع ، وعنده جلساؤه ؛ فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين  
ورحمة الله وبركاته ؛ قال لها : وعليك السلام يا أم الخير ، وبالزغم منك دعوتى  
بهذا الاسم . قالت : مه<sup>(٢)</sup> يا أمير المؤمنين ! لكل أجل كتاب .

قال : صدقت ، فكيف حالك يا خالة ؟ وكيف كنت في مسيرك ؟ قالت :  
لم أزل في عافية وسلامة حتى صرت إليك ؛ فأنا في عيش أنيق ، عند ملك رفيق ؛  
قال معاوية : بحسن نيتي ظفرتُ بكم وأعنتُ عليكم ! قالت : يا أمير المؤمنين ؛ أعيذك

\* العقد الفريد : ١ - ٢١٧ ، بلاغات النساء : ٤١ .

(١) مُتَخَلِّجٌ في الأمر : تتردد فيه . (٢) مه : كف .

بِاللهِ مِنْ دَخْصٍ <sup>(١)</sup> الْمَقَالَ وَمَا تُرْذِي عَاقِبَتُهُ ، قَالَ : لَيْسَ لِهَذَا أَرْدَنَاكَ . قَالَتْ : إِنَّمَا أَجْرِي فِي مِيدَانِكَ ؛ فَاسْأَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ ! قَالَ : أَخْبِرْنِي كَيْفَ كَانَ كَلَامُكَ يَوْمَ قُتِلَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ ؟ قَالَتْ : لَمْ أَكُنْ وَاللَّهِ زَوْرَتُهُ <sup>(٢)</sup> قَبْلُ ، وَلَا رَوَيْتُهُ بَعْدُ ، وَإِنَّمَا كَانَتْ كَلِمَاتُ نَفْسَيْنِ لِسَانِي حِينَ الصَّدْمَةِ ، فَإِنْ شِئْتَ أَنْ أُحْدِثَ لَكَ مَقَالًا غَيْرَ ذَلِكَ فَعَلْتُ . قَالَ : لَا أَشَاءُ ذَلِكَ .

نَمِ التَّفَتَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ : أَيُّكُمْ يَحْفَظُ كَلَامَ أُمِّ الْخَيْرِ ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : أَنَا أَحْفَظُهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَحَفْظِي سُورَةَ الْحَمْدِ . قَالَ : هَاتِيهِ ؛ قَالَ : نَعَمْ ! كَأَنِّي بِهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ، عَلَيْهَا بُرْدُ زَبِيدِي كَثِيفُ الْحَاشِيَةِ ، وَهِيَ عَلَى جَمَلٍ أَرَمْتُكَ <sup>(٣)</sup> وَقَدْ أُحِيطَ حَوْلَهَا حِوَاءٌ <sup>(٤)</sup> ؟ وَيَيْدُهَا سَوْطٌ مَنْتَشِرُ الضَّفَرِ <sup>(٥)</sup> ، وَهِيَ كَالْفَحْلِ يَهْدِرُ فِي شَفْشَفَتِهِ <sup>(٦)</sup> تَقُولُ :

يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ! إِنْ اللَّهُ قَدْ أَوْضَحَ الْحَقَّ ، وَأَبَانَ الدَّلِيلَ ، وَنَوَّرَ السَّبِيلَ ، وَرَفَعَ الْعَلَمَ ، فَلِمَ يَدْعُوكُمْ فِي عَمِيَاءٍ مُبْهِمَةٍ ! وَلَا سُودَاءٍ مُدْهِمَةٍ <sup>(٧)</sup> ، فَإِلَى أَيْنَ تُرِيدُونَ رَحِمَكُمُ اللَّهُ ! أَفَرَأَرَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَمْ فَرَأَرَ مِنَ الزَّخْفِ ، أَمْ رَهَبَهُ عَنِ الْإِسْلَامِ أَمْ ارْتَدَادًا عَنِ الْحَقِّ ! أَمَّا سَمِعْتُمْ اللَّهَ عَزَّ وَحَلَّ يَقُولُ : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ أَخْبَارَكُمْ ﴾ .

نَمِ رَفَعَتْ رَأْسَهَا إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ تَقُولُ :

(١) دَخْصُ الْمَقَالَ : بَاطِلُهُ (٢) زَوْرُ الْكَلَامِ : أَعْدَهُ ؛ تَرِيدُ أَنَّهَا قَالَتْهُ ارْتِجَالًا (٣) أَرَمْتُكَ : لَوْهُ لَوْنُ الرَّمَادِ (٤) الْحِوَاءُ : مَا يَعْمَلُ كَالْوَسَادَةِ لِلرَّاكِبِ عَلَى رَحْلِ الْجَمَلِ بِدُونِ هُوْدُجٍ (٥) ضَفَرُ الشَّعْرِ : لَوِي بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ (٦) الشَّفْشَفَةُ : شَيْءٌ يُخْرِجُهُ الْبَعِيرُ مِنْ فِيهِ إِذَا هَاجَ (٧) ادْهَمَ الظَّلَامُ : كَثَفَ ، وَأَسْوَدَ مَدْلَهُمْ ، مِبَالَغَةٌ .

مَدَّ عَيْلَ الصَّبْرِ ، وَضَمَّ الْيَقِينَ ، وَانْتَشَرَ الرَّغْبُ ، وَبِيدَكَ يَارَبَّ أَرْيَمَةَ الْقُلُوبِ ،  
فَاجْعِ الْكَلِمَةَ عَلَى التَّقْوَى ، وَأَلْفَ الْقُلُوبِ عَلَى الْهُدَى ، وَارْزُدْ الْحَقَّ إِلَى أَهْلِهِ .  
هَلِّمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ إِلَى الْإِمَامِ الْعَادِلِ ، وَالْوَصِيِّ الْوَفِيِّ ، وَالصَّدِيقِ الْأَكْبَرِ . إِنَّهَا إِحْسَنُ  
بَذْرِيَّةٍ <sup>(١)</sup> ، وَأَحْسَنُ جَاهِلِيَّةٍ ، وَضَعَايُنُ أُحْدِيَّةٍ <sup>(٢)</sup> ، وَثَبَّ بِهَا مَعَاوِيَةَ حِينَ الْغَفْلَةِ  
لِيَدْرِكَ بِهَا ثَارَاتِ بَنِي عَهْدِ شَمْسٍ <sup>(٣)</sup> .

ثُمَّ قَالَتْ : قَاتِلُوا أَرْيَمَةَ الْكُفْرِ ، إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ، صَبْرًا  
مَعَ شَرِّ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، قَاتِلُوا عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ، وَثَبَاتٍ مِنْ دِينِكُمْ ، وَكَأَنِّي  
بَكُمْ غَدَاً قَدْ لَقِيتُمْ أَهْلَ الشَّامِ كَحُمُرٍ مُسْتَنْفِرَةٍ <sup>(٤)</sup> ، فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ <sup>(٥)</sup> ، لَا تَدْرِي  
أَيْنَ يُسَلِّكُهَا مِنْ فِجَاجِ الْأَرْضِ ، بَاعُوا الْآخِرَةَ بِالْدُّنْيَا ، وَاشْتَرَوْا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى ،  
وَبَاعُوا الْبَصِيرَةَ بِالْعَمَى ، وَعَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ، حِينَ تَحُلُّ بِهِمُ النَّدَامَةُ ،  
فَيَطْلُبُونَ الْإِقَالََةَ ! إِنَّهُ وَاللَّهِ مَنْ ضَلَّ عَنْ الْحَقِّ وَقَعَ فِي الْبَاطِلِ ، وَمَنْ لَمْ يَسْكُنِ الْجَنَّةَ  
نُزِلَ فِي النَّارِ .

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ الْأَكْيَاسَ <sup>(٦)</sup> اسْتَقْصَرُوا عُمرَ الدُّنْيَا فَرَفَضُوهَا ، وَاسْتَبْطَأُوا مُدَّةَ  
الْآخِرَةِ فَسَمَوْا لَهَا ؛ فَاللَّهُ اللَّهُ أَيُّهَا النَّاسُ قَبْلَ أَنْ تَبْطُلَ الْحَقُوقُ ، وَتُعْطَلَ الْحُدُودُ ،  
وَيُظْهَرَ الظَّالِمُونَ ، وَتَقْوَى كَلِمَةُ الشَّيْطَانِ . فَإِلَى أَيْنَ تَرِيدُونَ - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَنْ  
ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَزَوْجِ ابْنَتِهِ وَأَبِي ابْنِهِ <sup>(٧)</sup> خُلِقَ مِنْ طِينَتِهِ ،

(١، ٢) بدر وأحد : واقعتان بين النبي والمشركين (٣) قوم معاوية . لأن علياً قتل كثيراً منهم  
في وقتي بدر وأحد (٤) مستنفرة : فائرة (٥) القصور : الأسد ، والجمع قسور (٦) الأكياس :  
جمع كيس ، وهو العاقل (٧) تريد الحسن والحسين وهما ابنا فاطمة .



وَتَفَرَّعَ عَنْ تَبِعْتَهُ ، وَخَصَّه بِسَرَّةٍ ، وَجَعَلَهُ بَابَ مَدِينَتِهِ <sup>(١)</sup> ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ يُؤَيِّدُهُ اللَّهُ بِمَعُونَتِهِ ، وَيَمُضِي عَلَى سُنَنِ اسْتِقَامَتِهِ لَا يُعْرِجُ <sup>(٢)</sup> لِرَاحَةِ اللِّذَاتِ .

وَهُوَ مُفْلَقُ الْهَامِ ، وَمُكْسَرُ الْأَصْنَامِ ، إِذْ صَلَّى وَالنَّاسُ مُشْرِ كُونَ ، وَأَطَاعِ وَالنَّاسُ مُرْتَابُونَ . فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى قَتَلَ مُبَارِزِي بَدْرٍ ، وَأَفْنَى أَهْلَ أَحُدٍ ، وَفَرَّقَى تَجْمَعَ هَوَازِنَ ، فَيَالِهَا وَقَائِعَ زَرَعَتْ فِي قُلُوبِ قَوْمٍ نِفَاقًا ، وَرِدَّةً وَشِقَاقًا ! وَقَدْ اجْتَهَدْتُ فِي الْقَوْلِ ، وَبَالَغْتُ فِي النَّصِيحَةِ ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ . وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : وَاللَّهِ يَا أَمَّ الْخَيْرِ مَا أُرِدْتُ بِهِذَا إِلَّا قَتْلِي ! وَاللَّهُ لَوْ قَتَلْتُكَ مَا حَرَجْتُ <sup>(٣)</sup> فِي ذَلِكَ .

قَالَتْ : وَاللَّهُ مَا يَسُوغُنِي يَا بَنَ هَذَا أَنْ يُجْزِيَ اللَّهُ ذَلِكَ عَلَى يَدَيَّ مِنْ يُسَعِدُنِي اللَّهُ بِشِقَائِهِ ، قَالَ : هِيَهَاتَ ، يَا كَثِيرَةَ الْفُضُولِ ! مَا تَقُولِينَ فِي عُمَانَ بْنِ عِفْصَانَ ؟ قَالَتْ : وَمَا عَسَيْتُ أَنْ أَقُولَ فِيهِ ! اسْتَخْلَفَهُ النَّاسُ وَهُمْ كَارِهُونَ ، وَقَتْلُوهُ وَهُمْ رَاضُونَ ، فَقَالَ : لِمَ يَا أَمَّ الْخَيْرِ ، هَذَا ثَنَاؤُكَ الَّذِي تَنْتَنِينَ ؟ قَالَتْ : لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ ، وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ، مَا أُرِدْتُ بِعُمَانَ نَقْصًا ، وَلَقَدْ كَانَ سَبَاقًا إِلَى الْخَيْرَاتِ ، وَلِإِنِّهِ لِرَفِيعِ الدَّرَجَةِ .

قَالَ : فَمَا تَقُولِينَ فِي طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ؟ قَالَتْ : وَمَا عَسَى أَنْ أَقُولَ فِي طَلْحَةَ ؟ اغْتِيلَ مِنْ مَأْمَنِهِ ، وَأُنِّي مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْذَرْ ؛ وَقَدْ وَعَدَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْجَنَّةَ . قَالَ : فَمَا تَقُولِينَ فِي الرَّثِيمِ ؟ قَالَتْ : يَا هَذَا ؛ لَا تَدْعُنِي كَرَجِيمِ الصَّبِغِ يُعْرَكَ

(١) لَهَا تَقْبِيرٌ إِلَى مَا يَرَوْنَ عَنْ النَّبِيِّ : أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلَى بَابِهَا (٢) لَا يَمُوجُ : لَا يَمِيلُ .

(٣) مَا حَرَجْتُ : مَا أَثَمْتُ .

في المَرْكَنِ<sup>(١)</sup> ، قال : حَقَّ الْقَوْلُ لِنَّ ذَلِكَ ، وقد عَزَمْتُ<sup>(٢)</sup> عَلَيْكَ . قالت : وما عَسَيْتُ  
أَنْ قَوْلَ فِي الزَّيْرِ ابْنِ عَمَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَوَارِيَّةِ<sup>(٣)</sup> ؟ وقد شهد  
له رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجَنَّةِ ، ولقد كَانَ سَبَّاقًا إِلَى كُلِّ مَكْرُمَةٍ فِي الْإِسْلَامِ .  
وإِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ اللَّهِ يَا مَعَاوِيَةَ ، فَإِنْ قَرِيشًا مُخَدِّثُ أَنْكَ مِنْ أَحْلَمِهَا - أَنْ تَسَمِّنِي  
بِفَضْلِ حُلْمِكَ ، وَأَنْ تُعْفِينِي مِنْ هَذِهِ الْمَسَائِلِ ، وَأَمْضِي لِمَا شِئْتَ مِنْ غَيْرِهَا . قال :  
نَعَمْ وَكَرَامَةً ، قَدْ أَعْفَيْتُكَ . وَرَدَّهَا مَكْرَمَةً إِلَى بِلْدِهَا .

---

(١) المَرْكَنُ : الإِنَاءُ يُنْسَلُ فِيهِ الثِّيَابُ . وَيَمْرُكُ . يَحْكُ . وَالرَّجِيعُ : الْمُرْدُودُ ، أَيْ لَا تَجْمَلُنِي كَالْثَوْبِ  
الْمُصْبُوغِ ، يَحْكُ فِي الْإِنَاءِ مَرَّةً أُخْرَى لِإِخْرَاجِ صَبْغِهِ مِنْهُ ؛ تَشْبَهُ عَاوِرَةَ مَعَاوِيَةَ لِأَيَّاهَا وَسْؤَالُهَا  
مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ لِاسْتِخْرَاجِ مَا فِي قَسَمِهَا بِمَا يُنْسَلُ مِنَ الثِّيَابِ الْمُصْبُوغَةِ لِاسْتِخْرَاجِ صَبْغِهَا مِنْهَا .  
(٢) أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ (٢) الْحَوَارِيُّ : نَاصِرُ الْأَنْبِيَاءِ .

٤٤ — سودة بنت عمارة عند معاوية \*

وفدت سودة بنت عمارة على معاوية بن أبي سفيان، فاستأذنت عليه فأذن لها.  
فلما دخلت سلمت عليه، فقال لها: كيف أنت يا سودة؟ قالت: بخير يا أمير المؤمنين،  
قال لها: أنت القائلة يوم صفين <sup>(١)</sup>:

شمر كفعل أيبك يا بن عمارة	يوم الطعان ومُلتقى الأقران <sup>(٢)</sup>
وانصر علياً والحسين ورَهطه	واقصِدْ لهندي وابنها بهوان <sup>(٣)</sup>
إن الإمام أبا النبي محمد	علم الهدى ومنارة الإيمان
فقيه الختوف وسيرَ أمامَ لوائه <sup>(٤)</sup>	قُدماً بأبيض صارم وسان <sup>(٥)</sup>

قالت: إني والله، مامئلي من رغب عن الحق، أو اعتذر بالكذب! قال لها:  
فما حملك على ذلك؟ قالت: حب علي، واتباع الحق. قال: فوالله ما أرى عليك  
من أثر علي شيئاً. قالت: أنشدك الله يا أمير المؤمنين؛ مات الرأس، وبتر الذنب،  
فدع عنك إعادة ما مضى، وتذكّر ما قد نسي! قال: هيهات! ليس مثل مقام  
أخيك يُنسى! وما لقيت من أحد ما لقيت من قومك وأخيك! قالت: صدق  
فوك والله يا أمير المؤمنين؛ ما كان أخى ذميمة المقام، ولا خفي المكان، ولكن  
كما قالت الخنساء:

\* العقد الفريد: ١ - ٢١١، بلاغات النساء: ٣٥

(١) هو يوم من أيام الحرب بين علي ومعاوية (٢) الأقران: الأكفاء  
(٣) هند: أم معاوية. (٤) الختوف: النايا. (٥) الصارم: السيف القاطع، والسان:  
سانن اليمح.

وإنَّ صَخْرًا لَتَأْتِمُ الْهَدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عِلْمٌ فِي رَأْسِهِ نَارُ

وبالله أسأل يا أمير المؤمنين إغفائي مما استغفيتُ منه ! قال : قد فعلت ، فقولى حاجتك ! قالت : يا أمير المؤمنين ؛ إنَّكَ أصبحت للناس سيِّداً ، ولأُمُورهم مقلِّداً ، والله سائلك عما افترض عليك من حقِّنا ، ولا تزال تُقدِّم علينا من ينهض بعزِّكَ ، ويبطش بسُلطانك ، فيخصُّدنا حصَّاد السُّنْبُل ، ويدُّوسنا دِباسَ البقر ، ويسومُنا الخِيسَةَ ، ويسلبُنا الجليلة ؛ هذا ابن أُرْطَاة <sup>(١)</sup> قدم علينا من قبلك قتل رجالى ، وأخذ مالى ، يقول لى : فوهى بما استغصمُ الله منه ، وألجأ إليه فيه <sup>(٢)</sup> ، ولولا الطاعة لكان فينا عزٌّ ومنعة ! فإما عزُّه فشكرناك ، وإمَّا لا فعرفناك !

فقال معاوية : إيتاى تهديدٍ بقومك ! والله لقد هممت أن أردَّكَ إليه على قَتَبِ أَشْرَس <sup>(٣)</sup> ، فينفذُ حكمه فيك . فأطرقتُ تبكى ، ثم أنشأت تقول :

صَلَّى إِلَهُ عَلَى رُوحٍ تَضَمَّنَهُ قَبْرٌ فَأَصْبَحَ فِيهِ الْعَدْلُ مَدْفُونًا  
قَدْ حَالَفَ الْحَقُّ لَا يَبْنِي بِهِ بَدَلًا فَصَارَ بِالْحَقِّ وَالْإِيمَانِ مَقْرُونًا

قال لها : ومَنْ ذلك ؟ قالت : على بن أبى طالب رحمه الله تعالى ، قال : وما صنع بك حتى صار عندك كذلك ! قالت : أنيته يوماً فى رجل ولَّاه صدقاتنا ، فكان يبتناوينه ما بين الغنِّ والسِّمين ، فوجدته قائماً يصلى ، فأنفقتُ عن الصلاة <sup>(٤)</sup> ، ثم قال برأفة وتعطف : ألك حاجة ؟ فأخبرته خبرَ الرجل ، فبكى ، ثم رفع يديه إلى السماء ، فقال : اللهم إنَّكَ أَنْتَ الشَّاهِدُ عَلَى وَعْلِهِمْ ، إني لم آمرهم بظلم خلقت ،

(١) ابن أُرطاة : بسر بن أُرطاة كان معاوية سيره إلى الحجاز واليمن ليقْتُل شيعة على ويأخذ البيعة له .

(٢) تعنى أنه يطلب منها أن تسب علياً (٣) القتب : الإكاف على قدر سنام البحر ، والمراد نفس البحر بدليل الصفة بعده ، وأشرس : لم يرض (٤) أقتل عن صلاته : انصرف .

ولا يترك حقك ؛ ثم أخرج من جيبه قطعة من جراب ، فكتب فيه :  
 « بسم الله الرحمن الرحيم . (١) قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ  
 وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا (٢) النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا  
 ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » . إذا أتاك كتابي هذا فاحتفظ بما في  
 يدك حتى يأتي من يقبضه منك ، والسلام .

فأخذته منه يا أمير المؤمنين ، ماخرمته بخزام ، ولا ختمه بختام .  
 فقال معاوية . اكتبوا بالإنصاف لها والعدل عليها . قالت : ألي خاصة أم لقوى  
 عامة ؟ قال : وما أنت وغيرك ! قالت : هي والله إذن الفحشاء واللؤم ؛ إن كان  
 عدلا شاملا وإلا يسعني مايسع قومي .

قال : هيهات ، كلفكم (٣) ابن أبي طالب الجرأة ، وغركم قوله :  
 فلو كنتُ بواباً على باب جنةٍ لقلتُ لهمدآن ادخلوا بسلام  
 اكتبوا لها ولقومها .

(١) القسط : العدل ، والبخس : التقص والظلم (٢) لفظه : ذوقه .

٤٥ — مثلك من قدر فعفا \*

لما وَلِيَ معاويةُ الخلافةَ ، وانتظمت إليه الأمور ، وامتلأت منه الصدور ، وأذعن لأمره الجمهور ، وساعده الله في مُرادِه ، استحضر ليلَةَ خواص أصحابِه ، وذاكرهم وقائعَ أيامِ صِفِّينَ ، وَمَنْ كان يتولَّى كِبَرَ الكِربةِ مِنَ المروفينَ ، فانهمكوا في القول الصحيح والمريض ، وآلَ حديثهم إلى مَنْ كان يجتهدُ في إيقادِ نارِ الحربِ عليهم زيادةَ التحريضِ . فقالوا : امرأةٌ من أهلِ الكوفةِ تسمَّى الزرقاءُ <sup>(١)</sup> بنتُ عدى ، كانت تَعْتِمِدُ الوقوفَ بينَ الصفوفِ ، وترفعُ صوتها صارخةً : يا أصحابَ عليٍّ ! تسمِعهم كلاماً كالصوارمِ ، مستحثةً لهم بقولِ لو سمِعَه الجبانُ لقاتلَ ، والمدبرُ لأقبلَ ، والمسالِمُ لحاربَ ، والقارُّ لكرٍّ ، والمتزلزلُ لاستقرَّ .

فقال لهم معاوية : أَيْتَكُم يحفظُ كلامها ؟ قالوا : كلُّنا نحفظُه . قال : فأتشيرونَ عليَّ فيها ؟ قالوا : نشيرُ بقتلها ، فإنها أهلُ لذلك . فقال لهم معاوية : بئسَ ما أشرتمُ به ، وقُبْحاً لما قلتم : أَيْحَسُنَ أن يَشْتَهَرَ عني أنِّي بعد ما ظفرتُ وقدرتُ قتلْتُ امرأةً قد وفَّتْ لصاحبها ! إني إذنُ للثيمِ ، لا والله لا فعلتُ ذلك أبداً .

ثم دعا بكتابه فكتب كتاباً إلى واليه بالكوفة : أن أُنْزِلَ إلى الزرقاءِ

\* العقد الفريد : ١-٢١٢ ، بلاغات النساء : ٣٧

(١) هي الزرقاء بنت عدى بن غالب بن قيس الهمدانية . من أهل الكوفة ، كانت ذات شجاعة فائقة ، وبلاغة نادرة ، شهدت مع قومها واقعة صفين ، ولها عدة خطب تعرض الناس فيها على القتال ضد معاوية .

بنت عدى ، مع نفرٍ من عشيرتها وفرسانٍ من قومها ، ومهذَّ لها وطاءَ لينا ومركبا ذُلولا .

فلما ورد عليه الكتاب ركب إليها وقرأه عليها . فقالت بعد قراءة الكتاب : ما أنا بزائفةٍ عن الطاعة . فحملها في هودجٍ ، وجعل غِشاه خزا مبطنا ، ثم أحسن صُحبتَها .

فلما قدمت على معاوية ، قال لها : مرحبا وأهلا ! خيرَ مقدَّم قدمه وافدٌ . كيف حالك ياخالة ؟ وكيف رأيت سيرك ؟ قالت : ربيبة <sup>(١)</sup> بيتٍ أو طفلا ممهداً . فقال : بذلك أمرناهم . هل تعلمين لِمَ بعثُ إليك ؟ قالت : وأتى لى بعلم ما لم أعلم ! لا يعلم الغيبَ إلا الله سبحانه وتعالى . قال : ألسنِ الراكبة الجمل الأحمر يوم صيِّقٍ وأنتِ بين الصفوف توقدين نار الحرب ، وتُحرِّضين على القتال ! قالت : نعم . قال : فما حملك على ذلك ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ، إنه قد مات الرأسُ وبترَ الذَّنْبُ ، ولن يعودَ ما ذهب ، والدَّهْرُ ذو غيرٍ ، ومن تفكَّر أبصر ، والأمر يحدث بعده الأمر .

فقال : صدقتِ ، فهل تعرفين كلامك وتحفظين ما قلت ؟ قالت : لا والله ، ولقد أنسيته . قال : لله أبوك ! فلقد سمعتك تقولين : أيها الناس ، ارعوا وارجعوا ! إنكم أصبحتم في فتنة غشتكم جلايب الظلم ، وجارت بكم عن قصدِ المحجة ، فيا لها فتنة عياء صماء بكاء ، لا تسمع لنا عقيها ، ولا تسلس لقائدها !

إن المصباح لا يضى<sup>١</sup> في الشمس ، وإن الكواكب لا تنيرُ مع القمر ، وإن البغل لا يسبق الفرس ، ولا يُقطع الحديدُ إلا بالحديد ، ألا من استرشدنا أرشدناه ، ومن سألنا أخبرناه !

(١) الزبيب : الملك والسبد .

أيها الناس ، إن الحقَّ كان يطلب ضالَّتَهُ فأصابها . فصبراً يا معشر المهاجرين والأنصار على النُصص ! فكأنكم وقد التأم شملُ الشَّتات ، وظهرت كلمة العدل ، وغلبَ الحقُّ باطله . فإنه لا يستوى الحقُّ والباطل . أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً ! لا يستون . فالنزَّالُ النزَّال ، والصبرُ الصبر ! ألا إن خِصَابَ النساءِ الحِنَاء ، وخِصَابَ الرجالِ السماء . والصبرُ خيرُ الأمور عاقبة ، انتوا الحرب غير ناكسين ؛ فهذا يومٌ له ما بعده !

ثم قال : يا زرقاء ، أليس هذا قولك وتحريضك ؟ قالت : لقد كان ذلك ! قال : لقد شاركتِ علياً في كلِّ دمٍ سفكه . فقالت : أحسن الله بشارتك أمير المؤمنين ، وأدام سلامتك ، فمثلك من بشرٍ بخير ، وسرَّ جليسه .

فقال معاوية : أو يسركِ ذلك ؟ قالت : نعم ، والله لقد سرني قولك ، وأتى لي بتصديق الفعل ! فضحك معاوية وقال : والله لو فاؤكم له بعد موته أعجبُ عندي من حبكم له في حياته ؛ اذكرى حاجتك ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين ؛ إني آليت على نفسي ألا أسأل أحداً أعنتُ عليه أبداً . فقال : قد أشار على بعض من عرفك بقتلك . فقالت : لوؤم من المشير ، ولو أطعته لشاركته . قال : كلا ، بل نغفو عنك ، ونحسن إليك ونرعاك . فقالت : يا أمير المؤمنين ، كرم منك ومثلك من قدَّر فعفا ، وتجاوز عن أساء ، وأعطى من غير مسألة .

فأعطاها كسوةً ودرام ، وأقطعها ضيعةً تُقَل<sup>(١)</sup> لها في كلِّ سنةٍ عشرة آلاف درهم ، وأعادها إلى وطنها سالمةً ، وكتب إلى والي الكوفةِ بالوصية بها وبعبيرتها .



٤٦- نَبِّهْكُمْ عَلَى !\*

يروى أن عِكْرَ شَةَ بِنْتَ الْأَطْرَشِ دخلت على معاوية مُتَوَكِّئَةً عَلَى عُكَّازٍ لها ، فَسَلَّتْ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ ، ثُمَّ جَلَسَتْ ، فَقَالَ لَهَا معاوية : الْآنَ صِرْتُ عِنْدَكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! قَالَتْ : نَعَمْ ، إِذْ لَا عَلَىَّ حَيٌّ ؟ قَالَ : أَلَسْتَ الْمُتَقَلِّدَةَ حَامِلَةَ السِّيفِ بِصَفِّينَ <sup>(١)</sup> وَأَنْتِ وَاقِفَةٌ بَيْنَ الصَّفِّينِ تَقُولِينَ :

أَيُّهَا النَّاسُ ، عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا هَدَيْتُمْ ؛ إِنَّ الْجَنَّةَ لَا يَمْحُزْنَ مِنْ قَطْعِهَا ، وَلَا يَهْرَمُ مَنْ سَكَنَهَا ، وَلَا يَمُوتُ مَنْ دَخَلَهَا ؛ فَابْتَاعُوا هَابِدَارٍ لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا ، وَلَا تَنْصَرِمُ هُمُومُهَا . وَكُونُوا قَوْمًا مُسْتَبْصِرِينَ فِي دِينِهِمْ ، مُسْتَظْهِرِينَ عَلَى حَقِّهِمْ .

إِنَّ معاوية دَلَّفَ إِلَيْكُمْ بِعَجْمِ الْعَرَبِ ، لَا يَفْقَهُونَ الْإِيمَانَ ، وَلَا يَذَرُونَ مَا الْحِكْمَةُ ، دَعَاهُمْ إِلَى الْبَاطِلِ فَأَجَابُوهُ ، وَاسْتَدْعَاهُمْ إِلَى الدُّنْيَا فَلَبَّوْهُ ، قَالَ اللَّهُ عِبَادَ اللَّهِ فِي دِينِ اللَّهِ ! وَإِيَّاكُمْ وَالتَّوَكُّلَ كُلَّ ذَلِكَ يَنْقُضُ عُرَا الْإِسْلَامِ ، وَيُطْفِئُ نَوْرَ الْحَقِّ . هَذِهِ بَذَرُ الصُّغَرَى ، وَالْعَقَبَةُ الْأُخْرَى . يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ؛ امْضُوا عَلَى بَصِيرَتِكُمْ ، وَاصْبِرُوا عَلَى عَزِيمَتِكُمْ ، فَكَأَنَّيْ بَكُمْ غَدًا وَقَدْ لَقِيتُمْ أَهْلَ الشَّامِ كَالْحُمْرِ النَّاهِقَةِ ، تَقْصَعُ قِصْعَ الْبَعِيرِ <sup>(٢)</sup> .

\* بلاغات النساء : ٤١ ، العقد الفريد : ١-٢١٦

(١) موضع قرب الرقة بشاطئ الفرات كانت به الوقعة العظمى بين علي ومعاوية في غرة صفر سنة ٣٧ هجرية (٢) يقال : قصع البعير يجزته يقصع قصما : مضطربا .

سم قال : فكأنني أراك على عصاك هذه قد انكفأ<sup>(١)</sup> عليك المسكران يقولون : هذه عكرشة بنت الأطرش ، فإن كدت لتفطين<sup>(٢)</sup> أهل الشام لولا قدر الله ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، فما حلك على ذلك ؟

قالت : يا أمير المؤمنين ؛ يقول الله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنْزَلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عفا الله عنها والله غفورٌ حلیمٌ ﴾ . وإن الليب إذا كره أمراً لا يحب إعادة .

قال : صدقت ، فاذكري حاجتك . قالت : كانت صدقاتنا تؤخذ من أغنيائنا فتد على فقرائنا ، وقد فقدنا ذلك ، فما يجبر لنا كسیر ، ولا ينعمش لنا فقير ، فإن كان عن رأيك فمثلك من انتبه من الغفلة وراجع التوبة ، وإن كان من غير رأيك فامثلك من استعان بالخوانة ، ولا استعمل الظلمة .

قال معاوية : يا هذه ؛ إنه ينوء بنا عن أمور رعييتنا نفور تفتق ؛ وبحور تندفق . قالت : سبحان الله ! والله ما فرض الله لنا حقاً فجعل فيه ضراراً لغيرنا وهو علام الغيوب . قال معاوية : هيهات يأهل العراق ! نهكم على فلن تطاقوا :

ثم أمر برد صدقاتهم فيهم وإنصافهم .

(١) انكفأ : رجع (٢) فل الجبش : هزمه .

٤٧ — وهل أحلُّ عندك محل علي\*

حج معاوية سنة من سنيه ، فسأل عن امرأة من بنى كنانة كانت تنزل بالْحِجُون<sup>(١)</sup> ، يقال لها : دارميّة الحجونيّة ، وكانت سوداء كثيرة اللحم ، فأخبر بسلامتها ، فبعث إليها فجيء بها . فقال : ما حالك يا بنتَ حام ؟ فقالت : لست لحامٍ إن عيبتني ؛ إنما أنا امرأة من بنى كنانة ثُمّت من بنى أبيك . قال : صدقت ، أتدريين لِمَ بعثتُ إليك ؟ قالت : لا يعلمُ الغيبَ إلا الله . قال : بعثتُ إليك لأُسالكَ : علامَ أحببتُ عليّاً وأبغضتني ، وواليتّه وعاديتني ؟ قالت : أو تعفيني يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا أعفيك . قالت : أما إذ آيت ، فإني أحببتُ عليّاً على عدله في الرعية ، وقسمه بالسوية ، وأبغضتك على قتال مَنْ هو أولى منك بالأمر ، وطَلَبَتِكَ<sup>(٢)</sup> ما ليس لك بحق ، وواليتُ عليّاً على ما عقد له رسول الله من الولاء ، وعلى حبه المساكين ، وإعظامه لأهل الدين ؛ وعاديتك على سفكك الدماء ، وشقّك العصا ، وجورك في القضاء ، وحكمك بالهوى .

قال : فلذلك انتفخ بطنك ! قالت : يا هذا ؛ بهند<sup>(٣)</sup> والله كان يُضرب المثل في ذلك لأبي . قال معاوية : يا هذه ، اربعي<sup>(٤)</sup> ، فإننا لم نغل إلا خيراً . فرجعت وسكنت .

\* المقد الفريد : ١ - ١٣٢ ، صبح الأعشى : ١ - ٢٥٩ ، بلاغات النساء : ٦٧  
(١) الحجون : جبل بمكة (٢) الطلبة : الطلب (٣) هند : أم معاوية (٤) ربح : وقف وانتظر وتحبس .

فقال لها : يا هذه ، هل رأيتِ عليًّا ؟ قالت : إى والله لقد رأيته . قال : فكيف رأيته ؟ قالت : رأيتهُ والله لم يفتنه الملكُ الذى فتَنك ، ولم تشغله النعمة التى شغلتنك . قال : هل سمعتِ كلامه ؟ قالت : نعم والله ، كان يجلو القلوب من العمى ، كما يجلو الزيتُ الصدا .

قال : صدقت ، فهل لك من حاجة ؟ قالت : أو تفعل إذا سألتك ؟ قال : نعم . قالت : تعطينى مائة ناقة خراء فيها فحلها وراعيها . قال : تصنعين بها ماذا ؟ قالت : أغذو بالبانها الصغار ، وأستحيى بها الكبار ، وأكتسب بها المكارم ، وأصلح بها بين العشائر . قال : فإن أعطيتك ذلك فهل أحلُّ عندك محلّ على ؟ قالت : ماء ولا كصداء<sup>(١)</sup> ، ومرعى ولا كالسعدان<sup>(٢)</sup> ، وفتي ولا كاللک<sup>(٣)</sup> ، سبحان الله ! أو دونه ؟ فأنشأ معاوية يقول :

إذا لم أعُدْ بالحلم منى عليكم      فن ذا الذى بعدى يُؤمِّل للحلم !  
خديها هنيئًا ، واذكرى فعلَ ماجدٍ      جزاك على حرب العداوة بالسُّلمِ  
ثم قال : أما والله لو كان على حياً ما أعطاك منها شيئاً ، قالت : لا والله ولا وَبَرَةً واحدة من مال المسلمين !

---

(١) صداء : عين لم يكن عندهم ماء أعذب من مائها (٢) السعدان : نبت ذو شوك ، وهو من أفضل مراعى الإبل (٣) قاله متمم بن نويرة فى أخيه مالك لما قتل فى الردة ، والأمثال الثلاثة تضرب للشيء يفضل على أقرانه .

٤٨ — نَبَّحْتَنِي كَلَابِكُ\*

استأذنت بكارة الهلالية على معاوية بن أبي سفيان فأذن لها - وهو يومئذ بالمدينة - وعنده مروان بن الحكم ، وعمرو بن العاص - فدخلت عليه ، وكانت امرأة قد أسنت ، وعشى<sup>(١)</sup> بصرها ، وضعت قوسها ، ترعش بين خادمين لها ، فسلمت وجلست ، فرد عليها معاوية السلام . وقال : كيف أنت يا خالة ؟ قالت : بخير يا أمير المؤمنين ! قال : غيَّرَكَ الدهرُ . قالت : كذلك هو ذو غير<sup>(٢)</sup> ، من عاش كبير ، ومن مات قُبر ! قال عمرو بن العاص : هي والله القائلة يا أمير المؤمنين يوم صيفين :

يازيدُ دونك فاحتر من دارنا      سيفاً حُساماً في التراب دفينا<sup>(٣)</sup>

قد كنتُ أدخرُهُ ليوم كريمةٍ      فالיוםُ أبْرَزَهُ الزمانُ مُصُوناً<sup>(٤)</sup>

قال مروان : هي والله القائلة يا أمير المؤمنين :

أترى ابن هندٍ للخلافة مالكاً      هيهات ذاك - وإن أراد - بعيد<sup>(٥)</sup>

منتك نفسك في الخلاء ضلالةً      أغراك عمرو للشقا وسعيد

قال سعيد بن العاص : هي والله القائلة :

قد كنتُ أطمعُ أن أموتَ ولا أرى      فوقَ المنابر من أميةً خاطباً

\* بلاغات النساء : ٤٠ ، المقد الفريد : ١ - ٢١٢

(١) عشى بصرها : ضعف (٢) غير الدهر : أحواله المتغيرة (٣) احتر الشيء : قاه كما تحفر الأرض بالحديدة (٤) أدخره (٥) أي معاوية .

فَاللَّهُ أَخْرُمَدَّتْ فَنَطَاوَلْتُ حَتَّى رَأَيْتُ مِنَ الزَّمَانِ مَجَائِبَا  
فِي كُلِّ يَوْمٍ لِلزَّمَانِ خَطِيبُهُمْ بَيْنَ الْجَمِيعِ لَأَلِ أَحَدًا طَائِبَا  
ثُمَّ سَكَتُوا فَقَالَتْ بَكَّارَةٌ : نَبِّحْنِي كَلَابِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَاعْتَوِرْتَنِي <sup>(١)</sup> ،  
قَصَصْتُ مَحْجَنِي <sup>(٢)</sup> ، وَكَثُرَ عَجَبِي ، وَعَشَى بَصْرِي .  
وَأَنَا وَاللَّهُ قَائِلَةٌ مَا قَالُوا ، لَا أَدْفَعُ ذَلِكَ بِتَكْذِيبٍ ، وَمَا خَقَى عَلَيْكَ مِنِّي أَكْثَرُ ،  
فَامْضِ لِشَأْنِكَ ، فَلَا خَيْرَ فِي الْعِيشِ بَعْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَضَحَكَ مَعَاوِيَةُ ، وَقَالَ :  
لَيْسَ يَنْمَعُنَا ذَلِكَ مِنْ بَرٍّ . اذْكُرِي حَاجَتَكَ : قَالَتْ : أَمَا الْآنَ فَلَا .

---

(١) اعتورتني : تناوبتني (٢) المحجن : العصا المقوفة الرأس .

## ٤٩ — أرؤى بنت الحارث \*

دخلت أرؤى بنت الحارث بن عبد المطلب على معاوية ، وهي عجوز ، فلما رآها معاوية قال : مرحباً بك وأهلاً يا أمة ! فكيف كنت بعدنا ؟ قالت : يابن أخى ؛ لقد كفرت بالنعمة ، وأسأت لابن عمك <sup>(١)</sup> الضحبة ، وتسميت بغير اسمك ، وأخذت <sup>(٢)</sup> غير حقك ، من غير بلاء كان منك ولا من آبائك ، ولا سابقة في الإسلام ، بعد أن كفرتم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنص <sup>(٣)</sup> الله منكم الجذود ، وأضرع منكم الجذود ، ورد الحق إلى أهله ، ولو كره المشركون !

وكانت كلمتنا هي العليا ، ونبينا ، صلى الله عليه وسلم هو المنصور على من ناواه ، ولو كره المشركون ؛ فكنا - أهل البيت - أعظم الناس في الدين حظاً وصيباً وقدرأ ، حتى قبض الله نبيه ، فوليتم علينا من بعده ، وتحتجون بقرابتكم من رسول الله ، ونحن أقرب إليه منكم ، وأولى بهذا الأمر ، فكنا فيكم بمنزلة بنى إسرائيل في آل فرعون ؛ وكان على بن أبي طالب - رحمه الله - بعد نبينا بمنزلة هارون من موسى ؛ فغابتنا الجنة ، وغابتكم النار .

وقال لها عمرو بن العاص : كُفِّي أيتها العجوز الضالة ! وأقصرى عن قولك ، وغضى من طرفك !

\* المقدم الفريد : ١ - ٢١٩ ، بلاغات النساء : ٣٢ .  
(١) تريد على بن أبي طالب (٢) تشير إلى أخذه الخلافة (٣) أنص : أهلك ، أو أعثر .  
والجذود : الخطوط .

قالت : وأنت يا عمرو تتكلم ! اغنِ بشأن نفسك ؛ فوالله ما أنت من قريب  
في اللباب من حسبيها ، ولا كريم منصبيها . وأملك كانت أشهر امرأة تُغنى بمكة ،  
وآخذهن لأجرة !

فقال مروان : كفى أيتها السبية : أقصرى لما جئت له . فقالت : وأنت أيضاً  
يابن الزرقاء تتكلم ! ثم التفتت إلى معاوية فقالت : والله ما برأ على هؤلاء غيرك !  
وإن أملك القائلة في قتل حمزة :

نحن جزيناً لكم يوم بذرٍ والحربُ بعد الحرب ذاتُ سُعرٍ <sup>(١)</sup>  
ما كان، عن عُتْبةٍ في من صبرٍ أبي وعمي وأخي وصهرِي <sup>(٢)</sup>  
شفيتَ وحشِي غليلَ صدرِي شفيتَ نفسي وقضيتَ نَذْرِي <sup>(٣)</sup>  
فشكرُ وحشِي على دهرِي حتى تريمٌ أعظمي في قبرِي  
فقال معاوية لمروان وعمرو : ويلكما ! أتبا عرضتاني لها وأسمعتاني ما أكرهه ،  
ثم قال لها : يا عمة ! اقصدي قصْدَ حاجتك ، ودعي عنك أساطير النساء ، قالت :  
تأمر لي بألْفِي دينار ، وألْفِي دينار ، وألْفِي دينار ! قال : ماتصنعين يا عمة بألْفِي دينار ؟  
قالت : أشتري بها عيناً خرْخارة <sup>(٤)</sup> في أرضٍ خَوَّارة <sup>(٥)</sup> ، تكون لولد الحارث  
ابن عبد المطلب ! قال : نعم الموضعُ وضعتها ؛ فما تصنعين بألْفِي دينار ؟ قالت :  
أستعين بها على عُسر المدينة ، وزيارة بيت الله الحرام ! قال : نعم الموضعُ وضعتها !  
فما تصنعين بألْفِي دينار ؟ قالت : أزوّج بها فتيان عبد المطلب من أكفائهم . قال :  
نعم الموضعُ وضعتها ! هي لك !

(١) ذات سعر ؛ من سعر الحرب : أوقدها (٢) تنير إلى من قتل من بني أمية يوم بدر  
(٣) وحشي : قاتل حز. يوم أحد (٤) خرخارة : عين ماء جارية (٥) خواراة : منخفضة ،  
والمراد : أرض للزراعة ليست وعرة .



ثم قال لها : والله لكان على ما أمر لك به !! قالت : صدقت ، إن عليّ أذى الأمانة ؛ وعمل بأمر الله ، وأخذ به ، وأنت ضيعت أمانتك ، وخنت الله في ماله ، فأعطيت مال الله من لا يستحقّه ، وقد فرض الله في كتابه الحقوق لأهلها وبينها ، فلم تأخذ بها ؛ ودعانا علىّ إلى أخذ حقنا الذي فرض الله لنا فشغل بمربك عن وضع الأمور مواضعها ! وما سألتك من مالك شيئا ! فتَمَنَّ به ؛ إنما سألتك من حقنا ، ولا نرى أخذ شيء غير حقنا : أتذكرُ عليّا قضا الله فاك ! ثم علا نبيها وقالت :

ألا ياعينُ ويحكِ أسعدينا      ألا وابكى أمير المؤمنين  
رُزينا خير من ركب المطايا      وفارمها ومن ركب السفينا<sup>(١)</sup>  
ومن لبس النعال أو احتذاها      ومن قرأ المثاني والمئينا<sup>(٢)</sup>  
فأمر لها بستمائة ألف دينا      وقال لها : ياعمة ؛ أنفقى هذه فيما تحبين ، فإذا  
احتجتِ فاكتبى إلى ابن أخيك يُحسن صَفَدَكَ<sup>(٣)</sup> ومعونتك إن شاء الله !

---

(١) رزينا : أسبنا (٢) الثاني : آيات القرآن (٣) الصند : العطاء .

## ٥٠ - أم سنان تشكو مروان \*

حبس مروان<sup>(١)</sup> بن الحكم ، وهو والى المدينة غلاماً من بنى ليث ، فى جنابة جناها بالمدينة ، فأتته جدّة الغلام - وهى أم سنان بنت خَيْثمة المَذْحِجِيّة - فكلّمته فى الغلام ، فأغلظ لها ؛ فخرجت إلى معاوية ، فدخلت عليه فانتسبت له فعرّفها ، فقال لها : مرحباً يا بنت خَيْثمة ؛ ما أقدمك أرضنا وقد عهدتكَ تشنّين<sup>(٢)</sup> قُرْبى ، وتحضّين<sup>(٣)</sup> على عدوى !

قالت : يا أمير المؤمنين ! إن لبنى عبد مناف أخلاقاً طاهرة ، وأحلاماً وافرة ، لا يَجْهَلُونَ بعد علم ، ولا يَسْفَهُونَ بعد حِلْم ، ولا ينتقمون بعد عَفْو ، وإن أولى الناس باتباع ماسن آباؤه لأنت . قال : صدقت ! نحن كذلك ، فكيف قولك<sup>(٤)</sup> :

عَزَبَ الرُّقَادُ ، فَقُلْتِ لَا تَرَقُدُ      وَاللَّيْلُ يُصْدِرُ بِالْهُمُومِ وَيُورِدُ<sup>(٥)</sup>  
يَا آلَ مَذْحِجٍ لَا مُقَامَ فَشَمُّوْا      إِنَّ الْعَدُوَّ لَأَلٍ أَحْمَدُ يَقْصِدُ<sup>(٦)</sup>  
هَذَا عَلَى كَالْهَلَالِ تَحْفُهُ      وَسَطَ السَّمَاءِ مِنَ الْكُوكِبِ اسْعُدُ<sup>(٧)</sup>  
خَيْرُ الْخَلَائِقِ وَابْنُ عَمِّ مُحَمَّدٍ      إِنْ يَهْدِ كُمْ بِالنُّورِ مِنْهُ تَهْتَدُوا  
مَازَالَ مُذْ شَهِدَ الْحُرُوبَ مَظْفَرًا      وَالنَّصْرُ فَوْقَ لَوَائِهِ مَا يُفْقَدُ

\* العقد الفريد : ١ - ٢١٤ ، بلاغات النساء : ٦٨

(١) ولد مروان بن الحكم سنة ٢ هـ وأسلم أبوه الحكم يوم الفتح ، فنشأ مروان مسلماً ، وكتب لعمان فى خلافته ، وولى معاوية المدينة مرات ، ويوبع بالخلافة ولكن لم تطل مدته فيها ومات سنة ٦٥ هـ (٢) تشنّين قرى : تغضين (٣) تحضين : تحرضين (٤) يذكرها بقولها فى الحرب التى كانت بينه وبين على بن أبى طالب لأنها كانت من شيعة على (٥) عزب : بعد (٦) سعود النجوم عشرة : منها سعد الناج وسعد السعود . وهى تشير إلى محبابة على .

قالت : قد كان ذلك يا أمير المؤمنين ؛ وأرجو أن تكون لنا خلفاً ! فقال رجل من جلسائه : كيف يا أمير المؤمنين ، وهي القائلة أيضا ؟

إِنَّمَا هَلَكْتَ أبا الحسين فلم تَزَلْ بالحقِّ تُعرَفْ هاديا مَهْدِيًّا  
فأذهب، عليك صلاةُ ربِّكَ مادَعْتَ فوقَ الفصون حَمَامَةً قَمْرِيًّا <sup>(١)</sup>  
قد كُنْتَ بعدَ محمدٍ خَلْفًا كما أوصى إِلَيْكَ بنا ، فكنتَ وَفِيًّا  
فاليوم لا خَلْفٌ يُؤَمِّلُ بعده هِيَهَاتَ تَأْمُلُ بعده إِنْسِيًّا  
قالت : يا أمير المؤمنين ؛ لسانُ نطقٍ ، وقول صدقٍ ، ولئن تحقَّقَ فيك ما ظنَّنا ،  
فحُظِّتْكَ الأوفر ، والله ما وَرَّثَكَ الشَّئَانُ <sup>(٢)</sup> في قلوب المسلمين إِلَّا هَوْلًا ، فأذْهِضْ  
مقاتِلَهُمْ ؛ وأبعدْ منزلتهم ، فإنَّكَ إن فعلتَ ذلك تَزِدُّدَ من الله قربًا ، ومن  
المؤمنين حُبًّا .

قال : وإِنَّكَ لتقولين ذلك ! موت : يا سبحان الله ! والله ما مثلك مُدِّحٌ بباطل ،  
ولا اعتذر إِلَيْهِ بكذب ؛ وإِنَّكَ لتعلم ذلك من رأينا ، وضمير قلوبنا .

كان والله على أَحَبِّ إِلَيْنَا منك ، وأنت أَحَبُّ إِلَيْنَا من غيرك . قال : بمن ؟  
قالت : من مروان بن الحكم ، وسعيد بن العاص . قال : وبِمِ استحققتَ ذلك  
عندك ؟ قالت : بسعةِ حِلِّكَ ، وكريمِ عَفْوِكَ . قال : فإنَّها يَطْمَعَانِ في ذلك ؟  
قالت : هما والله من الرأى على مثل ما كنتَ عليه لعثمان بن عفان رحمه  
الله تعالى <sup>(٣)</sup> .

قال : والله لقد قاربتِ ؛ فما حاجتك ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ؛ إن مروان  
تَبَنَّىكَ <sup>(٤)</sup> بالمدينة تَبَنَّىكَ مَنْ لا يريدُ منها البرَّاحَ ، لا يحكمُ بِعادلٍ ، ولا يقضى بِسُنَّةٍ ، يتتبعُ

(١) القمري : نوع من الحمام (٢) الشَّئَان : البغض (٣) تريد أنهما يأملان الخلافة بعدك كما  
كنت تأملها بعد عثمان (٤) تبَنَّىكَ : أقام .

عثراتِ المسلمين ، ويكشفُ عَوَزَاتِ المؤمنين ، حبس ابن ابني فَأَيْتُهُ ،  
فقال : كنتِ وكنتِ ، فَأَلْقَمْتُهُ أَحْسَنَ مِنَ الْحَجَرِ ، وَأَلْعَقْتُهُ أَمْرًا مِنَ الصَّبْرِ ،  
ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى نَفْسِي بِاللَّامَةِ ، وَقُلْتُ : لَمْ لَا أَصْرِفُ ذَلِكَ إِلَى مَنْ هُوَ أَوْلَى مِنْهُ  
بِالْعَفْوِ عَنْهُ !

فَأَيْتُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ لِتَكُونَ فِي أَمْرِي نَافِظًا ، وَعَلَيْهِ مُعْدِيًا <sup>(١)</sup> . قال :  
صَدَقْتَ ، لَا أَسْأَلُكَ عَنْ ذَنْبِهِ ، وَلَا عَنْ الْقِيَامِ بِحُجَّتِهِ ، اكْتَبُوا لَهَا بِإِطْلَاقِهِ .  
قالت : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَأَنْتَى لِي بِالرَّجْمَةِ <sup>(٢)</sup> ! وَقَدْ نَفِدَ زَادِي ، وَكَلَّتْ رَاحِلَتِي !  
فَأَمْرُ لَهَا بِرَاحِلَةٍ وَخَمْسَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ .

---

(١) مُعْدِيًا : مُعِينًا فَاصِرًا (٢) الرَّجْمُ : الرَّجْعُ - الرجوع .

## ٥١ — ليلي الأخيلية عند معاوية\*

بيننا معاوية يسير إذ رأى راكباً ؛ فقال لبعض شُرطه : اثنى به ، وإياك أن  
تروعه<sup>(١)</sup> فأتاه فقال : أجب أمير المؤمنين ، فقال : إياه أردتُ .

فلما دنا الراكبُ حَذَرَ<sup>(٢)</sup> لئلا يُلَامَهُ ، فإذا ليلي الأخيلية<sup>(٣)</sup> ، فأنشأت تقول :

معاوى لم أ كَدَّ آتِيكَ تَهْوِي      برحلي نحو ساحتِكَ الركبُ  
تجوبُ الأرضَ نحوكَ ما تَأْتِي<sup>(٤)</sup>      إذا ما الأكمُ<sup>(٥)</sup> قَنَعَهَا السرابُ  
وكنْتَ الرنجي ، وبك استعاذت      لَتُبْنِعِشَهَا إذا بخل السحابُ

فقال : ما حاجتك ؟ قالت : ليس مثلي يطلبُ إلى مثلك حاجة ، فتخبر أنت .  
فأعطاها خمسين من الإبل ، ثم قال : أخبريني عن مضر . قالت : فآخِرُ بمَضَرَ ،  
وحارب بقيس ، وكأثرُ بتميم ، وناظر بأسد . فقال : ويحك ياليلي ؟ أ كما يقول الناس  
كان توبة ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ، ليس كلُّ الناسِ يقولون حقاً ! الناس شجرة  
بني ، يحسدون النعم حيث كانت ، وعلى من كانت ، ولقد كان يا أمير المؤمنين سَبَطُ<sup>(٦)</sup>  
البنان ، حديد اللسان ، شجى للأقران ، كريم الخبَر ، عفيف المِثَر ، جميل المنظر ،

\* الأغاني : ١٠ — ٧٤ ، مذهب الأغاني : ٤ — ٢٣٩ ، زهر الآداب : ٤ — ٧٣  
(١) تروعه : تفزعه (٢) حذر الشيء : أنزله (٣) هي ليلي الأخيلية بنت عبد الله ؛ من بني  
الأخيل بن عامر ؛ من النساء التقدمات في الشعر ، هويها توبة بن الحجير ، وخطبها إلى أبيها ، فأبى  
أن يزوجهما لئلا . توفيت نحو سنة ٨٠ هـ (٤) تأتي : تتأني (٥) الأكم : جمع أكمة : الوضع  
يكون أشد ارتفاعاً من غيره (٦) سبط البنان : سخي .

وهو يا أمير المؤمنين كما قلتُ له . قال : وما قلتُ له ؟ قالت : قلتُ ولم أتمد الحق  
وعلى فيه :

بعيد المدى لا يبلغ القوم شأوه <sup>(١)</sup> الد <sup>(٢)</sup> مَلِدْ يَغْلِبُ الْحَقَّ بَاطِلُهُ  
إذا حلَّ ركب في ذراه وظلُّه لينعمهم مما تخاف نوازه  
حامهم بنصل السيف من كل قاذح يخافونه حتى تموت خصائله <sup>(٣)</sup>  
فقال معاوية : ويحك يا ليلى ! يزعم الناس أنه كان عاهراً فاجراً ! فقالت من  
ساعتها مرتجلة :

معاذ الله قد كان - والله - توبة جواداً على العلات جماً نوافله <sup>(٣)</sup>  
أغرَّ خفاجياً يرى البخل سبة <sup>(٤)</sup> تحارف كفاه الندى وأنامله  
عفيفاً بعيد الم صلباً فثاته جميلاً محبباً قليلاً غوايله  
وكان إذا ما الضيف أرغى بعيره لديه ، أتاه تنيله وفواضله  
وقد علم الجوع الذي كان سارياً على الضيف والجيران أنك قاتله  
وأنت رَحْبُ الباع ياتوب بالقرى إذا مالئتم القوم ضاقت منازلهم  
بيت قرير العين من كان جاره ويضحى بخير ضيفه ومنازله

فقال لها معاوية : ويحك يا ليلى ! لقد جُزيت بتوبة قدره ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين  
والله لو رأيته وخبرته لعلت أنى مقصرة في نعمته ؛ لا أبلغ كنه ما هو أهله ! فقال لها  
معاوية : في أى سن كان ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين ؛

(١) الدد : شدة الحسومة (٢) الحصلة : كل لحة فيها عصب (٣) جوادا على العلات : أى  
على كل حال (٤) خفاجة : حى من بنى عامر .

أتمته للنساي حين تمَّ تمامه      وأقصر عنه كل قرن بُصولة  
وصار كليث الغاب يحمى عرينه      فترضى به أشباله وحلائله  
عطوف حلیم حين يطلب حِلْمه      وسمَّ زُعاف لا تصاب مقاتله

فأمر لها بمجازة ، وقال : أى ماقلت فيه أشعر ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ؛ ماقلت شيئاً إلا والذي فيه من خصال الخير أكثر ، ولقد أجدتُ حيث أقول :

جزى الله خيراً - والجزاء بكفه      فتى من عُقيلٍ ساد غير مكلف  
فتى كانت الدنيا تهونُ بأسرها      عليه فلم ينفك جمَّ التصرف  
ينالُ علياتِ الأمور بهونة      إذا هي أغيت كلَّ خرق مُشرف<sup>(١)</sup>

---

(١) الهونة : الرفق والسهولة. الحرق : السخى أو الظريف في سخاوة . مشرف : جعل له شرف .

٥٢ — أم \*

دخل ابنُ الزَّيْرِ (١) على أمِّه (٢) حين رأى من الناس ما رأى من خِذْلَانِهِمْ ، فقال : يا أمِّه ؛ خَذَلْنِي النَّاسَ حَتَّى وَلَدِي وَأَهْلِي ، فَلَمْ يَبْقَ مَعِيَ إِلَّا الْيَسِيرُ يَمْنُ لَيْسَ عِنْدَهُ مَعَ الدَّفْعِ أَكْثَرُ مِنْ صَبْرِ سَاعَةٍ ، وَالْقَوْمُ يُعْطُونَنِي مَا أُرِدْتُ مِنَ الدُّنْيَا ، فَمَا رَأَيْكَ ؟

فَقَالَتْ : أَنْتِ وَاللَّهِ يَا بَنِي أَعْلَمُ بِنَفْسِكَ ؛ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ عَلَى حَقٍّ وَإِلَيْهِ تَدْعُو فَاْمُضِي لَهُ ، فَقَدْ قُتِلَ عَلَيْهِ أَصْحَابُكَ ، وَلَا تَمَكِّنْ مِنْ رِقْبَتِكَ يَتَلَمَّبُ بِهَا غُلَامُنُ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا أُرِدْتَ الدُّنْيَا فَبُنْسِ الْعَبْدُ أَنْتِ ! أَهْلَكْتَ نَفْسَكَ وَأَهْلَكْتَ مَنْ قُتِلَ مَعَكَ . وَإِنْ قُلْتَ : كُنْتُ عَلَى حَقٍّ ، فَلِمَا وَهَنَ أَصْحَابِي ضَعُفْتُ ؛ فَهَذَا لَيْسَ فَعَلَ الْأَحْرَارَ ، وَلَا أَهْلَ الدِّينِ ... وَكَمْ خُلُودُكَ فِي الدُّنْيَا ! الْقَتْلُ أَحْسَنُ ! وَاللَّهِ لَضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ فِي عِزٍّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ ضَرْبَةٍ بِسَوْطٍ فِي ذُلٍّ . قَالَ : إِنِّي أَنْتِ ! إِنْ قَتَلُونِي أَنْ يُمَثِّلُوا بِي ! قَالَتْ : يَا بَنِي ؛ إِنْ الشَّاةُ لَا يَضْرُئُهَا سَلْخُهَا بَعْدَ ذُبْحِهَا .

فَدَنَا ابْنُ الزَّيْرِ ، فَقَبَّلَ رَأْسَهَا ، وَقَالَ . هَذَا وَاللَّهِ رَأْيِي ؛ وَالَّذِي قَتَلْتُ بِهِ دَاعِيًا إِلَى يَوْمِي هَذَا ، مَا رَكَنْتُ إِلَى الدُّنْيَا ، وَلَا أَحْبَبْتُ الْحَيَاةَ فِيهَا ، وَمَادَعَانِي إِلَى الْخُرُوجِ إِلَّا

---

\* تاريخ الطبري : ٧ - ٢٠٣ ، بلاغات النساء : ١٣٠ ، العقد الفريد : ٢ - ٢٧١

(١) عبد الله بن الزبير بن العوام ؛ طلب الخلافة بعد موت يزيد بن معاوية ، وبويع له في الحجاز والعراق واليمن ، ومكث خليفة تسع سنوات ، ثم حاصره الحجاج بمكة . وقتل سنة ٧٣ هـ .  
(٢) هي أسماء بنت أبي بكر الصديق ، وهي من قریش ، من فضليات نساء العرب ، وأخت عائشة لأبيها توفيت سنة ٧٣ هـ . وهذه المحاوراة كانت حين حاصر الحجاج ابن الزبير في مكة ، وحين خذله عبد الله أعوانه .



الغضبُ أن الله تُسْتَحَلَّ حُرْمَهُ ، ولكنِّي أَحْبَبْتُ أَنْ أَعْلَمَ رَأْيَكَ ، فزِدْتَنِي  
بصيرةً مع بصيرتي ، فانظري يَا أُمُّهُ فَإِنِّي مَقْتُولٌ مِنْ يَوْمِي هَذَا ، فَلَا يَشْتَدُّ حَزَنُكَ ،  
وَسَلَّى لِأَمْرِ اللَّهِ ؛ فَإِنَّ ابْنَكَ لَمْ يَتَعَمَّدْ إِتْيَانَهُ مَنَكْرًا وَلَا عَمَلًا بِفَاحِشَةٍ ، وَلَمْ يَجْزُ فِي حَكْمِ  
اللَّهِ ، وَلَمْ يَفْذَرْ فِي أَمَانٍ ، وَلَمْ يَتَعَمَّدْ ظُلْمَ مُسْلِمٍ وَلَا مُعَاهَدٍ ، وَلَمْ يَبْلُغْنِي ظُلْمٌ عَنْ عِمَالِي  
فَرَضِيَتْ بِهِ ، بَلْ أَنْكَرْتُهُ ؛ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ آتَرَ عِنْدِي مِنْ رِضَا رَبِّي ؛ اللَّهُمَّ إِنِّي  
لَا أَقُولُ هَذَا تَرْكِهَ مِنْ نَفْسِي ؛ أَنْتَ أَعْلَمُ بِي وَلَكِنْ أَقُولُهُ تَعْزِيَةً لَأُمِّي لِتَسْلُوَ عَنْيَ .  
قَالَتْ أُمُّهُ : إِنِّي لِأَرْجُو مِنَ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ عِزَائِي فِيكَ حَسَنًا إِنْ تَقَدَّمْتَنِي ،  
وَإِنْ تَقَدَّمْتُكَ فَنَفْسِي حَرَجٌ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَّا مَا بِصِيرِ أَمْرِكَ . قَالَ : جِزَاكَ اللَّهُ  
يَا أُمُّهُ خَيْرًا ؛ فَلَا تَدَّعِي الدُّعَاءَ لِي قَبْلُ وَبَعْدُ . قَالَتْ : لَا أَدَّعُهُ أَبَدًا ، فَمَنْ قَتَلَ عَلَى  
بَاطِلٍ فَقَدْ قُتِلَ عَلَى حَقٍّ ! ثُمَّ قَالَتْ : اللَّهُمَّ ارْحَمْ طَوْلَ ذَلِكَ الْقِيَامِ فِي اللَّيْلِ الطَّوِيلِ ،  
وَذَلِكَ النَّحِيبِ وَالظُّمَأِ فِي هَوَاجِرِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ ، وَبِرَّهَ بِأَيِّهِ وَبِي ، اللَّهُمَّ قَدْ سَلَّمْتَهُ  
لَأَمْرِكَ فِيهِ ، وَرَضِيَتْ بِمَا قَضَيْتَ فَأَثْبِنِي فِي عَبْدِ اللَّهِ ثَوَابَ الصَّابِرِينَ الشَّاكِرِينَ .  
ثُمَّ وَدَّعَهَا وَخَرَجَ ، وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ قُتِلَ رَحِمَهُ اللَّهُ !

### ٥٣ — التلطف في السؤال \*

دخلت امرأة من هوازن على عبيد الله بن أبي بكر<sup>(١)</sup> ، فوفقت بين السامطين<sup>(٢)</sup> ، وجعلت تظهر وجهها مرة ، وتستره أخرى ؛ فلما أبصرها علم أن لها حاجة ؛ فقال لجلسائه . ما عليكم أن تقوموا حتى تقول هذه المرأة حاجتها . فتقدمت ، وقالت : أصلح الله الأمير إني أتيتك من أرض شاسعة ، ترفعني رافعة<sup>٣</sup> ، وتخفضني واضعة ؛ للمات قد أكلن لحمي ، وبرين عظمي فضاقي بي البلد المريض . وقد جئتُ بلدا لا أعرف فيه أحدا ، لا قرابة تكفني ، ولا عشيرة تعرفني ، بعد أن سألتُ أحياء العرب : من المرجو نائله ، المعطى سائله ؛ فأرسلتُ إليك ، ودلتُ عليك ؛ وأنا - أصلحك الله - امرأة قد هلك عنها الوالد ، وذهب عنها الطارف والتالد ، ومثلك يسد الخلّة ، ويزيح العلة ؛ فإما أن تحسن صفدي<sup>(٣)</sup> وتقيم أودي ، وإما أن تردني إلى بلدي ! فقال : بل أجمع لك كل ما ذكرت . ثم أمر لها بمشرة آلاف درهم ، وزاد وكسوة وراحلة .

\* غرر الحقائق الواضحة : ١٦٥

(١) عبيد الله بن أبي بكر كان أجل الناس وأشجعهم ، ولاء الحجاج سجستان سنة ٧٨ هـ ، ومات هناك (٢) السامطان : الصفاق (٣) الصفد : الطاء .

## ٥٤ — نساء بنى تميم \*

قال الشعبي : قال لى شريح <sup>(١)</sup> : يا شعبي ؛ عليكم بنساء بنى تميم ، فإنهن النساء اقلت : وكيف ذاك ؟ قال : انصرفت من جنازة ذات يوم مُظهِراً <sup>(٢)</sup> ، فررت بدور بنى تميم ، فإذا امرأة جالسة فى سقيفة <sup>(٣)</sup> على وسادة ، وتجاهها جارية رُوْدَةٌ <sup>(٤)</sup> ، ولها دُؤَابَةٌ على ظهرها كأحسن مَنْ رَأَيْتُ من الجوارى ، فاستسقيت — وما بى من عطش — فقالت : أىُّ الشراب أعجب إليك ؟ أَلَنِيزْدُ أم اللبَنُ أم الماء ؟ قلت : أىُّ ذلك تيسر عليكم . قالت : استقوا الرجل لبناً فإنى إخاله غريباً . فلما شربت نظرت إلى الجارية فأعجبتنى ، فقلت : مَنْ هذه ؟ قالت : ابنتى ، قلت : ومَنْ ؟ قالت : زينب بنت حُدير ، إحدى نساء بنى تميم . قلت : أفاغرة أم مشغولة ؟ قالت : بل فارغة . قلت : أتزوجينها ؟ قالت : نعم ، إن كنت كفتاً ؛ ولها عمٌ فاقصده .

وانصرفت إلى منزلى لأقيل فيه ، فامتنعت منى القائلة <sup>(٥)</sup> ، فأرسلتُ إلى إخوانى القُرءاء <sup>(٦)</sup> ، ووافيتُ معهم صلاة العصر ، فإذا عمُّها جالس ، فقال : أبا أمية !

\* مذهب الأغاني : ٣ - ٨٠ ، المستطرف : ٢ - ١٩ ، العقد الفريد : ٤ - ٨٠ ، الأغاني :

١٦ - ٣٦ ( طبعة الساسي )

(١) هو شريح بن الحارث . أدرك الجاهلية ، واستقضاء عمر بن الخطاب على الكوفة ، فأقام بها قاضياً مدة طويلة لم يعطل فيها إلا ثلاث سنين فى فتنة ابن الزبير امتنع من القضاء فيها ، وكان أعلم الناس بالقضاء ، ذا فطنة وذكاء ومعزقة ، وعقل وإصابة ؛ كما كان شاعراً محسناً . توفى سنة ٨٧ هـ . (٢) أظهر : دخل فى الظهيرة ، والظهيرة : حد انتصاف النهار (٣) السقيفة : الموضع المظلل (٤) الرُوْدَةُ : الشابة الحسنة (٥) القائلة : نصف النهار ، وقال قتيلا : نام فيه . (٦) جمع قارىء ، وهم الذين يقرءون القرآن ويتلونه .

حاجتك ، قلت : إليك . قال : وما هي ؟ قلت : ذكرتُ لى بنتُ أخيك زينب ، فقال : ما بها عنك رغبة ، ثم زوجنيها . وما بلغتُ منزلى حتى ندمتُ وقلت : تزوجت إلى أغلظ العرب وأجفاها ! ثم همت بطلاقها ، ولكن قلت : أجمعها إلى ، فإن رأيت ما أحب وإلا طلقها .

ثم مكثت أياماً حتى أقبل نساؤها يُهادينها <sup>(١)</sup> ، ولما أدخلتُ قلت . يا هذه ؛ إن من السنة إذا دخلت المرأة على الرجل أن يُصَلِّي ركعتين وتُصَلِّي ركعتين ، ويسألا الله خيرَ ليلتهما ويتعوّذا به من شرّها . فتوضأتُ فإذا هي تتوضأ بوضوئى ، وصليتُ فإذا هي تصلّى بصلاتي ، ولما قضينا الصلاة قالت لى : إني امرأة غريبة ، وأنت رجل غريب لا علم لى بأخلاقك ، فبين لى ما تحب فأتيته ، وما تسكره فأنزجرت عنه . فقلت : قدمت خير مقدم ؛ قدمت على أهل دارٍ ، زوجك سيد رجالهم ، وأنت سيّدة نساءهم ، أحب كذا وأكره كذا ، وما رأيت من حسنة فابثيها ، وما رأيت من سيئة فاستريها .

قالت : أخبرنى عن اختناك <sup>(٢)</sup> أحب أن يزوروك ؟ فقلت : إني رجل قاض وما أحب أن تملؤنى . قالت : فمَنْ تحب من جيرانك يدخل دارك آذنُ له ، ومَنْ تكرهه أكرهه ؟ قلت : بنو فلان قوم صالحون ، وبنو فلان قوم سوء .

وأقت عندها ثلاثاً ؛ ثم خرجتُ إلى مجلس القضاء ؛ فكننت لا أرى يوماً إلا وهو أفضل من الذى قبله ؛ حتى إذا كان رأس الحول دخلت منزلى امرأة عجوز تأمر وتنهى . قلت : يا زينب ؛ مَنْ هذه ؟ قالت : أمى فلانة . قلت : حيّاك الله

---

(١) يقال : تهادت المرأة إذا تمايلت في مشيتها ، وكل من فعل ذلك بأحد فهو يهاديه .

(٢) الحنت : الصهر ، أو كل من كان من قبل المرأة .

بالسلام ، قالت : أبا أمية ؛ كيف أنت وحالك ؟ قلت : بخير ، أحمده الله . قالت :  
أبا أمية ، كيف زوجك ؟ قلت : كخير امرأة ، قالت : إن المرأة لا ترى في حال  
أسوأ خلقاً منها في حالين : إذا حظيت عند زوجها ، وإذا ولدت غلاماً ، فإن رابك  
منها ريب فالسوط ، فإن الرجال ما حازت - والله - بيوتهم شراً من الورهاء <sup>(١)</sup>  
المتدلة <sup>(٢)</sup> .

قلت : أشهد أنها ابتكتك ، فقد كفييتيني الرياضة ، وأحسن الأدب . قالت :  
أنحب أن يزورك أختانك ؟ قلت : متى شاءوا .

قال شريح : فكانت كل حوله تأتينا وتوصي تلك الوصية ، ثم تنصرف .  
ومكثت مع زينب عشرين عاماً ، فما غضبتُ عليها قط إلا مرة كنت لها فيها  
ظلاماً <sup>(٣)</sup> .

(١) الورهاء : الحفاه (٢) يقال : تدلت المرأة على زوجها ؛ إذا أرتته جراءة عليه كأنها تخالفه  
وما بها خلاف .

(٣) قد رووا أن شريحاً رأى رجلاً يضرب امرأته فقال :

رأيت رجلاً يضربون نساءهم	فشلت يميني يوم أضرب زينبا
أضربها في غير جرم أنت به	إلى فاعذري إذا كنت مذنباً
فتاة تزني الحلي إن هي حليت	كأن فيها السك خالط مجلباً

## ٥٥ — ليلي الأَخِيلِيَّة عند الحِجَاج \*

قال مولى من الموالى : كنت أدخل مع عَنبَسَةَ بن سعيد <sup>(١)</sup> بن العاص إذا دخل على الحِجَاج ؛ فدخل يوماً ، فدخلتُ إليهما ، وليس عند الحِجَاج أحدٌ إلا عَنبَسَةُ ؛ فأقمتني ، فجئى إلى الحِجَاج بِطَبَقٍ فيه رُطَبٌ ، فأخذ الخادمُ منه شيئاً ، فجاءني به ثم جئى بطبق آخر ، حتى كَثُرَت الأطباق ، وجعل لا يأتون بشيء إلا جاءني منه شيء ، حتى ظننتُ أن ما بين يديَّ أكثرُ مما عندها .

ثم جاء الحاجبُ ؛ فقال : امرأةٌ بالباب ؛ فقال له الحِجَاج : أدخلها ، فدخلت ، فلما رآها الحِجَاج طأطأ رأسه حتى ظننتُ أن ذقنه قد أصاب الأرض ؛ فجاءت حتى قعدت بين يديه ؛ فنظرتُ فإذا امرأةٌ قد أسنت ، حَسَنَةُ الخَلْق ، ومعها جاريتان لها ، وإذا هي ليلي الأَخِيلِيَّة .

فسألها الحِجَاج عن نسبها فانتسبت له ؛ فقال لها : يا ليلي ؛ ما أتى بك ؟ فقالت إخلافٌ <sup>(٢)</sup> النجوم ، وقلةُ النجوم ، وكَلَبٌ <sup>(٣)</sup> البردِ ، وشدةُ الجهد ؛ وكنتُ لنا بعد الله الرَفْدُ <sup>(٤)</sup> .

\* الأماي : ١ - ٨٦ : زهر الآداب : ٤ - ٧٦ ، مصارع العشاق : ١٨٥ ، الأغاني : ١٠ - ٧٨ ( طبعة الساسي ) ، فوات الوفيات : ٢ - ١٧٦ ، المحاسن والأضداد : ٢٤٦ ، سمط الآلى : ١ - ٢٨٠ ، أشعار النساء : ٣ - ٣٧

(١) كان عنبسة آثر الناس عند الحِجَاج ، وكان على جانب عظيم من البخل ، وله فيه أخبار طريفة (٢) إخلاف النجوم ؛ تريد : أخلفت النجوم التي بها يسكون المطر فلم تأت بمطر (٣) كلب المطر : شدته (٤) الرَفْد : اللعونة والعلية .

قال لها : صفى لنا الفجّاج<sup>(١)</sup> ، فقالت : الفجّاج مُغْبَرَّةٌ ، والأرض مُقْسِمَةٌ ،  
والمَبْرُكُ<sup>(٢)</sup> مَمْتَلٌ ، وذو العيال مُخْتَلٌ<sup>(٣)</sup> ، والهالك لِلْقُلِّ<sup>(٤)</sup> ، والناس مُسْتَفْتُونَ<sup>(٥)</sup> ،  
رحمة الله يَرْجُونَ ؛ وأصابتنا سِنُونُ مُحْجِفَةٍ<sup>(٦)</sup> مَبْلُطَةٍ<sup>(٧)</sup> ، لم تَدْعُ لنا هُبَمَا<sup>(٨)</sup>  
ولا رُبَمَا ، ولا عَافِطَةً<sup>(٩)</sup> ولا نَافِطَةً ، أَذْهَبَتِ الأُمُوالُ ؛ ومَزَقَتِ الرجالُ ،  
وأهلكَتِ العيالُ .

ثم قالت : إِنِّي قُلْتُ فِي الأَمْرِ قَوْلًا ، قال : هاتِي ، فَأَنشَأْتُ تقول :

أَحْجَّاجٌ لَا يُفْلَلُ سِلَاحُكُ <sup>(١٠)</sup> إِنِّهَا أَلْ	مَنَيا بِكَفِّ الله حَيْثُ تَرَاهَا
أَحْجَّاجٌ لَا تَمُطُ المَصَاةَ مِنْهُمُ	وَلَا اللهُ يُعْطِي للمَصَاةَ مِنْهَا
إِذَا هَبَطَ الحِجَابُ أَرْضًا مَرِيضَةً	تَتَّبِعُ أَقْصَى دَائِهَا فَشَفَاهَا
شَفَاهَا مِنَ الدَّاءِ المُضَالِ الَّذِي بِهَا	غَلَامٌ إِذَا هَزَّ القَنَافَةَ سَقَاهَا
سَقَاهَا فَرَوَاهَا بِشَرْبِ سِجَالِهِ <sup>(١١)</sup>	دَمَاءُ رِجَالٍ حَيْثُ مَالٌ حَشَاهَا
إِذَا سَمِعَ الحِجَابُ رِزًّا <sup>(١٢)</sup> كَتِيبَةً	أَعَدَّ لَهَا قَبْلَ النُّزُولِ قِرَاهَا
أَعَدَّ لَهَا مَسْمُومَةً فَارِسِيَّةً	بِأَيْدِي رِجَالٍ يَحْتَبُونَ صَرَاهَا <sup>(١٣)</sup>
فَا وَلَدَ الأَبْكَارِ وَالْمَوْنُ <sup>(١٤)</sup> مِثْلَهُ	يَبْحِرُ وَلَا أَرْضٍ يَحْفُ ثَرَاهَا

(١) الفجّاج : جمع فج وهو الطريق الواسع بين جبلين (٢) المبرك : أُرادت الإبل ؛ فأُظهِرت  
المبرك مكانها (٣) ذو العيال مختل : أى محتاج ، والمخلّة : الحاجة (٤) الهالك للقل : من أجل  
القلة (٥) مستنون : مقطون (٦) السنة المحجفة : التى تحجب بالقوم قتلا وإفسادا للأحوال ،  
أو مضرة بالمال (٧) مبلطة : ملزقة بالبلاط ؛ تريد مهلكة (٨) هبما : ماتج في الصيف ،  
والربيع : ماتج في اربيع (٩) العافطة : الضأن ، والنافطة : اللاعزة (١٠) السلاح : يذكر  
ويؤنث (١١) السجال : جمع سجل ، وهو القلو العظيمة (١٢) الرز : الصوت تسمعه من بعيد  
(١٣) الصرى : البقية . قال في السط عند تفسير هذا البيت : تمنى نصال الزمّاح والسهم كأنها  
مسقية ، من أصابه لم ينج منها (١٤) المون : جمع هوان ، وهى التى كان لها زوج .

فلما قالت هذا البيت ، قال الحجاج : قاتلها الله ! والله ما أصاب صفى شاعرٍ  
مذ دخلتُ العراقَ غيرها .

ثم التفتَ إلى عنبسة بن سعيد ، فقال : والله إنى لأعدُّ للأمرِ عُذَّتَهُ ، عسى  
ألا يكونَ أبداً . ثم التفتَ إليها ، فقال : حسبك !

قالت : إنى قد قلتُ أكثرَ من هذا ! قال : حسبك ، ويحك ! حسبك .

ثم قال : يا غلام ! اذهب إلى فلان ؛ فقل له : اقطعْ لسانها ، فذهب بها ،  
فقال له : يقولُ لك الأميرُ : اقطعْ لسانها !

فأمرَ بإحضارِ الحِجَّامِ ؛ فالتفتت إليه فقالت : نَكَلْتِكَ أَثْمُكَ ! أما سمعتَ  
ما قال ! إنما أمركُ أن تقطَعَ لسانى بالصلة ، فبعثَ إليه يستثبِتُهُ ؛ فاستشاطَ الحجاجُ  
غضباً ، وهمَّ بقطعِ لسانه ، وقال : ارُدُّهَا . فلما دخلتْ عليه قالت : كادَ والله  
يقطعُ مقولى ، ثم أنشأت تقول :

حِجَّاجُ أَنتَ الَّذِى مَا فَوْقَهُ أَحَدٌ      إِلَّا اخْلِيفَةُ وَالْمُسْتَفَرُّ الصَّمَدُ  
حِجَّاجُ أَنتَ شِهَابُ الْحَرْبِ إِنْ لَقِيتَ <sup>(١)</sup>      وَأَنْتَ لِلنَّاسِ نُورٌ فِي الدُّجَا يَقْدُ  
ثم أقبلَ الحجاجُ على جلسائه فقال : أتدرونَ مَنْ هذه ؟ قالوا : لا واللهُ أيُّها  
الأميرُ ، إلا أَنَا لم نَرَ قطُّ أفصحَ لساناً ، ولا أحسنَ محاورَةً ، ولا أملحَ وجهاً ،  
ولا أرسنَ شعراً منها .

فقال : هذه ليلى الأخيلية ، التى ماتت تَوْبَةً الخفاجيُّ من جِها ، ثم التفتَ  
إليها ؛ فقال : أنشدِينَا يَا لَيْلى بعضَ ما قالَ فيكَ تَوْبَةً .

---

(١) أصله من لقت الإبل ؛ إذا حملت . والحرب إذا عظمت تتولد عنها الأمور التى لم تكن  
تحتسب ( الخزائن - ١ : ٤٢٦ )



قالت : نعم أيها الأمير ، هو الذى يقول :

وهل تَبْكِينَ لى إِذَا مِتَ قَبْلَهَا      وقام على قبرى النساءِ النوائحُ ؟  
 كما لو أصاب الموتُ لى بَكْتِيهَا      وجادَ لها دمعٌ من العينِ سافحٌ <sup>(١)</sup>  
 وأَغْبَطُ من لَيْلى بما لا أناله      لى ، كلَّ ما قرَّت به العينُ طامح  
 ولو أَنَّ لى الأَخِيلِيَّةَ سَلَمَتْ      عَلى ؛ ودوى جَنَدَلٌ وصفائحُ  
 لَسَلَمَتْ تَسْلِمَ البَشاشَةِ أَوْ زَقَا      إليها صدى من جانب القبرِ صائح

فقال : زينا من شعره يالىلى ، قالت : هو الذى يقول :

حِمامةَ بَطْنِ الوَادِيَيْنِ تَرْمَى      سقاك من القُرَى الفوادى <sup>(٢)</sup> مَطِيرُهَا  
 أَيْبِنى لى ، لا زَالَ ريشُكِ ناعماً      ولا زلتِ فى خضراءِ غُضِّ نَضِيرُهَا  
 وكنتُ إِذا ما زرتُ لى تَبَرَّقَمْتُ      فقد زابنى منها القَداءُ سُفُورُهَا  
 وقد زابنى منها صدودُ رأيته      وإِعراضُها عن حاجتى وبُسُورُهَا <sup>(٣)</sup>  
 وأشرفَ بالقُورِ <sup>(٤)</sup> اليَفَاعَ لعلنى      أرى نارَ لى أو يرانى بصِيرُهَا  
 يقول رجالٌ : لا يَضِيرُكَ نَأْيُهَا      لى ! كلَّ ماشفٍ <sup>(٥)</sup> النفوسِ يَضِيرُهَا  
 بلى اقد يَضِيرُ العينَ أن تَكْثُرَ البُكا      ويُمنَعُ منها نوئُها وسرودُها  
 وقد زعمتُ لى بأنى فاجرٌ      لنَفْسى تُقاها ، أو <sup>(٦)</sup> عليها فُجُورُهَا

فقال الحجاج : يالىلى ؛ ما الذى رآه من سُفُورِكَ ؟ فقالت : أيها الأمير ؛ كان  
 يُلم بى كثيراً ؛ فأرسل إلى يوماً : إني آتيكِ ، وقَطِن الحى ؛ فأرصدوا له ، فلمَّا

(١) سافح: منصب (٢) الفوادى : جمع غادية ، وهى السحابة تنشأ أغدوة (٣) بسورها: عبوسها  
 (٤) القور . جمع قارة ، وهى الأرض ذات الحجارة السوداء : واليفاع كسحاب : التل (٥) شفه  
 الهم : هزله . أو هنا بمعنى الواو .

أناى سَفَرْتُ عن وجهى ، فلم أن ذلك لشرّ ؛ فلم يزد على التسليم والرجوع .  
 قال : لله درك ! فهل رأيت منه شيئاً تكرهينه ؟ قالت : لا والذى أسأله  
 أن يصلحك ، غير أنه قال مرة قولاً ظننت أنه قد خضع لبعض الأمر ، فأنشأتُ  
 أقول :

وذى حاجة قلنا له لا تُبْعِ بها      فليس إليها ما حيت سبيلُ  
 لنا صاحب لا ينبى أن نخونه      وأنت لأخرى صاحب و خليل  
 فلا والله الذى أسأله أن يصلحك ما رأيتُ منه شيئاً ، حتى فرّق الموت بيني  
 وبينه . قال : ثم مه ؟ قالت : ثم لم يلبث أن خرج فى غزاة له ، فأوصى ابن عم له :  
 إذا أتيت الحاضر من بنى عبادة ، فنادِ بأعلى صوتك :

عنا الله عنها ، هل أيتنّ ليلةً      من الدهر لا يسرى إلى خيالها !  
 وأنا أقول :

وهنه هفارى وأحسن حاله      فمَرّت علينا حاجة لا ينالها  
 قال : ثم مه ! قالت : ثم لم يلبث أن مات ؛ فأتانا نعيه .

قال : أنشدينا بعض مرثيتك فيه ، فأنشدت :

لَتَبِكَ الْعَذَارَى مِنْ خَفَاجَةِ نِسْوة<sup>(١)</sup>      بماء شئون المبرة للتحدر  
 قال لها : فأنشدينا ؛ فأنشدته :

كأن فتى الغتيان توبة لم يُنجِ      قلانص يفحصن الحصى بالكرأكر<sup>(٢)</sup>  
 فلما فرغت من القصيدة ، قال محسن القمصى<sup>(٣)</sup> - وكان من جلساء الحجاج :

(١) نِسْوة : تبين ، وارتفاعه بفعل مضمر ، كأنها قالت تبكيه نِسْوة . وفى هامش الأمالى : « لعله  
 المتحادر بالألف قبل الدال لتستقيم القافية » (٢) الكركرة : رعى زور البعير ، أو صدر كل  
 ذى خف ، وتفضل الإبل ذلك فى شدة الحر يطلبن برد الماء لينلنه (٣) كان محسن القمصى من  
 جلساء الحجاج .

من الذى تقول هذه هذا فيه ؟ فوالله إني لأظنها كاذبة ! فنظرت إليه ، ثم ردت عليه رداً شديداً ، فقال الحجاج : هذا وأبيك الجواب ، وقد كنت عنه غنياً .

ثم قال لها : سلى ياليلى تُعْطَى ، قالت : أعطِ ، فثلك أعطى فأحسن ، قال : لك عشرون ، قالت : زد فثلك زاد فأجمل ، قال : لك أربعون ، قالت : زد فثلك زاد فأكمل ، قال : لك ثمانون ، قالت : زد ، فثلك زاد فتم ، قال : لك مائة ، واعلمى أنها بغنم ، قالت : معاذ الله أيها الأمير ! أنت أجودُ جوداً ، وأجودُ مجداً ، وأورى زنداً ، من أن تجعلها غنماً . قال : فما هي ؟ ويحك ياليلى ! قالت : مائة من الإبل برُعاتها . فأمر لها بها .

ثم قال : ألك حاجة بعدها ؟ قالت : تدفع إلى النابغة الجعدي ، قال : قد فعلت ، وقد كانت تهجوه ويهجوها ، فبلغ النابغة ذلك ؛ فخرج هارباً عائداً بعبد الملك . فاتبته إلى الشام ، فهرب إلى قتيبة بن مسلم بخراسان ، فاتبته على البريد بكتاب الحجاج إلى قتيبة ، فانت يقومس<sup>(١)</sup> .

(١) صقع كبير بين خراسان وبلاد الجبل .

## ٥٦ - الحجاج يخالف سبأياه\*

خرج زيد بن شبيب الشيباني في أيام عبد الملك بن مروان ، فظفر به الحجاج<sup>(١)</sup> وبأصحابه ، وجعل يقتل كل مقدور عليه منهم ، فلما كان آخر الأمر قدم إليه رجل منهم ، له سميت<sup>(٢)</sup> ورؤاء وهيئة .

فلما هم الحجاج بقتله سمع ضجةً بالباب ؛ فقال لحاجبه : ماهذه الضجة ؟ قال : نسوة في الباب يسألن الدخول على الأمير . فقال الحجاج : ائذن لهن بالدخول ؛ فدخلن وهن ثلاث وعشرون امرأة ، كلهن أهل بيت هذا الرجل الذي هم الحجاج بقتله ، فقال لهن الحجاج : ما حاجتكن ؟ فتقدمت امرأة منهن فقالت : أصلى الله الأمير ! إن رأيت أن تجود باستماع ما أقول ؛ فقال لها : قولي ما أحببت ، فقالت :

أحجاجُ إِمَّا أَنْ تَمُنَّ بِتَرْكِهِ      عَلَيْنَا وَإِمَّا أَنْ تُقَتِّلَنَا مَعَا  
أحجاج لو تشهد مقام بناته      وعماته يندبته الليل أجمعاً  
أحجاج لا تفجع به إن قتلته      نمانا وتسعاً واثنين وأربعاً  
فَمَنْ رَجُلٌ دَانَ يَقُومُ مَقَامَهُ      عَلَيْنَا فَهَلَّا لَا تَرْدُنَا تَضَعُضُمَا

فلان الحجاج لقولها ، ووجد رقةً عليهن ، وعفا عنه وأطلقه ، وزاد في عطائه مائة دينار ، وكتب كتاباً إلى عبد الملك يذكر له خبره وخبر النسوة والمرأة وشعرها ، وأنه قدرق لهن ، وأطلقه وزاد في عطائه مائة دينار .

فكتب إليه عبد الملك يحمده على ذلك ، وأمره أن يزيد مائة أخرى في عطائه .

\* المقد القريد للملك السعيد : ١١٨ ، المجاس والمساوى : ٦٠٢ ( طبع ليزج ) .

المستطرف : ١ - ١٩٥

(١) انظر صفحة ٤٣ (٢) السميت : هيئة أهل الخير .

## ٥٧ — أسدٌ علىَّ وفي الحروب نعمة\*

قدم الحجاج على الوليد بن عبد الملك ؛ فدخل وعليه درع وعمامة سوداء ، وقوس عربية وكفانة ، فبعثت إليه أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان ، فقالت : مَنْ هذا الأغرابي المُستَلَمُ<sup>(١)</sup> في السلاح عندك ، وأنت في غلالة<sup>(٢)</sup> ! فبعث إليها : إنه الحجاج .

فأعادت الرسول إليه ، فقال : تقول لك : والله لأن يَخْوَ بك ملكُ الموت أَحَبُّ إليَّ من أن يَخْلَوْ بك الحجاج ! فأخبره الوليد وهو يمازحه ؛ فقال : يا أمير المؤمنين : دَعْ منك مفاكمة النساء بزخرف القول ؛ فإنما المرأة ريحانة ، وليست قهرمانة<sup>(٣)</sup> ؛ فلا تظلمها على سرك ، ومكايدة عدوك .

فلما دخل الوليد أخبرها بمقالة الحجاج ؛ فقالت : يا أمير المؤمنين ؛ حاجتي إليك أن تأمره غداً بأن يأتيَنِي مُستَلِماً ، ففعل ذلك .

وأتاه الحجاج ؛ فحجبتة ثم أدخلته ولم تأذن له في القعود ، فلم يزل قائماً ، ثم قالت : إيه يا حجاج ! أنت الممتنُّ على أمير المؤمنين بقتال ابن الزُّبير وابنِ الأشعث ! أما والله لولا أن الله عَلِمَ أنك شرُّ خَلْقِهِ ما ابْتَلَاكَ برمي الكعبة الحرام ،

---

\* ابن أبي الحديد : ٢ - ٤٠ ، بلاغات النساء : ١٢٤ ، عيون الأخبار : ١ - ١٦٩

(١) استلام الرجل ؛ إذا لبس ما عنده من عدة : رمح وبيضة ومغفر وسيف ونبل .

(٢) الغلالة : شعار تحت الثوب (٣) القهرمان : هو كالحازن والوكيل المحافظ لما تحت يده والقائم بأمور الرجل بلغة الفرس .

(١٠ - قصص العرب - ٢)

ولا يقتل ابن ذات النطاقين<sup>(١)</sup> ؛ أول مولود في الإسلام .

وأما نهيك أمير المؤمنين عن مفارقة النساء وبلوغ أوطاره ، فإن كنَّ يلدن مثلك فما أحقه بالقبول منك ، وإن كنَّ يلدن مثله فهو غير قابل لقولك . أما والله لقد نفّضَ نساء أمير المؤمنين الطيب من غدائرهن والخلّى من أيديهن وأرجلهن فيبعثه في أعطية أهل الشام ، حين كنت في أضيّق من القرن<sup>(٢)</sup> ، فقد أظلتك رماحهم ، وأثخنك<sup>(٣)</sup> كفاحهم ، وحين كان أمير المؤمنين أحبَّ إليهم من آبائهم وأبنائهم ؛ فأنجّاك الله من عدو أمير المؤمنين بحبهم إياه ؛ قاتل الله القاتل حين نظر إليك وسنان غزالة<sup>(٤)</sup> بين كتفك :

أسدٌ على وفي الحروب نعمةً فتخاه تنفرُ من صغير الصافر<sup>(٥)</sup>  
هلاكرت على غزالة في الوغى بل كان قلبك في جوائح طائر  
ثم قالت لجواريتها : أخرجنه ؛ فأخرج !

فدخل على الوليد ، فقال : ما كنت فيه ياحجاج ؟ قال : يا أمير المؤمنين : ماسكت حتى ظننت نفسي قد ذهبت ، وحتى كان بطن الأرض أحبَّ إلى من ظهرها ، وما ظننت أن امرأة تبلغ بلاغتها ، وتحسن فصاحتها ! قال : إنها بنت عبد العزيز !

(١) ذات النطاقين : أسماء بنت أبي بكر ، سميت بذلك لأنها شقت نطاقها ليلة خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى النار ، فجعلت واحدة لسفرة النبي ، والأخرى عصاً لقريبته (٢) القرن هنا : الجملة من جلود تكون مشقوقة ثم تحوز (٣) أثخن : غلب وقهر (٤) غزالة : امرأة شبيب الخارجي (٥) يقال ناقة فتخاء : ارتفعت أخلافها قبل بطئها ؛ وهو ذم .

٥٨ — الشعراء عند سكينه بنت الحسين \*

اجتمع الفرزدقُ وجميل وجريـر ونُصيب وكُثير في موسم من المواسـم ، فقال بعضهم لبعض : والله لقد اجتمعنا في هذا الموسم ، وما ينبغي لنا أن نتفرقَ إلّا وقد تتابعَ لنا في الناس شيءٌ نذُكرُ به . فقال جرير : هل لكم في سكينه <sup>(١)</sup> بنت الحسين ، نقصدها فنسلمَ عليها ؛ فلعل ذلك يكون سبباً لبعض ما نريد ! فقالوا : انصُوبوا بنا . فكثروا أياماً ، ثم أذنت لهم ، فدخلوا عليها وقعدت لهم حيث تراهـم ولا يرونها ، ثم أخرجت لهم وصيفة لها وضيفة ، وقد رَوّت الأشعار والأحاديث ، فأقرأها كلّ منهم السلام فقالت : أيكم الفرزدق ؟ فقال : هأنذا ، قالت : أنت الذي تقول :

أبيتُ أمتي النفسَ أنْ سوف نلتقى      وهل هوَ مقدُورٌ لنفسي لقاءُها  
فإن ألقها أودِ يجمع الدهرُ بيننا      ففيها شفاءُ النفس منها ودأؤها  
قال : نعم ! قالت : قولك أحسنُ من منظرك ! وأنت القائل :

ودّعني بإشارةٍ ونحيبٍ      وتركني بين الديارِ قتيلاً  
لم أستطع ردَّ الجوابِ عليهمُ      عند الوداعِ وما شفقنِ غليلاً  
لو كنتُ أملكُهم إذن لم يبرحوا      حتى أودّعَ قلبي الخجولاً

\* المحاسن والمساوي : ٢٣٤ ( طبع ليزج ) ، مصارع العشاق : ٢٧٢ ، الأغاني : ١٤ - ١٩٦  
( طبعة السامي ) ، الموشح : ١٥٩  
( ١ ) هي سكينه بنت الحسين بن علي بن أبي طالب ؛ كانت برزة من النساء ، تجالس الأجلة من قریش ، ويجمع عندها الشعراء ، وتزوجت عدة أزواج . وتوفيت سنة ١١٧ هـ .

قال : نعم ، قالت : أحسنت ، أحسنَ اللهُ إليك ! وأنتَ القائل :  
 هُمَا دَلَّتَانِي مِنْ ثَمَانِينَ قَامَةً      كَمَا انْقَضَ بَارِأَقْتَمُ الرِّيشِ كَامِرُهُ<sup>(١)</sup>  
 فلما استوت رجلای فی الأرضِ نَادَتَا :      أَحْيِ فَيُرْجَى أُمُ قَتِيلٍ نَحَازِرُهُ !  
 فقلت : ارفعوا الأسباب لا يشعروا بنا      ووليتُ في أعقابِ ليلٍ أَبَادِرُهُ  
 قال : نعم ، قالت : سَوَاءٌ لَكَ ! فما دعاكَ إلى إفشاءِ سرِّها وسرِّكَ ! هلا سترتَ  
 عليها وعلى نفسك ! فضرب بيده على جَبْهَتِهِ ، وقال : نعم ، فسوءة لى !  
 ثم دخلت على مولاتها وخرجت وقالت : أيكم جرير ؟ فقال : هأنذا ؛ قالت :  
 أنتَ القائل :

رُزِقْنَا بِهِ الصَّيْدَ الْغَزِيرَ وَلَمْ نَكُنْ      كَمَنْ نَبَلُّهُ مُحْرَمَةٌ وَحِبَائِلُهُ  
 فَهِيَ هِيَ هِيَ هِيَ هِيَ هِيَ هِيَ هِيَ      وَهِيَ هِيَ هِيَ هِيَ هِيَ هِيَ هِيَ هِيَ  
 قال : نعم ، قالت : أحسنَ اللهُ إليك ، وأنتَ القائل :  
 كَأَنَّ عَيُونََ الْمُجْتَلِينَ تَعَرَّضَتْ      وَشُمْسًا تَجَلَّى يَوْمَ دَجْنِ سَحَابِهَا<sup>(٢)</sup>  
 إِذَا ذُكِرَتْ لِلْقَلْبِ كَادَ لِذِكْرِهَا      يَطِيرُ إِلَيْهَا وَاعْتَرَاهُ عَذَابُهَا  
 قال : نعم ، قالت : أحسنت ! وأنتَ القائل :

سَرَّتِ الْمَهْمُومُ فَبِتْنَ غَيْرَ نِيَامٍ      وَأَخُو الْمَهْمُومِ يَرُومُ كُلَّ مَرَامٍ  
 دُمَّ الْمَنَازِلَ بِمَدِّ مَنَزَلَةِ اللَّوَى      وَالْعِيشَ بَعْدَ أَوْلَئِكَ الْآيَامِ  
 طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ الْقُلُوبِ وَلَيْسَ ذَا      وَقْتَ الزِّيَارَةِ فَارْجِعِي بِسَلَامٍ

(١) كسر الطائر جناحيه : إذا ضم منها شيئاً ، وهو يريد الوقوع أو الاقتران (٢) الدجن : المطر الكثير .



لو كان عَهْدُكَ كَالَّذِي حَدَّثَنِي      لَوَصَلْتَ ذَاكَ فَكَانَ غَيْرَ رِمَامٍ  
تُجْرِي السَّوَاكُ عَلَى أَغْرٍ كَأَنَّهُ      بَرْدٌ تَحْدَرُ مِنْ مُتُونِ غَمَامٍ

قال : نعم ، قالت : سوء لك ! جماتها صائدة القلوب ، حتى إذا أناخت ببابك  
جملت دونها حجاباً ! ألا قلت :

طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ الْقُلُوبِ فَرَجَبًا      نَفْسِي فِدَاؤُكَ فَادْخُلِي بِسَلَامٍ  
قال : نعم ! فسوء لي !

ودخلت على مولاتها وخرجت ، وقالت : أيكم كثير ؟ فقال : هانذا !  
فقلت : أنت القائل :

وَأَعْجَبَنِي يَا عَزَّ مِنْكَ خَلَاتِقُ      - حَسَانٌ إِذَا عُدَّ الْخَلَائِقُ - أَرْبَعُ  
دُنُوكَ حَتَّى يَطْمَعَ الصَّبُّ فِي الصَّبَا      وَقَطْعُكَ أَسْبَابَ الصَّبَا حِينَ تُقْطَعُ  
وَأَنْكَ لَا تَدْرِي غَرِيمًا مَطْلَتِهِ      أَيْشَدُّ إِنْ قَاضَاكَ أَمْ يَتَضَرَّعُ !  
وَأَنْكَ إِنْ وَاصَلْتَ أَعْلَمْتَ بِالَّذِي      لَدَيْكَ فَلَمْ يُوجَدْ لِكَ الدَّهْرِ مَطْمَعُ  
قال : نعم ، قالت : أعطاك الله منك ! وأنت القائل :

هَنِيئًا مَرِيئًا غَيْرَ دَاءٍ مُخَاسِرٍ      لِعِزَّةٍ مِنْ أَعْرَاضِنَا مَا اسْتَحَلَّتْ  
فَمَا أَنَا بِالْدَّاعِي لِعِزَّةٍ بِالْجَوَى      وَلَا شَامِتٍ إِنْ نَعَلُ عِزَّةً زَلَّتْ  
وَكُنْتُ كَذِي رَجْلَيْنِ رَجُلٍ صَحِيحَةٍ      وَرَجُلٍ رَمَى فِيهَا الزَّمَانُ فَشَلَّتْ  
قال : نعم ، قالت : أحسن الله إليك .

ثم دخلت على مولاتها وخرجت ، وقالت : أيكم نُصِيبُ ؟ فقال : هانذا ،  
قلت : أنت القائل :

ولولا أن يقال : صَبَا نَصِيبٌ لقلت : بِنَفْسِي النَّشَأُ الصَّغَارُ<sup>(١)</sup>  
قال : نعم ! قالت : أحسنت وكرمت ، إلا أنك صبوت إلى الضغار ، وتركت  
الناهضات بأحاملها .

ثم دخلت على مولاتها وخرجت ، وقالت : أيكم جميل ؟ قال : أنا ، قالت :  
أنت القائل :

لقد ذَرَفْتُ عَيْنِي وَطَالَ سَفُوحُهَا      وَأَصْبَحَ مِنْ نَفْسِي سَقِيًّا صَحِيحُهَا  
أَلَا لَيْتَنَا كُنَّا جَمِيعًا وَإِنْ تَمَتَّ      يُجَاوِرُ فِي الْمَوْتَى ضَرِيحِي ضَرِيحُهَا  
أَظْلُ نَهَارِي مُسْتَهَامًا وَيَلْتَقَى      مَعَ اللَّيْلِ رُوحِي فِي النَّامِ وَرُوحُهَا  
فَهَلْ لِي فِي كِتْمَانِ حَبِي رَاحَةً !      وَهَلْ تَنْفَعُنِي بَوَاحَةٌ لَوْ أَبُوحُهَا ؟

قال : نعم ! قالت : بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ ؛ وَأَنْتَ الْقَائِلُ :  
خَلِيلِي فِيمَا عِشْتُمَا هَلْ رَأَيْتُمَا      قَتِيلًا بَكَى مِنْ حُبِّ قَاتِلِهِ قَبْلِي ؟  
أَيُّتُ مَعَ الْهَلَاكِ ضَيْفًا لِأَهْلِهَا      وَأَهْلِي قَرِيبٌ مُوسِعُونَ ذَوْوُ فَضْلِ  
فِيَارِبَ إِنْ تَهْلِكُ بُشَيْنَةٌ لَا أُعِشْ      فَوَاقًا<sup>(٢)</sup> ، وَلَا أَفْرَحُ بِمَالِي وَلَا أَهْلِي  
وِيَارِبَ إِنْ وَقَيْتَ شَيْئًا فَوْقَهَا      حَتُوفَ الْمَنَاءِ ، رَبِّ وَاجْعَ بِهَا شَمْلِي  
قال : نعم ! قالت : أَحْسَنْتَ . أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ، وَأَنْتَ الْقَائِلُ :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَيْتَنَ لَيْلَةً      بَوَادِي الْقُرَى إِنِّي إِذْنُ لَسَعِيدُ  
لِكُلِّ حَدِيثٍ عِنْدَهُنَّ بِشَاشَةٌ      وَكُلِّ قَتِيلٍ يَنْهَنُ شَهِيدُ  
وَيَالَيْتَ أَيَّامَ الصَّبَا كُنَّ رُجْمًا      وَدَهْرًا تَوَلَّى يَابُشِينَ يَمُودُ

(١) النَّشَأُ : جمع ناشئ للذكر واللؤث ، وهو الحدث الذى جاوز حد الصغر .

(٢) فَوَاقًا : فترة .

إذا قلتُ : ما بى يا بُيْتِنَةُ قاتلى      من الحبِّ قالتُ : ثابتٌ ويزيدُ  
 وإن قلتُ: رُدِّى بعضَ عفى أعش به      تناءتُ وقالتُ : ذاك منك بعيدُ  
 فما ذُكِرَ الخِلَّانُ إلا ذُكرتْها      ولا البخلُ إلا قلتُ سوف تجودُ  
 فلا أنا مردودٌ بما جئتُ طالباً      ولا حُبُّها فيما يبيدُ يبيدُ  
 يموتُ الموصى منى إذا مالتِ يَمُها      ويحيى إذا فارقتُها ويزيدُ  
 قال : نعم ، قالتُ : لله أنت ! جعلتُ لحدِيثها مَلاحة وبشاشة ، وقتيلها شهيداً ،  
 وأنت القاتل :

ألا ليتنى أعمى أصمُّ تقودُننى      بئينة لا يخفى على مكانِها  
 قال : نعم ، قالتُ : قد رضيتُ من الدنيا أن تقودك بئينة وأنت أعمى أصم !  
 قال : نعم .

ثم دخلت على مولاتها وخرجت ، ومعها مذهبٌ فيه غالية <sup>(١)</sup> ، ومنديل فيه  
 كسوة ، وصرةٌ فيها خمسمائة دينار فصبت الغالية على رأس جميل ، حتى سالت على  
 لحيته ، ودفعت إليه الصرة والكسوة ، وقالت : أبسط لنا العذر ؛ أنت أشعرهم ،  
 وأمرتُ لأصحابه بمائة مائة .

## ٥٩ — الفرزدق وسكينة بنت الحسين \*

خرج الفرزدق<sup>(١)</sup> حاجاً ؛ فلما قضى حجة عدل إلى المدينة ، فدخل إلى سكينة بنت الحسين ، فسلم ، فقالت له : يا فرزدق ، مَنْ أشعر الناس ؟ قال : أنا ، قالت : كذبت ، أشعر منك الذى يقول :

بنفسى مَنْ تَجَنَّبُهُ عَزِيزٌ عَلَى وَمَنْ زيارته لِمَامُ  
وَمَنْ أَمْسَى وَأَصْبَحَ لَا أَرَاهُ وَبَطَرْتُ إِذَا هَجَعَ النَّيَامُ

فقال : أما والله لو أذنت لى لأسمعك أحسن منه . قالت : أقيموه ؛ فأخرج . ثم عاد إليها من الغد ، فدخل عليها ؛ فقالت : يا فرزدق ، مَنْ أشعر الناس ؟ فقال : أنا ، قالت : كذبت ، صاحبك جرير أشعر منك حيث يقول :

لولا الحياء لعادنى استعمارٌ ولزرتُ قبركِ والحبيبُ يُزارُ  
كانت إذا هجر الصَّبيحُ فراشها<sup>(٢)</sup> كُتِمَ الحديثُ وعفتِ الأسرار  
لا يلبث القرناء أن يتفرقوا ليلٌ يـُـكـرُّ عليهم ونهارُ

فقال : والله لئن أذنت لى لأسمعك أحسن منه ، فأمرت به فأخرج . ثم عاد إليها فى اليوم الثالث ، وحوالها مولاتُها كأنهن التماثيل ؛ فنظر الفرزدق إلى واحدة منهن فأعجب بها ، وبُهِتَ ينظر إليها . فقالت له

\* الأغاني : ٨ - ٣٨ ( طبعة دار الكتب ) ، مصارع العشاق : ٧٤ ، انحاسن والمساوى : ٢٣٣ ( طبع ليزج ) .

(١) هو أبو فراس همام بن غالب ، نشأ بالبصرة وأخذهُ أبوه برواية الشعر ونظمه ، فرواه ونبغ فيه ، وتعرف بولاية البصرة ومدحهم وهجاءهم ، ثم رحل إلى خلفاء بني أمية بالشام ومدحهم ونال جوائزهم . مات سنة ١١٠ هـ .

(٢) الضجيم هنا : الزوج ، وهجرها أن يغيب عنها ؛ يصفها بالغفاف .

سكينة : يا فرزدق من أشعر الناس ؟ قال : أنا ؛ قالت : كذبت ؛ صاحبك أشعر منك حيث يقول :

إنَّ العيون التي في طرفها مَرَضٌ      قتلنا ثم لم يُجِمين قتلانا  
يصرعن ذا اللبِّ حتى لا حَرَاك به      وهُنَّ أضعفُ خلقِ الله إنسانا  
فقال : لئن تركتني لأسمعَنَّ أحسنَ منه ، فأمرت بإخراجه .

فالتفت إليها ، وقال : يا بنت رسول الله ، إن لي عليك حقاً عظيماً . قالت : وما هو ؟ قال : ضربتُ إليك آباط الإبل من مكّة إرادة التسليم عليك ، فكان جزأى من ذلك تكذيبي وطردى ، وتفضيلَ جرير على ، ومنعتُ إياي أن أنشدك شيئاً من شعري ، وبى ما قد عيلَ منه صبرى ؛ وهذه المنايا تفدو وتروح ، ولعلّى لا أفارقُ المدينة حتى أموت ، فإذا أنا متَ فرى بى أن أدرج في كفى ، ثم أدفن في ثياب هذه الجارية <sup>(١)</sup> .

فضحكت سُكينة وأمرت له بالجارية ، فخرج بها آخذاً برِيطَها <sup>(٢)</sup> ؛ ثم قالت له : يا فرزدق ، احتفظ بها وأحسنْ صحبتها ، فإنى آثرتُك بها على نفسى ، بارك الله لك فيها .

قال الفرزدق : فلم أزل والله أرى البركة بدعائها في نفسى وأهلى ومالى .

---

(١) . يشير إلى الجارية التي أعجبه .      (٢) الرِبطَة : الملافة .

## ٦٠ — يوم عند امرأة من بنى أمية\*

خرج النضيب هو وكثير الأحوص<sup>(١)</sup> غيباً يوم أمطرت فيه السماء ، فقال :  
هل لكم في أن نركب جميعاً فنسير حتى نأتي العقيق ، فنمتع فيه أبصارنا ؟ فقالوا :  
نعم ؛ فركبوا أفضل ما يقدرُونَ عليه من الدواب ، ولبسوا أحسن ما يقدرُونَ عليه من  
الثياب ، وتكروا ثم ساروا حتى أتوا العقيق ، فجعلوا يتصفحُونَ<sup>(٢)</sup> ويرون بعض  
ما يشتهون ، حتى رُفِعَ لهم سوادٌ عظيم فأموه ، فإذا وصائفٌ ورجالٌ من الموالي  
ونساء بارزات ، فسألنهم أن ينزلوا فاستحيوا أن يُجيبوهنَّ من أول وهلة ؛ فقالوا :  
لا نستطيع أو نمضي في حاجة لنا ، فخلّفنهم أن يَرَجِعُوا إليهنَّ ، ففعلوا وأتوهنَّ  
فسألنهم النزول فنزلوا .

ودخات امرأة من النساء فاستأذنتُ لهم ، فلم تلبث أن جاءت المرأة فقالت :  
ادخلوا .

قال النضيب : فدخلنا على امرأة جميلة برزة على فرسٍ لها ، فرحبت ، وحيّت ؛  
وإذا كرامتي موضوعة ، فجلّسنا جميعاً في صفٍّ واحدٍ كلُّ إنسانٍ على كرسى ،  
فقلت : إن أحببتُم أن ندعو بصبي<sup>(٣)</sup> لنا فنُصَيِّحَهُ ونَعْمُكَ أذنه فعلنا ، وإن شئتم  
بدأنا بالغداء ، فقلنا : بل تدعِين بالصبي ، ولن يفوتنا الغداء .

فأومات بيدها إلى بعض الخدم ، فلم يكن إلا كلاً ولا<sup>(٤)</sup> حتى جاءت جارية

\* الأغاني . ١ — ٣٥٦ ( طبعة دار الكتب ) .

(١) هو عبد الله بن محمد بن عبد الله ، شاعر هجاء ، كان معاصراً لجريير والفرزدق ، وهو من  
سكان المدينة ، ولقب بالأحوص لضيق في مؤخر عينيه . توفي سنة ١٠٥ هـ . (٢) تصفحت  
الشيء : نظرت إليه لأنعرفه . (٣) تريد العود ؛ على التشبيه (٤) العرب إذا أرادوا تقليل مدة  
فعل أو ظهور شيء خفي قالوا : كان فعله كلاً ، وربما كرروا فقالوا : كلاً ولا . اللسان — مادة «لا» .

جميلة قد سُرْتُ بِمُطَرَفٍ ، فأمسكوه عليها حتى ذهب بُهْرُها<sup>(١)</sup> ، ثم كَشَفَ عنها ،  
وإذا جارية ذات جمالٍ ، قرييةٌ من جمال مَوَلَاتِها ، فرحبت بهم وحيثهم ، فقالت  
لها مولاتُها : خُذِي العود ويحك ! وغنى من قول النصيب ، عافى الله أبا محجن !

أَلا هل من البين المُتَرَف من بُدٍّ وهل مثلُ أيامٍ بِمَنْقُطِع<sup>(٢)</sup> السَّمَدِ !  
تَمَنَيْتُ أَيَّامِي أَوْلَىكَ وَالْمَنَى على عهد عادٍ ما تُعِيدُ<sup>(٣)</sup> ولا تُبْدِي

فَفَنَنْتُهُ ، فجاءت به كأحسن ما سمعته قط ؛ بأحلى لفظ وأشجى صوت ، ثم قالت  
لها : خُذِي أيضًا من قول أبي محجن ، عافى الله أبا محجن !

أَرْقَ الحُبُّ وعاده سَهْدُهُ لَطَوَارِقِ المَمِّ التي تَرِدُهُ  
وذَكَرْتُ من رَقَّتْ له كَبْدِي وَأَبَى فليس تَرُقْ لِي كَبْدُهُ  
لَا قَوْمُهُ قَوْمِي ، وَلَا بَلَدِي - فَتَكُونُ حِينًا حَبِيرَةً - بَلَدُهُ  
وَوَجَدْتُ وَجْدًا لم يكن أَحَدٌ قَبْلِي من أَجْلِ صَبَابَةٍ بِحِدُهُ  
إِلَّا ابْنُ عَجَلَانَ<sup>(٤)</sup> الَّذِي تَبَلَّتْ هِنْدُ فَنَاتِ<sup>(٥)</sup> بِنَفْسِهِ كَدَّهُ

قال : فجاءت به أحسن من الأول ، فكادت أظيرُ سروراً ، ثم قالت لها :  
ويحك ! خُذِي من قول أبي محجن ، عافى الله أبا محجن !  
فِيَالِكَ من لَيْلٍ تَمْتَعْتُ طُولَهُ وهل طَائِفٌ من نَائِمٍ مُتَمَتِّعٌ !

(١) البهر في الأصل : انقطاع النفس من الإعياء ، ويراد هنا : الحجل والروع (٢) منقطع  
المكان : حيث ينتهى ، والسعد : موضع قرب المدينة (٣) أى لا تائدة منها (٤) هو عبادة  
ابن مجلان ، شاعر جاهل عاشق ؛ عشق هند بنت كعب بن عمر ومات في سبيلها ، فضرَبَ الثَّلَّ  
بِشَقِهِ (تزيين الأسواق : ٢ - ٧٦) .  
(٥) أى أن السكد أهلكه وذهب بنفسه .

نعم إن ذا شَجْوٍ - متى يلقَ شَجْوَهُ      ولوناً مُسْتَعْتَبٌ<sup>(١)</sup> أو مودَّعُ  
له حاجةٌ قد طالما قد أَسْرَّها      من الناسِ في صدرٍ بها يتصدَّعُ  
تَحَمَّلَهَا طُولَ الزمانِ اعلمها      يكونُ لها يوماً من الدهرِ مَنزَعُ  
وقد قُرِعتْ في أمِّ عمرو إلى العِصا      قديماً ، كما كانت لدى الحِلْمِ تُقَرَّعُ<sup>(٢)</sup>

قال : فجاءت والله بشيء حَيَّرَنِي وأذهلني طرّاً بالحسن الغناء ، وسروراً باختيارها  
الغناء في شعري ، وما سمعتُ فيه من حُسْن الصَّنْعة وجَوْدتها وإحكامها . ثم قالت  
لها : خذِي أيضاً من قول أبي محجن ، عافى الله أبا محجن :

يأيتها الرِّبْ كَبُ إني غيرُ تابِكم      حَتَّى تُتَلَّوْا وَأَتَمَّ بِي مُلُونَا  
فما أرى مثلكم ركباً كَشَلِكُم      يدعوهم ذُو هَوًى إلا يَعُوجُونَا  
أم خَبَرُونِي عن دَائِي بعلِكُم      وأعلمُ الناسِ بالداءِ الأطْبُونَا<sup>(٣)</sup>

قال نصيب : فوالله لقد زُهَيْتُ بما سمعت زهواً ، خَيْلَ إلى أُنَى من قُرَيْشٍ ،  
وأن الخلافة لي ، ثم قالت : حَسْبُكَ يَا بُنَيَّةُ ، هاتِ الطعامَ يا غلامَ ؛ فوثبَ الأُحوصُ  
وكثيّرٌ ، وقالوا : والله لا نَطْعَمُ لَكَ طَعاماً ، ولا نَجلسُ لَكَ في مجلسٍ ، فقد أَسأتِ  
عِشْرَتَنَا واستخففتِ بنا ، وقد مَتَّ شِعْرَ هذا على أشعارنا ، واستمعت الغناء فيه ؛  
وإن في أشعارنا لَمَّا يَفْضُلُ شِعْرَهُ ، وفيها من الغناء ما هو أحسنُ من هذا ، فقالت :  
على معرفةٍ كلُّ ما كان مني !

(١) الاستعتاب : طلب العتبي وهو الرضا (٢) يشير إلى التثنية : « إن العِصا قرعت لدى الحِلْمِ » يضرب لمن إذا نه انتبه ، والمعنى أنه قد لِم قديماً في حبها (٣) الأطبون : البارعون في الطلب .



ثم خرجا مُغْضِبَيْنِ وَاحْتَبَسْتَنِي . فتغديت غندها ، وأمرت لي بثلاثمائة دينار وحُلَّتَيْنِ وطيبٍ ، ثم دفعتُ إلى مائتي دينار ، وقالت : ادفعا إلى صاحبك ، فإن قَبَلَاها وإلا فهي لك .

فأتيتهما منازلهما فأخبرتتهما القصة ، فأما الأصوص فقَبِلَها ، وأما كثير فلم يقبلها وقال : لعن الله صاحبك وجائزتها ولعنك معها ، فأخذتها وانصرفتُ .

قال الراوى : فسألتُ النصيب : مِمَّنْ المرأةُ ؟ قال : من بنى أمية ، ولا أذكر اسمها ما حيتُ لأحد .

## ٦١ — حديث عائشة بنت طلحة مع النميري\*

لَمَّا تَأَيَّمَتْ<sup>(١)</sup> عَائِشَةُ بِنْتُ طَلْحَةَ كَانَتْ تَقِيْمُ بِمَكَّةَ سَنَةً وَبِالْمَدِيْنَةِ سَنَةً؛ وَتَخْرُجُ إِلَى مَالِ<sup>(٢)</sup> عَظِيْمٍ لَهَا بِالطَّائِفِ ، وَقَصْرِ كَانَ لَهَا هُنَاكَ فَتَنْزِلُهُ فِيهِ ، وَتَجْلِسُ بِالْعَشِيَّاتِ ، فَيَتَنَاضَلُ بَيْنَ يَدَيْهَا الرُّمَاءُ .

فَرَبَّهَا النَّمِيرِيُّ الشَّاعِرُ<sup>(٣)</sup> ، فَسَأَلَتْ عَنْهُ فَتُسَبِّحُ لَهَا ، فَقَالَتْ : ائْتُونِي بِهِ فَأَتَوْهَا بِهِ . فَقَالَتْ لَهُ : أَتَشِدُّنِي بِمَا قُلْتَ فِي زَيْنَبِ<sup>(٤)</sup> ؟ فَامْتَنَعَ عَلَيْهَا وَقَالَ : تِلْكَ ابْنَةُ عَمِّي ، وَقَدْ صَارَتْ عَظَامًا بِالْيَةِ ، قَالَتْ : أَقَسَمْتُ عَلَيْكَ بِاللَّهِ إِلَّا فَعَلْتُ ؛ فَأَنْشَدَهَا قَوْلَهُ :

نَضَوَعَ مِسْكَابُنُ نَعْمَانَ<sup>(٥)</sup> إِذْ مَشَتْ بِهِ زَيْنَبُ فِي نِسْوَةِ عَطِرَاتِ  
تَهَادَيْنَ مَا بَيْنَ الْمُحْصَبِ<sup>(٦)</sup> مِنْ مَنَى وَأَقْبَلْنَ لَا شُعْمًا وَلَا غَبِيرَاتِ  
أَعَانَ الَّذِي فَوْقَ السَّمَوَاتِ عَرْشَهُ مَوَاشِيََ بِالْبَطْحَاءِ مُؤْتَجِرَاتِ<sup>(٧)</sup>  
مَرَزْنَ بِفَخٍّ<sup>(٨)</sup> ، ثُمَّ رُحْنَ عَشِيَّةٍ يَلْبَسِينَ لِلرَّحْنِ مُعْتَمِرَاتِ

\* الأغانى . ٦ - ٢٠٣ ( طبعه دار الكتب )

(١) تأيأت المرأة : إذا مات عنها زوجها ولم تتزوج . وقد كانت عائشة عند عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر فهلك عنها فتزوجها بعده مصعب بن الزبير فقتل عنها ، ثم تزوجها عمر ابن عبد الله بن معمر ، فمات عنها ، فلم تتزوج بعده . توفيت سنة ١١٠ (٢) المال : ما ملكه الإنسان من كل شيء . (٣) هو محمد بن عبد الله ، من ثقيف ، شاعر غزل مولد من شعراء الدولة الأموية . توفي سنة ٩٠ هـ . (٤) هي زينب بنت يوسف بن الحكم أخت الحجاج الثقفي ، وللنميري فيها أشعار كثيرة : شبيب بها في حياتها وراثها بعد موتها (٥) بطن نعمان : موضع بين مكة والطائف (٦) المحصب : موضع بين مكة ومنى (٧) مؤتجرات : طالبات للأجر (٨) فخ : موضع ؛ بينه وبين مكة ثلاثة أميال .

يَحْبِئُنْ أَطْرَافَ الْبَنَانِ مِنَ التَّقَى وَيَقْتُلُنْ بِالْأَلْحَظِ مُقْتَدِرَاتِ  
تَقْسَمُنْ لِيَّ يَوْمَ نَعْمَانِ لِمَتْنِي رَأَيْتِ فَوَادِي عَارِمٍ <sup>(١)</sup> النَّظَرَاتِ  
جَلُودَ وَجُوهَا لَمْ تَلَحْهَا سَمَائِمُ حَرُورٍ ، وَلَمْ يُسَفِّعْنِ بِالسَّيَرَاتِ <sup>(٢)</sup>

\*\*\*

وَلَمَّا رَأَتْ رَكْبَ الْفَيْرَى رَاعَهَا وَكُنْ مِنْ أَنْ يَلْقَيْنَهُ حَذَرَاتِ  
فَأَذْنَيْنِ حَتَّى جَاوَزَ الرِّكْبُ دُونَهَا حِجَابًا مِنَ الْقَسَى <sup>(٣)</sup> وَالْحَبَرَاتِ  
فَكِدْتُ اشْتِيَاقًا نَحْوَهَا وَصَبَابَةً تَقْطَعُ أَنْفَاسِي لِأَثَرِهَا حَسَرَاتِ  
فَرَاغْتُ نَفْسِي وَالْحَفِيزَةَ بَعْدَهَا بَلَلْتُ رِداءَ الْعَصَبِ <sup>(٤)</sup> بِالْعَبَرَاتِ <sup>(٥)</sup>

فَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا قُلْتُ إِلَّا جَمِيلًا ، وَلَا ذَكَرْتُ إِلَّا كَرَمًا وَطِيبًا ، وَلَا وَصَفْتُ  
إِلَّا دِينَارًا وَتَقَى ! أَعْطَوْهُ أَلْفَ دَرَاهِمٍ .

فَلَمَّا كَانَتْ الْجُمُعَةُ الْآخَرَى تَعَرَّضَ لَهَا ؛ فَقَالَتْ : عَلَىَّ بِهِ ، فَأَحْضَرَ . فَقَالَتْ لَهُ :  
أُنْشِدْنِي مِنْ شَعْرِكَ فِي زَيْنَبَ ، فَقَالَ لَهَا : أَوْ أُنْشِدُكَ مِنْ شَعْرِ الْحَارِثِ بْنِ خَالِدٍ  
فِيكَ ؟ فَوُثِبَ مَوَالِيهَا إِلَيْهِ ؛ فَقَالَتْ : دَعُوهُ فَإِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَسْتَقِيدَ <sup>(٦)</sup> لِبَنَتِ عَمِّهِ ؛  
هَاتِ مِمَّا قَالَ الْحَارِثُ فِيَّ فَأُنْشِدْهَا <sup>(٧)</sup> :

(١) عارم النظرات : شديدها (٢) لاحته الشمس : لفحته وغيرت وجهه ، والسائم : جمع سموم وهي ريح حارة ، وسففته : غيرته . والسبرات : جمع سبرة وهي شدة البرد (٣) القسى : نوع من الثياب ، والحبرات : ضرب من برود الين (٤) العصب : يرود يصبغ غزلها ثم تنسج (٥) روى أن هذه القصيدة حينما بلغت عبد الملك بن مروان كتب إلى الحجاج : « قد بلغني قول الحبيث في زينب ، فإله عنه ، وأعرض عن ذكره ؛ فإنك إن أدنيتيه أو عاتبتيه أطعته ، وإن عاتبتيه صدقته » (٦) يأخذ بثأرها (٧) قال الحارث بن خالد هذه الأبيات حين تزوج مصعب بن الزبير عائشة ، ورحل بها إلى العراق . والحارث بن خالد : أحد شعراء قريش المدودين الغزاليين ، وكان يذهب مذهب عمر بن أبي ربيعة في شعره ، لا يتجاوز الغزل إلى المديح والهجاء إلا نادراً .

ظَمَنَ الأميرُ بأحسنِ الخلقِ      وغدا بلبك مَطْلَعُ الشَّرْقِ  
في البيتِ ذى الحسبِ الرفيعِ ومن      أهلِ التَّقَى والبرِّ والصَّدْقِ  
ما صَبَّحَتْ أحداً برويتها      إلا غدا بكواكبِ الطَّلَقِ <sup>(١)</sup>  
فَقالتِ : والله ما ذكر إلا جميلاً ؛ ذكر أني إذا صَبَّحْتُ زوجي بوجهي غدا  
بكواكبِ الطَّلَقِ ، وأنى غدوتُ مع أمير تزوجني إلى الشرق ، وأنى أحسنُ الخلقِ  
في البيتِ ذى الحسبِ الرفيعِ ؛ أعطوه ألف درهمٍ واكسوه حلتين ، ولا تَمُدْ لِيَتِياننا  
بعد هذا يا نَميرى .

---

(١) يقال : يوم طلق ؛ أى مشرق معتدل ، وهو يريد : أن من تصبحه برويتها يرى اليوم  
نجماً سعيداً .

٦٢ — أتريد أن تقتلني ؟ \*

أقبل أبو العباس السفاح<sup>(١)</sup> على أخى أم سلمة<sup>(٢)</sup> بنت يعقوب، فسأله التزويج بها فزوجه إياها ، فأصدقها خمسمائة دينار ، وأهدى مائتي دينار ، ودخل عليها من ليلته ، وحظيت عنده ، وحلف ألا يتزوج عليها ولا يتسرى ، وغلبت عليه غلبة شديدة حتى ما كان يقطعُ أمراً إلا بمشورتها وبأمرها ، ثم أفضت الخلافةُ إليه ، فوقى لها بما حلف .

فلما كان ذات يوم في خلافته خلا به خالد بن صفوان ؛ فقال: يا أمير المؤمنين إنى فكرت في أمرك ، وسعة ملكك ، وقد ملكت نفسك امرأة واحدة ، فإن مرضت مرضت ، وإن تألمت ألمت ، وحرمت نفسك الجوارى ، والتمتع بما تشهى منهن ؛ فإن منهن - يا أمير المؤمنين - الطويلة العيذاء<sup>(٣)</sup> ، وإن منهن الفضة ، والدقيقة السمراء ، من مولدات المدينة ؛ ولورأيت يا أمير المؤمنين الطويلة البيضاء ، والسمراء اللعساء<sup>(٤)</sup> ، من مولدات البصرة والكوفة ، وذوات الألسن العذبة والقُدود المهففة ، وحسن زيهن وزيتهن ، وشكلهن لرأيت شيئاً حسناً .

\* المحاسن والمساوى : ٤٣٠ ( طبع ليزج ) ، ثمرات الأوراق : ٢ - ٢٩٢ ، السعوى :

٢ - ٢١٥ .

(١) هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، رأس الدولة العباسية . بوبع بالخلافة سنة ١٣٢ ومات سنة ١٣٦ (٢) كانت عند عبد العزيز بن الوليد فهلك عنها ، ثم كانت عند هشام فهلك عنها (٣) القيذاء : الثنية ليناً (٤) اللس : سواد مشرب بحمرة .  
( ١١ - قصص العرب - ثان )

وَأَيْنَ أَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ بَنَاتِ الْأَحْرَارِ ، وَالنَّظَرُ إِلَى مَا عِنْدَهُنَّ مِنَ  
الْحَيَاءِ وَالتَّخَفُّرِ !

وجعل خالد يجيد في الوصف ، ويجد في الإطناب ، بحلاوة لفظه وجودة  
وصفه .

فلما فرغ قال له أبو العباس : ويحك يا خالد ! ماصك مسامي - والله - قط  
كلام أحسن مما سمعته ، فأعذ علي كلامك ؛ فقد وقع مني موقعا . فأعاد عليه خالد  
الكلام أحسن مما ابتدأه ، ثم انصرف .

وبقي أبو العباس مفكرا فيما سمع منه ، فدخلت عليه أم سلمة امرأته . وكانت  
تبره كثيرا ، وتحري مسرته وموافقته في جميع ما أراده - فقالت له : إني  
لأنكرُك يا أمير المؤمنين ؛ فهل حدث أمر تكررهُ ؟ أو أتاك خبر فارتعت له ؟  
قال : لم يكن من ذلك شيء !

قالت : فما قصتك ؟ فجعل ينزوي عنها ؛ فلم تزل به حتى أخبرها بمقالة خالد له ،  
فقالت : فما قلت له ؛ إنه ... قال : سبحان الله ينصحنى وتشتمينه !

فخرجت من عنده مغضبة ، وأرسلت إلى خالد بعض خدمها ، وأمرتهم ألا  
يتركوا منه عضوا صحيحا .

قال خالد : فانصرفتُ إلى منزلي ، وأنا مسرور بما رأيتُ من أمير المؤمنين ؛  
وإعجابه بما ألقىته إليه . ولم أشك أن صلته ستأتينني ، فلم ألبث حتى صار إلي  
أولئك الخدم ، وأنا قاعد على باب داري ؛ فلما رأيهم قد أقبلوا نحوي أيقنتُ  
بالجائزة ، حتى وقفوا علي ؛ فسألوا عني ؛ فقلت : هاأنذا خالد ؛ فسبق إلي أحدكم

بهرآوة كانت معه ، فلما أهوى بها إلى وثبت فدخلت منزلى ، وأغلقت الباب على واستترت ، ومكثت أياماً على تلك الحال لا أخرج من منزلى ، ووقع فى خلدى أنى أتيت من قبل أم سلمة .

وطلبنى أبو العباس طلباً شديداً ، فلم أشعر ذات يوم إلا بقوم قد هجموا على وقالوا : أجب أمير المؤمنين ، فأيتت بالموت .

ولما وصلت إلى الدار أوماً إلى بالجلوس ، ونظرت فإذا خلف ظهرى باب عليه ستور قد أرخيت ، وحركة خلفها ! فقال : يا خالد : لم أرك منذ ثلاث . قلت : كنت عليلًا يا أمير المؤمنين : قال : ويحك ! إنك وصفت لى فى آخر دخلة من أمر النساء والجوارى ما لم يخرج مسامعى قط ؛ فأعده على .

قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، أعلمتك أن العرب اشتقت الضرّة من الضرّ ، وأن أحدهم ما تزوج من النساء أكثر من واحدة إلا كان فى جهدي<sup>(١)</sup> ، فقال : ويحك ! لم يكن هذا فى الحديث ، قلت : بلى والله يا أمير المؤمنين ، وأخبرتكم أن الثلاث من النساء كأتاني<sup>(٢)</sup> القدرين على عليهن . قال أبو العباس : برئت من قرابتى من رسول الله إن كنت سمعت هذا منك فى حديثك ! قلت : وأخبرتكم أن الأربعة من النساء شرّ لصاحبهن يُشيبنه ويهرّ منه ويُسقمه . قال : ويلك ! والله ما سمعت هذا الكلام منك ولا من غيرك قبل هذا الوقت . قلت : بلى والله ، قال : وتلك ! أوتكذّبنى ! قلت : وتريد أن تقتلنى يا أمير المؤمنين !

قال خالد : فسمعت الضحك من وراء الستر . قلت : نعم ، وأخبرتكم أيضاً أن  
بنى مخزوم ريمانة قريش ، وأنت عندك ريمانة من الرياحين ، وأنت تطعم بعينيك  
إلى حرائر النساء وغيرهن من الإماء .

فقبل لى من وراء الستر : صدقت والله ياعمته وبررت ، بهذا حدثت أميراً  
للمؤمنين ، ولكنه بدل وغير ، ونطق عن لسانك !

فقال أبو العباس : مالك قاتلك الله وأخزأك ، وفعل بك وفعل !  
فتركته وخرجت ، وقد أيقنت بالحياة ، فما شعرت إلا برسل أم سلمة قد صاروا  
إلى ، ومعهم عشرة آلاف درهم ونحت<sup>(١)</sup> ويرذون وغللام .

---

(١) النحت : وعاء يسان فيه الثياب .



### ٦٣ — بعد أن ذهب الملك\*

كانت الخيزران<sup>(١)</sup> أم الهادي والرشيد في دارها ، وعندها أمهات أولاد الخلفاء وغيرهن من بنات بني هاشم ؛ فبينما هي كذلك إذ دخلت عليها جارية من جواربها ، فقالت : أعز الله انسيدة ! بالبواب امرأة ذات حسن وجمال ، في أطمار رثة ، وليس وراء ما هي عليه من سوء الحال غاية ، تأتي أن تُخبر باسمها ، وهي تروم الدخول .

فقالت الخيزران للجارية : أدخلها ، فإنه لا بد من فائدة أو ثواب ، فدخلت امرأة ذات بهاء وجمال ، في أطمار رثة ؛ فوقفت بجانب عضادة الباب ثم سلّمت متضائلة ، وتكلمت فأوضحت عن بيان ولسان . فقالت : من أنت ؟

قالت : أنا مزنة زوج مروان بن محمد ، وقد أصارني الدهر إلى ما ترين ، ووالله ما الأطمار الرثة التي على إلا عارية ، وإنكم لما غلبتمونا على هذا الأمر ، وصار لكم دوننا لم نأمن مخالطة العامة — على ما نحن فيه من الضرر — على بادرة إلينا تنزيل موضع الشرف ؛ فقصدناكم لتكون في حجابكم على أية حال كانت ؛ حتى تأتي دعوة من له الدعوة .

---

\* ثمرات الأوراق : ١ - ٢١٨ ، السعدي : ٢ - ٢٤٩ .

(١) هي زوجة المهدي العباسي ، وأم الهادي والرشيد ، يمانية الأصل ، ولها ولي ابنها الهادي استبديت بالأمور دونه ، فكانت المواقب تندو وتروح إلى بابها فنمها الهادي من ذلك . وكانت حازمة ، توفيت في خلافة الرشيد سنة ١٨٣ .

فاغرورقت عينا الخيزران بالدموع ، ونظرت إليها زينب<sup>(١)</sup> بنت سليمان بن علي فقالت : لا خففَ الله عنك يا مَرْزَنَة ! أتذكرين وقد دخلتُ إليك وأنت على هذا البساط بعينه ، فكلمتُك في جنة إبراهيم الإمام ، فاتهرتِني ، وأمرت بإخراجي ، وقلت : ما للنساء والدخول على الرجال في آرائهم ! فوالله لقد كان مَرْوانُ أَرْغَى للحق منك ! لقد دخلتُ إليه فحلفَ إنّه ما قتله - وهو كاذب - وخيّرني بين أن يدفنه ، أو يدفعَ إلى جُنته ، وعرض على مالا فلم أقبله .

فقال مَرْزَنَة : والله ما أداني إلى هذه الحال التي ترىها إلّا تلك الفِعال التي كانت مني ، وكأنك استحسنيتها ، فخرشتِ الخيزران على مثلها ؛ إنما كان يجب أن تحضّيها على فعلِ الخير ، وتركِ المقاتلة بالشر ؛ لتُخْرِزَ بذلك نعيمها ، وتُصَوِّنَ دينها ثم قالت لزينب : يا بنت عم ؛ كيف رأيت صَنِيعَ الله بنا في العقوق ، فأُحْبِيتِ التامس بنا ! ثم ولّت باكية .

فأشارت الخيزران إلى جارية من جواريتها ، فعدلت بها إلى بعض المقاصير ، وأمرت بتغيير حالها والإحسان إليها .

فلما دخل المهدي عليها - وقد انصرفت زينب - قصّت الخيزران عليه قصتها ، وما أمرت به من تغيير حالها ؛ فدعا بالجارية التي رَدَّتْها ، فقال لها لما رددتها إلى المقصورة : ما الذي سمعتها تقوله ؟ قالت لحقتها : وهي تبكي في خروجها ، وتقرأ : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ ، فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ .

(١) كان المهدي قد تقدم إلى الخيزران بأن تلزم زينب بنت سليمان ، وقال لها : اتبسي من آدابها ، وخذي من أخلاقها ، فإنها عجوز لنا قد أدركت أوائلنا .

ثم قال للخيزران : والله لو لم تفعلى بها ما فعلت ما كنتك أبداً ، وبكى بكاءً كثيراً ، وقال : اللهم إني أعوذ بك من زوال النعمة !

ثم بعث جارية إلى مقصورتها التي أخليت لها ، وقال للجارية : اقرئ عليها السلام ، وقرئ لها : يا بنت عم ؛ إن أخواتك قد اجتمعن عندي ، ولولا أنى ابن عمك لجنناك !

فلما سمعت الرسالة علمت مراد المهدى ، فجاءت تسحب أذيالها فأمرها بالجلوس ، ورحب بها ورفع منزلتها .

ثم تذكروا أخبار أسلافهم ، وأيام الناس والدولة وتنقلها ؛ فتركت لأحد فى المجلس كلاماً !

فقال لها المهدى : يا بنت عم ؛ والله لولا أنى لا أحب أن أجعل لقويم أنت منهم فى أمرنا شيئاً لتزوجتك ، ولكن لا شيء أضون لك من حجابى ، وكونك مع أخواتك فى قصرى ؛ لك ماهن ، عليك ماغيهن ، إلى أن يأتيك أمر من له الأمر فيما حكم به على الخلق .

ثم أخذتها<sup>(١)</sup> وأجازها ، فأقامت فى قصره إلى أن قضى المهدى والمهادى ، ومضى صدر من أيام الرشيد وماتت فى خلافة ؛ فجزع عليها جزعاً شديداً .

---

(١) أخذت فلانا . أعطيته خادماً يخضعه .

## ٦٤ — أم أمير المؤمنين بالباب \*

كانت أم جعفر <sup>(١)</sup> بن يحيى أرضعت الرشيد <sup>(٢)</sup> مع جعفر ، لأنه كان رُبِّي في حجرها ، وغذِّي برِسلها <sup>(٣)</sup> إذ أن أمه ماتت عن مَهْدِهِ ، فكان الرشيد يشاورها ، مُظهِراً لإكرامها ، والتبرُّك برأيها . وكان آلى - وهو في كفالتها - ألا يحجبها ، ولا استشفعته لأحد إلا شفّعها ، وآلت عليه أم جعفر ألا دخلت عليه إلا مأذوناً لها ، ولا شفّعت لأحدٍ مقترف ذنباً ، فكم أسير فكّت ، ومُبهمّ عنده فتحت ، ومستغلق منه فرجّت !

وتغيّر الرشيد على البرامكة <sup>(٤)</sup> ، فقتل جعفرأ ، وسجن يحيى والفضل ، وسجن معهما أقاربهما ، واستصفى ضياعهم وأموالهم . ثم احتجب عن الناس ، فسعت إليه أم جعفر ، وطلبت الإذن عليه ومثّت <sup>(٥)</sup> بوسائلها إليه ، فلم يأذن لها ، ولا أمر بشيء فيها ، فلما طال ذلك بها خرجت كاشفةً وجهها ، واضعةً لثامها ، محتفية <sup>(٦)</sup> في مشيها ، حتى صارت بباب قصر الرشيد .

فدخل عبد الملك بن الفضل الحاجب ، فقال : ظنُّرُ أمير المؤمنين بالباب ، في حالةٍ تقلب شماتة الحاسد ، إلى شفقة أم الواحد . فقال الرشيد : ويحك يا عبد الملك !

\* العقد الفريد . ٣ - ٣٣ .

- (١) هي فاطمة بنت محمد بن الحسين بن قحطبة (٢) هو هارون الرشيد بن محمد المهدي ، كان ديناً محافظاً كثير الجهاد ، وافر العطاء ؛ توفي سنة ١٩٣ هـ (٣) الرسل : اللب .  
(٤) كانت نسكة البرامكة سنة ١٨٧ هـ ؛ بعد عودة الرشيد من الحج  
(٥) متت : توسلت (٦) احتفى : مشى حافياً .

أو ساعية ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين وحافية ! قال : أدخلها يا عبد الملك ، فرب كبد غدتها ، وكربة فرجتها ، وعورة سقرتها ! .

ودخلت ، فلما نظر الرشيد إليها داخلّة محتضية ، قام محتضياً حتى تلقاها بين عمد المسجد ، وأكب على تقبيل رأسها ، ثم أجلسها معه ؛ فقالت : يا أمير المؤمنين ؛ أيمدو علينا الزمان ، ويحفونا خوفاً لك الأعوان ، ويحردك<sup>(١)</sup> بنا البهتان ، وقد ربيتك في حجرى ، وأخذت برضاعتك الأمان من عدوى ودهرى ؛ فقال لها : وماذا يا أم الرشيد ؟ قالت : ظنرك<sup>(٢)</sup> يحبى وأبوك ، ولا أصفه بأكثر مما عرفه به أمير المؤمنين ؛ من نصيحتة له ، وإشفاقه عليه . . .

فقال لها : يا أم الرشيد ، أمر سبق ، وقضاء حم<sup>(٣)</sup> ، وغضب من الله نفذ . فقالت : يا أمير المؤمنين ﴿ يَمْخُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ . فقال : صدقت ، فهذا مما لم يمنحه الله . فقالت : الغيب محجوب عن النبيين ، فكيف عنك يا أمير المؤمنين ! فأطرق الرشيد ملياً ، ثم قال :

وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ<sup>(٤)</sup>

فقال : بغير رواية : ما أنا ليحيى بتيمية يا أمير المؤمنين ، وقد قال الأول<sup>(٥)</sup> :

وَإِذَا افْتَقَرْتَ إِلَى الذَّخَائِرِ لَمْ تَجِدْ ذَخْرًا يَكُونُ كَصَالِحِ الْأَعْمَالِ

هذا بعد قول الله عز وجل : ﴿ وَالْكَافِرِينَ الْغَيْظُ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ

وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

(١) يحردك : يفضبك (٢) الظئر : من يطف على ولد غيره - للذكر والانتى .  
(٣) حم : نزل ووقع (٤) التيمية : خزيمة كان العرب في جاهليتهم يملقون العدد منها على أولادهم وقاية لهم من العين ، والبيت لأبى ذؤيب (٥) البيت للأخطل .

فأطرق الرشيد ثانية ، ثم قال : يا أم الرشيد ، أقول :  
إذا انصرفتْ نفسى عن الشيء لم تَكْذُ إليه **بوجه** آخر الدهر تُقبل  
فقلت : يا أمير المؤمنين ، وهو يقول أيضاً<sup>(١)</sup> :

سَتَقَطْعُ في الدنيا - إذا ما قطعتنى - يمينك ، فانظر أى كَف تبدل !  
فقال هارون : رضيت ! فقلت : هَبْهُ لى يا أمير المؤمنين ، فقد قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم : « مَنْ تَرَكَ شيئاً ، لم يُوجدْهُ الله لفقهه » ، فأكبّ ملياً ،  
ثم رفع رأسه وقال : ﴿ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ﴾ . فقلت : يا أمير المؤمنين ،  
﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَقَرُّحُ الْمُؤْمِنُونَ يَنْصَرُّ اللَّهُ يَنْصَرُّ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ ،  
واذكر يا أمير المؤمنين أَلَيْتَكَ<sup>(٢)</sup> : ما استشفعتُ إلا شَفَعْتَنى ! فقال : واذكرى  
يا أم الرشيد أَلَيْتَكَ إلا شَفَعْتَ لمقترف ذنباً . فلما رآته قد صرَّح بمنعها ، ولأذ عن  
مطلبها ، أخرجت حقاً من زُمُرْدَةٍ خضراء فوضعتْ بين يديه ، فقال الرشيد : ما هذا ؟  
ففتَحْتُهُ ، وأخرجت منه ذوائبه وثناياه ، وقد غَمَسَتْ جميع ذلك فى المسك .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، أستشفع إليك ، وأستعين بالله عليك ، وبما صار  
معى من كريم جسدك ، وطيب جوارحك أن تشفِّعنى فى عبدك يحبى .

فأخذ هارون ذلك ، ولثمه ، ثم بكى طويلاً ، فأبكى أهلَ المجلس ، وذهب  
البشيرُ إلى يحى وهو لا يظنُّ إلا أن البكاء رحمةٌ له ورجوعٌ عنه . فلما أفاق رعى  
جميع ذلك فى الحَقِّ ، وقال لها : لَحَسَنٌ ما حفظتِ الوديعه . فقلت : وأهلٌ  
للكفاة أنت يا أمير المؤمنين .

---

(١) هذا البيت والذى قبله لعن بن أوس . (٢) الآية : الحلفة .

فسكت وأقلل الحقّ، ودفعه إليها ، وقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّذُّوا  
الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ . فقالت : والله يقول : ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ  
تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ ، ويقول : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ ﴾ . ثم قال : وما  
ذاك يا أمّ الرشيد ؟ قالت : أو ما أقسمت ألا تمجّبنى ولا تتمهنى .

فقال : أحب يا أمّ الرشيد أن تبيعينى ذلك محكّمة فيه . فقالت : أنصفت  
يا أمير المؤمنين ، وقد فعلتُ غير مستقيمة لك ، ولا راحة عنك . فقال : بكم ؟  
قالت : برضاك عن لم يُسْخِطَكَ . فقال : يا أمّ الرشيد ؛ أمالى من الحقّ عليك  
مثل الذى له ؟ قالت : بلى ! أنت أعزّ علىّ وهو أحبّ إلىّ . قال : فتحكى فى تمنّيةٍ  
بغيره . فقالت : قد وهبْتُكَ وجملتك فى حلٍّ منه ؛ وقامت عنه غضبى ، وبقي  
مبهوتاً ، ما يُحِيرُ لَفْظَةً .

## ٦٥ - كريم يجمع بين زوجين \*

قال إبراهيم بن ميمون : حججتُ في أيام الرشيد<sup>(١)</sup> ، فبينما أنا بمكة أجول في سَككِهَا إذا أنا يسوداء قائمة ساهية ، فأنكرتُ حالها ، ووقفت أنظر إليها ، فسكتُ كذلك ساعة ثم قالت :

أَعْمَرُوْهُ عِلَامَ نَجَبَتِي أَخَذْتُ فَوَادِي فَعَذَّبْتِي !  
فَلَوْ كُنْتُ يَا عَمْرُو خَيْرَتِي أَخَذْتُ حَذَارِي فَمَا نَلْتَنِي

فدنوت منها ، فقلت : يا هذه ؛ مَنْ عمرو ؟ فارتاعت من قولي ، وقالت : زوجي . فقلت : وما شأنه ؟ قالت : أخبرني أنه يهواني وما زال يدس إليّ ، ويلقي بي في كُلِّ طريق ، ويشكو شدةَ وَجْدِهِ حتى تزوجني ، فلبث معي قليلاً ، وكان له عندي من الحبِّ مثل الذي كان لي عنده ، ثم مضى إلى جُدة ، وتركني قلت : صفه لي ، فقالت : أَحْسَنُ مَنْ تراه ، وهو أَسْمَرُ حُلُوْظَرِيْف .

قلت : فخبريني ، أنحبين أن أجمع بينكما ؟ قالت : فكيف لي بذلك ! وظننتي أهزل بها .

فركبتُ راحلتي ، وصرت إلى جُدة ، فوقفت في المرق أنبصرُ من يعمل في السفن ، وأصوتُ<sup>(٢)</sup> يا عمرو ! يا عمرو ! فإذا به خارجٌ من سفينة وعلى عنقه صَنْ<sup>(٣)</sup> ، فعرفته بالصِّفَّة .

\* مصارع المشاق : ١٥٩ .

(١) انظر صفحة ١٦٢ (٢) أصوت : أنادى (٣) الصن : شبه السلة المطبقة ؛ يعمل فيها الطعام . الحنز .



فقلت : « أعمرو ، علام تجنبتني ! » فقال : هيه ! هيه ! رأيته ، وسمعت منه !  
ثم أطرق هنيهة ، واندفع يفتنيه ، فقلت : ألا ترجع ! فقال : بأبي أنت ! ومن لي  
بذلك ؟ ذلك والله أحب الأشياء إليّ ، ولكن منع منه طلبُ المعاش . قلت : كم  
يكفيك كل سنة ؟ قال : ثلاثمائة درهم ، فأعطيته ثلاثة آلاف درهم ، وقلت : هذه  
لعشر سنين ، ورددته إليها ، وقلت له : إذا فنيت أو قاربت الفناء قدمي على  
وأعطيتك ، وإلا وجهت إليك . وكان ذلك أحب إليّ من حبيبي .

## ٦٦ - أعرايةٌ على قبرِ زوجها \*

قال الأصمعي<sup>(١)</sup> : دخلتُ بعضَ مقابرِ الأعرابِ ، ومعى صاحبٌ لى ، فإذا جارية على قبر كأنها تمثال ، وعليها من الحلَى والحلل ما لم أر مثله ، وهى تبكى بعين غزيرة ، وصوتٍ شَجِيٍّ ! فالتفتُ إلى صاحبى ؛ فقلت : هل رأيتَ أعجبَ من هذه ؟ قال : لا والله ، ولا أحسبني أراه !

ثم قلتُ : يا هذه : إني أراك حزينة وما عليكِ زِيَّ الحزن ! فأنشأت تقول :

فإن تسألانى : فِيمَ حزنى ؟ فإنتى رهينةُ هذا القبرِ يا فتياتِ -  
وإنى لأستحييه والتربُّ بيننا كما كنتُ أستحييه حين يرانى

ثم اندفعت فى البكاء ، وجعلت تقول :

يا صاحب القبر ، يَأْمَنُ كان ينعم بى بآلا ، ويكثرُ فى الدنيا مُواساتى  
قد زرتُ قبرك فى حَلِيٍّ وفى حُلَى كأننى لستُ من أهل المصيبات  
أردت آتيك فيما كنتُ أعرفه أن قد تسرُّ به من بعض هيتائى  
فمن رَأَى رَأَى عَبرى موله عجيبة الزى تبكى بين أموات !

## ٦٧ — على قبور الزاهبين \*

قال الأصمعي :

دَفَعْتُ يوماً في تَلَمُّسِي بالبادية إلى وادٍ خَلَاءَ ، لا أُنِيسَ به إلا بيت مُعْتَنَزٍ <sup>(١)</sup> ،  
بفنائِه أعز ، وقد ظَمِئْتُ ، فيمِئْتُهُ فسَلَمْتُ ، فإذا عجوزٌ قد برزت كأنها نعامه  
راخِم <sup>(٢)</sup> ، فقلت : هل من ماء ؟ فقالت : أو لَبَنٍ ! فقلت : ما كان بُغِيثِي إلا الماء ،  
فإذ يَسَّرَ الله اللبن فإنِّي إليه فقير .

فقامت إلى قَعْبٍ فأفرغت فيه ماء ، ونظَّفت غَسَلَه ، ثم جاءت إلى الأعز  
فتغَيَّرَتِهِنَّ <sup>(٣)</sup> حتى احتلبتُ قُرَاب <sup>(٤)</sup> مِلء القَعْب ، ثم أفرغت عليه ماء حتى رَغَا ،  
وظفت ثُمَالَتِه <sup>(٥)</sup> ، كأنها غمامةٌ بيضاء ، ثم ناولتني إياه فشربت حتى تحبَّبت <sup>(٦)</sup>  
ريًّا ، واطمأننتُ .

فقلت : إني أركُ مُعْتَنَزَةً في هذا الوادي الموحش ، والحِلَّة <sup>(٧)</sup> منك قريب ،  
فلو انضمتِ إلى جنسائِهِنَّ <sup>(٨)</sup> فأنستِ بهن . فقالت : يا بن أخي ! إني لَأَنْسُ  
بالوَحْشَةِ وأستريح إلى الوحدة ، ويطمئنُّ قلبي إلى هذا الوادي الموحش ، فأتذكر  
مَنْ عَهِدْتُ فكَأَنِّي أَخاطِبُ أعيانهم ، وأتراءى ، أشباحهم ، وتَتَخَيَّلُ لِي أُنْدِيَّة  
رجالهم ، وملاعبُ ولدانهم ، ومندى أموالهم .

\* الأملال : ٢-٧ .

(١) معتز : منفرد (٢) الراخم : التي تحضن بيضها (٣) تغيرتهن : احتلبت الفبر وهو بقية  
اللبن في الصرع (٤) قراب : قريب (٥) الثمالة : الرغوة (٦) تحببت : امتلأت  
(٧) الحلة : وجهها حلال : بيوت الناس (٨) الجناب : فناء الدار .

والله يابن أخى ، لقد رأيتُ هذا الوادى بشع<sup>(١)</sup> اللديدين<sup>(٢)</sup> بأهل أدواح<sup>(٣)</sup>  
وقبَاب ، ونعم<sup>(٤)</sup> كالهضاب ، وخيل كالذئاب ، وقتيان كالرماح ، يبارون الرياح ،  
ويحمون الصَّبَاح ، فأحال عليهم الجلاء قَمًّا<sup>(٥)</sup> بفرقة ، فأصبحتِ الأثَارُ دَارسة ،  
والحالُ طامسة ، وكذلك الدهر فيمن وثق به .

ثم قالت : أزمِ بعينك فى هذا الملا<sup>(٦)</sup> المتباطن<sup>(٧)</sup> . فنظرت فإذا قبور  
نحو أربعين أو خمسين . فقالت : أترى تلك الأجداث ؟ قلت : نعم . قالت :  
ما انطوت إلا على أخ أو ابن أخ أو ابن عم ، فأصبحوا قد أَلَمَات<sup>(٨)</sup> عليهم الأرض ،  
وأنا أترقب ما غَالَهُمْ ! انصَرِفْ راشداً رحمك الله .

---

(١) بشع : ملآن (٢) اللديدان : الجانبان (٣) الأدواح : الأشجار العظيمة  
(٤) الهضاب : الجبال الصغار (٥) قما : كفسا (٦) الملا : ما اتسع من الأرض  
(٧) التباطن : المتطامن (٨) أَلَمَات : احتوت .

## ٦٨ - الحق أنطقها وأخرسه \*

قال الشَّيْبَانِي : جلس المأمون<sup>(١)</sup> يوماً للمظالم ، فكان آخرُ مَنْ تقدم إليه وقد همَّ بالقيام - امرأة عليها هيئة السفر ، عليها ثياب رثة .

فوقفت بين يديه وقالت : السلامُ عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . فنظر المأمونُ إلى يحيى بن أكرم . فقال لها يحيى : وعليك السلام يا أمة الله ، تكلمي في حاجتك ؛ فقالت :

يا خيرَ مُنتَصِفٍ يَهْدِي له الرِّشْدُ      ويا إماماً به قد أشرقَ البَلَدُ  
تشكو إليك عميدَ القومِ أزملةً      عداً عليها فلم يُترك لها سَبْدُ<sup>(٢)</sup>  
وابتزَّ مني ضياعي بعدَ منعتها      ظُلماً وقرَّحَ مني الأهلُ والولدُ

فأطرق المأمونُ حيناً ، ثم رفع رأسه إليها ، وهو يقول :

في دُونِ ما قُلْتُ زال الصبر والجلدُ      عني ؛ وقرَّحَ مني القلبُ والكبدُ  
هذا أو أن صلاةَ العصرِ فأنصري      وأحضري الخصرَ في اليوم الذي أعدُ  
والجلس السبْتُ إن يُقضَ الجلوسُ لنا      نُنصِفكَ منه ؛ وإلاَّ المجلسُ الأحدُ  
فلمَّا كان يوم الأحد جلس ، فكان أوَّلَ مَنْ تقدم إليه تلك المرأة ،

\* المقد : ١ - ١٥ ، المحاسن والساوى : ٣٥٠ ( طبع ليزج ) .

(١) هو عبد الله بن المأمون بن هارون الرشيد ، من أعظم خلفاء بني العباس وعلماهم وحكامهم كان وافر الخلق ، عظيم الحلم عباً للعلم ، مؤثراً للحكمة . توفي سنة ٢١٨ هـ (٢) السبد هنا : القليل ، وهو في الأصل القليل من الشعر .

(١٢ - قصص العرب ٢)

فقلت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . فقال : وعليك السلام ، أين الخصم ؟ فقلت : الواقفُ على رأسك يا أمير المؤمنين - وأوماتُ إلى العباس ابنه .

فقال : يا أحمد بن أبي خالد ، خذ بيده فأجلسه معها مجلس الخصوم . فجعل كلامها يعلو كلام العباس ، فقال لها أحمد بن أبي خالد : يا أمة الله ؛ إنك بين يدي أمير المؤمنين ، وإنك تكلمين الأمير ، فاخفضي من صوتك ، فقال للمأمون : دَعِها يا أحمد ، فإن الحق أنطقها وأخرسه . ثم قضى لها برد ضيعتها إليها ، وأمر بالكتاب لها إلى العامل ببلدها أن يوغر لها <sup>(١)</sup> ضيعتها ويحسن معاوتها ، وأمر لها بنفقة .

---

(١) أوغر الملك الرجل الأرض : جعلها له من غير خراج .

## ٦٩ - أجارها ثم تزوجها \*

قال إبراهيم بن المدير <sup>(١)</sup> :

جاءني يوماً محمد بن صالح <sup>(٢)</sup> بعد أن أطلق من الحبس ، فقال لي : إني أريد المقام عندك اليوم على خَلوةٍ لأبثَّكَ من أمرى شيئاً لا يصلحُ أن يسمعه غيرُنا .  
فقلت : أفعل ؛ فصرفتُ مَنْ كان بِمَحْضَرَتِي وَخَلَوْتُ معه .

فلما اطمأنَّ وأكلنا واضطجعنا قال لي : إني خرجت في سنة كذا وكذا ،  
ومع أصحابي على القافلة فقاتلنا مَنْ كان فيها فهُزِمْنَا ومَلَكْنَا القافلة ؛ فبينما أنا  
أُحْوزُهَا وَأُنْبِخُ الْجَمَالَ إذْ طَلَعَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ ، مَا رَأَيْتُ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهَا وَجْهًا وَلَا  
أَحْلَى مِنْطَقًا . فقالت : يافتي ؛ إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَدْعُوَنِي بِالشَّرِيفِ الْمُتَوَلَّى أَمْرَ هَذَا  
الْجَيْشِ ؟ فقلت : قَدْ رَأَيْتِهِ وَسَمِعْتُ كَلَامَكَ ! فقالت : سَأَلْتُكَ بِحَقِّ اللَّهِ وَحَقِّ  
رَسُولِهِ ؛ أَنْتَ هُوَ ؟ فقلت : نَعَمْ وَحَقُّ اللَّهِ وَحَقُّ رَسُولِهِ إِنِّي لَهُوَ . فقالت : أَنَا حَمْدُونَةُ  
بِنْتِ عَيْسَى بْنِ مُوسَى ؛ وَلَأَبِي مَحَلٍّ مِنْ سُلْطَانِهِ ، وَلَنَا نِعْمَةٌ إِنْ كُنْتَ مِمَّنْ سَمِعَ بِهَا  
فَقَدْ كَفَاكَ مَا سَمِعْتَ ، وَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَسْمَعْ بِهَا فَسَلِّ عَنْهَا غَيْرِي ! وَوَاللَّهِ لَا اسْتَأْثَرْتُ  
عَنْكَ شَيْئًا أَمْلِكُهُ ، وَلَكَ بِذَلِكَ عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ عَلَيَّ . وَمَا أَسْأَلُكَ إِلَّا أَنْ تَصُونَنِي  
وَتَسْتُرَنِي ، وَهَذِهِ أَلْفُ دِينَارٍ مَعِيَ لِنَفْقَتِي ، فَخُذْهَا حَالًا ، وَهَذَا حُلِيٌّ عَلَيَّ ثَمَنُهُ خَمْسَانَةُ

\* الْأَغَانِي : ١٥ - ٨٧ ( طَبْعَةُ السَّاسِي ) .

(١) إبراهيم بن المدير ، شاعر كاتب ، من وجوه كتاب أهل العراق ومتقدميهم وذوى الجاه  
فيهم ، وكان التوكل يقدمه ويؤثره ويفضله ، توفي سنة ٢٧٠ هـ (٢) محمد بن صالح : ينتهى نسبه  
إلى علي بن أبي طالب ، كان شاعرا حجازيا ظريفاً من شعراء أهل بيته المقدمين ، توفي سنة ٢٣٨ هـ

دينار فخذهُ ؛ وما شئت بعده آخذهُ لك من تجار المدينة أو مكة أو أهل اللؤس ، فليس منهم أحدٌ يمنعني شيئاً أطلبهُ ، وادفعْ عني واحِني من أصحابك ومن عاري يلحقني . فوقع قولها من قلبي موقماً عظيماً . فقلت لها : قد وهب الله لك مالك وحليكَ وجاهك ، ووهب لك القافلة بجميع ما فيها .

ثم خرجت ، فناديتُ في أصحابي فاجتمعوا ، فناديت فيهم : إني قد أجزت هذه القافلة وأهلها وخفَرْتُها وحمَّيْتُها ، ولها ذِمَّةُ الله وذمة رسوله وذمتي ؛ فمن أخذ منها خيطاً أو عقلاً فقد آذنته بحَرْبٍ . فانصرفوا معي وانصرفت .

فلما أَخَذْتُ<sup>(١)</sup> وحِيسْتُ جِئاني يوماً السجنان ، وقال لي : إنَّ بالباب امرأتين تزعمان أنهما من أهلك ، وقد حُظِرَ عليَّ أن يدخلَ عليك أحدٌ ؛ إلَّا أنهما أعطتاني دُمْلَجَ ذهب ، وجعلتاه لي إن أوصلتهما إليك ، وقد أذِنتُ لهما وهما في الدَّهْلِيز . فاخرج إليهما إن شئت .

ففكرت فيمن يجيئني في هذا البلد وأنا به غريب لا أعرف أحداً . ثم قلت : لعليهما من ولد أبي أو بعض نساء أهلي . فخرجتُ إليهما فإذا بصاحبتني ، فلما رأتنِي بَكَّتْ لما رأت من تعبير خلقي وثقل حديدي ، فأقبلت عليها الأخرى فقالت : أهو هو ! فقالت : إي والله إنه لهوهُو ! ثم أقبلت عليَّ فقالت : فذاك أبي وأمي ! والله لو استطعت أن أقيك بما أنت فيه بنفسي وأهلي لفعلت وكنت بذلك مني حقيقاً ، والله لا تركت المعاونة لك والسعي في حاجتك وخلاصك بكل حيلة ومالٍ وشفاعَةٍ . وهذه دنانير وثياب وطيب فاستمن بها على موضعك ، ورسولي يأتيك في كل يوم بما يصلحك حتى يُفْرِجَ الله عنك . ثم خرجت إليَّ كسوةً وطيباً ومائتي دينار .

(١) حبس التوكل محمد بن صالح حين خرج عليه ثلاث سنين ، ثم عفا عنه لشعر مدحه به .



وكان رسولها يأتيه كل يوم بطعام نظيف ، ويتواصل برؤها بالسجّان ، فلا يمتنع من شيء أريدّه . ثمّ من الله بخلّاصي خطبتها ؛ فقالت : أمّا من جهتي فأنا متّابعة مطيعة والأمر إلى أبي . فأتيتُه خطبتها إليه ، فردّني فمعت من عنده منكسراً مستحيّاً .

قال إبراهيم بن المدبر : فقلت له : إن عيسى صنيعة أخى وهو لى مطيع وأنا أ كفيك أمره . فلما كان من الغد لقيت عيسى فى منزله وقلت له : قد جئتُك فى حاجة لى ، فقال : مقضية ؛ ولو كنت استعملت ما أحبه لأمرتنى بجئتُك ، وكان أسرّ إلى . فقلت له : قد جئتُك خاطباً إليك ابنتك ، فقال : هى لك أمة وأنا لك عبدٌ وقد أجبتك . فقلت : إني خطبتها على من هو خير منى أباً وأماً ، وأشرف لك صهرأ : محمد بن صالح العلوى . فقال لى : ياسيدى ؛ هلا كان غير هذا ! فلم أزل أرفق به حتى أجاب . وبعثت إلى محمد بن صالح فأحضرتة وما برحت حتى زوجته ، وسقتُ الصداق عنه <sup>(١)</sup> .

(١) وفى ابن المدبر يقول بن صالح حينما أولاه وأعانه على زواجه :

فهل لى الذى أولاك عرفاً	تسرى من مقالك ما يسير
ثناء غير مختلق ومدحاً	مع الركبان بنجد أو يغور
أخ وإساك فى كلب الليالى	وقد خذل الأقارب والنصير
حفاظاً حين أسلمك الموالى	وضن بنفسه الرجل الصبور
فإن تشكر فقد أولى جيلاً	وإن تكفر فإنك للكفور

وكل خلقه ، حملته على عتاق الخليل ففترس وفترس<sup>(١)</sup> ، ولبس السلاح ، ومشى بين بُوَيْتَاتِ الْحَيِّ الْخَلِيلَاءِ ، فأخذ في قَرَى الضيف ، وإطعام الطعام ، وأنا عليه وَجِلَةٌ ، أشفق عليه من العيون أن تصيبه .

ثم اتفق أن نزلنا بمنهل من المناهل بين أحياء العرب ، فخرج فتیانُ الْحَيِّ في طلب ثأرٍ لهم ، وشاء الله أن أصابته وَعَكَةٌ<sup>(٢)</sup> شغلته عن الخروج ، وأمن القوم ، ولم يبق في الْحَيِّ غيره ، ونحنُ آمنون وادعون ، ثم أدير الليل ، وأسفر الصباح ، فطلعت علينا غُرر الجياد ، وطلائع المدو ، وما هو إلا هُنَيْهَةٌ حتى أحرزوا الأموال دون أهلها ، وهو يسألني عن الصوت ، وأنا أستر عنه الخبر إشفاقاً عليه وضناً به .

ولما عَلَّتِ الأصوات ، وبرزت المخدرات<sup>(٣)</sup> ، رمى دِثَارُهُ<sup>(٤)</sup> ، وثار كما يثور الأسد ، وأسر يأسراج فرسه ، ولبس لَأَمَةً حربيه ، وأخذ رُمحه بيده ، ولحق حُماة القوم ، فظعن أدناهم منه فرمى به ، ولحق أبعدهم منه فقتله ؛ فانصرفت وجوه الفرسان ، ثم رأوه صبيحاً صغيراً لا مددَ وراءه ، فحملوا عليه ، فأقبل يؤم البيوت ، ونحنُ ندعو الله عز وجل له بالسلامة ، حتى إذا مذهب وراءه ، وامتمدوا في أثره عطف عليهم ، ففرق شملهم ، وشنت جمعهم ، وقلل كثيرهم ، ومزقهم كلَّ مُمَزَّقٍ ، ومزق كما يمزقُ السهم . وناداهم : خلوا عن المال ! فوالله لا رجعت إلا به أو أهلك دونه !

فانصرفت إليه الأقران ، وتمايلت نحوه الفرسان ، وحملوا عليه ، وقد رفعوا إليه الأستة ، وعطفوا عليه بالأعنة ، فوثب عليهم وهو يهديرُ كما يهديرُ الفحل من وراء

(١) فترس : ثبت ونظر ، ورأى الناس أنه فارس ، وفترس : عالج الأمور ، واحتك بها .  
(٢) الوعة : الألم من شدة التعب (٣) المخدرات : المحجوبات من النساء (٤) الدثار : ما فوق الشعار من الثياب .

## ٧٠ — كيف ربّت ابنها ! \*

قال الفضل بن يزيد: نزل علينا بنو ثعلبة في بعض السنين، وكنت مشغولاً بأخبار العرب، أحب أن أستمعها وأجمعها . فبينما أنا أدور في بعض أحيائهم، إذا بامرأة واقفة في فناء خبائها، وهي آخذة بيد غلام . قلما رأيت مثله في حسنه وجماله، وهي تعاتبه بلسان رطب، وكلام عذب، تمنح إليه الأسماع، وترتاح إليه القلوب . وأكثر ما أسمع منها: أي بني، وهو يتسم في وجهها، قد غلب عليه الحياء والحجل، لا يرد جواباً؛ فاستحسنْتُ ما رأيت، واستعليت ماسمعت، ثم دنوت منه وسلمت عليه، فردّ عليّ السلام، فوقفت أنظر إليهما .

فقلت: يا حضري، ما حاجتك؟ فقلت: الاستكثار بما أسمع، والسرور بما أرى من هذا الغلام . فقلت: يا حضري، إن شئت سقتُ إليك من خبره ما هو أحسن مما شاهدتَ من أدبه، فقلت: قد شئتُ — يرحمك الله ! فقالت: حملته والرزق عيسر، والعيش نكد، حملاً خفيفاً، حتى إذا مضت له تسعة أشهر ولدته؛ فوربك ما هو إلا أن صار ثالث أبويه حتى أفضل الله عز وجل وأعطى، وأتى من الرزق بما كفى وأغنى؛ ثم أرضعته حوّلين كاملين، فلما استتم الرضاع نقلته من خرق المهد إلى فراش أبيه، فنشأ كأنه شبل أسد، أقيه برد الشتاء وحرّ الحجير، حتى إذا مضت له خمس سنين أسلمته إلى المؤدب، لحفظه القرآن فتلاه، وعلمه الشعر فرواه، ورغب في مفاخر قومه وآبائه وأجداده، فلما أن بلغ الحلم، واشتدّ عظمه،

الإبل ، وجعل لا يمطف على ناحية إلا حطّما ، ولا كتية إلا مزّقا ، حتى لم يبق من القوم إلا من نجا به فرسه .

ثم ساق المال وأقبل به ؛ فكبر القوم عند رؤيته ، وفرح الناس بسلامته . فوالله ما رأينا قطّ يوما كان أسمعّ صباحا ، وأحسن رواحا من ذلك اليوم ، ولقد سمعته يقول في وجوه فتيات الحى هذه الأبيات :

تأملنّ فعلى هل رأيتنّ مثله إذا حشّرتنّ نفس الجبان من الكرب !  
وضاقت عليه الأرض حتى كأنه من الخوف مسلوب العزيمة والقلب  
ألم أعط كلاً حقّه ونصيبه من السّمهرى اللدن والمُرْهف العَصْب<sup>(١)</sup>  
أنا ابنُ أبي هند بن قيس بن مالكٍ سليل المعالي والمكارم والسيب<sup>(٢)</sup>  
أبى لي أن أعطى الظّلامة مُرْهَفَ وطرف<sup>(٣)</sup> قوى الظّهر والجوف والجنب  
وعزّمٌ صحيح لو ضربت بهذه السّجّال الرواسى لانهطنّ إلى التّرب  
وعِرضٌ نقيّ أتقى أن أعيبه وبيتٌ شريف في ذُرّاءِ مُلْبِ القُلبِ<sup>(٤)</sup>  
فإن لم أقاتل دونكُنّ وأحتمي لكنّ ، وأحييكنّ بالطنن والضرب  
فلا صدق اللاتى مشين إلى أبى يهيننّه بالفارسِ البطلِ النّذب<sup>(٥)</sup>

(١) السّمهرى : الرمح ، وهو منسوب إلى سمهر ؛ رجل كان يشقّ الرماح ، والمرهف : السيف الرقيق الحد ، والعصب : القاطع (٢) السيب : العطاء (٣) الطرف : الكريم من الخيل .  
(٤) مُلب : أصله ثلمة وهى قبيلة الغلام ، والقلب جمع أغلب ، وهو الأسد ؛ يريد أنهم شجعان .  
(٥) النذب : الخفيف فى الحاجة .

## ٧١ — خائف وجد مأمناً\*

قال وهب بن ناجية الرصافي : كنت أحد مَنْ وقعت عليه التهمة في مال مصر أيامَ الواثق ، فطلبني السلطان طلباً شديداً ، حتى ضاقتْ عليَّ الرضافة<sup>(١)</sup> وغيرُها ، فخرجت إلى البادية مرتاداً رجلاً عزيزَ الدار ، منيعَ الجار ، أعوذُ به ، وأنزلُ عليه .

فبينما أنا أسيرُ إذا رأيتُ خياماً ، فعدلتُ إليها ، فلتُ إلى بيت منها مضروب ، وبنفائه رُمُحٌ مركوز ، وفرس مربوط ؛ فدنوتُ فسلمت ، فردَّ عليَّ نساءً من وراء السجف<sup>(٢)</sup> ، وقالت لي إحداهنَّ : اطمئنْ يا حضري ، فعم مناخُ الضيفانِ بؤاك القدر ، ومهدك السفر . قلت : وأنى يطمئنُ المطلوب ، أو يأمنُ المرغوب ، من دون أن يأوي إلى جَبَلٍ يعصيه ، أو مأمنٍ أو مفرجٍ يمتعه ؛ وقليلاً ما يهجم من السلطان طالبه ، والخوفُ غالبه ! قالت : لقد ترجم لسانك عن ذنبٍ عظيم ، وقلبٍ صغير ، وإيمُ الله لقد حلتَ بفناء رجل لا يُضامُ بفنائه أحدٌ ، ولا يجمعُ بساخته كَيْدٌ ، هذا الأسودُ بن قنان ، أخواله كعب ، وأعمامه شيبان ، صُعلوك<sup>(٣)</sup> الحى في ماله ، وسيدُهم في حاله ، وسندُهم في فعالة<sup>(٤)</sup> ، صدوق الجوار ، وقود النار ؛ وبهذا وصفته أمانة بنت خزرخ حيث تقول :

\* محاضرات الأبرار : ٢ - ١١٦

(١) الرضافة : عله يقداد (٢) السجف : الستر (٣) أصل الصعلوك الفقير . وإراد أنه ينفق حتى يصير فقيراً (٤) الفعالة : ( بالفتح ) الفعل الحسن من فاعل واحد ، وإذا كان من فاعلن فهو الفعالة ( بالكسر ) .

إذا شئت أن تلقى فتى لو وزنته بكل معدى وكل يمماني  
وفى بها فضلاً وجوداً وسودداً ورأياً ، فذاك الأسود بن قنان  
فتى لا يرى فى ساحة الأرض مثله ليوم ضراب أو ليوم طعمان  
قال : فقلت : يا جارية ، وأتى لى به ! فقالت : يا خادم ، مولاك ! فلم تلبث  
أن جاءت وهو معها فى جماعة من قومه ، وقال : أى المنعمين علينا أنت ؟ فسبقتنى  
المرأة ، وقالت : هذا رجل نبت به أوطانه ، وأزعجه زمانه ، وأوحشه سلطانه ؛  
وقد صمماً له ما يضمن لمثله على مثلك ، قال : بل الله فاك ، أشهدكم يا بنى عمى  
أن هذا الرجل فى جوارى وفى ذمتى ، فمن آذاه فقد آذانى ، ومن كاده فقد كادنى .  
وأمر بيته فضرب إلى جانبه ، وقال : هذا بيتك وأنا جارك ، وهؤلاء رجالك .  
فلم أزل بينهم فى خفض وسعة إلى أن مرت عنهم .

## ٧٢ - تحنُّ إلى وطنها\*

هوى بعضُ خلفاءِ بنى العباسِ أعرابيةً فتزوَّجَ بها ، فلم يوافقها هوى المدن ، فلم تزل تمُتَل وتتاوهُ ، مَعَ ما مَهِ عليه من النعيمِ والرَّاحة ، والأمرِ والنهى ؛ فسألها عن شأنها ، فأخبرتهُ بما تَجِد من الشوقِ إلى البرارى وأحاليبِ<sup>(١)</sup> الرِّعاء ، وورودِ المياه التى تعودتُ ؛ فبنى لها قصرًا على رأسِ البرية بشاطئِ دجلة<sup>(٢)</sup> ، وأمر بالأغنام والرِّعاء أن تَسْرَح بين يديها وتتراى لها ؛ فلم يزدها ذلك إلا اشتياقًا إلى وطنها .

ثم مرَّ بها يومًا فى قصرها من حيث لا تشعر بمكانه ، فسمعها تنتحبُ وتبكي ، حتى ارتفعَ صوتُها ، وهلا نحيبُها ، ثم قالت :

وما ذنبُ أعرابيةٍ قدَّفتُ بها      صروفُ النوى من حيثُ لم تك ظنَّتى  
تمتُّ أحاليبَ الرِّعاءِ وخيمَةً      بنجد فلم يُقَضَ لها ما تمنَّتِ  
إذا ذكَّرتُ ماءَ العُذيبِ<sup>(٣)</sup> وطيبه      وبردَ حصاهُ آخرَ الليل أنْتِ  
لها أنَّة عند العشاءِ وأنَّةٌ      سحيراً ، ولولا أنْتَاها لَجُنَّتِ

فخرج عليها الخليفة ، وقال : قد قُضى ما تمنيت ، فالحقى بأهلك من غير فراق ؛ فما مرَّ عليها وقتٌ أسَرَ من ذلك ، وسرى ما الحياة فى وجهها من حنينها ، والتحقَّت بأهلها بجميع ما كان عندها فى قصرها ، وظلَّ الخليفة يزورها فى أهلها بين الحين والحين .

\* محاضرات الأبرار : ٢ - ٢٤٨

(١) الإحلابة : أن يحلب لأهله وهو فى المرعى لبنًا ، ثم يمت به اليهم ، وجمه أحاليب ، والرعاء جمع راع (٢) دجلة : نهر بالمراق (٣) العذيب : موضع .

### ٧٣ — سئمتُ حياتي حين فارقت قبره!

قال محدث : سألت أبا الندي<sup>(١)</sup> - وكان من أعلم من شاهدتُ بأخبار العرب : هل تعرف من شعر الذئفاء بنت الأبيض في ابن عمها نجدة بن الأسود ؟ قال : نعم ، كنتُ فيمن حضرَ جنازةَ نجدة ، حتى وضعناه في قبره ، وأهلاً عليه التراب ، وصدرنا<sup>(٢)</sup> عنه غير بعيد ، فأقبلتُ نسوةٌ يتهادين<sup>(٣)</sup> ، فيهنَّ امرأةٌ قد فاقتهنَّ طولاً ، كالغصن الرطب ، وإذا هي الذئفاء ؛ فأقبلتُ حتى أكتبْتُ على القبر ، وبكتُ بكاءً مُحرِقاً ، وأظهرتُ من وجدي ما خِفتُ معه على نفسها ، فقلن لها : يا ذئفاء ؛ إنه قد مات الساداتُ من قومك قبل نجدة ، فهل رأيتِ نساءً هم قتلن أنفسهنَّ عليهم ؟ فلم يزلن بها حتى قامت ، فانصرفتُ عن القبر ، فلما صارت منه غير بعيد عطفتُ بوجهها عليه ، وقالت :

سئمتُ حياتي حين فارقتُ قبره ورُختُ وماء العين ينهلُ هامِله<sup>(٤)</sup>  
وقالت نساء الحى : قد مات قبله شريفٌ فلم تهلكِ عليه حلائله<sup>(٥)</sup>  
صدقن ، لقد مات الرجالُ ولم يمت كنجدة من إخوانه من يُصادله  
فتى لم يضيق عن جسمه لحدِّ قبره وقد وسع الأرض القضاء فضائله  
قال . فقلت : أحسنتُ والله يا أبا الندي وأحسنتُ ! فهل تعرف من شعرها شيئاً آخر ؟ قال : نعم ! كنتُ ممن حضرَ قبرَ نجدة عند زيارتها إياه لتمام الحول ،

\* معجم الأدباء : ١٧ - ١٦٠

(١) محمد بن أحمد أبو الندي الفندجاني اللنوي : رجل واسم العلم ، راجع المعرفة بالانثى وأخبار العرب وأشعارها (٢) رجعتاه (٣) يتاملن في مشيتهن (٤) ينهل : ينصب ؛ وهامله : دمه الفائض (٥) أى زوجاته .



فرايتها قد أقبلت حتى أكبَّتْ على القبر، وبَكَتْ بكاءً شديداً ، ثم أنشأت تقول :  
يا قبرَ نَجْدَةٍ لم أهْجُرْكَ مَقْلِيَةً      ولا جفوتُكَ من صَبْرِي ولا جَلَدِي  
لَكِنْ بِكَيْتِكَ حتى لم أجِدْ مَدَدًا      من الدموع ولا عوناً من الكَمَدِ  
وَأَسْتَنِي جفونِي من مَدَامِعِهَا      فقلت للعَيْنِ : فيضِي من دم الكَبَدِ  
فلم أزلْ بدمِي أبكيكَ جَاهِدَةً      حتى بقيتُ بلا عَيْنٍ ولا جَسَدِ  
والله يَعلَمُ لولا الله ما رَضِيتُ      نَفْسِي عَلَيْكَ سوى قَتْلٍ لها يَدِي

قال : فقلت : أحسنتَ والله يا أبا الندى وأحسنتُ ! فهل تعرف من شعرها شيئاً آخر ؟ قال : نعم : حضرنا في زمن الربيع ونحنُ في رياضٍ خَصِرَةٍ مُعْشِبَةٍ ، فركبَ الفتيانُ ، وغقدوا المَذْبَ (١) الصُّفْرَ ، في القنا الحمر ، وجعلوا يتجاولون . فلما أردنا الانصراف ، قال بعضنا لبعض : ألا تجعلون طريقكم على الذلقاء ! لعلها إذا نظرت إليكم تسلتُ بمن بقي عن هلاك !

قال : فخرجنا نوثمها فأصبناها بارزةً من خبائها ، وهي كالشمس الطالعة ، إلا أنه يعلوها كسوفُ الحزن ، فسلمنا عليها ، وقلنا : يا ذلقاء ؛ إلى متى يكون هذا الوجد على نَجْدَةٍ ! أما آن لك أن تتسلَّى بمن بقي من بني عمك عن هلاك ؟ هانحن أولاء سادات قومك وفتيانهم ونجومهم ، وفينا السادة والذَّادَةُ (٢) ؛ والبأس والنَجْدَةُ ؛ فأطرقتُ ملياً ، ثم رفعت رأسها باكية وهي تقول :-

صدقتُم إنكم لنجومُ قومي      لِيُوثُ عند مُخْتَلَفِ العَوَالِ (٣)  
ولكنْ كان نَجْدَةُ بدرِ قومي      وكنْهُمْ المنيفَ على الجبالِ !  
فما حسنُ السماءِ بلا نجومٍ      وما حسنُ النجومِ بلا هلالِ !  
ثم دخلت خباها ، وأرسلت سِتْرَها ، فكان آخرَ العهدِ بها !

(١) أى الرايات ، والقنا الحمر : الرماح (٢) القادة المدافعون ، جمع ذائد (٣) العوالى : جمع عالية ، وهى أعلى القنات أو النصف الذى يلى السنان .

٧٤ — المتكلمة بالقرآن \*

قال عبدُ الله بنُ المبارك : خرجت حاجًّا إلى بيت الله الحرام ، وزيارة نبيه عليه السلام ، فبينما أنا في الطريق إذ أنا بسواد ، فتميزت ذاك ، فإذا عجوزٌ عليها درع <sup>(١)</sup> من صوف وخمار ، فقلت : السلام عليك ورحمة الله وبركاته . فقالت : ﴿ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴾ . فقلت لها : رَحِمَكَ اللهُ ! ما تصنعين في هذا المكان ؟ قالت : ﴿ وَمَنْ يَضِلَّ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ ؛ فعلمتُ أنها ضالة عن الطريق .

فقلت لها : أين تريدان ؟ قالت : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ﴾ ، فعلمتُ أنها قضت حَجَّها وهي تريد بيت المقدس . فقلت لها أنت منذ كم في هذا الموضع ؟ قالت : ﴿ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾ . فقلت : ما أرى معك طعاماً تأكلين ؟ قالت : ﴿ هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴾ . فقلت : فبأي شيء تتوضئين ؟ قالت : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ . فقلت لها : إن معي طعاماً ؛ فهل لك في الأكل ؟ قالت : ﴿ ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾ ، فقلت : قد أبيع لنا الإفطار في السفر ، قالت : ﴿ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ .

فقلت : لم لا تكلمينني مثل ما أكلمك ؟ قالت : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ ، فقلت : فمن أي الناس أنت ؟ قالت : ﴿ وَلَا تَقَفُ

\* ذيل عرات الأوراق : ٢ - ٢٤٣

(١) درع : قميص .

مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْنُوءًا ۖ .

فقلت : قد أخطأتُ هاجميلي في خِلِّ ، قالت : ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ۖ ﴾ .

فقلتُ : فهل لك أن أحلك على ناقتي ؛ فتدركي القافلة ؟ قالت : ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ ۖ ﴾ :

قال : فأختُ الناقة ، فقالت : ﴿ قُلِ الْمُؤْمِنِينَ يَفُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ۖ ﴾ .  
فَفَضَّضْتُ بَصْرِي عَنْهَا ؟ وقلت لها أَرْكَبِي .

فلما أرادت أن تركب نورت الناقة ؛ فزقتُ ثيابها ؛ فقالت : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ ، فقلت : لها اركبي ، قالت : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ <sup>(١)</sup> ۖ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ۖ ﴾ :

فأخذت بزمام الناقة ، وجعلت أسمى وأصيح ؛ فقالت : ﴿ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ﴾ ، فجعلت أمشي رويداً رويداً ، وأترتم بالشعر ؛ فقالت ﴿ فَافْرَهُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾ . فقلت لها : لقد أوتيت خيراً كثيراً ، فقالت : ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ .

فلما مشيت بها قليلاً قلتُ لها : ألك زوج ؟ قالت : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ ۖ ﴾ .

فسكت ولم أكلّمها ، حتى أدركتُ بها القافلة ، فقلت لها : هذه القافلة ؛ فمن لك فيها ؟ فقالت : ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ ؛ فعلت أن لها أولاداً .

(١) أقرن للأمر : أطلقه وقرى عليه .

قلت : وما شأنهم في الحج ؟ قالت : ﴿ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ ، فعلت  
أنهم أدلاء الركب .

قصدت القباب والعمارات ؛ قلت : هذه القباب ؛ فمن لك فيها ؟ قالت :  
﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ . ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ . ﴿ يَا يَحْيَى خُذِ  
الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾ . فناديت : يا إبراهيم ، يا موسى ، يا يحيى ؛ فإذا بشبان كأنهم  
الأمّار قد أقبلوا ؛ فلما استقرّ بهم الجلوس ، قالت : ﴿ ابْعَثُوا أَحَدَكُمْ  
يُورِثُكُمْ <sup>(١)</sup> هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ  
بِرِزْقٍ مِنْهُ ﴾ .

فضى أحدهم ، فاشتري طعاماً فقدّموه بين يديّ ، فقالت : ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا  
هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ .

قلت : الآن طعامكم على حرام حتى تخبروني بأسرها ؛ فقالوا : هذه أمنا ، لما  
منذ أربعين سنة لم تتكلم إلا بالقرآن ؛ مخافة أن تزل فيسخط عليها الرحمن ؛ قلت :  
﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ .

## البَابُ الثَّالِثُ

---

في القصص التي تمثل ذلافة ألسنتهم، وحكمة منطقهم،  
وما ينضاف إلى ذلك من فصاحة اللفظ، وبلاغة المعنى،  
وجال الأسلوب، وحسن التصرف في الإبانة والتعبير.

## ٧٥ — بنو أسد وامروء القيس\*

قَدِمَ عَلَى امْرِئِ الْقَيْسِ<sup>(١)</sup> بَنُ حُجْرٍ الْكِنْدِيَّ بَعْدَ مَقْتَلِ أَبِيهِ رَجَالَاتٍ مِنْ  
بَنِي أَسَدٍ ، فِيهِمُ الْمُهَاجِرُ بْنُ خِدَاشٍ ، وَعَبِيدُ بْنُ الْأَبْرَصِ ، وَقَبِيصَةُ بْنُ نَعْمٍ ؛ وَكَانَ  
رَجُلًا مَقِيمًا فِي بَنِي أَسَدٍ ، ذَا بَصِيرَةٍ بِمَوَاقِعِ الْأُمُورِ وَرَدًّا وَإِصْدَارًا ، يَعْرِفُ ذَلِكَ لَهُ مَنْ  
كَانَ حَيْضًا بِأَكْنَافِ بِلَادِهِ مِنَ الْعَرَبِ .

فَلَمَّا عَلِمَ امْرِئُ الْقَيْسِ بِمَكَانِهِمْ أَمَرَ بِإِزَالِهِمْ ، وَتَقَدَّمَ<sup>(٢)</sup> فِي إِكْرَامِهِمْ وَالْإِفْضَالِ  
عَلَيْهِمْ ، وَاحْتَجَبَ عَنْهُمْ ثَلَاثًا .

فَقَالُوا لِمَنْ بِيَابِهِ مِنْ رَجَالٍ كِنْدَةٍ : مَا بَالُ الرَّجُلِ لَا يَخْرُجُ إِلَيْنَا ؟ فَقِيلَ لَهُمْ :  
هُوَ فِي شُغْلٍ يَأْخُذُ بِأَجْمَعِ خَزَائِنِ حُجْرٍ مِنَ الْعُدَّةِ وَالسَّلَاحِ . فَقَالُوا : اللَّهُمَّ غَفْرًا !  
إِنَّمَا قَدِمْنَا فِي أَمْرٍ نَتَنَاسَى بِهِ ذِكْرَ مَاسَلَفٍ ، وَنَسْتَدْرِكُ بِهِ مَا فَرَطَ ؛ فَلْيُبَلِّغْ  
ذَلِكَ عَنَّا .

فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ بَعْدَ ثَلَاثٍ فِي قَبَاءٍ<sup>(٣)</sup> وَخَفَّ وَعِمَامَةُ سَوَادَاءَ — وَكَانَتِ الْعَرَبُ لَا  
تَعْتَمُ بِالسَّوَادِ إِلَّا فِي الثَّرَاتِ<sup>(٤)</sup> — فَلَمَّا رَأَوْهُ نَهَضُوا لَهُ ، وَبَدَرُوا إِلَيْهِ قَبِيصَةُ فَقَالَ :  
إِنَّكَ فِي الْمَحَلِّ وَالْقَدْرَ وَالْمَعْرِفَةَ بِتَصَرُّفِ الدَّهْرِ ، وَمَا تُحَدِّثُهُ أَيَّامُهُ ، وَتَتَنَقَّلُ بِهِ

\* الْأَغَانِي : ١٠٣-٩ ( طَبْعَةُ دَارِ الْكِتَابِ ) ، صَبْحُ الْأَعَشَى : ١٢٦-٣

(١) هُوَ أَشْهُرُ شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ وَأَرْفَعُهُمْ مَثَلُهُ ، يَتَّصِلُ نَسَبُهُ بِمُلُوكِ كِنْدَةَ ، كَانَ قَوًى الشَّاعِرَةِ  
رَفِيقَ الْوَصْفِ ذَقِيقَ الشُّعُورِ . تَوَفَّى سَنَةَ ٥٦٠ م (٢) تَقَدَّمَ فِي كِنْدَةَ : أَمْرٌ بِهِ . (٣) الْقَبَاءُ :  
الْتَوُّبُ الْمَجْتَمِعُ الْأَطْرَافِ (٥) الثَّرَاتُ : جَمْعُ ثَرَةٍ ؛ وَهِيَ فِي الْأَصْلِ مَصْدَرٌ وَتَرٌ ؛ أَيْ قَعْسٌ ،  
وَاسْتَعْمَلَ فِي الثَّأْرِ .

أحواله بحيث لا تحتاج إلى تبصير واعظ ، ولا تذكرة مجرب ، ولك من سوؤد منصبك ، وشرف أغراقك<sup>(١)</sup> ، وكرم أصلك في العرب محتمل يحتمل ما حمل عليه من إقالة العثرة ، والرجوع عن المفوة ؛ ولا تتجاوز الهم إلى غاية إلا رجعت إليك ؛ فوجدت عندك من فضيلة الرأي ، وبصيرة الفهم ، وكرم الصفح ما يطول رغباتها ، ويستغرق طلباتها .

وقد كان الذي كان من الخطب الجليل ، الذي عمت رزيتة زاراً واليمن ، ولم تخصص به كنفة دوننا ؛ للشرف البارع الذي كان لمجبر . ولو كان يفدى هالك بالأنفس الباقية بعده لما بخلت كرائمنا<sup>(٢)</sup> على مثله ببذل ذلك ، ولقد يناله منه ، ولكن مضي به سبيل لا ترجع أولاه على أخراه ، ولا يلحق أقصاه أذناه .

فأحمد الحالات في ذلك أن تعرف الواجب عليك في إحدى خلال ثلاث : إما أن اخترت من بنى أسدٍ أشرفها بيتاً ، وأعلاها في بناء المكرمات صوتاً ، فقد ناله إليك ينسعة<sup>(٣)</sup> تذهب مع شقرات حُسامك بباقي قصده<sup>(٤)</sup> ، فيقال : رجل امتحن بهلك عزيز عليه ؛ فلم تستل سخيمته إلا بتمكينه من الانتقام ؛ أو فداء بما يروح<sup>(٥)</sup> على بنى أسدٍ من نعمها ، فهي ألوف تجاوز الحسبة ، وكان ذلك فداء ترجع به القضب<sup>(٦)</sup> إلى أجفانها ، لم يردده تسليط الإحن على البرءاء ؛ وإما أن توادعنا حتى تضع الحوامل فتسدل الأزر ، وتعمقده الخمر فوق الرايات .

فبكي امرؤ القيس ساعة ، ثم رفع طرفه إليهم فقال : قد علمت العرب أن

(١) الأعراف : جمع عرق ، وهو أصل كل شيء . (٢) الكرائم : خيار الأموال وقد يراد بها النقوس أو النساء . (٣) النسعة : السير من الجلد يجعل زماماً للسير فيقاده به . (٤) القصدة : المنق . (٥) يروح : يرجع . (٦) القضب : السيوف .

لا كُفءٌ لِحَجَرٍ فِي دَمٍ ، وَأَتَى لَنِ اعْتَاضٍ بِهِ نَاقَةً أَوْ جَلَاءً فَأُكْتَسِبَ بِذَلِكَ سُبَّةُ  
الْأَبَدِ ، وَفَتَّ الْعَضُدُ ؛ وَأَمَّا النَّظَرَةُ فَقَدْ أُوجِبَتْهَا الْأَجَنَّةُ فِي بَطُونِ أُمَهَاتِهَا ، وَإِنِّي لَنِ  
أَكُونُ لَعَطْبِهَا سَبِيكًا ، وَتَعْرِفُونَ طَلَانِعَ كَنَدَةٍ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ تَحْمَلُ فِي الْقُلُوبِ حَقَقًا ،  
وَفَوْقَ الْأُسْنَةِ عَلَقًا <sup>(١)</sup>

إِذَا جَالَتْ الْخَلِيلُ فِي مَازِقٍ <sup>(٢)</sup> تُصَافِحُ فِيهِ الْمَنَايَا النَّفُوسَا  
أَتَقِيمُونَ أَمْ تَنْصَرِفُونَ ؟ قَالُوا : بَلِ نَنْصَرِفُ بِأَسْوِ الْأَخْتِيَارِ ؛ لِحَرْبٍ وَبَلِيَّةٍ ،  
وَمَكْرُوهٍ وَأَذِيَّةٍ ! ثُمَّ نَهَضُوا عَنْهُ وَقَبِيصَةٌ يَقُولُ مِثْلًا :

لَعَلَّكَ أَنْ تَسْتَوْخِمَ الْمَوْتَ إِنْ غَدَتِ كِتَابَيْنَا فِي مَازِقِ الْمَوْتِ تُنْمِطِرُ  
فَقَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ : لَا وَاللَّهِ ، لَا أَسْتَوْخِمُهُ وَلَكِنْ أَسْتَعْذِبُهُ ؛ فَرَوَيْدًا يَنْكَشِفُ  
لَكَ دُجَاهَا عَنْ فُرْسَانِ كَنَدَةٍ وَكِتَابِ خَيْرٍ ، وَلَقَدْ كَانَ ذِكْرُ غَيْرِ هَذَا أَوْلَى بِي ،  
إِذْ كُنْتُ نَازِلًا بِرَبْعِي ، وَمَتَحَرَّمًا بِذِمَامِي ، وَلَكِنَّكَ قُلْتَ فَأَجَبْتُ .

قَالَ قَبِيصَةٌ : إِنْ مَا تَتَوَقَّعُ فَوْقَ قَدْرِ الْمَعَاتِبَةِ الْمَعَاتِبَةِ وَالْإِعْتَابِ <sup>(٣)</sup> ، قَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ :

هُوَ ذَاكَ !

---

(١) الملق : الدم (٢) المَازِق : المضيق (٣) الاعتاب والتعب : رجوع المتعب عليه  
إلى ما يرضى العاتب .



## ٧٦ - نهاية الأعشى \*

وفد الأعشى <sup>(١)</sup> إلى النبي عليه السلام ، وقد مدحه بقصيدته التي أولها :  
 ألم تغمض عينك ليلة أرمداً <sup>(٢)</sup> وعادك ما عاد السليم <sup>(٣)</sup> المسهداً  
 وما ذاك من عشق النساء وإنما تناسيت قبل اليوم خلة مهدياً <sup>(٤)</sup>  
 وفيها يقول لناقته :

فآليت لا أُرثي لها من كلاله <sup>(٥)</sup> ولا من حفاً <sup>(٦)</sup> حتى تزور محمدًا  
 نبي يرى مالا ترؤن وذكره أغار لعمرى في البلاد وأنجداً <sup>(٧)</sup>  
 متى ماتناخي عند باب ابن هاشم تراحي <sup>(٨)</sup> وتلقى من فواضله يدًا  
 فبلغ خبره قريباً ؛ فرصدوه على طريقه وقالوا : هذا صناجة <sup>(٩)</sup> العرب ، مامدح  
 أحداً قط إلا رفع في قدره .

فلما ورد عليهم قالوا له : أين أردت يا أبا بصير ؟ قال : أردت صاحبكم  
 هذا لأسلم . قالوا : إنه نهاك عن خلal ويحرمها عليك ، قال : وما هي ؟  
 فقال أبو سفيان بن حرب : الزنا . قال : لقد تركنى الزنا وتركته ، ثم ماذا ؟  
 قالوا : القمار ، قال لعلني إن لقيته أن أصيب منه عوضاً من القمار ، ثم ماذا ؟

\* الأغاني : ٩-١٢٥ ( طبعة دار الكتب ) ، سيرة ابن هشام : ١-٢٣١

(١) اسمه ميمون بن قيس ، أحد الأعلام من شعراء الجاهلية وغولهم ، متصرف في المديح  
 والهجاء ، وهو أول من سأل بالشعر ، واتبع به أقاصى البلاد : توفي سنة ٦٢٩ م (٢) رجل  
 أرمداً : به رمد في عينيه ، والكلام على تقدير مصدر محذوف ، والتقدير : اغتاض ليلة أرمداً ،  
 غذف المضاف وأقيمت ليلة بدله (٣) السليم . اللدنيغ (٤) مهدي : اسم امرأة (٥) الكلاله : التعب  
 (٦) الحفا : رقة القدم (٧) أغار : دخل النور ؛ وهو كل ما انحدر مغرباً عن تهامة ، وأنجد :  
 دخل النجد ، وهو ضد النور (٨) تراحي : تستريح (٩) كان الأعشى يسمى صناجة العرب ،  
 لجودة شعره . وأصل الصناجة : اللاعب بالصنح .

قالوا : الربا . قال : ما دِنتُ ولا اَدْنْتُ ؛ ثم ماذا ؟ قالوا : انظر . قال : أوه !  
أرجعُ إلى صُبابَةٍ قد بقيت في المِهْرَاسِ <sup>(١)</sup> فأشرُّها .

فقال له أبو سفيان : هل لك في خيرٍ مما همتَ به ؟ قال : وما هو ؟ قال : نحن  
وهو الآن في هُدْنَةٍ ، فتأخذ مائة من الإبل ، وترجع إلى بلدك سَنَتَكَ هذه ، وتنظر  
ما يصير إليه أمرنا . فإن ظهرنا عليه كنت قد أخذت خَلْفًا ، وإن ظهر علينا أَيْدَتُهُ .  
فقال : ما أكرهُ ذلك . فقال أبو سفيان : يامعشر قريش ، هذا الأعشى ! والله لئن  
أتى محمداً واتبعه لِيُضْرَمَنَّ عَلَيْكُمْ نيران العرب بشعره ، فاجمعوا له مائة من الإبل ،  
ففعّلوا ، فأخذها وانطلق إلى بلده . فلما كان بقاع مَنفُوحَةٍ <sup>(٢)</sup> رَمَى به بعيرٌ فقتله .

---

(١) المِهْرَاس : حجر منقور يسم كثيرا من الماء (٢) منقوحة : قرية مشهورة من  
فواحي البليامة .

٧٧ — رثاء فوق قبر \*

كان عامر<sup>(١)</sup> بن الطفيل أفرس أهل زمانه وأسودهم ، فلما مات ودُفِنَ مرَّ على قبره حيَّان بن سلمى - وقد غاب عند موته - فقال : ماهذه الأنصاب ؟ فقالوا : نصَّبناها على قبر عامر ، فقال : ضيِّقتم على أبي عليّ ، وأفضَلتم<sup>(٢)</sup> منه فضلاً كثيراً . ثم وقف على قبره وقال : أنعم ظلاماً أباعلى إفوالله لقد كنت تشنُّ الغارة ، وتحمى الجارة ، سريعاً إلى المولى بوعدك ، بطيئاً عنه بوعيدك<sup>(٣)</sup> ؛ وكنت لا تضلُّ حتى يضلَّ النجم ، ولا تهابُ حتى يهابَ السيل ، ولا تعطش حتى يعطشَ البعير ؛ وكنت والله خيرَ مانسكون حين لا تظنُّ نفسٌ بنفسٍ خيراً .

ثم التفتَ إليهم ، فقال : هلاً جعلتم قبر أبى عليّ ميلاً في ميل !

\* مجمع الأمثال : ٢-٢٣

(١) عامر بن الطفيل بن مالك ابن أخى عامر ملاعب الأسته ، وابن عم لبيد الشاعر المعروف ، كان منادياً ينادى يمشا : هل من راجل فأحله ، أو جائع فأطعمه ، أو خائف فأؤمته ؟ وكان سيد بنى عامر غير مدافع . وقد وفد على النى ومعه أريد أخو لبيد يضمران الشر والسوء غلب مساعما ، وسار عامر يريد قومه فأتى الطريق سنة ١١ هـ (٢) أفضل منه : إذا ترك منه شيئا ، والفضل والفضلة : البقية من الشيء (٣) الوعيد فى الشر ، والوعد فى الخير .

٧٨ — بمثل هذا فليُثنَى على الملوك \*

قال حسان بن ثابت<sup>(١)</sup> : قدِمت على عمرو بن الحارث ، فاعتاص على الوصولُ إليه ، فقلت للحاجب بعد مدّة : إن أذنتَ لى عليه وإلا هجوتُ اليمينَ كلّها ثم انقلبتُ عنكم . فأذن لى ، فدخلتُ عليه فوجدتُ عنده النابغة وهو جالس عن يمينه ، وعلقمة بن عبدة وهو جالس عن يساره ، فقال لى : يا ابن الفُرْبعة ؛ قد عرفت عيصك<sup>(٢)</sup> ونسبك فى غَسَّان ، فارجعْ فأبى باعث إليك بصِلّة سنيّة ، ولا أحتاج إلى الشعر ، فأبى أخافُ عليك هذين السَّبْعين — النابغة وعلقمة — أن يفضحاك ؛ وفضيحتك فضيحتى ، وأنت والله لا تُحسِنُ أن تقول :

رِفاقُ النعالِ طيّبٌ حُجْرَتُهُمْ يُحْيَوْنَ بِالرَّيْحَانِ يَوْمَ السَّبَاسِبِ<sup>(٣)</sup>  
فأيتُ وقلت : لا بدّ منه ، فقال : ذاك ، فقال إلى عمّيك ، فقلت لهما : بحقّ الملك  
إلا قدّمتانى عليكما ! فقالا : قد فعلنا ، فقال عمرو بن الحارث : هات يا ابن الفُرْبعة ،  
فأنشأت :

\* الأغانى : ١٤ - ٢٢ .

(١) حسان بن ثابت ، شاعر الأنصار فى الجاهلية ، وشاعر رسول الله فى النبوة ، وشاعر اليمين كلّها فى الإسلام ، دافع عن رسول الله بشعره ، كما دافع عنه قومه ببيوفهم ، وعمر طويلا . ومات سنة ٥٤ هـ (٢) العيص : الأصل ، والفريضة : أمه (٣) رفاق النعال : أى أن نعالهم رقيقة لا يخفضونها طباقا ، وذلك كناية عن قلة مشيهم ، لأنهم ملوك . بل يركبون الجبل غالبا ، وحجزة الإزار والسراويل جمع شدما على الوسط من الجسم ، كناية عن عقبتهم ، والسباسب : يوم الشعانين ، وهو يوم عيد عند النصارى ، وكان المدوح نصرانيا .

لله دَرَّ عَصَابَةٍ نَادَمَتْهُمْ يوماً بجلَّتْ<sup>(١)</sup> في الزَّمانِ الأوَّلِ  
 أولادُ جفنة<sup>(٢)</sup> عند قبر أبيهم<sup>(٣)</sup> قبر ابنِ ماريةَ الكريمِ المُفْضِلِ  
 يَسْقُونَ مِنْ وَرْدِ الْبَرِيصِ<sup>(٤)</sup> عليهم بَرَدَى يُصَفِّقُ<sup>(٥)</sup> بِالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ  
 يُنْشَوْنَ حَتَّى مَاتَهُمْ كَلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْقَبِيلِ  
 بِيضُ الْوَجْهِ كَرِيمَةٍ أَحْسَابُهُمْ شَمُّ الْأَنْوْفِ مِنَ الطَّرَازِ الأوَّلِ  
 فَلَبِثْتُ أَرْمَانًا طَوَالاً فِيهِمْ ثُمَّ أَدْرَكْتُ كَأَنِّي لَمْ أَفْعَلِ

\*\*\*

قال : فلم يزل عمرو بن الحارث يَزْحَلُ<sup>(٦)</sup> عن موضعه سُرُورًا ، وهو يقول :  
 هذا وأبيك الشعر ! لا مائلاً لاني به منذ اليوم ! هذه والله البتارة التي قد بترت المدائح !  
 أحسنت يا بن الفُرَيْمَةِ ! هات له يا غلام ألفَ دينار مَرْجُوحَةٍ<sup>(٨)</sup> ، فَأَعْطَيْتُ ذَلِكَ ،  
 ثم قال : لك علىّ في كل سنة مثلها .

ثم أقبل على النابغة فقال : قم يا زياد ، فهاتِ الثناءَ المسجوع ، فقام النابغة  
 فقال : ألا أنتم صباحاً أيها الملك المبارك ! السماء غطاؤك ، والأرض وطاؤك ، ووالدي

(١) جلق : دمشق (٢) جفنة : هو جفنة بن عمرو أبو ملوك الشام ، وأولاده هم : النعمان  
 والمنذر والنيذر وجلة وأبو شمر ، وكانوا جميعاً ملوكاً (٣) أراد بهذا أنهم أعزاء مقيمون بدار  
 مملكتهم ، ليسوا أصحاب رحلة وامتجاع (٤) هي مارية بنت ظالم الكندية أم الحارث الأعرج ،  
 وهي ذات القرطين الذين يضرب بها المثل ، فيقال لما يقبل به الثمن . بقرطى مارية ، وأختها هند  
 الهنود امرأة حجر آكل الرار (٥) البريس : غوطة دمشق (٦) صفق الشراب : حوله بمزوجة  
 من إناء إلى إناء ليصفو . والرحيق : الخمر أو أطيبها ، والسلسل : العذب البارد (٧) زحل عن  
 موضعه : زحف (٨) مرجوحة : هي ما كان في كل دينار منها عشر دنائير .

فداؤك ، والعرب وقاؤك ، والعجم حماؤك ، والحكماء جلساؤك ، والمدار<sup>(١)</sup> سمارك ،  
والمقاو<sup>ل</sup> إخوانك والعقل شعارك ، والحلم دثارك ، والسكينة مهادك ، والوقار غشاؤك !  
والبر<sup>ل</sup> وسادك ، والصدق رداؤك ، واليمن حذاؤك ، والسخاء ظهارتك ، والحمة  
بطانتك ، والملاء غايتك وأكرم<sup>ل</sup> الأحياء أحياءك ، وأشرف<sup>ل</sup> الأجداد أجدادك ،  
وخير<sup>ل</sup> الآباء آباؤك ، وأفضل<sup>ل</sup> الأعمام أعمامك ، وأسر<sup>ل</sup> الأخوال أخوالك ، وأعف<sup>ل</sup>  
النساء حلائلك ، وأفخر<sup>ل</sup> الشبان أبناؤك ، وأطهر<sup>ل</sup> الأمهات أمهاتك ، وأعلى<sup>ل</sup> البنيان  
بنيانك ، وأعذب<sup>ل</sup> المياه أمواهك ، وأفيح<sup>ل</sup> الدارات<sup>(٢)</sup> دارتك ، وأنزه<sup>ل</sup> الحدائق  
حدائقك ، وأرفع<sup>ل</sup> اللباس لباسك ، قد حالف<sup>ل</sup> الإضر<sup>ل</sup>يج<sup>(٣)</sup> عاتقك ، ولائم<sup>ل</sup> المسك<sup>(٤)</sup>  
مسكك<sup>(٥)</sup> ، وجاور<sup>ل</sup> العنبر<sup>ل</sup> ترائيك<sup>(٦)</sup> ، وصاحب<sup>ل</sup> النعيم<sup>ل</sup> جسّدك .

العسجد آنتك ، واللجين صحافك ، والعصب<sup>(٧)</sup> مناديلك ، والحواري<sup>(٨)</sup>  
طعامك ، والشهد إدامك ، والخرطوم<sup>(٩)</sup> شرابك ، والأشراف مضافك<sup>(١٠)</sup> ،  
والخير بفنائك ، والشر بساحة أعدائك ، والنصر منوط<sup>ل</sup> بلوائك ، والخذلان مع  
ألوية حسادك ، والبر فعلك . قد طحطح<sup>(١١)</sup> عدوك غضبك ، وهزم<sup>ل</sup> مقابهم<sup>(١٢)</sup>  
مشهدك ، وسار في الناس عدلك ، وسكن قوارع<sup>ل</sup> الأعداء ظفرك .

الذهب عطاؤك ، والدواة رمزك ، والأوراق لحفظك ، والغنى إطراقتك ، وألف  
دينار مرجوحة إيمانك .

---

(١) المدار : جم مدره ، وهو السيد الشريف ، والمقدم في اللسان واليد عند الخصومة  
(٢) الدارة : المحل يجمع البناء (٣) الإضر<sup>ل</sup>يج : الخز (٤) المسك . الجلد (٥) الترائب : عظام  
الصدر (٦) العصب : نوع من البرود (٧) الحواري : لباب الدقيق (٨) الخرطوم : أول ما يجرى  
من العنب قبل أن يندس (٩) جمع منصف وهو الخادم (١٠) طحطح : كسر وفرق وبدد إهلاكاً .  
(١١) المقب من الخيل : ما بين الثلاثين إلى الأربعين .

أَيُفَاخِرُكَ الْمُنْذِرُ اللَّخْمِيُّ ! فَوَ اللَّهِ لَقَفَّاكَ خَيْرٌ مِنْ وَجْهِهِ ، وَلَشِمَالِكَ خَيْرٌ مِنْ يَمِينِهِ  
وَلَأَخْمَصِكَ خَيْرٌ مِنْ رَأْسِهِ ، وَلِخَطْوُوكَ خَيْرٌ مِنْ صَوَابِهِ ، وَلِصِمْتِكَ خَيْرٌ مِنْ كَلَامِهِ ،  
وَلَأَمْلِكَ خَيْرٌ مِنْ أَيْبِهِ ، وَلِخِدْمَتِكَ خَيْرٌ مِنْ قَوْمِهِ . فَهَبْ لِي أَسَارَى قَوْمِي ، وَاسْتَرْهِنْ  
بِذَلِكَ شُكْرِي ، فَإِنَّكَ مِنْ أَشْرَافِ قَحْطَانٍ ، وَأَنَا مِنْ سَرَواتِ عَدْنَانَ .

فَرَفَعَ عَمْرُو رَأْسَهُ إِلَى جَارِيَةٍ كَانَتْ قَائِمَةً عَلَى رَأْسِهِ ، وَقَالَ : بِمِثْلِ هَذَا فَلْيُتِنَنَّ عَلَى  
الْمُلُوكِ ، وَمِثْلُ ابْنِ الْقَرِيمَةِ فَلْيَمْدَحْهُمْ . وَأَطْلَقَ لَهُ أَسْرَى قَوْمِهِ .

## ٧٩ — عُتْبَةُ وَأَعْرَابِي\*

حجَّ عتبة<sup>(١)</sup> سنة إحدى وأربعين ، والناسُ قريبٌ عهدٌم بفتنة ، فصلى بمكة الجمعة ، ثم قال : أيها الناس ؛ إنا قد ولينا هذا المقام الذي يُضَاعَف فيه للمُحْسِن الأجرُ ، وعلى المسيء فيه الوزر ، ونحن على طريق ما قَصَدْنَا ؛ فلا تَمُدُّوا الأعناقَ إلى غيرنا ؛ فإنها تنقطع دوننا ، وربُّ مُتَمَنٍّ حَتَفُهُ في أُمْنِيَّتِهِ ؛ فاقبلوا العافية ما قبلناها فيكم وقبلناها منكم ؛ وإياكم ولَوْا<sup>(٢)</sup> فإنها أُنْعَبَتْ مَنْ كان قبلكم ، ولن تُرِيحَ مَنْ بَعَدَكُمْ ؛ وأنا أسألُ الله أن يعين كُلاً على كُلِّ .

فصاح به أعرابي : أيها الخليفة ! فقال لستُ به ولم تُبْعِدْ<sup>(٣)</sup> . فقال : يا أخاه . قال : سمعتُ قُفْل . قال : تالله ! إن تحسنوا - وقد أسأنا - خير من أن تسيئوا وقد أحسنَّا ؛ فإن كان الإحسانُ بكم دوننا فما أحقكم باستقامته ، وإن كان منا فإولاكم بمكافأتنا ! رجل من بني عامر بن صعصعة يلقاكم بالعمومة ، ويقربُ إليكم بالحنولة ، قد كثره العيال<sup>(٤)</sup> ، ووطئه الزمان ، وبه فقر ، وفيه أجر ، وعنده شكر .

فقال عتبة : أستغفرُ الله منكم ، وأستعينه عليكم ، قد أمرنا لك بفيناك ، فليت

إسْرَاعنا إليك يقوم بإبطائنا عنك !

\* الأملال : ١ - ٢٣٦ .

(١) هو عتبة بن أبي سفيان ، أخو معاوية بن أبي سفيان ، ولاء أخوه معاوية إمارة مصر سنة ٤٣ هـ وشهد يوم الدار مع عثمان ، ويوم الجمل مع عائشة ، وكان من خطباء بني أمية المعدودين ، وتوفي سنة ٤٤ هـ . (٢) اللو : قول المتنم على القاتل : لو كان كذا لقلت ولعلت ، ومنه الحديث « لا يك واللو ؛ فإن اللو من الشيطان » (٣) ولم تبعد : أي أنا أخو الخليفة وهو معاوية بن أبي سفيان . (٤) كثره العيال : كانوا كثيرين فظليوه بكثرةهم .



## ٨٠- إن من البيان لَسِحْرٌ \*

وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزُّبْرَقَانُ <sup>(١)</sup> بن بدر وعمرو <sup>(٢)</sup> بن الأَهمّ ؛ فقال الزُّبْرَقَانُ : يا رسولَ الله ، أنا سيدُ تميم ، والمطاعُ فيهم ، والمجّابُ منهم ، آخذُ لهم بحقّهم ، وأمنعُهم من الظلم ؛ وهذا يعلمُ ذلك - يعني عمراً . فقال عمرو : أَجَلُ يا رسولَ الله ! إنه مانعُ حَلْوَزَتِهِ <sup>(٣)</sup> ، مطاعٌ في عشيرته ، شديدُ العارضة <sup>(٤)</sup> فيهم .

فقال الزُّبْرَقَانُ : أما إنه والله قد علمُ أكثرَ مما قال ، ولكنه حسدنى شرفي ! فقال عمرو : أما والله لئن قال ما قال ، فوالله ما علمته إلا ضيقُ العطن <sup>(٥)</sup> زَمِرٌ <sup>(٦)</sup> المروءة ، أحقُّ الأب ، لثيم الخلال ، حديث الغنى !

فرأى الكراهة في وجه رسولِ الله صلى الله عليه وسلم لما اختلف قوله ، فقال يا رسولَ الله ، رضيتُ قُلتُ أحسنَ ما علمتُ ، وغضبتُ قُلتُ أقبحَ ما علمتُ ، وما كذبتُ في الأولى ، ولقد صدقتُ في الثانية !

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من البيان لَسِحْرٌ » .

\* زهر الآداب : ١-٥ . مجمع الأمثال : ١-٧

(١) الزُّبْرَقَات : اسمُ حصين بن بدر ، وفد على رسول الله في قومه - وكان أحد ساداتهم ، فأُسلِموا في سنة تسع ، وولاه صفقات قومه . وأقره أبو بكر وعمر على ذلك ، والزُّبْرَقَانُ في الأصل : القمر ، ولقب به لحسنه . وتوفي نحو سنة ٤٥ هـ (٢) عمرو بن الأَهمّ : هو عمرو بن سنان ، وسمى سنان الأَهمّ ، لأن قيس بن عاصم المنقرى ضربه بقوس فهِمَ فاه . وبنو الأَهمّ أهل بيت بلاغة في الجاهلية والإسلام (٣) حوزة الرجل : ما يحوزة ويملكه (٤) العارضة : البلية وقوة الكلام (٥) العطن : النأخ حول الورد ، وضيق العطن : كناية عن البخل . (٦) زمر المروءة : قليلها .

## ٨١ - عبد الله بن عباس والخطيئة \*

بينما ابن عباس جالسٌ في مجلسٍ <sup>(١)</sup> رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما كُفَّ بصرُهُ ، وحوله ناسٌ من قريش ، إذ أقبل أعرابي <sup>(٢)</sup> يَخْطُرُ ، وعليه مَطْرَفٌ <sup>(٣)</sup> وجبةٌ وعمامة خبزٌ ، حتى سَلَّمَ على القوم ، فردّوا عليه السلام ، فقال : يا بنَ عمِّ رسول الله ؛ أَفْتِنِي ، قال : فِيمَ ؟ قال : أَخَافُ عَلَى جُنَاحِي أَنْ يَظْلِمَنِي رَجُلٌ فَظْلَمْتُهُ ، وَشَتَمَنِي فَشَتَمْتُهُ ، وَقَصَّرَ بِي فَقَصَّرْتُ بِهِ ؟ فقال : العَفْوُ خَيْرٌ ، وَمَنْ اتَّصَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ . فقال : يا بنَ عمِّ رسول الله ؛ أَرَأَيْتَ إِمْرَأًا أَتَانِي فَوَعَدَنِي وَغَرَّنِي وَمَنَانِي ، ثُمَّ أَخْلَفَنِي وَاسْتَخَفَّ بِحَزْمَتِي ، أَيْسَعْنِي أَنْ أَهْجُوهُ ؟ قال : لَا يَصْلَحُ الْهَجَاءُ ؛ لِأَنَّهُ لَا بَدَأَ لَكَ مِنْ أَنْ تَهْجُوَ غَيْرَهُ مِنْ عَشِيرَتِهِ ، فَتَظْلَمَ مَنْ لَمْ يَظْلَمْكَ ، وَتَشْتِمُ مَنْ لَمْ يَشْتِمَكَ ، وَتَبْغِي عَلَى مَنْ لَمْ يَبْغِ عَلَيْكَ ، وَالْبَغْيُ مَرْتَةٌ وَخِيمٌ ، وَفِي الْعَفْوِ مَا قَدْ عَلِمْتَ مِنَ الْفَضْلِ ؛ قال : صَدَقْتَ وَبَرَرْتَ .

فَلَمْ يَنْشَبْ أَنْ أَقْبَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَيْحَانَ الْمُحَارِبِيُّ حَلِيفُ قُرَيْشٍ ، فَلَمَّا رَأَى الْأَعْرَابِيَّ أَجَلَّهُ وَأَعْظَمَهُ وَالْطَفَ فِي مَسْأَلَتِهِ ، وَقَالَ : قَرَّبَ اللَّهُ دَارَكَ يَا أَبَا مُلَيْكَةَ ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : أَجْرَوَلُ ؟ قَالَ : جَرَوْلُ ! فَإِذَا هُوَ الْخَطِيئَةُ ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : اللَّهُ أَنْتَ ! أَيْ مِرْدَى <sup>(٤)</sup> قِذَافٍ ، وَذَائِدٍ عَنْ عَشِيرَةٍ ، وَمُثْنٍ بِعَارِفَةٍ تَوَلَّيْتُهَا

\* الْأَعْيَانُ : ٢-١٩٢

(١) عُلْتُ رَسُولَ اللَّهِ . أَيْ الْمَكَانَ الَّذِي كَانَ يَجْلِسُ فِيهِ (٢) هُوَ جَرَوْلُ بْنُ أَوْسٍ مِنْ بَنِي عَبْسٍ ؛ كَانَ مِنْ غَوَلِ الشُّعْرَاءِ وَمُقَدِّمِهِمْ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ ذَا شُرُوفَةٍ شَدِيدِ الْهَجَاءِ يَخَافُ الْعَرَبُ لِسَانَهُ وَيَسْتَرْضُونَهُ بِالْمَالِ خَوْفًا مِنْ شَرِّهِ وَمَاتَ سَنَةَ ٥٩ هـ (٣) الْمَطْرَفُ : رِءَاثٌ مِنْ خَزَرِ (٤) الْمِرْدَى : فِي الْأَصْلِ حَجَرٌ يَرْمَى ، وَيُطْلَقُ عَلَى الرَّجُلِ الشَّجَاعِ فَيَقَالُ : مِرْدَى حُرُوبٍ .

أنت يا أبا مليكة ! والله لو كنت عرصت<sup>(١)</sup> يجتنبك بعض ما كرهت من أمر الزبرقان كان خيراً لك ، ولقد ظلمت من قومه من لم يظلمك ، وشتت من لم يشتتكم ، قال : إني والله بهم يا أبا العباس<sup>(٢)</sup> لعالم ؛ قال : ما أنت بأعلم بهم من غيرك ، قال : بلى والله ! يرحمك الله ! ثم أنشأ يقول :

أنا ابنُ بحدتهم<sup>(٣)</sup> علماً وتجربةً      فسلْ بسعدٍ تجدني أعلمَ الناسِ  
سعدُ بنُ زيدٍ كثيرٌ إن عدتهمُ      ورأسُ سعد بن زيد آل شيماس  
والزبرقان ذئابهم<sup>(٤)</sup> وشرهمُ      ليس الذنابي أبا العباس كالرأسِ  
فقال ابن عباس : أقسمت عليك ألا تقول إلا خيراً ، قال : أفعل .

ثم قال ابن عباس : يا أبا مليكة ؛ من أشعرُ الناس ؟ قال : أمن الماضين أم من الباقين ؟ قال : من الماضين ، قال : الذي يقول :

ومن يحمل المعروف من دون عِرضه      يَفِرُّهُ ، وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشرَّ يُشْمَرُ  
وما بدونه الذي يقول :

ولست بمستبقٍ أخلاً تَلْشُهُ      على شَمْتٍ ، أَيْ الرجال المهذَّبُ !  
ولكن الضراعة أفسدته كما أفسدت جرّولا - يعني نفسه - والله يابن عمّ رسول الله لولا الطمعُ والجشعُ لكنتُ أشعرَ الماضين ، فأما الباقون فلا تشك أني أشعرهم وأضردهم<sup>(٥)</sup> سهما إذا رميت !

(١) عرك بجنبه ما كان من صاحبه : احتمله  
(٢) كنية عبد الله بن العباس (٣) البجدة :  
(٤) ذئابهم : ذئبهم (٥) أضردهم .  
دخله الأمر وباطنه ، والمراد : أنا العالم بالشيء

٨٢ - طريد لسانه \*

لما وثى سعيد بن عثمان بن عفان خراسان أراد أن يستصحب يزيد<sup>(١)</sup> بن ربيعة بن مفرغ ، فأبى عليه ، وصحب عبادة بن زياد ، فقال له سعيد : أما إذا أبيت أن تصحبني وآثرت عبادةً فاحفظ ما أوصيك به : إن عبادةً رجلاً لثيم ، فإياك والدالة عليه ، وإن دعاك إليها من نفسه ، فإنها خدعة منه لك عن نفسك ، وأقلل زيارته ، فإنه طريف<sup>(٢)</sup> ملول ، ولا تُفآخره وإن فآخرك ، فإنه لا يحتمل لك ما كنت أحتمله .

ثم دعا سعيد بمال فدفعه إلى ابن مفرغ وقال : استعين به على سفرك ؛ فإن صحَّ لك مكانك من عبادة ، وإلا فمكانك عندي مُمهَّد فأتني .

ثم سار سعيد إلى خراسان وتخلَّف ابن مفرغ عنه ، وخرج مع عبادة ابن زياد .

قال الراوى : فلما بلغ عبيد الله<sup>(٣)</sup> بن زياد صحبة ابن مفرغ أخاه عبادة شقَّ عليه ، ولما عزم عبادة على السير إلى سجستان ، جاء عبد الله يودعه ، فدعا ابن مفرغ وقال له : إنك سألت عبادة أن تصحبه وأجابك إلى ذلك وقد شقَّ على .

فقال له ابن مفرغ : ولم أصلحك الله ؟ فقال : لأنَّ الشاعر لا يُقنعه من

\* تاريخ الطبرى : ٦ - ١٧٧ ، الأغانى : ١٧ - ٥٥ ( طبعة الساسى ) .

(١) يزيد بن ربيعة بن مفرغ : شاعر محسن غزل من شعراء الحماسة ، تولى سنة ٦٩ هـ .

(٢) الطرف : من لا يثبت على صاحب (٣) كان عبيد الله والى البصرة على عهد معاوية .

الناس ما يُقْنِعُ بعضهم من بعض ؛ لأنه يظنُّ فيجعل الظنَّ يقيناً ، ولا يعذر في موضع ؛ وإن عبّاداً يقدم على أرض حرب فيشتغلُ بحروبه وخِراجِه عنك ، فلا تعذِّره أنت وتكسبنا شرّاً وعاراً .

فقال له : لستُ كما ظنَّ الأمير ، وإن لمعروفه عندي لشكراً كثيراً ، وإن له عندي - إن أغفلَ أمرى - عذراً مُمهّداً .

قال عبيد الله : لا ، ولكن تضمّن لي إن أبطأ عنك ما تحبّه ألا تعجلَ عليه حتى تكتبَ إليّ ! قال : نعم ، قال : امض على الطائر الميمون .

قال الراوى : فلما قدم عبّادٌ سِجِسْتَانُ ، واشتغلَ بحربه مع التّركِ وخِراجِه استبطّاه ابن مفرغ ، ولم يكتبَ إلى عبيد الله بن زياد يشكوه كما ضمّن له ، ولكن بسّطَ لسانه ، فذمّه وهجاه ؛ وكان عبّادٌ عظيمُ اللّحية كأنها جُوالق<sup>(١)</sup> ، فدخلت الريح فنفتشها ، فضحك ابن مفرغ وقال لرجل كان إلى جنبه :

ألا ليت اللّحي كانت حشيشاً فنعلفها خيولَ المسلمين !<sup>(٢)</sup>

فسعى به الرجل إلى عبّاد ، فغضب من ذلك غضباً شديداً وقال : لا يحملُ بي عقوبته في هذه السرعة مع الصحبة لي ، وما أُوخِّرُها إلّا لأشفيَ نفسي منه .

وبلغ الخبرُ ابنَ مفرغ فقال : إني لأجدُ ريحَ الموت من عبّاد ؛ ثم دخل عليه فقال : أيها الأمير ؛ إني كنت مع سعيد بن عثمان ، وقد بلغك رأيُه فيّ ، وجميلُ أثره عليّ ، وإني اخترتُك عليه فلم أظفرَ منك بطائل ؛ وأريد أن تأذنَ لي في الرجوع ؛ فلا حاجةَ لي في صحبتك .

(١) الجوالق : الوطاء . (٢) كان قد أصاب الجنّد مع عبّاد ضيق في أعلاف دوابهم .  
( ١٤ - قصص العرب ٢ )

قال له : أما اختيارك إياي فإني اخترتك كما اخترتني ، واستصحبك حين سألتني ، وقد أعجلتني عن بلوغ تحبتي فيك ؛ وطلبت الآن أن ترجع إلى قومك فتفضحن فيهم ، وأنت على الإذن قادرٌ بعد أن أفضى حَقَّك . فسكت ابنُ مفرغ .

ثم أجرى عباد الخيلَ يوماً ، فجاء سابقاً ، فقال ابن مفرغ يهزأ به : سبق عباد وصلت<sup>(١)</sup> لحيته . فبلغ ذلك عبّاداً ، وبلغه أنه لا يزال يسبه ويذكره ، فطلب عليه العِلل ، ودسّ إلى قوم كان لهم عليه دين ، فأمرهم أن يقدموه إليه ، ففعلوا فحبسه وأضرَّ به .

ثم بعث إليه : أن يعني الأراكة<sup>(٢)</sup> ويردّدا ، فبعث إليه ابن مفرغ مع الرسول : أبيعُ المرء نفسه أو ولده ! ثم شرَّ به عبّاد حتى باعها لرجل من أهل خراسان ، فقال ابن مفرغ :

شريت برداً ولو ملكت صفقته	لما تطلبت في بيع له رَشداً
لولا الدعوى ولولا ما تعرضَ لي	من الحوادث ما فارقته أبداً
أما الأراكُ فكانت من تحارينا	عيشاً لذيذاً وكانت جنةً رغداً
كانت لنا جنةً كنا نعيشُ بها	نَفنى بها إن خشينا الأزل والنكد <sup>(٣)</sup>
ياليتني قبلَ ما ناب الزمانُ به	أهلى لقيتُ على عدوانه الأسدَا
قد خآنا عيشُ من لم نخشَ عثرته	من يَأمن اليوم أَمَّنْ ذا يعيش غداً !
لامتنى النفس في برْدٍ قُلت لها :	لا تهلكي إثر بُرد هكذا كمداً

(١) المصل في الخيل : هو الذي يتلو السابق . (٢) كانت الأراكة قينة لابن مفرغ ، وبرد غلامه ، رباهما ، وكان شديد الضن بهما . (٣) الأزل : الضيق والشدة .

كم من نعيم أصبنا من لذاته قلنا له إذ تولّى : ليته خَلداً<sup>(١)</sup> !  
ثم قال عباد لحاجبه : ما أرى هذا يبالي بالمقام في الحبس ، فبيع فرسه وسلاحه  
وأثاثه ، واقسم ثمنها بين غُرمائه . ففعل ذلك وقسم الثمن بينهم ، وبقيت عليه  
بقية حبسه بها .

وعلم ابن مفرغ أنه إن أقام على ذمّ عباد وهجائه ، وهو في محبسه ، زاد نفسه  
شرّاً ، فكان يقول للناس - إذا سألوه عن حبسه ما سبّه - رجلٌ أدّبه أميره ليُقوم  
من أودّه ، أو يكفّ من غُرمائه ، وهذا لعمري خيرٌ من جرّ الأمير ذيله على  
مُداينة صاحبه .

فلما بلغ ذلك عباداً من قوله رَقّ له ، وأُخرجَه من السجن ، فهربَ حتى أتى  
البصرة ، ثم خرج منها إلى الشام ، وجعل ينتقل في مدنها هارباً ، ويهجو زياداً  
وولده ، وأشعاره فيهم ترد البصرة وتنتشر وتبلغهم ، ثم تعدّى ذلك إلى أبي سفيان  
فقدّفه وسبّ ولده .

ولما تمادى في ذلك جاء عباد إلى أخيه عبيد الله بالبصرة ، فوجده وافداً على  
معاوية ، فكتب إليه ببعض ما هجا به آل زياد وأبا سفيان .

---

(١) ذكروا أن الأراكه ويرداً حينما دخلا منزل الحراساني قال له برد - وكان داهية أرباً - :  
أتدري ما اشتريت ؟ قال : نعم ، اشتريت هذه الجارية ، فقال : لا والله ما اشتريت إلا العار والعمار  
والفضيحة أبداً ما حيت ! فجزع الرجل : وقال له : كيف ذلك ؟ وبالك ! قال : نحن ليزيد بن  
مفرغ ، واقه ما أصاره إلى هذه الحال إلا لسانه وشره ، أفتراه يهجو ابن زياد وهو أمير خراسان  
وأخوه أمير المراقين وعمه الخليفة في أن استبطأه ، وعسك عنك وقد ابتعتي وابتعت هذه الجارية ،  
وهي نفس التي بين جنبيه ! والله ما أرى أحداً أدخل بيته أشأم على نفسه وأهله مما أدخلته على  
منزلك ! فقال : فاشهد أنك وإياها له ؟ فإن شئنا أن نمضي إليه فامضيا ، وإن شئنا أن نكون عندنا  
فافضلا ! قال : فكتب إليه بذلك ، فكتب الرجل إلى ابن مفرغ في الحبس بما فعله ، فكتب إليه  
يشكر فعله وسأله أن يكونا عنده حتى يفرج الله عنه .

فلما قرأ عبيد الله الشعر دخل على معاوية ، ثم استأذنه في قتل ابن مفرغ ، فأبى عليه أن يقتله وقال : أدِّبه ولا تبلغ به القتل .

ثم جعل ابن مفرغ ينتقل من بلد إلى بلد ، فإذا شاع خبره انتقل حتى لفظته الشام ؛ فأتى البصرة ، ونزل على الأحنف بن قيس فالتجأ واستجار به ، فقال له الأحنف : إني لا أجبر على ابن مُمَيَّة <sup>(١)</sup> ، إنما يجبر الرجل على عشيرته ، فأما على سلطانه فلا .

ثم أتى خالد بن عبد الله فاستجار به ، فأبى أن يجيره ، فأتى عمر بن عبيد الله فوعده ، وأتى طلحة الطلحات فوعده ، ثم أتى المنذر العبدى فأجاره ، وكان عبيد الله بن زياد زوجاً لبنته ، وكان من أكرم الناس عليه ، فاغتر بذلك ، وأدّل بموضعه منه وطلبه عبيدُ الله فقبل له : قد أجارَه المنذر .

فبعث عبيدُ الله إلى المنذر فأتاه ، فلما دخل عليه بعث بالشرط ، فكبسوا دارَ المنذر وأتوه بأبن مفرغ ، فلم يشعر المنذر إلا بأبن مفرغ قد أقيم على رأسه . فقام إلى عبيد الله فكلّمه فيه وقال : أذكرك الله أيها الأمير ، لا تخفِرْ جوارى فإني قد أجرتَه .

فقال عبيد الله : يا منذر ، ليمدَحَنَّ أباك وليمدَحَنَّك ، ولقد هيجاني وهجاء أبي ثم تجيره على ! والله لا يكون ذلك أبداً ، ولا أغفرُها له . فغضب المنذر ، فقال له عبيد الله : لعلك تُدِلُّ بكريمتك عندي ، إن شئت والله لأينهنَّها بتطبيق البتّة <sup>(٢)</sup> .

فخرج المنذر من عنده ، وأقبل عبيدُ الله على ابن مفرغ ، وقال له : بئسما

---

(١) سمية : أم زياد (٢) منصوب على المصدر ، يقال : لأفعله البتّة . لكل أمر لا رجعة فيه .



صَحِبْتَ بِهِ عِبَادًا ! فَقَالَ : بَشَمًا صَحِبْنِي بِهِ عِبَاد ! اخْتَرْتَهُ عَلَى سَعِيدِ بْنِ عُثْمَانَ ،  
وَأَنْفَقْتُ عَلَى صَحْبَتِهِ كُلِّ مَا أَفْدَتْهُ وَكُلَّ مَا أَمْلَكَهُ ، ثُمَّ عَامَلْنِي بِكُلِّ قَبِيحٍ ،  
وَتَنَاوَلْنِي بِكُلِّ مَكْرُوهٍ ، مِنْ حَبْسٍ وَغُرْمٍ ، وَشَتْمٍ وَضَرْبٍ ، فَكُنْتُ كَمَنْ شَامَ بَرْقًا  
خَلْبًا فِي سَحَابِ جَهَامٍ ، فَأَرَأَى مَاءَهُ طِمَعًا فِيهِ فَمَاتَ عَطْشًا ، وَمَا هَرَبْتُ مِنْ أَخِيكَ  
إِلَّا لَمَّا خِفْتُ أَنْ يُجَرِّيَ فِيَّ مَا يَنْدُمُ عَلَيْهِ ، وَقَدْ صُرْتُ الْآنَ فِي يَدِكَ ، فَشَانَكَ  
فَاصْنَعْ بِي مَا أَحْبَبْتَ .

فَأَخَذَ عَمِيدُ اللَّهِ فِي تَعْذِيبِهِ ، وَأَمَرَ أَنْ يُطَافَ بِهِ ، بِحَالَةِ سَيْنَةٍ ، وَقُرْنِ بَهْرَةٍ  
وَحَنْزِيرَةٍ ، وَالصَّبِيَّانِ حَوْلَهُ يَصِيحُونَ بِهِ وَيَلْحَنُونَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ رُدَّ إِلَى السِّجْنِ ، وَسُقِيَ  
فِيهِ مِنْ أَلْوَانِ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ . فَقَالَ يَذْكُرُ مَا فَعَلَ بِهِ وَإِهْمَالَ قَرِيشِ إِيَّاهُ :

دَارَ سَلَمَى بِالْخُبْتِ ذِي الْأَطْلَالِ	كَيْفَ نَوْمُ الْأَسِيرِ فِي الْأَغْلَالِ !
أَيْنَ مَنَى السَّلَامُ مِنْ بَعْدِ نَائِي	فَارْجَمِي لِي تَحِيَّتِي وَسُؤْلِي !
أَيْنَ مَنَى نَجَائِي وَجِيَادِي	وَعَزَّالِي ، سَقَى الْإِلَهَ غَزَالِي !
أَيْنَ ، لَا أَيْنَ جُنَّتِي وَسِلَاحِي	وَمَطَايَا سَيْرَتِهَا لَا زَيْتِحَالِي !
هَدَمَ الدَّهْرُ عَرْشَنَا فَتَدَاعَى	قَبْلِينَا إِذْ كُلُّ عَيْشٍ بِالِ
إِذْ دَعَانَا زَوَالُهُ فَاجْتَنَا	كُلُّ دُنْيَا وَنَعْمَةٍ لَزَوَالِ
أَمْ قَضَيْنَا حَاجَاتِنَا إِلَى الْمَوِ	تِ مَصِيرُ الْمُلُوكِ وَالْأَقْيَالِ
لَا وَصُومِي لِرَبِّنَا وَزَكَاتِي	وَصَلَاقِي أَدْعُو بِهَا وَابْتِهَالِي
مَا أَتَيْتُ الْغَدَاءَ أَمْرًا دَنِيًّا	وَلَدَى اللَّهِ كَابِرُ الْأَعْمَالِ
أَيْهَا الْمَالِكِ الْمَرْهَبِ بِالْقَتَّةِ	لِ بَلَفْتَ النِّكَالَ كُلَّ النِّكَالِ
فَاخْشَ نَارًا تَقْدِفُ الْوُجُوهَ وَيَوْمًا	يَقْدِفُ النَّاسَ بِالذَّوَاهِي النَّفَالِ

قد تعدّيت في القصاص وأدرك  
وكسرت السنّ الصحيحة مِنِّي  
وقرّتم مع الخنازير هراً  
وأطلمت مع العقوبة سجنًا  
يفسل الماء ماصنعت ، وقولي  
لو قبلت الفداء أورمت مالى  
لو بغيرى من معشر لعيب الده  
كم بكاني من صاحب و خليل  
ت دُحولا<sup>(١)</sup> لمعشر أقتال  
لا تُذلّنى قمنكر إذ لالى  
ويعينى مغلوله وشمالى  
فكم السجن؟ أو متى إرسالى  
راسخ منك في العظام البوالى  
قلت : خذه ، فداء نفسى مالى  
رُ لما ذمّ نصرتى واحتىالى  
حافظ الغيب حامد للخصال

\*\*\*

ليت أنى كنت الحليف للخم  
بدلاً من عصاة من قريش  
خذلوني وهم لذلك دعوني  
لا تدعنى ، فذاك أهلى ومالى  
حسرتا إذ أطعت أمر غواتى  
وعصيت النصيح ، ضلّ ضلّالى !  
وجُذام أو طيء الأجبالي  
أسلموني للخصم عند النضال  
ليس حامى الذمار بالخذال  
إنّ حبلىك من متين الحبال

ولكن عبيد الله أرسله إلى أخيه عباد بسجستان ، فكلمت اليمانية فيه  
بالشام معاوية ؛ فأرسل رسولا إلى عباد أن يحمل إليه ابن مفرغ ، فحمل من  
عنده ، وقال في طريقه :

عَدَمَنْ مَا لَعَبَادٍ عَلَيْكَ إِمَارَةٌ      نَجُوتٍ، وَهَذَا تَحْمِيلِينَ طَلِيقٌ<sup>(١)</sup>  
لِعَمْرٍى لَقَدْ نَجَّيْنَاكَ مِنْ هُوَةِ الرَّدَى      إِمَامٌ وَحَبْلٌ لِلْأَنَامِ وَثِيقٌ  
سَأَشْكُرُ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنِ نِعْمَةٍ      وَمِثْلِي بِشُكْرِ الْمُتَعَمِّينَ حَقِيقٌ  
فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى مُعَاوِيَةَ بَكَى وَقَالَ : رَكِبَ مِنِّى مَا لَمْ يَرْكَبْ مِنْ مُسْلِمٍ ، عَلَى غَيْرِ  
حَدَّثٍ وَلَا جَرِيرَةٍ أَقَالَ أَوْ لَسْتُ الْقَاتِلَ :

أَلَا أَبْلُغُ مُعَاوِيَةَ بْنَ حَرْبٍ . . . . .

أَفَلَمْ تَقُلْ :

فَأَشْهَدُ . . . . .

فِي أَشْعَارٍ كَثِيرَةٍ هَجَوْتُ بِهَا زِيَادًا ! أَذْهَبَ فَقَدْ عَفَوْنَا عَنْ جُرْمِكَ ، أَمَّا لَوْ إِنَّا بَا  
تَعَامَلْ لَمْ يَكُنْ مِمَّا كَانَ شَيْءٌ ؛ انْطَلَقْ ، وَفِي أَى أَرْضٍ شِئْتَ فَانْزِلْ . فَتَزِلْ الْمُؤَصِّلَ .

٨٣ — عبد الله بن الزبير ومقتل أخيه مصعب \*

قال شيخ من أهل مكة :

لما أتى عبد الله <sup>(١)</sup> بن الزبير قتلُ مُصعب <sup>(٢)</sup> أخيه أضرب عن ذِكْرِهِ أبامآ حتى تحدّثتْ به إمامه مكةَ في الطرق ، ثم صعد المنبر ، فجلس عليه ملياً لا يتكلم ، فنظرتُ إليه والكآبةُ على وجهه ، وجبينُهُ يَرشَحُ عرقاً ، فقلت لآخر إلى جنبي : ماله لا يتكلم ؟ أترأه يهاب المنطق ! فوالله إنه لخطيب ، فما تراه يهاب ! قال : أراه يذكر قتل مصعب سيّد العرب ، وهو بفظيح تذكّره غيرُ مَعلوم . فقال : « الحمد لله الذي له الخلقُ والأمرُ وملِكُ الدنيا والآخرة ، يُعزُّ مَنْ يشاءُ ويذلُّ مَنْ يشاءُ ؛ ألا إنه لم يذلَّ - والله - مَنْ كان الحقُّ معه وإن كان مُفرداً ضعيفاً ، ولم يعزَّ مَنْ كان الباطل معه ، وإن كان في المُدَّةِ والعَدَدِ والكثرة . »

ثم قال : « إنه قد أتانا خبرٌ من العراق ، ببلدِ العَدْرِ والشقاق ، فساءنا وسرّنا ؛ أتانا أن مُصعباً قُتل - رحمة الله عليه ومغفرته ! فأما الذي أحزننا من ذلك فإنَّ لِفِرَاقِ الحليمِ لذعةً يَجِدُها جميعه عند المصيبة ، ثم يَرَعَوِي من بعدُ ذو الرأى والدين إلى جميل الصبر ، وأما الذي سرّنا منه ، فإننا قد علمنا أن قتله شهادةٌ له ، وأنه

\* الأغاني : ١٧ - ١٦٦

(١) انظر صفحة ١٢٦ (٢) كان من أجواد العرب ، وولاه أخوه عبد الله بن الزبير المراقين فسار إليه عبد الملك بن مروان بجيش ووجه أخاه محمد بن مروان على مقدمته فلقبه مصعب فقاتله ، فقتل مصعب . ودخل عبد الملك الكوفة ، وباع له أهلها .

عز وجل جاعل ذلك لنا خيرةً إن شاء الله تعالى .

إن أهل العراق أسلموه وباعوه بأقل ثمن ، لقد قُتِل أبوه وعمه وأخوه وكانوا خيارَ الصالحين ؛ إنا والله مائتوتُ حتف أنوفنا ؛ مائتوتُ إلا قتلا قَعَصًا<sup>(١)</sup> بالرماح ، وتحتَ ظلال السيوف ، وليس كما يموت بنو مرّوان ؛ والله ما قُتِل منهم رجلٌ في جاهلية ولا إسلام قط ؛ وإنا الدنيا عارية من الملك القهار ، الذي لا يزول سلطانه ، ولا يبيد ملكه ، فإن تقبل الدنيا على لا آخذها أخذ الأثير البطر ، وإن تُدبر عني لا أبكي بكاء المَهْتَر<sup>(٢)</sup> . ثم نزل !

---

(١) قعصه : قتله مكانه (٢) المهتر : الذى فقد عقله من الكبر أو المرض أو الحزن .

## ٨٤ — عمر بن أبي ربيعة وجيل \*

اجتمع عمر بن أبي ربيعة ، وجيل <sup>(١)</sup> بن عبد الله العذري ، فأنشد جميل قصيدته التي يقول فيها :

لقد فرح الواشون أن صرمت <sup>(٢)</sup> حبل  
يقولون : مهلاً يا جميل ، وإني  
خليلى فيما عشتما هل رأيتما  
أيت مع الهلاك <sup>(٣)</sup> ضيقاً لأهلها  
أفنى أيتها القلب اللجوج عن الجمل  
فلو تركت عقلى معى ما طلبتها  
حتى أنى على آخرها . ثم قال لعمر : يا أبا الخطاب ، هل قلت فى هذا الروى شيئاً ؟ قال : نعم ، قال : فأنشدنيه ، فأنشده :

جرى ناصح بالود بينى وبينها  
فلما تواقفنا عرفت الذى بها  
فقلن لها : هذا عشاها وأهلنا  
فقلت : فما شئتُن ؟ قلن لها : انزلى  
فقربنى يوم الحصاب إلى قتلى  
فقربنى يوم الحصاب <sup>(٤)</sup> إلى قتلى  
قريب الماتسأى مركب البغل !  
فلأرض خير من وقوف على رخل

\* الأغاني : ١ - ١١٥ ( طبعة دار الكتب ) ، زهر الآداب : ٢ - ٢٤٠

- (١) بعد جميل بن معمر مثال الغزل البدوى العفيف ، نشأ فى البادية ، وأحب ابنة عمه بئينة وعرف بها ، وقال فيها شعرا كثيرا وقد لقي فى سبيل حبه العنت والعذاب ، مات سنة ٢٨ هـ .  
(٢) صرمت حبل : قطعت الصلة بين (٣) الهلاك : الصعاليك الذين يتنابون الناس ابتغاء معروفهم  
(٤) جل : علم على امرأة ، وهو يقصد بها بئينة . (٥) طليها : طلى لهاها .  
(٦) الحصاب كالخصب : موضع رعى الجمار .

نُجُومٌ درارى تَكْتَفِنُ صورة  
من البدن، وافت غير هوج<sup>(١)</sup> ولا عجل  
فَسَلَمْتُ واستأنستُ خيفةً أن يَرَى  
عدوُّ مقامي أو يرى كاشحٌ ففعل  
قالت - وأرخت جانب الشتر : إنما  
معي - فتكلم غير ذي رقة - أهلى  
فقلت لها : ما بى لم من تَرَقَّبِ  
ولكن سرى ليس بحمله مثلى  
فلما اقتصرنا دونهنَّ حَدِيثُنا  
وهن طيبات بحاجة ذى الشكْلِ<sup>(٢)</sup>  
عرفن الذى تهوى فقلن انذنى لنا  
نطف ساعة فى برد ليل وفى سهل  
فقلت : فَلَا تَلْبِثِي قَلن : تحدتى  
أتيناك ، وانسبن انسياب مها الرمل  
فقمين وقد أفهمن ذا اللب أنتمَا  
أتين الذى يأتين من ذاك من أجل  
فقال جميل : هيهات يا أبا الخطاب لا أقول والله مثل هذا سحيس الليالى<sup>(٣)</sup> ،  
والله ما يخاطب النساء مخاطبتك أحد ، وقام مشمراً .

(١) هوج : جمع هوجاء ، وهى المتجلة فى السير كأن بها هوجاً وحفاً (٢) الشكل : دل المرأة وغزلها (٣) أى لا أقول مثل هذا أبداً ، وهى كلمة تستعمل للتأيد .

## ٨٥ — لشعر عمر بن أبي ربيعة نَوَطة بالقلب \*

ذُكِرَ شعرُ الحارث<sup>(١)</sup> بن خالد وشعرُ عمرَ بن<sup>(٢)</sup> أبي ربيعة عند أبي عتيق في مجلس رجلٍ من ولد خالد بن العاص بن هشام ، فقال : صاحبنا - يعني الحارث ابن خالد - أشعرهما .

فقال له ابن أبي عتيق . بَعْضَ قولك يا ابن أخي ! لشعر عمرَ بن أبي ربيعة نَوَطة<sup>(٣)</sup> في القلب ، وعلوقٌ بالنفس ، ودَرْكٌ للحاجة ليست لشعر الحارث ، وما عُصِيَ الله عز وجل بشعرٍ أكثر مما عُصِيَ بشعر عمر بن أبي ربيعة ، فخذ عني ما أصف لك : أشعرُ قريش من دَقِّ معناه ، ولَطْفِ مدخله ، وسَهْلِ مخرجه ، ومَتْنِ حشوّه ، وتمطّقت حواشيه ، وأنارت معانيه ، وأعرب عن حاجته !

فقال المفضل للحارث : أليس صاحبنا الذي يقول :

إني وما نَحَرُوا غَدَاةَ مِنِّي      عند الجمار يثودها العقل<sup>(٤)</sup>  
لو بُدِّلتْ أعلى مساكنها      سَفَلًا ، وأصبح سُفْلُها يَفْلُو  
فيكاد يعرفها الخبيرُ بها      فيردّه الإقواء والمحل<sup>(٥)</sup>  
لعرفتُ مَفَنَّاها بما احتملت      مني الضلوعُ لأهلها قَبْلُ

\* الأغاني : ١ - ١٠٨ ( طبعة دار الكتب ) ، الأمالي : ٢ - ١٧

(١) انظر ص ١٥٣ .

(٢) هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة القرشي ، اختص شعره بوصف النساء ، وعد أنسب الشعراء وأوصفهم لربات الحجال ، وكان يقيم بمكة ويتعرض للحجاج ، وله في ذلك أخبار كثيرة توفي سنة ٨٩٣ هـ  
(٣) النوبة : التلق (٤) يثودها : يتقلها ، والمقل ، الحبس (٥) أقوت الدار : أقفرت وخلت من أهلها ، والمحل : الجذب .



فقال له ابنُ أبي عتيق : يا ابنَ أخي ؛ استرْ على نفسك ، واكتمْ على صاحبك ،  
ولا تشاهدِ المحافلَ بمثلِ هذا ؛ أما تطيرُ الحارثُ عليها حينَ قلبَ ربمها ، فجعلَ عاليه  
سافله ، مابقي إلا أن يسألَ اللهَ تبارك وتعالى لها حجارةً من سجيل<sup>(١)</sup> ؛ ابنُ أبي  
ربيعة كان أحسنَ صُحبةً للرَّبيع من صاحبك ، وأجملَ مخاطبةً حيث يقول :

سائلاً الرَّبيعَ بالبلي<sup>(٢)</sup> وقولاً هجتَ شوقاً إلى الغداة طويلاً  
أينَ حيَّ حُلُوكَ إذ أنتَ محفو ف بهم آهلٌ أراكَ جميلاً  
قال : ساروا فأمعنوا واستقلوا<sup>(٣)</sup> وبرغى لو استطعتُ سبيلاً  
سَيِّمُونَا وما سَمْنَا مَقاماً وأحبُّوا دَمائنا وسهُولاً  
فانصرفَ الرَّجُلُ خَجِلاً مُذْعِناً .

(١) السجيل : الطين المتحجر

(٢) البلي : تل قصير

(٣) استقلوا : واصلوا السير

وجدوا في الارتمال .

## ٨٦- ابن المسيّب يفخر بصاحبه\*

قال بعض الرواة :

دخلتُ مسجدَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم مع نَوْفَل بنِ مُسَاحِقٍ ؛ وإِنته  
لمُعْتَمِد على يَدَيَّ إِذَا مَرَرْنَا بِسَعِيد بنِ الْمُسَيْبِ <sup>(١)</sup> في مجلسه ، فسَلَمْنَا عَلَيْهِ ، فردَّ  
سلامنا ثم قال لنوفل : يَا أَبَا سَعِيدٍ ؛ مَنْ أَشْعَر ؟ أَصَاحِبُنَا أَمْ صَاحِبُكُمْ ؟ يَعْنِي عبيد الله  
ابنَ قَيْسِ الرِّقِيَّاتِ أَوْ عَمْر بنَ أَبِي رَبِيعَةَ - فقال نوفل : حين يقولان ماذا ؟ فقال :  
حين يقول صاحِبنا :

خَلِيلٌ مَا بَالُ الْمَطِيِّ كَأَمَّا نَرَاهَا عَلَى الْأَدْبَارِ بِالْقَوْمِ تَنْكُصُ <sup>(٢)</sup>  
وَقَدْ أَبْعَدَ الْحَادِي سُرَّاهُنَّ وَاتَّحَى بِهِنَّ فَمَا يَأْلُو عَجُولَ مَقْلَصٍ <sup>(٣)</sup>  
وَقَدْ قُطِعَتْ أَعْنَاقُهُنَّ صَبَابَةً فَأَنْقَسْنَا مِمَّا تَكَلَّفُ شَخْصُ  
يَزِدُّنَا بِنَا قُرْبًا فَيَزِدُّادُ شَوْقَنَا إِذَا زَادَ طَوْلُ الْعَهْدِ ، وَالْبَعْدُ يُنْقِصُ  
وَيَقُولُ صَاحِبُكُمْ مَا شِئْتُ أَفَقَالَ لَهُ نَوْفَلُ : صَاحِبُكُمْ أَشْهَرُ بِالْقَوْلِ فِي النَّزْلِ -  
أَمْتَعَ اللَّهُ بِكَ - وَصَاحِبُنَا أَكْثَرُ أَفَانِينَ شَعْر .

قال : صدقت ؛ فلما انقضى ما بينهما من ذِكْرِ الشَّعْرِ ، جَمَلَ سَعِيدٌ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ  
وَيُعْقِدُ بِيَدِهِ ، وَيُعِدُّهُ بِالْخَمْسِ كُلِّهَا ، حَتَّى وَفَى مِائَةً .

\* الْأَغَانِي : ٥ - ٩٢ ( طَبْعَةُ دَارِ الْكِتَابِ )

(١) كَانَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيْبِ سَيِّدَ التَّابِعِينَ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ ، جَمَعَ بَيْنَ الْحَدِيثِ وَالْفَقْهِ وَالزُّهْدِ  
وَالْوَرَعِ وَالْعِبَادَةِ ، وَلَهُ فِي كُلِّ ذَلِكَ أَخْبَارٌ مَأْنُورَةٌ ، تُوْفِيَ سَنَةَ ١٠١ هـ (٢) الْمَطِيُّ : جَمْعُ مَطِيَّةٍ  
(٣) تَنْكُصُ : تَرْجِعُ وَتَوَلَّى وَتَجْعَمُ (٤) مَقْلَصٌ : مَشْرِجٌ جَادٌ فِي السَّيْرِ .

قال الراوى : فلما فارقناه قلت لنوفل : أتراه استغفر الله من إنشاده الشعر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : كلا ! هو كثير الإنشاد والاستشهاد للشعر ، ولكنى أحسبه للفخر بصاحبه !

## ٨٧ — أعشى همدان يهجو ويمدح \*

كان أعشى <sup>(١)</sup> همدان شاعر أهل اليمن بالكوفة وفارسهم ، وكان مع خالد ابن عتاب بن ورقاء الرياحى بالرمى ، فلما قدم خالد من مغزاه خرج جواريه يتلقينه ، وفيهن أمٌ ولد له كانت رفيعة القدر عنده ؛ فجعل الناس يمرّون عليها إلى أن جاز بها الأعشى ، وهو على فرسه يميل يمينا ويسارا من الثماس ، فقالت أم ولد خالد لجواريا : إن امرأة خالد لتفأخرنى بأبيها وعمّها وأخيها ، وهل يزيدون على أن يكونوا مثل هذا الشيخ المزّيش <sup>(٢)</sup> !

وسمعا الأعشى فقال : من هذه ؟ فقال له بعض الناس : هذه جارية خالد ، فضحك وقال لما : إليك عني بالكّماء <sup>(٣)</sup> ؛ ثم أنشأ يقول :

وما يُدريك ما فرسٌ جرورٌ <sup>(٤)</sup> وما يُدريك ما تخلّ السلاح !  
وما يدريك ما شيخٌ كبيرٌ عدّاه الدهرُ عن سنّ المراح <sup>(٥)</sup>  
فأقسم لو ركب الورد <sup>(٦)</sup> يوماً وليلته إلى وضح الصباح

\* الأغاني : ٦ - ٤٢

(١) هو عبد الرحمن بن عبد الله ، ويكنى أبا المصبح ، شاعر فصيح كوفى من شعراء الدولة الأموية ، وكان أحد الفقهاء القراء ، ثم ترك ذلك وقال الشعر . وابتدأ بجان سراً حين خرج عليه مع ابن الأشعث سنة ٨٣ هـ . (٢) تريد الأعشى . (٣) الكّماء : البنية . (٤) جرور : لا ينقاد ولا يكاد يتبع صاحبه . (٥) للمراح : الاختيال والتبجح . (٦) ورد من : ما بين الكميت والأشقر .

إذن لنظرت . . . . .  
فأصبحت الجارية ، فدخلت إلى خالد فشكت إليه الأعشى ، وقالت : والله  
ما تُكْرَم ، ولقد اجترى عليك أقوال لها : وما ذاك ؟ فأخبرته أنها مرت برجل  
في وجه الصبح ، ووصفته له وأنه سبها ، فقال : ذلك أعشى همدان ، فأى شيء  
قال لك ؟ فأنشدته الأبيات ، فبعث إلى الأعشى ، فلما دخل عليه قال له : ما تقول  
هذه ؟ زعمت أنك هجوتها ، فقال : أسأت سمماً ؛ إنما قلت :

مهرت بنسوةٍ مُتَعَطِّراتٍ كضوءِ الصُّبْحِ أَوْ بَيضِ الْأَدَاحِ (١)  
صَلَّى شَقْرَ الْبَغَالِ فَصَدَّنَ قَلْبِي بِحَسَنِ الدَّلِّ وَالْهَدَقِ لِلْمَلَّاحِ  
فَقُلْتُ : مَنْ الظُّبَاءُ ؟ فُقُلْنِ : سِرْبٌ بَدَا لَكَ مِنْ ظُبَاءِ بَنِي رِيَّاحِ  
فَقَالَتْ : لا ، والله ، ما هكذا قال . . . وأعادت الأبيات .

فقال له خالد : أما لولا أنها قد وَلَدَتْ مِنِّي لَوْحِبَّتْهَا لَكَ ، ولكي أفتدي  
جنايتها بمثل ثمنها ، فدفعه إليه وقال له : أقسمتُ عليك يا أبا المصَّح أن لا تعيد في  
هذا المعنى شيئاً بعد ما قرَّط منك .

---

(١) الأداحي : جمع أدحية وهي مبيض النعام في الرمل .

## ٨٨ — أشجع الناس شعراً\*

سأل يوماً عبدُ الملك <sup>(١)</sup> بن مروان : مَنْ أشجعُ الناس شعراً ؟ فقيل عمرو بن معدٍ يكرب . فقال : كيف وهو الذى يقول :

جَاشَتْ إِلَى النَّفْسِ أَوَّلَ مَرَّةٍ      فَرُدَّتْ عَلَى مَكْرُوهِهَا فَاسْتَقَرَّتِ <sup>(٢)</sup>

قالوا : فعمر بن الإطنابة . فقال : كيف وهو الذى يقول :

وَقَوْلِي كُلَّمَا جَشَأْتُ وَجَاشَتْ      مَكَانَكَ تُحْمَدِي أَوْ تَسْتَرِيحِي <sup>(٣)</sup>

قالوا : فعامر بن الطفيل . قال : كيف وهو الذى يقول :

أَقُولُ لِنَفْسِي لَا يُجَادُ بِمِثْلِهَا :      أَقَلِّي مِرَاحًا إِنِّي غَيْرُ مَدْبِرٍ

قالوا : فمن أشجعهم عند أمير المؤمنين ؟ قال : أربعة ، عباس بن مرداس

السَّيِّ ، وقيس بن الخطيم الأوسى ، وعنترة بن شداد العبسى ، ورجل من بنى مزينة .

أما عباس فلقوله :

أَشَدُّ عَلَى الْكِتَابَةِ لَا أَبَالِي      أَفِيهَا كَانَ حَتْفِي أَمْ سِوَاهَا

\* يجمع الأمثال : ٢ - ٢٢ .

(١) كان عبد الملك بن مروان ليلاً عاقلاً جباراً ، قوى الهبة ، شديد السياسة حسن التدبير تولى الخلافة سنة ٦٥ ، فوطد أركانها ، وقتل ابن الزبير وأخاه مصعباً ، وكافح حتى استقرت له الأمور ، ومات سنة ٨٦ هـ . (٢) جاشت النفس ؛ اضطربت من الفزع ، وأصل جاشت : غثت . (٣) جشأت : ارتفعت من حزن أو قزع .

وأما قيس بن الخطيم فلقوله :

وإني لَدَى الحربِ العَوَانِ موَكَّلٌ      بتقديمِ نفسٍ لا أريدُ بقاءَها

وأما عنتر بن شداد فلقوله :

إذ تَتَقُونُ بِي الأَسِنَّةَ لم أَخِمُ<sup>(١)</sup>      عنها ولكن قد تضايقُ مقدى<sup>(٢)</sup>

وأما المزي فلقوله :

دَعَوْتُ بَنِي قُحَافَةٍ فَاسْتَجَابُوا      قُلتُ : رِدُّوا قَد طَابَ الوُرُودُ

---

(١) أخم : أجب . (٢) تضايق مقدى : تضايق الموضع الذى هو قداى من أن يدنوه أحد .

## ٨٩ - الحجاج على قبر ابنه \*

لما هلك أبان بن الحجاج ، وأمه أم أبان بنت النعمان بن بشير ، ودفنه الحجاج <sup>(١)</sup>  
قام على قبره ؛ فتمثل بقول زياد الأعجم :

الآن لما كنت أكل من مَشْنَى      وافتَرَّ نابُك عن شَبَاةِ القَارِحِ  
وتكاملت فيك للروءِ كُلُّهَا      وأعنتَ ذلك بالفعالِ الصالحِ !  
فلما انصرف إلى منزله قال : أرسلوا خلف ثابت بن قيس الأنصارى ؛ فأتاه  
فقال : أنشدنى مرثيتك فى ابنك الحسن ، فأنشده :

قد اكذب الله من نعى حسنًا      ليس لتكذيبِ موته ثمنُ  
أجولُ فى الدار لا أراك فى الدار أناسَ جِوارهم غَيبُنُ <sup>(٢)</sup>  
بذلَّهم منك ليت أنهم      أضحووا ويبنى وبينهم عدنُ !  
فقال له الحجاج : ارثِ ابني أبان . فقال له : لا أجد به ما كنتُ أجدُ بحسن ،  
قال : وما كنتُ تجدُهُ ؟ قال : ما رأيته قطُ فشِيت من رؤيته ، ولا غاب عني قطُ  
إلا اشتقتُ إليه .

فقال الحجاج : كذلك كنتُ أجدُ أبان !

\* ذيل الأمالى : ٧

(١) انظر صفحة ٣٧ (٢) ضف .

٩٠ — إن صدقناك أغضبناك\*

شكا الحجاج يوماً سوء طاعة أهل العراق وسقم مذهبهم ، وسخط طريقتهم فقال له جامع المحاربى - وكان شيخاً صالحاً خطيباً لسنًا : أما إنهم لو أحبوك لأطاعوك ، على أنهم ما شنوك<sup>(١)</sup> لنسبك ، ولا لبلدك ، ولا لذات نفسك ، ولكنهم نقموا أفعالك ؛ فدع ما يُبعدهم عنك إلى ما يُدنيهم منك ، واتمس العافية ممن دونك تُعطها ممن فوقك ، وليكن إيقاعك ، بعد وعيدك ، ووعدك<sup>(٢)</sup> بعد وعدك .

فقال له الحجاج : والله ما أرى أن أردّ بنى الكيعة إلى طاعتي إلا بالسيف ! فقال جامع : أيها الأمير ، إن السيف إذا لاقى السيف ذهب الخيار ! فقال الحجاج : الخيار يومئذ لله ! قال جامع : أجل ، ولكن لا تدري لمن يجعله الله !

فغضب الحجاج وقال : يا هناه<sup>(٣)</sup> ، إنك من محارب ! فقال جامع :

وللحرب سميناً وكان محارباً إذا ما ألقنا أمسى من الطمن أحمرًا فقال له الحجاج : والله لقد هممت أن أخلع لسانك ، وأضرب به وجهك .

---

\* زهر الآداب : ٤ - ٤٨ ، البيان والتبيين : ٢ - ٦٨ ، العقد الفريد : ٢ - ١٥١ ، عيون الأخبار : ٢ - ٢١٢

(١) شنوك : أبغضوك (٢) الوعد في الشر ، والوعد في الخير (٣) يانهاه : يافلان .



قَالَ جَامِعٌ : إِنْ صَدَقْنَاكَ أَغْضَبْنَاكَ ، وَإِنْ كَذَبْنَاكَ أَغْضَبَنَا اللَّهُ ، وَغَضَبُ  
الْأَمِيرِ أَهْوَنُ عَلَيْنَا مِنْ غَضَبِ اللَّهِ .

قَالَ الْحِجَاجُ : أَجَلٌ ! وَسَكَنَ وَاشْتَغَلَ بِبَعْضِ الْأَمْرِ ، فَخَرَجَ جَامِعٌ ، وَانْسَلَّ  
مِنْ صَفُوفِ النَّاسِ .

### ٩١ - الْحِجَاجُ يَخْطُبُ\*

دَخَلَ الْحِجَاجُ الْكَوْفَةَ ؛ فَصَعِدَ الْمَنْبَرَ ، فَانْكَسَرَ تَحْتَ قَدَمِهِ لَوْحٌ ، فَعَلِمَ أَنَّهُمْ  
قَدْ تَطَيَّرُوا لَهُ بِذَلِكَ ؛ فَالْتَفَتَ إِلَى النَّاسِ قَبْلَ أَنْ يَحْمَدَ اللَّهَ تَعَالَى ، وَقَالَ :

شَهِدْتُ الْوُجُوهَ<sup>(١)</sup> ، وَتَبَّتْ<sup>(٢)</sup> الْأَيْدِي ، وَبُوتِمَ بَغْضٌ مِنَ اللَّهِ ! إِذَا انْكَسَرَ  
عَوْدٌ جِذْعٌ ضَعِيفٌ تَحْتَ قَدَمِ أَسَدٍ شَدِيدٍ تَفَاءَلْتُمْ بِالشُّومِ ! إِنِّي عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ تَعَالَى  
لَأَنْكَدُ مِنَ الْغَرَابِ الْأَبْقَعِ<sup>(٣)</sup> ، وَأَشَامُ مِنْ يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ، وَإِنِّي لِأَعْجَبُ مِنْ  
لُوطٍ وَقَوْلِهِ : ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ ؛ فَأَيُّ رَكْنٍ  
أَشَدُّ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى !

أَوْ مَا عَلِمْتُ مَا أَنَا عَلَيْهِ مِنَ التَّوَجُّهِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَقَدْ وَلَّيْتُ عَلَيْكُمْ أَخِي  
مُحَمَّدَ بْنَ يُوسُفَ ، وَأَمْرُهُ بِخِلَافِ مَا أَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ مُعَاذًا فِي أَهْلِ الْيَمَنِ ! فَإِنَّهُ

\* الْمُسْتَطَرَفُ : ٢ - ٨٥

(١) شَهِدْتُ الْوُجُوهَ : قَبِضْتُ (٢) تَبَّتْ يَدَاهُ : خَسِرْتَا (٣) الْأَبْقَعُ : الَّذِي فِيهِ سَوَادٌ وَبَيَاضٌ .

أمره أن يُحسنَ إلى مُحْسِنِهِمْ ، ويتجاوزَ عن مُسِيئِهِمْ ؛ وقد أمرته أن يسيءَ إلى  
محسِنِكُمْ ، والألَّ يتجاوزَ عن مسيئِكُمْ .

وأنا أعلم أنكم تقولون بمدى : لا أحسنَ الله له الصحابة ! وأنا معجل  
لكم الجواب ؛ لا أحسنَ الله عليكم الخلافة ! أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم  
لي ولكم .

## ٩٢ — جيل أشعر الناس\*

حدث أحد الرواة فقال :

دخل علينا كثير<sup>(١)</sup> يوماً وقد أخذ بطرف رِيْطَتِهِ<sup>(٢)</sup> ، وألقى طرفها الآخر وهو يقول : هو والله أشعرُ الناس حيث يقول :

وخبرُكماني أن تيماء<sup>(٣)</sup> منزلٌ لليل إذا ما الصيفُ ألقى المراسيمَ  
فهذه شهر الصيفِ عني قد انقضت فما للنوى تَرْمِي بليل المراميا !  
ويجرُ رِيْطَتَهُ حتى يبلغ إلينا ، ثم يولي عنا ويَجْرُها ويقول : هو والله أشعرُ  
الناس حيث يقول :

وأنت التي إن شئتِ كدّرتِ عِشْتِي وإن شئتِ بعد الله أنمتِ باليأ  
وأنت التي مامنُ صديقٍ ولا عِدا يرى نَضْوَ ما أبقيتِ إلّا رَنَى لِيأ  
ثم يرجع إلينا ويقول : هو والله أشعر الناس ؛ قلنا : مَنْ تعني يا أبا صخر ؟  
فقال : وَمَنْ أعني سوى جيل ! هو والله أشعر حيث يقول هذا .

\* الأغانى : ٨ - ١٢٥ ( طبعة دار الكتب ) .

(١) كثير بن عبد الرحمن : شاعر من أهل الحجاز ، أخبّاره معزة كثيرة ، توفي سنة ١٠٥ .

(٢) الرِيْطَةُ : كل ملاءة غير ذات لفتين ؛ كلها نسج واحد وقطعة واحدة (٣) تيماء : منزل

لبى عنزة .

### ٩٣ — مَنْ أَشْعَرَ النَّاسَ؟\*

قال عبد الملك بن مسلم : كتب عبدُ الملك بن مروان إلى الحجاج : إنه لم يبق شيء من لذة الدنيا إلا وقد أصبتُ منه ، ولم يَبْقَ لى إلا مُنَاقَلَةٌ<sup>(١)</sup> الإخوان الأحاديث ؛ وقَبْلَكَ عامرُ الشعبي<sup>(٢)</sup> ، فابعث به إلى يحدِّثنى .

فدعا الحجاج بالشعبيّ وجَهَّزَه ، وبعث به إليه ، وأطْرَاهُ فى كتابه .

فخرج الشعبيّ ، حتّى إذا كان يباب عبد الملك قال للحاجب : استأذن لى ، فقال : ومن أنت ؟ قال : عامر الشعبيّ ، قال : حيّاك الله ! ثم نهض ، وأجلسه على كرسيه ، فلم يلبث أن خرج إليه فقال : ادخل .

قال الشعبيّ : فدخلت فإذا عبد الملك جالس على كرسيّ ، وبين يديه رجل أبيضُ الرأس واللحية على كرسيّ ، فسَلَّمْتُ فردَّ السلام ، ثم أوْثَمَا إلىّ ، فقعدتُ عن يساره ، ثم أقبل على الذى بين يديه فقال : ويحك ! من أشعر الناس ؟ قال : أنا يا أمير المؤمنين ! فأظلم علىّ ما بينى وبين عبد الملك ، ولم أصير أن قلت : ومن هذا يا أمير المؤمنين الذى يزعم أنه أشعر الناس ؟ فعجِب عبدُ الملك من عَجَلَتى قبل أن يسألنى عن حالى ، ثم قال : هذا الأخطل ! فقلت : يا أخطل ، أشعرُ منك الذى يقول<sup>(٣)</sup> :

---

\* أمالى المرتضى : ٣ - ١٠١ ، خزانة الأدب : ٢ - ١١٨ ( المطبعة السلفية ) ، الأغاني : ٩ : ١٦٢ ( طبعة الساسى ) .

(١) المناقلة فى النطق : أن تحدّثه ويحدّثك (٢) هو عامر بن شراحيل . كوفى المنشأ ، تابعى جليل القدر وافر العلم ، يقال إنه أدرك خمسمائة من الصحابة . توفى سنة ١٠٣ هـ .

(٣) قال النابغة هذا الشعر حين نظر إلى النعمان بن الحارث أخى عمرو بن الحارث الأصغر بن الحارث الأكبر بن أبى شمر ( مهذب الأغاني : ٢ - ٢٣٠ ) .

هـَذَا غُلَامٌ حَسَنٌ وَجْهَهُ      مُقْتَبِلُ الْخَيْرِ مَرِيعُ التَّمَامِ  
لِلْحَارِثِ الْأَكْبَرِ وَالْحَارِثِ الْأَصْغَرِ      وَالْأَعْرَجِ خَيْرُ الْأَنَامِ  
ثُمَّ لَنَنْدِي وَلَنَنْدِي ، فَقَدْ      يَنْفَجِعُ فِي الرِّوَاحَاتِ مَاءُ الْغَمَامِ  
خَمْسَةَ آبَاءٍ هُمْ مَاهِمُ      هُمْ خَيْرُ مَنْ يَشْرَبُ صَوْبَ الْمَدَامِ

فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : رَدِّدْهَا عَلَيَّ ، فَرَدَّدْتُهَا حَتَّى حَفَظْتُهَا ؛ فَقَالَ الْأَخْطَلُ : مَنْ هَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَقَالَ : هَذَا الشَّعْبِيُّ ، قَالَ : صَدَقَ وَاللَّهِ ، النَّابِغَةُ أَشْعَرُ مِنِّي !  
قَالَ الشَّعْبِيُّ : ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ فَقَالَ : كَيْفَ أَنْتَ يَا شُعْبِي ؟ قُلْتُ : بِخَيْرٍ -  
قَالَ : لَا زِلْتُ بِهِ - ثُمَّ ذَهَبْتُ لِأَصْنَعُ مَعَاذِيرِي لِمَا كَانَ مِنْ خِلَافِي عَلَى الْحِجَابِ مَعَ  
عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَشْعَثِ .

فَقَالَ : مَهْ ! فَإِنَا لَا نَحْتَاجُ إِلَى هَذَا الْمَنْطِقِ ، وَلَا تَرَاهُ مِنَّا فِي قَوْلٍ وَلَا فِعْلٍ حَتَّى  
تُفَارِقَنَا ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى فَقَالَ : مَا تَقُولُ فِي النَّابِغَةِ ؟ قُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَدْ فَضَّلَهُ  
عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ عَلَى جَمِيعِ الشُّعْرَاءِ ، وَذَاكَ أَنَّهُ خَرَجَ يَوْمًا وَبِابِهِ وَفْدُ  
غُظْفَانَ ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ غُظْفَانَ ، أَيُّ شُعْرَائِكُمُ الَّذِي يَقُولُ :

حَلَقْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رَيْبَةً      وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبُ  
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سَوْرَةً      تَرَى كُلَّ مَلِكٍ دُونَهَا يَتَذَبَذَبُ  
كَأَنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبُ      إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُمْ كَوْكَبُ  
لَنْ كُنْتُ قَدْ بُلِّغْتَ عَنِّي خِيَانَةً      لِمَلِيفَتِكَ الْوَائِي أَغْشَى وَأَكْذَبُ  
وَلَسْتُ بِمُسْتَبْقٍ أَخَا لَا تَلُهُ      عَلَى شَعْبٍ ؛ أَيُّ الرِّجَالِ الْمُهْذَبِ !

قَالُوا : النَّابِغَةُ ؛ قَالَ فَأَيُّكُمْ الَّذِي يَقُولُ :

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المتأني عنك واسع  
خطاطيف<sup>(١)</sup> حجن في حبال متينة تمذ بها أيدٍ إليك نوازِعُ  
قالوا : النابغة : قال أَيْكُم الذي يقول :

إلى ابن مُحَرَّرٍ أَعْمَلْتُ نَفْسِي وراحلتى وقد هدتِ العيون  
أَتَيْتُكَ عَارِيًّا خَلَقًا ثِيَابِي عَلَى خَوْفٍ تُظَنُّ بِي الظنونُ  
فَأَلْنَيْتِ الْأَمَانَةَ لَمْ تَخُونِي كَذَلِكَ كَانَ نُوحٌ لَا يَخُونُ

قالوا : النابغة ، قال : هذا أشعر شعرائكم . ثم أقبل عبدُ الملك على الأخطل  
فقال : أُنحِبُ أَنْ لَكَ قِيَاضًا<sup>(٢)</sup> بشعرك شعر أحد من العرب ، أو نحب أنك قلته ،  
فقال : لا والله ، إلا أنى وددت أنى كنت قلت أحيانًا قالها رجل منا ؛ كان والله  
مُغْدِفَ<sup>(٣)</sup> القناع ، قليل السماع ، قصير الذراع ، قال : وما قال ؟ فأنشده :

إِنَّا مَحْيُوكَ فَاسَلَمْ أَيُّهَا الطَّلَلُ وَإِنْ بَلَيْتَ وَإِنْ طَالَتِ<sup>(٤)</sup> بك الطولُ  
لَيْسَ الْجَدِيدُ بِهِ تَبَقَّى بِشَاشَتُهُ إِلَّا قَلِيلًا وَلَا ذُو خَلَةٍ يَصُلُ  
وَالْعَيْشُ لَا عَيْشَ إِلَّا مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنٌ ، وَلَا حَالٌ إِلَّا سَوْفَ تَنْتَقِلُ  
وَالنَّاسُ مَنْ يَلْقَى خَيْرًا قَاتِلُونَ لَهُ مَا يَشْتَهَى ؛ وَلَأَمَّ الْخَطِيءُ الْهَبْلُ  
قَدْ يَدْرِكُ الْمَتَانِي بَعْضُ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ  
قال الشعبي : فقلت : قد قال القطامي أفضل من هذا ، قال : وما قال ؟  
قلت : قال :

طَرَقَتْ جَنْوِبُ رَحَالِنَا مِنْ مَطَرٍ مَآكُنْتُ أَحْسَبُهُ قَرِيبَ اللَّعْنِ

(١) الخطاف : حديدة جناء تمقل بها البكرة ، والحجن : الاعوجاج .  
(٢) القياضة : المبادلة والمماوضة (٣) أغدق قناعه : أرسله على وجهه (٤) يقال : طال  
طولك أى عمرك .

حتى أتيت على آخرها ، فقال عبد الملك : شككت القطامي أمه ! هذا والله  
الشعر ، ثم قال : يا شعبي ، أي شعراء الجاهلية كان أشعر من النساء ؟ قلت : الخنساء  
قال : ولم فضلتها على غيرها ؟ قلت : لقولها :

وقائلة والنمش قد فات خطوها      لتدرگه : يالھف نفسي على صخر  
الأثكلت أم الترن غدوا به      إلى القبر ، ماذا يحملون إلى القبر !  
فقال عبد الملك : أشعر والله منها ليلي الأخيالية حيث تقول :

مَهْزَفُ الكشح والسر بال مُنْغَرِقُ      عنه التميمس لسير الليل مُحْتَفِرُ  
لا يَأْمَنُ الناسُ مُمَسَاءً وَمُصْبَحَهُ      في كل حَيٍّ ، وإن يَفْزُوه يُنْتَظَرُ

ثم قال : يا شعبي ، لعله شق عليك ماسمته ! فقلت : إى والله يا أمير المؤمنين  
أشد المسقة ، إني قد حدثتك فلم أفذك إلا أبيات النابتة في الغلام .

ثم قال عبد الملك : يا شعبي ، إنما أعلمناك هذا ، لأنه بلغني أن أهل العراق  
يتناولون على أهل الشام ويقولون : إن كانوا غلبونا على الدولة ، فلن يغلّبونا على  
العلم والرواية ، وأهل الشام أعلم بعلم أهل العراق . ثم ردّد على أبيات ليلي حتى  
حفظتها ، وأذن لي فأنصرفت ، فكنيت أول داخل وآخر خارج .

٩٤ — الشعبيّ عند عبد الملك بن مروان \*

قال الشعبيّ : دخلت على عبد الملك بن مروان في عِلَّتِهِ التي مات فيها ، فقلت :  
كيف تجدك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : يا شعبيّ ؛ أصبحت كما قال عمرو بن قيسّة <sup>(١)</sup> :  
كأني وقد جاوزتُ سبعين حِجَّةً خلعتُ بها عني عِنان <sup>(٢)</sup> الجاهلي  
رمتني بنات الدهر من حيثُ لأرى فكيف بمن يُرمى وليس بِإِرام !  
فلو أنني أرمي بنبيلٍ رميّتها ولكنني أزمي بغيرِ سيّهام  
وأهلكني تأميلُ يومٍ وليلةٍ وتأميلُ عامٍ بعد ذاك وعامٍ  
على الرّاحتين تارة وعلى العصا أنوء ثلاثاً بعدَهنّ قيامي  
فقلت : ليس كذلك يا أمير المؤمنين ، ولكن كما قال كييد ، وقد بلغ

سبعين حجة :

كأني وقد جاوزتُ سبعين حجةً خلعتُ بها عن منكبّي ردائياً  
فلما بلغ سبعا وسبعين سنة قال :  
باتت تشكّي إلى النفسُ مُجْهِشَةً <sup>(٣)</sup> وقد حملتك سبعا بعد سبعينا  
فإن تُرادى ثلاثاً تبُلُغِي أملاً وفي الثلاثِ وفاء للثمانين  
فلما بلغ مائة سنة قال :

\* الأغاني : ١٦ - ١٥٩ ( طبعة الساسي ) ، مذهب الأغاني : ٢ - ٦٢

(١) هو عمرو بن قيسّة : شاعر جاهليّ مقدم ؛ أقام في الحيرة مدة ، وخرج مع امرئ القيس في توجهه إلى قيصر ، فات في الطريق (٢) عنان اللجام : السير الذي يشد به (٣) الجهش والإجهاش أن يفزع الإنسان إلى غيره ، وهو مع ذلك كأنه يريد البكاء .



ولقد سئمتُ من الحياةِ وطولها      وسؤالِ هذا الخلقِ كيف ليبد !  
فلما بلغ مائة سنة وعشرا قال :

أليس ورائي إن تراخت مَنِيَّتِي      لزوم العصا تُحَنِّي عليها الأصابع  
أخبر أخبار القرون التي خَلَّتْ      أدبَ كَأَنِّي كَلَّمَا قَت رَاكِع  
فلما بلغ ثلاثين ومائة سنة ، وقد حَضَرَتْهُ الوفاة قال :

تَمَّتْ ابْنَتَايَ أَنْ يَبِشَ أَبُوهَا      وهل أنا إلا من ربيعة أو مُضَر !  
فَإِنْ حَانَ يَوْمًا أَنْ يَمُوتَ أَبُوكَما      فلا تَخْشَا وَجْهًا ولا تَحْلَقَا الشَّعْرُ  
وقولا : هو المرء الذي لا صَدِيقَه      أضاع ، ولا خَانَ الْخَلِيلَ ولا غَدَرَ  
إلى الحوَلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكَا      ومن يَبْكُ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اعْتَدَرَ<sup>(١)</sup>

قال الشعبي : فتبسم عبد الملك وقال : لقد قويت من نفسي بقولك يا عامر ، وإني  
لأجد خِفًا ومأبى من بأس ، وأمر لي بصلة . وقال لي : اجلس يا شعبي ؛ فحدثني ما بينك  
وبين الليل . فجلست فحدثته حتى أُسِيتُ وخرجت من عنده ، فما أصبحت  
حتى سمعت الواعية في داره<sup>(٢)</sup> .

(١) اعتذر : أتى بهذر (٢) الواعية : الصراخ والصوت .

## ٩٥ — تَلَطَّفَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَجَّاجِ \*

كان عبد الله بن الحججاج شجاعاً فاتكاً صُعلوكاً من صماليك العرب ، وكان متسرعاً إلى الفتن ، فكان ممن خرج مع عمرو بن سميد على عبد الملك ابن مروان .

فلما ظفر به عبد الملك هرب إلى ابن الزبير ، فكان معه حتى قُتِلَ ، ثم جاء إلى عبد الملك متنكراً ، واحتال حتى دخل عليه ، وهو يطعم الناس ، وجلس حَجْرَةً<sup>(١)</sup> ، فقال له : مالك يا هذا لا تأكل ! قال : لأستحلُّ أن آكل حتى تأذن لي . قال : إني قد أذنت للناس جميعاً ، قال : لم أعلم ، أفأكل بأمرك ؟ قال : كل . فأكل وعبد الملك ينظر إليه ويمتجب من فعله .

فلما أكل الناس جلس عبد الملك في مجلسه ، وجلس خواصه بين يديه ، وتفرق الناس ، فجاء عبد الله ووقف بين يديه ، واستأذنه في الإنشاد فأذن له ، فأنشد :

أبلغ أمير المؤمنين فإنني مما لقيت من الحوادث مَوْجَعٌ  
مُنِعُ القرار فُجئتُ نحوك هارباً جيش يُجرُّ ، ومَقْنَبٌ يتلمع<sup>(٢)</sup>

فقال عبد الملك : وما خوفك لا أم لك ! فقال عبد الله :

إن البلادَ على وهي عريضةٌ وعِرتُ مذهبها ، وسُدَّ اللطلم

فقال عبد الملك : ذلك بما كسبت يداك ، وما الله بظلام للعبيد ، فقال

عبد الله :

\* الأغاني : ١٢ - ٢٥ ( طبعة الساسي )

(١) حجرة : منفرداً في ناحية (٢) المقنب : جماعة الخيل تجتمع للنارة ، ويتلمع : يضيء .

إِنَّ الَّذِي يَمُصِّيكَ مِنَّا بَعْدَهَا      مِنْ دِينِهِ وَحَيَاتِهِ مَتَوَدِّعٌ  
 آتَى رِضَاكَ وَلَا أَعُودُ لِمِثْلِهَا      وَأَطِيعُ أَمْرَكَ مَا أَمَرْتَ وَأَسْمَعُ  
 فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : هَذَا لَا يَقْبَلُهُ مِنْكَ إِلَّا بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ بِكَ وَبَذَنْبِكَ ، فَإِذَا عَرَفْتَ  
 الْحَوْبَةَ <sup>(١)</sup> قَبِلْتَ التَّوْبَةَ ؛ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ :

وَلَقَدْ وَطَّئْتُ بَنِي سَعِيدٍ وَطَاءَةً      وَابْنَ الزَّيْرِ فَعَرَّشُهُ مَتَضَعُضُ  
 فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : اللَّهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ عَلَى ذَلِكَ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ :

مَا زِلْتَ تَضْرِبُ مِنْكَبًا عَنْ مَنَكِبِ      تَعَالَوْ وَيَسْقُلْ غَيْرُكُمْ مَا يُرْفَعُ  
 لَا يَسْتَوِي خَاوِي نَجُومٍ آفِلٌ      وَالْفَجَرُ مُنْبَلِجًا إِذَا مَا يُطْلَعُ  
 وَضِعَتْ أُمِيَّةٌ وَاسْطَيْنَ لِقَوْمِهِمْ      وَوُضِعَتْ وَسَطُهُمْ فَنِعْمَ الْمَوْضِعُ  
 يَتُّ أَبُو الْعَاصِي بِنَاءَ بَرْبُورٍ      عَلَى الْمَشَارِفِ عِزَّهُ مَا يُدْفَعُ

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : إِنْ تَوَرَّيْتُكَ عَنْ نَفْسِكَ لَتَرِيَنِي ، فَأَيُّ الْفَسَقَةِ أَنْتَ !  
 وَمَاذَا تَرِيدُ ؟ فَقَالَ :

حَرَبْتُ <sup>(٢)</sup> أَصْبِيَّتِي يَدُ أَرْسَلْتَهَا      وَإِلَيْكَ بِعْدَ مَعَادِهَا مَا تَرَجِعُ  
 وَأَرَى الَّذِي يَرْجُو ثَرَاثَ مُحَمَّدٍ      أَفَلَتَ نَجُومَهُمْ وَنَجْمُكَ يَسْطَعُ  
 فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ :

فَارْحَمِ أَصْبِيَّتِي الَّذِينَ كَانَهُمْ      حَجَلِي تَدْرَجُ بِالشَّرْبَةِ وَقَعُ <sup>(٣)</sup>  
 فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : لَا أَنْعِشْهُمْ اللَّهُ ، وَأَجَاعُ أَكْبَادَهُمْ ، وَلَا أَبْقِي وَلِيدًا مِنْ نَسْلِهِمْ ،  
 فَإِنَّهُمْ نَسْلُ كَافِرٍ فَاجِرٍ لَا يَبَالِي مَا صَنَعَ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ :

(١) الحوبة : الإثم (٢) حربته : سلب ماله ، وأصبية : تصغير صبية (٣) الحجل : حيوان ،  
 والعربة : موضع بنجد .

مال لهم مما يُضَنّ جمعته يوم القليب فحيز عنهم أَجْمَعُ  
فقال له عبد الملك : لعلك أخذته من غير حلّه وأفقته في غير حقّه ، وأرصدت  
به لمشاقة أولياء الله ، وأعددت له لمعاونة أعدائه ، فزرعه منك إذا استظهرت به على  
معصية الله : فقال عبد الله :

أَذْنُو لَتَرَحْمَنِي وَتَجَبَّرُ فَاقَتِي فَأَرَاكَ تَدَفَعْنِي ، فَأَيْنَ الْمَدْفَعُ !  
فتبسّم عبد الملك وقال له : إلى النار ! فمن أنت ؟ قال : أنا عبد الله بن الحجاج ؛  
وقد وطنت دارك ، وأكلت طعامك ، وأنشدتُك ، فإن قتلتنى بعد ذلك فأنت  
وما تراه ، وأنت بما عليك في هذا عارف ! ثم عاد إلى إنشاده فقال :

ضَاقت ثياب الملبسين وفضلهم عَنِّي ، فَأَلْبَسْنِي فَنُوبَكَ أَوْسَعُ  
فنبذ عبد الملك إليه رداءً كان على كتفه ، وقال : البسه لا نبست ! فالتحف به ،  
ثم قال له عبد الملك : أولى لك ! والله لقد طاولتك طمعاً في أن يقوم بعض  
هؤلاء فيقتلك . فأبى الله ذلك ، فلا تجاورني في بلد ، وانصرف آمناً ، وأقم  
حيث شئت !

٩٦ — نُصَيْبٌ عِنْدَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ \*

قال نُصَيْبٌ <sup>(١)</sup> : قلت الشعر وأنا شاب فأعجبني قولي ؛ فجعلت آتى مَشِيخَةً من بني ضَمْرَةَ ، ومَشِيخَةً <sup>(٢)</sup> من خُرَاعَةَ ، فأنشدتم القصيدة من شعري ، أنسبها إلى بعض شعرائهم الماضين فيقولون : أحسن والله ! هكذا يكون الكلام ! وهكذا يكون الشعر .

فلما سمعت ذلك منهم علمت أنني مُحْسِنٌ ؛ فآزَمَعُوا وأزَمَعَتِ الخُرُوجَ إلى عبد العزيز بن مروان ، وهو يومئذٍ بمصر ؛ فقلت لأختي أُمَامَةَ — وكانت عاقلةً جَلَدَةً : أَى أَخِيَّةٍ ؛ إني قد قلتُ شعراً ، وأنا أريد عبد العزيز بن مروان ، وأرجو أن يُعْتَفِكَ اللهُ به وأُمَّكَ ومن كان مَرَقُوقًا <sup>(٣)</sup> من أهل قَرَآبَتِي .

قالت : إنا لله وإنا إليه راجعون ! يا بن أُمٍّ ، أنجمت عليك الخصلتان : السوادُ ، وأن تكون ضُحْكَةً <sup>(٤)</sup> للناس ! قلت : فاسمعي . فأنشدتها فسمعت ، فقالت : بأبي أنت ! أحسنت والله ! في هذا رجاءٌ عظيمٌ ، فأخرجُ على بركة الله .

فخرجت على قَعُودٍ لي حتى قدِمْتُ المدينة فوجدت بها الفرزدق في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرجت إليه فقلت : أنشدُهُ وأَسْتَشْدُهُ ، وأعرض عليه شعري . فأنشدته ، فقال لي : ويلك ! أهذا شعرك الذي تطلب به الملوك اقلت :

\* الأغانى : ١ - ٣٢٥ (طبعة دار الكتب) .

- (١) هو نصيب بن رباح : كان رقيقاً لبعض العرب ، ثم اشتراه عبد العزيز ، وكان شاعراً غلاماً مقدماً في النسب والمدح ، وكان عفيفاً كبير النفس يحيد مدائح الملوك ومراثيهم : توفي سنة ١٠٠ هـ .  
(٢) المَشِيخَةُ : الشيخوخة (٣) مَرَقُوقًا : صار في رق (٤) الضحكة بسكون الحاء : من يضحك الناس منه (١٦ - قصص العرب ٢)

نعم . قال : فليست في شيء . إن استطعت أن تكتم هذا على نفسك فافعل !  
فانقضخت<sup>(١)</sup> عرقاً !

فصحبني رجل من قريش كان قريباً من الفرزدق ، وقد سمع إنشادي ، وسمع  
ما قال لي الفرزدق : فأومأ إليّ ؛ فقممت إليه ، فقال : ويحك ! أهذا شعرك الذي  
أنشدته الفرزدق ؟ قلت : نعم . فقال : قد والله أصبت ، ولئن كان هذا الفرزدق  
شاعراً لقد حسدك ، فإنّا لنعرف محاسن الشعر ؛ فامض لوجهك ، ولا يكسر نك .

فسرّني قوله ، وعلمت أنه قد صدّقني فيما قال ، فاعتزمت على المضيّ ، فمضيت !  
فقدمت مصرَ وبها عبد العزيز بن مروان ، فحضرتُ بابه مع الناس ، فنُحِيتُ  
عن مجلس الوجوه ، فكنتُ وراءهم ، ورأيتُ رجلاً جاء على بَفْلَةٍ ، حسنَ الشّارة ،  
سهل المدخل ، يؤدّن له إذا جاء . فلما انصرف إلى منزله انصرفت معه أماشي بفلته ،  
فلما رآني قال : ألك حاجة ؟ قلت نعم ! أنا رجلٌ من أهل الحجاز ، شاعرٌ ، وقد  
مدحتُ الأمير ، وخرجتُ إليه راجياً معروفه ، وقد ازدريت فطردت من الباب ،  
ونُحِيتُ عن الوجوه . قال : فأُنشِدني : فأنشدته ، فأعجبه شعري ، فقال : ويحك !  
أهذا شعرك ؟ فإياك أن تنَحِل ! فإن الأمير راويةٌ عالم بالشعر ، وعنده رُواةٌ ، فلا  
تَنُضَخني ونفسك ، فقلت : والله ما هو إلا شعري . فقال : ويحك ! فقل أبياتاً  
تذكر فيها خوف<sup>(٢)</sup> مصر وفضلها على غيرها ، وألقني بها غداً .

فعدوت عليه من غد فأنشدته قولي :

سَرَى الهمُّ ثَنِينِي إِلَيْكَ طَلَانِيهِ بِمِصْرٍ وَبِالْحَوْفِ اعْتَرَتْنِي رَوَانِيهِ

(١) انقضخت عرقاً : تدفقت عرقاً (٢) الحوف : بمصر حوفان ؛ الشرق والغربي وهما متصلان .

وبات وسادى ساعدٌ قلَّ لِمَه  
عن العظم حتى كاد تَبْدُو أشاجِهه<sup>(١)</sup>

قال : وذكرتُ فيها الغيث فقلت :

وكم دون ذاك العارض البارق الذى  
له اشتقتُ من وجهِ أسيلٍ مدامعه

تمشى به أفناه<sup>(٢)</sup> بكر ومذحج  
وأفناء عمرو، وهو خضبُ مرابه

فكلُّ مسيلٍ من تهامة طيب  
دميئُ الرُّبَا تسقى البحارَ دَوافِعُه<sup>(٣)</sup>

أعنى على برق أريك وميضه  
تضئ دُجْنَاكَ الظلامَ لوامِعه

إذا اكتملت عينا محبةً بضوئه  
تجافت به حتى الصباح مضاجعه

فقال : أنت والله شاعر ! احضُرْ بالباب حتى أذكركَ للأمير .

قال : جلستُ على الباب ودخل ، فما ظننتُ أنه أمكنه أن يذكرنى حتى دعا

بى ، فدخلت على عبد العزيز ، فسَلَّت ، فصعدتُ فى بصره وصوبتُ ، ثم قال : أنت

شاعر ، ويلك ! قلت : نعم أيها الأمير ! قال : فأنشدنى فأنشدته فأعجبه شعرى .

وجاء الحاجب فقال : أيها الأمير ، هذا أيمن بن خُرَيم الأسدى بالباب . قال :

ائذنْ له ، فدخل فاطمأن ، فقال له الأمير : يا أيمن ، كم ترى ثمن هذا العبد ؟ فنظر إلى

فقال : والله لنعم النادى فى أثرِ الخاض<sup>(٤)</sup> ، هذا أيها الأمير ؟ أرى ثمنه مائة دينار .

فقال : فإن له شعراً وفصاحة ! فقال لى أيمن : أتقول الشعر ؟ قلت : نعم . قال :

فيه ثلاثون ديناراً . قال : يا أيمن ، أرفعه وتحفضه أنت ؟ قال : لكونه أحق أيها

الأمير ، مالهذا وللشعر ؟ مثل هذا يقول الشعر أو يحسن شعراً ؟ فقال : أنشده يانصيب ،

فأنشدته .

(١) الأشاجع : أصول الأصابع التى تتصل بمصب ظاهر الكف (٢) أفناء بكر ومذحج :  
أخلاق الناس (٣) الدوافع : مسایل الماء (٤) الخاض : الحوامل من النوق ، وهو يريد : نعم  
هذا العبد يرمى الإبل .

فقال له عبد العزيز : كيف تسمع يا أيمن ؟ قال : هو أشعر أهل جلدته . قال : هو والله أشعر منك . قال : أمي أيها الأمير ! قال : إني والله منك . قال : والله أيها الأمير إنك كملولٌ طَرفٌ<sup>(١)</sup> . قال : كذبت ، والله ما أنا كذلك ، ولو كنت كذلك ما صبرت عليك ، تنازعني التحية ، وتواكلني الطعام ، وتتسكى على وسائدي وفروشي ، وبك ما بك ! وكان بأيمن بياض .

قال : انظرن لي أن أخرج إلى بشر بالعراق<sup>(٢)</sup> ، واحملني على البريد . قال : قد أذنت لك ، وأمر به فحمل على البريد إلى بشر . فقال فيه يمدحه ويعرض بأخيه عبد العزيز :

ركبتُ من المقطم في جمادى	إلى بشر بن مروان البريداً
ولو أعطاك بشرٌ ألف ألف	رأى حقاً عليه أن يزيداً
أمير المؤمنين أقم ببشرٍ	عمود الحق إن له عموداً
ودع بشراً يقوّمهم ويحدث	لأهل الزينغ إسلاماً جديداً
كان التاج تاج بني هرقل	جلوه لأعظم الأيام عيداً
على ديباج خدي وجه بشرٍ	إذا الألوان خالفت الحدودا <sup>(٣)</sup>
قال . فأعطاه بشر مائة ألف درهم .	

(١) يقال رجل طرف : إذا كان لا يثبت على عهد (٢) بشر بن مروان : أخو عبد العزيز

ابن مروان (٣) في قوله هذا يعرض بكلف كان بوجه عبد العزيز بن مروان .



## ٩٧ - سليمان بن عبد الملك وسميّه \*

أُقْبِلَ على سليمان <sup>(١)</sup> بن عبد الملك فتى من بنى عيس ، وَسِمَ : فأعجبه ، فقال : ما اسمك ؟ قال : سليمان ، قال : ابنُ مَنْ ؟ قال : ابنُ عبد الملك ! فأعرض عنه ؛ وجعل يُفْرِضُ <sup>(٢)</sup> لِمَنْ دونه ، فعلم الفتى أنه كره موافقة اسمه واسم أبيه . فقال : يا أمير المؤمنين ، لا عدمتَ اسمك ، ولا شقي اسمٌ يوافق اسمك ، فأرضَ ؛ فإنما أنا سيفٌ بيدك ، إن ضربتَ به قطعتَ ، وإن أمرتني أُطَعْتُ ؛ وسهمٌ في كنفائك أشتدُّ إن أُرسلتُ ، وأنفذُ حيثُ وجَّهتُ .

فقال له سليمان وهو يختبره : ما قولك يا فتى لو لقيتَ عدوا ؟ قال : أقول : حسبي الله ونعم الوكيل ! قال سليمان : أكنتَ مكثفياً بهذا لو لقيتَ عدوك دون ضربٍ شديد ؟

قال الفتى : إنما سألتني يا أمير المؤمنين : ما أنت قائل ؟ فأخبرتك ، ولو سألتني : ما أنت فاعل ؛ لأنبأتُك ، إنه لو كان ذلك لضربتُ بالسيفِ حتى يتعَقَّفَ <sup>(٣)</sup> ، ولطعنتُ بالرمح حتى يتقَصِّفَ !

فأعجب به سليمان وألحقه في العطاء بالأشراف ، وتمثل :  
إذا ما اتقى الله الفتى ثم لم يكن على قومه كلاً فقد كمل الفتى

\* ابن أبي الحديد : ١ - ٣٢٢

(١) كان سليمان ملكاً غيوراً ، نهماً يحب الطعام ، كما كان فصيحاً لساناً ، توفي سنة ٩٩ هـ .  
(٢) يقال أفرس له : إذا جعل له فريضة ، والفريضة ، البعير المأخوذ في الزكاة ، ثم اسمح فيه حتى سمي البعير فريضة من غير الزكاة (٣) التعقيف : الترويع .

٩٨ — عقيد الندى \*

قال الحارث بن سليمان : شهدت مجلس أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك ، وأتاه سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ أتيتك مُسْتَعْدِيًا . قال : وَمَنْ بِكَ ؟ قال : موسى شَهَوَات <sup>(١)</sup> . قال : وماله ؟ قال : سَمِعَ <sup>(٢)</sup> بى ، واستطال فى عِرْضى .

فقال : يا غلام ؛ على بموسى ، فَأَتِنِى بِهِ ، فَأَتِنِى بِهِ ، فقال : وبلك ! أَسَمَّيْتُ بِهِ وَاسْتَطَلَّتْ فى عِرْضِهِ ؟ قال : ما فعلتُ يا أمير المؤمنين ، ولكنى مدحتُ ابنَ عمه فغضب هو .

قال : وكيف ذلك ؟ قال : أردتُ شراءَ جاريةٍ لم يبلغ ثمنها جِدَّتِي <sup>(٣)</sup> ، فَأَتَيْتُهُ وهو صديق ، فشكوتُ إليه ذلك ، فلم أصب عنده شيئًا ، فَأَتَيْتُ ابنَ عمه سعيدَ ابنَ خالد ، فشكوتُ إليه ما شكوتُهُ إلى هذا . فقال : تَعُودُ إِلَى ؛ فتركته ثلاثًا ثم أَتَيْتُهُ ، فَسَهَّلَ مِنِّى إِذْنِي ، فلما استقربى المجلس قال : يا غلام ؛ قل لَقِيْمِي : هاتِ وديعتي .

فَفَتَحَ أَبَا بَيْنَ بَيْتَيْنِ ، وإذ بجارية ، فقال لى : أهذه بُعَيْتُكَ ؟ قلت : نعم ، فِدَاكَ

---

\* الأغانى ٣ : ٣٥٣ ( طبعة دار الكتب ) .

(١) هو موسى بن يسار مولى قریش ، ويكنى أبا محمد ، وشهوات لقب غلب عليه ، كان سؤولا ملحما ، وكان كلما رأى مع أحد شيئا يعجبه من مال أو متاع أو ثوب أو فرس تباكى ، فإذا قيل له : مالك ؟ قال : أشهى هذا ، فلقب بموسى شهوات (٢) سمع به فى الناس : شهره وفضحه (٣) الحدة : الفنى ، ويريد هنا ما عنده من مال .

أبي وأُمي ! قال : اجلس . ثم قال : يا غلام ؟ قل لقيمتي : هاتِي طَبِيَّةً <sup>(١)</sup> نَفَقَتِي ،  
فَأَتَتِي بِطَبِيَّةٍ ، فَنُتِرَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَإِذَا مِائَةُ دِينَارٍ ، فَرُدَّتْ فِي الطَّبِيَّةِ . ثم قال :  
هَتِيدَةُ طَبِي <sup>(٢)</sup> ، فَأَتَتِي بِهَا ؛ ثم قال : مِلْحَفَةٌ <sup>(٣)</sup> فَرَأَشِي ، فَأَتَتِي بِهَا ؛ فَصَيَّرَ مَا فِي الطَّبِيَّةِ  
وَمَا فِي الْهَتِيدَةِ فِي حَوَاشِي الْمِلْحَفَةِ ، ثم قال : شَأْنُكَ بِالْجَارِيَةِ وَاسْتَعْنِ بِهَذَا .

فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ : فَذَلِكَ حِينَ تَقُولُ مَاذَا ؟ قَالَ : قُلْتُ :

أَبَا خَالِدٍ - أَغْنَيْ سَعِيدَ بْنِ خَالِدٍ أَخَا الْعُرْفِ ، لَا أَغْنِي ابْنَ بَنْتِ سَعِيدٍ  
وَلَكِنِّي أَغْنِي ابْنَ عَائِشَةَ الَّذِي أَبُو أَبِيهِ خَالِدُ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ  
عَقِيدٌ <sup>(٤)</sup> النَّدَى مَا عَاشَ يَرْضَى بِهِ النَّدَى فَإِنْ مَاتَ لَمْ يَرْضَ النَّدَى بِعَقِيدٍ  
دَعَا دَعْوَهُ إِنَّكُمْ قَدْ رَقَدْتُمْ وَمَا هُوَ عَنْ أَحْسَابِكُمْ بِرَقُودٍ  
فَقُلْتُ أَنَا سَا هَكَذَا فِي جُلُودِهِمْ مِنَ الْفَيْظِ لَمْ تَقْتُلَهُمْ بِحَدِيدٍ

فَقَالَ سُلَيْمَانُ : عَلِيٌّ يَا غَلَامُ بِسَعِيدِ بْنِ خَالِدٍ ، فَأَتَتِي بِهِ ، فَقَالَ : أَحَقُّ مَا وَصَفَكَ  
بِهِ مُوسَى ؟ قَالَ : وَمَا ذَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَأَعَادَ عَلَيْهِ . فَقَالَ : قَدْ كَانَ ذَلِكَ  
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : فَمَا طَوَّعَتْكَ هَذِهِ الْأَفْعَالُ ؟ قَالَ : دَيْنٌ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ .  
فَقَالَ لَهُ : قَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِمِثْلِهَا وَبِمِثْلِهَا وَبِمِثْلِهَا ، فَعَمِلْتَ إِلَيْهِ مِائَةَ أَلْفِ  
دِينَارٍ .

قَالَ الْحَارِثُ : فَلَقِيتُ سَعِيدَ بْنَ خَالِدٍ بَعْدَ ذَلِكَ فَقَالَ لَهُ : مَا فَعَلَ الْمَالُ الَّذِي  
وَصَلَّكَ بِهِ سُلَيْمَانُ ؟ قَالَ : مَا أَصْبَحْتُ وَاللَّهِ أَمْلِكُ مِنْهُ إِلَّا خَمْسِينَ دِينَارًا . قُلْتُ :  
مَا اغْتَالَهُ ؟ قَالَ : خَلَّةٌ <sup>(٥)</sup> مِنْ صَدِيقٍ ، أَوْفَاقَةٌ مِنْ ذِي رَحِمٍ .

(١) الطَّبِيَّةُ هُنَا : جِرَابٌ صَغِيرٌ مِنْ جِلْدِ طَبِي . (٢) الْهَتِيدَةُ : الْحَقَّةُ يَكُونُ فِيهَا طَبِيبُ الرَّجُلِ  
أَوْ الْعُرْسُ (٣) الْمِلْحَفَةُ : اللَّوَاءُ . (٤) عَقِيدَةُ النَّدَى : حَلِيفَةُ الْكُرْمِ (٥) الْحَلَّةُ :  
الْحَاجَةُ وَالْفَقْرُ .

٩٩ — خليفة يمطى الفقراء ويمنع الشعراء \*

لما استخلف عمر<sup>(١)</sup> بن عبد العزيز وفدت إليه الشعراء كما كانت تفد على الخلفاء من قبله ، فأقاموا ببابه أياماً لا يأذن لهم بالدخول حتى قدم عدى بن أرطاة على عمر - وكانت له منه مكانة - فقال جرير :

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمَرْجِيُّ مَطِيَّيْهِ      هَذَا زِمَانُكَ إِنِّي قَدْ مَضَى زَمْنِي  
أَبْلَغُ خَلِيفَتِنَا إِنْ كُنْتَ لَاقِيَهُ      أَنِّي لَدَى الْبَابِ كَالْمَصْفُودِ<sup>(٢)</sup> فِي قَرْنٍ  
وَحَشُّ الْمَكَانَةِ مِنْ أَهْلِي وَمِنْ وَلَدِي      نَأَى الْحَلَّةِ عَنْ دَارِي وَعَنْ وَطْنِي  
فقال : نعم أبا حَرْزَةَ وَنَعْمَى عَيْن ! فلما دخل على عمر قال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛  
إِنَّ الشُّعْرَاءَ بِيَابِكَ ، وَأَقْوَالَهُمْ بَاقِيَةٌ ، وَمَسْأَلُهُمْ مَسْنُونَةٌ .  
قال : يَا عَدَى ، مَالِي وَلِلشُّعْرَاءِ !

فقال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ رَسُولَ اللَّهِ قَدْ مُدِّحٌ وَأَعْطَى ؛ وَفِيهِ أَسْوَةٌ لِكُلِّ  
مُسْلِمٍ . قال : مَنْ مَدَّحَهُ ؟ قال : عَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ ؛ فَكَسَاهُ حَلَّةً قَطَعَ بِهَا لِسَانَهُ .

\* العقد الفريد : ١ - ١٠٨ ، ثمرات الأوراق : ١ - ٧٩ .

(١) ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة بعد سليمان بن عبد الملك سنة ٨٩٩ هـ ، وكان من خيار الخلفاء علماً ، زاهداً ، عابداً ، تقياً ، سار سيرة مرضية ، وسلك النبل الأعلى في الحكم . توفي سنة ٩٠١ هـ (٢) صنده : أوثقه .

قال : صدقت ، فمن بالباب منهم ؟ قال : ابنُ عمك عمرُ بنُ أبي ربيعة القرشي .

قال : لا قرَّب اللهُ قرابته ، ولا حيًّا وجهه ؛ أليس هو القاتل :

ألا ليتَ أنِّي يومَ تَدْنُو مِنِّي شَمِمتَ الذي ما بينَ عَيْنِكَ والعمـ<sup>١</sup>  
وليتَ طَهْورِي كانَ ريقَكَ كلَّه وَليتَ حَنَوطِي من مُشَانِكَ<sup>(٢)</sup> والدمـ<sup>١</sup>  
ويا ليتَ سَلَمِي في القُبُورِ ضَجِيعِي هنالك أَوْ في جَنَّةٍ أَوْ جَهَنَّمِ  
فليته تَمَنَّى لقاءَها في الدنيا ، ثم يَعمَلُ عملاً صالحاً ، والله لا يَدْخُلُ على أبدأ .  
فمن بالباب غيره ممن ذَكَرتُ ؟ قال : جميل بن مَعْمَرِ المَذَرِي .

قال : أليس هو القاتل :

ألا لَيْتُنَا نَحْيَا جَمِيعاً وَإِن تَمَّتْ يُوفَى لَدَى المَوْتِ ضَرِيمِي ضَرِيمُهَا  
فأَنَا في طُولِ الحَيَاةِ بِرَاغِبٍ إِذَا قِيلَ قَدْ سَوَى عَلَيْهَا صَفِيحُهَا<sup>(٢)</sup>  
أظِلَّ نَهَارِي لَا أَرَاهَا وتَلَقَى مَعَ اللَّيْلِ رُوحِي في المَنَامِ وَرُوحُهَا  
والله لا يَدْخُلُ على أبدأ . فمن بالبابِ غيره ممن ذَكَرتُ ؟ قال : كثير عزة ،  
قال : أليس هو القاتل :

رُهْبَانُ مَدِينٍ وَالَّذِينَ عَهَدْتَهُمْ يَبْكُونَ من حَذَرِ الفِرَاقِ قُعُودَا  
لَوْ يَسْمَعُونَ كَمَا سَمِعْتُ حَدِيثَهَا خَرُّوا لِعِزَّةِ رَكْعَا وَسُجُودَا  
أبْعدَهُ اللهُ ! فَوَاللهِ لَا يَدْخُلُ على أبدأ ، فمن بالبابِ غيره ممن ذَكَرتُ ؟ قال :  
الأحوص الأنصاري . قال : لَا دَخَلَ على أبدأ ، أليس هو القاتل — وقد أَفْسَدَ  
على رَجُلٍ من أَهْلِ المَدِينَةِ جَارِيَتَهُ حَتَّى هَرَبَ بِهَا مِنْهُ :

اللهُ يَنْبِي وَيُبْنِي سَيِّدُهَا يَفِرُّ عَنِّي بِهَا وَأَتَّبِعُ

(١) المَنَاشِئ : رهوس العظام ؛ مثل الركبتين والمرفقين والنكبين . (٢) الصَّفَاح : الحجارة  
المریضة ؛ واحدها صفيح وصفيحة .

فمن بالباب وغيره ممن ذكرت؟ قال : هام بن غالب الفرزدق ! قال : أليس هو القائل :

ها دلتان من ثمانين قامّةً      كما انقضّ باز أقتم الریشِ كاسيرُهُ  
فلما استوت رجلاي      نى قالتا :      أحى يَرَجى أم قتيل نحاذرُهُ ؟  
فقلت : ارفعا الأسباب لايشعروا بنا      ووليت فى أعقابِ تيسلٍ أبادرُهُ  
والله لا دخل على أبدأ ، فمن بالباب غيره ممن ذكرت؟ قال : الأخطل التغلبي  
قال : أليس القائل :

ولستُ بصائم رَمَضَانَ عمرى      ولستُ بآكلٍ لَحْمِ الْأَضاحى <sup>(١)</sup>  
ولستُ بزاجر عَنَساً <sup>(٢)</sup> بگوراً      إلى بطحاء مـسكة للنجاح  
ولستُ بقاتم كالْمِيزِ يدعو      قبيل الصبح حى على الفلاح  
ولكنى سائرِها شمولاً <sup>(٣)</sup>      وأسجد عند مُنبِجِ الصباح <sup>(٤)</sup>  
أبعدهُ - أبعدهُ الله - عنى ! فوالله لا دخلَ على أبدأ ، ولا وطىء لى بساطاً ،  
فمن بالباب غيره من الشعراء ممن ذكرت؟ قال : جرير ، قال أليس هو القائل :  
دُمَّ المنازل بعد منزلة اللوى      والعيش بمـدد أولئك الأيام  
طرقتك صائدةُ القلوب وليس ذا      وقت الزيارة فارْجعى بسلام  
فإن كان ولا بد فهذا ، فأذن له .

قال عدى بن أرطاة : فخرجتُ إليه ، فقلت : ادخل يا جرير ، فدخل وهو يقول :

إن الذى بعث النبى محمداً      جمل الخلافة فى إمامٍ عادِلٍ

(١) الأضاحى : جمع أضحية وهى شاة يضحي بها . (٢) الضنى : البازل الصلبة من الإبل .  
(٣) الشمول : البارد من الخمر . (٤) انبج الصبح : أضاء وأشرق .

وسع الخلائق عدله ووفاه حتى ارعوا وأقام ميل المائل  
والله أنزل في الكتاب فريضة لابن السبيل والفقير العائل  
إني لأرجو منك خيراً عاجلاً والنفس مولعة بحب العاجل  
فلما مثل بين يديه قال : يا جرير ، اتق الله ، ولا تقل إلا حقاً ،  
فأنشأ يقول :

كم باليامة من شعناء أرملة ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر !  
من بمدك تكفي فقد والده كالفرخ في العش لم يدرك<sup>(١)</sup> ولم يطير  
أذكر الجهد والبلوى التي نزلت أم قد كفاني ما بلغت من خبري  
إننا لندرجو - إذا ما الفيت أخلفنا - من الخليفة ما نرجو من المطر  
نال الخلافة أو كانت له قدراً كما أتى ربه موسى على قدر  
هذي الأرامل قد قضيت حاجتها فمن حاجة هذا الأرملة الذكرا  
الخير ما دمت حياً لا يفارقنا بوركت يا عمر الخيرات من عمر !  
فقال : يا جرير ، ما أرى لك فيما هاهنا حقاً ! قال : يا أمير المؤمنين ، إني ابن  
سبيل ومنقطع به ! فقال له : ويحك يا جرير ! قد ولينا هذا الأمر ، ولا نملك إلا  
ثلثمائة درهم فائة أخذها عبد الله ، ومائة أخذتها أم عبد الله ، يا غلام ، أعطه  
المائة الباقية .

فأخذها جرير ، وقال : والله يا أمير المؤمنين لى أحب مال اكتسبته ، ثم  
خرج ، فقال له الشعراء : ما وراءك ؟ قال : ما يسوءكم ! خرجت من عند حليفة يعطى  
الفقراء ، ويمنع الشعراء ، وإني عنه لراض ، وأنشد :

رأيت رقي الشيطان لا تستغره وقد كان شيطاني من الجن راقيا

١٠٠ — الشعراء عند عمر بن عبد العزيز \*

قال حماد الراوية :

دخلتُ المدينةَ ألتبسُ العلمَ ، فكان أولُ مَنْ لقيتُ كثيرٌ <sup>(١)</sup> عزّة . فقلت :  
يا أبا صخر ! ما عندك من بضاعتي ؟ قال : عندي ما عند الأحوص <sup>(٢)</sup> ونصيب .  
قلت : وما هو ؟ قال : هما أحقّ بإخبارك . فقلت له : إنا لم نَحُثَّ المَلَى بحسبكم  
شهرًا نطلب ما عندكم إلا ليبقى لَكُمْ ذِكْرُكُمْ ، وقلَّ مَنْ يفعل ذلك ، فأخبرني عما  
سألتك ليكون ما تخبرني به حديثًا آخذُهُ عنك .

فقال : إنه لما كان من أمر عمر بن عبد العزيز ما كان ، قَدِمْتُ أنا ونُصَيْبُ  
والأحوصُ ، وكلُّ واحدٍ منا يَدُلُّ بِسابقته عند عبد العزيز وإخائه لعمر . فكان  
أولُ مَنْ لقيتُنا مُسَلِّمَةً بن عبد الملك ، وهو يومئذ فتى العرب ، وكلُّ واحدٍ منا ينظر  
في عِظْفَيْهِ لا يشكّ أنه شريك الخليفة في الخلافة ، فأحسن ضيافتنا وأكرم مَثْوَانَا ،  
ثم قال : أما علمتُمْ أن إمامكم لا يُعْطَى الشعراء شيئًا ، قلنا : قد جئنا الآن ، فوجه  
لنا في هذا الأمر وجهًا . فقال : إن كان ذو دين من آل مروان قد ولى الخلافة فقد  
بقي من ذوى دنياهم من يقضى حوائجكم ، ويفعلُ بكم ما أنتم له أهل .

فأقننا على بابه أربعة أشهر لا نصلُ إليه ، وجعل مُسَلِّمَةً يَسْتَأْذِنُ لنا فلا  
يُؤْذَنُ . فقلت : لو أتيتُ المسجدَ يوم الجمعة فتحفظتُ من كلام عمرَ شيئًا ! فأنيبَ

\* الأغاني : ٩ - ٢٥٦ ( طبعة دار الكتب ) ، المقدم الفريد : ١ - ٢١٣ .

(١) انظر صفحة ٢٢٥ (٢) انظر صفحة ١٤٨ .



المسجد فأنا أول مَنْ حَفِظَ كلامه ، سمعته يقول في خطبة له : « لِكُلِّ سَفَرَزَادٍ لَا مَحَالَةَ ، فَزَوِّدُوا لِسَفَرِكُمْ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ بِالتَّقْوَى ، وَكُونُوا كَمَنْ عَايَنَ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ مِنْ ثَوَابِهِ وَعِقَابِهِ ، فَعَمِلَ طَلِبًا لِهَذَا وَخَوْفًا مِنْ هَذَا . وَلَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمْ الْأَمَدُ فَتَقْسُوا قُلُوبَكُمْ ، وَتَفْقَدُوا لَعْدُوكُمْ » .

« واعلموا أنه إنما يطمئن بالدنيا مَنْ وَثِقَ بِالنَّجَاةِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ . فَأَمَّا مَنْ لَا يُدَاوِي جُرْحًا إِلَّا أَصَابَهُ جُرْحٌ مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى فَكَيْفَ يطمئن بالدنيا ! أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ آمُرَكُمْ بِمَا أَنْهَى نَفْسِي عَنْهُ فَتَخْشَرَ صَفْقَتِي ، وَتَبْدُو عَيْلَتِي ، وَتُظْهِرَ مَسْكَنَتِي يَوْمَ لَا يَنْفَعُ فِيهِ إِلَّا الْحَقُّ وَالصَّدَقُ » .

فَارْتَبَعَ الْمَسْجِدُ بِالْبَكَاءِ ، وَبَكَى عَمْرٌ حَتَّى بُلَّ ثَوْبُهُ ، وَظَنْنَا أَنَّهُ قَاضٍ كَبِيرُهُ . فَبَلَغْتُ إِلَى صَاحِبِي فَقُلْتُ : جَدَّدَا لِعَمْرٍ مِنَ الشَّعْرِ غَيْرَ مَا أَعْدَدْنَاهُ ، فَلَيْسَ الرَّجُلُ بِدُنْيَوِيٍّ .

ثُمَّ إِنْ مَسَلَمَةَ اسْتَأْذَنَ لَنَا يَوْمَ جُمُعَةٍ بَعْدَ مَا أُذِنَ لِلْعَامَّةِ . فَدَخَلْنَا فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ فَرَدَّ عَلَيْنَا ؛ فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ طَالَ الثَّوَاءُ <sup>(١)</sup> ، وَقُلْتُ الْفَائِدَةُ ، وَتَحَدَّثْتُ بِمِفَائِكَ إِيَّانَا وَفُودُ الْعَرَبِ .

فَقَالَ : يَا كَثِيرٌ ؛ أَمَا سَمِعْتَ إِلَى قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ : ﴿ إِنَّمَا الْأَصْدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنَى السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ، أَمِنْ هَؤُلَاءِ أَنْتَ ؟ قُلْتُ لَهُ - وَأَنَا ضَاحِكٌ : أَنَا ابْنُ سَبِيلٍ وَمُنْقَطَعٌ بِهِ ! قَالَ : أَوْلَسْتَ ضَيْفَ أَبِي سَعِيدٍ ! قُلْتُ : بَلَى ، قَالَ . مَا أَحْسَبَ مَنْ كَانَ ضَيْفَهُ ابْنَ سَبِيلٍ ، وَلَا مُنْقَطَعًا بِهِ .

(١) الثَّوَاءُ : الْمَسْكُ وَالْإِهَامَةُ .

نم استأذنته في الإنشاد ، فقال : قل ، ولا تقل إلا حقاً . فإن الله سائلك :  
فقلت :

وَلَيْتَ فَلَمْ تَشْتُمْ عَلَيَّا وَلَمْ تُخَفْ      بَرِيًّا وَلَمْ تَتَّبِعْ مَقَالَةَ مُجْرِمٍ  
وَقُلْتَ فَصَدَقْتَ الَّذِي قُلْتَ بِالَّذِي      فَعَلْتَ ، فَأُضْحَى رَاضِيًا كُلُّ مُسْلِمٍ  
لَقَدْ لَبِستُ لُبْسَ الْهُلُوكِ<sup>(١)</sup> ثِيَابَهَا      وَأَبَدْتَ لَكَ الدُّنْيَا بِكَفٍّ وَمِقْصَمٍ  
وَتَوَمِّضُ أَحْيَانًا بَعِينَ مَرِيضَةٍ      وَتَبْسِمُ عَنْ مِثْلِ الْجَبَانِ الْمُنْظَمِ  
أَعْرَضْتَ عَنْهَا مُشْمِزًا كَأَنَّمَا      سَقَتَكَ مَدُوقًا<sup>(٢)</sup> مِنْ سِمَامٍ وَعَلَقَمٍ  
وَقَدْ كُنْتَ مِنْ أَجْبَالِهَا فِي مُنْتَمِعٍ      وَمِنْ بَحْرَهَا فِي مُزِيدِ الْمَوْجِ مُقَمِّمٍ  
وَمَا زِلْتُ سَبَاقًا إِلَى كُلِّ غَايَةٍ      صَعَدْتَ بِهَا أَعْلَى الْبِنَاءِ الْمَقْدَمِ  
فَلَمَّا أَتَاكَ الْمَلِكُ عَفْوًا وَلَمْ يَكُنْ      لَطَالِبَ دُنْيَا بَعْدَهُ مِنْ تَكَلُّمٍ  
تَرَكْتَ الَّذِي يَفْنَى وَإِنْ كَانَ مُؤَيِّقًا      وَآثَرْتَ مَا يَبْقَى بِرَأْيِ مَصْمَمٍ  
فَأُضْهِرَّتْ بِالْفَسَادِ وَتَمَرَّتْ لِلَّذِي      أَمَامَكَ فِي يَوْمِ الْهَوْلِ مُظْلَمٍ  
وَمَا لَكَ أَنْ كُنْتَ الْخَلِيفَةَ مَانِعٌ      سَوَى اللَّهِ مِنْ مَالٍ رَعِيْتَ وَدِرْهَمٍ  
سَمَّاكَ<sup>(٣)</sup> هَمْزٌ فِي الْفَوَادِ مُؤَرِّقٌ      صَعِدْتَ بِهِ أَعْلَى الْمَعَالِي بِسُلْمٍ  
فَمَا بَيْنَ شَرْقِ الْأَرْضِ وَالْغَرْبِ كُلِّهَا      مُنَادٍ يُنَادِي مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَمٍ  
يَقُولُ : أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ظَلَمْتَنِي      بِأَخْذِ لَدِينَارٍ وَلَا أَخْذِ دِرْهَمٍ  
فَلَوْ يَسْتَطِيعُ الْمَسْلُومُونَ لِقَسَمُوا      لَكَ الشُّطْرَ مِنْ أَعْمَارِهِمْ غَيْرَ نُدَمٍ  
فَعِشْتَ بِهِ مَا حَجَّ اللَّهُ رَاكِبٌ      مُغْدًى مُطِيفٌ بِالْمَقَامِ وَزَمَزَمٍ

(١) الهلوك من النساء : الفاجرة المتساقطة على الرجال (٢) مدوفا : مخلوطاً ، والسمام : السم  
(٣) سمالك : ارتفع .

فَارْبِحْ بِهَا مِنْ صَفَقَةِ الْمَبَايِعِ وَأَعْظِمْ بِهَا أَعْظَمَ بِهَا ثُمَّ أَعْظِمْ !  
فَقَالَ لِي يَا كَثِيرٌ ؛ إِنْ اللَّهَ سَأَلْتُكَ عَنْ كُلِّ مَا قُلْتَ . ثُمَّ تَقْدِمُ إِلَيْهِ الْأَحْوَصَ  
فَاسْتَأْذَنَهُ فَقَالَ : قُلْ ، وَلَا تَقُلْ إِلَّا حَقًّا ، فَإِنَّ اللَّهَ سَأَلْتُكَ . فَأَنْشَدَهُ :

وما الشعرُ إِلَّا خُطْبَةٌ مِنْ مَوَافٍ	بِمَنْطِقِ حَقٍّ أَوْ بِمَنْطِقِ بَاطِلٍ
فَلَا تَقْبَلَنَّ إِلَّا الَّذِي وَافَقَ الرِّضَا	وَلَا تَرْجِعَنَّ كَأَلْسَاءِ الْأَرَامِلِ
رَأَيْتُكَ لَمْ تَعْدِلْ عَنِ الْحَقِّ يَمْنَةً	وَلَا يَسْرَةً فَعَلَ الظُّلُومِ الْمَجَادِلِ
وَلَكِنْ أَخَذْتَ الْقَصْدَ جُهْدَكَ كُلَّهُ	وَتَقَفُوا مِثَالِ الصَّالِحِينَ الْأَوَائِلِ
فَقُلْنَا وَلَمْ نَكْذِبْ بِمَا قَدْ بَدَأَ لَنَا	وَمَنْ ذَا يَرُدُّ الْحَقَّ مِنْ قَوْلٍ عَاذِلِ
وَمَنْ ذَا يَرُدُّ السَّهْمَ بَعْدَ مُرُوقِهِ	عَلَى فُوقِهِ إِنْ عَارٍ <sup>(١)</sup> مِنْ نَزْعِ نَابِلِ
وَلَوْلَا الَّذِي قَدْ عَوَّدْتَنَا خِلَافُ	غَطَارِيفُ كَانَتْ كَالْيُوثِ الْبَوَاسِلِ
لَمَّا وَخَدْتَ شَهْرًا بِرَحْلِي جَسْرَةً <sup>(٢)</sup>	تَفْلَأُ مُتُونِ الْبَيْدِ بَيْنَ الرَّأْوَحِلِ
وَلَكِنْ رَجَوْنَا مِنْكَ مِثْلَ الَّذِي بِهِ	صُرِفْنَا قَدِيمًا مِنْ ذَوِيكَ الْأَفَاضِلِ
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِلشَّعْرِ عِنْدَكَ مَوْضِعٌ	وَإِنْ كَانَ مِثْلَ الدُّرِّ مِنْ قَوْلِ قَاتِلِ
وَكَانَ مُصِيبًا صَادِقًا لَا يَمِيقِيهِ	سِوَى أَنَّهُ يَبْنِي بِنَاءَ الْمَنَازِلِ
فَإِنَّ لَنَا قُرْبَى وَنَحْضَ مَوَدَّةٍ	وَمِيرَاثَ آبَاءٍ مَشَوْا بِالْمَنَاصِلِ <sup>(٣)</sup>
فَذَاذُوا عِدْوِ السَّلْمِ عَنْ عُقْرِ دَارِهِمْ	وَأَرْسَوْا عُمُودَ الدِّينِ بَعْدَ تَمَائِلِ
فَقَبْلَكَ مَا أُعْطِيَ الْهَنِيدَةَ جِلَّةٌ	عَلَى الشَّعْرِ كَعَبًا مِنْ سَدِيدِ الْبَازِلِ <sup>(٤)</sup>

(١) السهم العائر : الذي لا يدري من أين أتى (٢) الجسرة : الناقة العظيمة (٣) المناصل :  
بن منصل وهو السيف القاطع (٤) هنيدة : اسم للعائنة من الإبل خاصة ، ويريد بكعب  
كعب بن زهير ، والسديس : من الإبل ما دخل في الثامنة ، والبازل : ما بلغ التاسعة .

رسولُ الإلهِ المصطفى بِنُبُوَّةٍ عليه سلامٌ بالضحَّا والأصائل  
فكلُّ الذي عدَدْتُ يُكفِّيكُ بعضُهُ ونيلُك خيرٌ من بحور السوائل  
فقال له عمر : يا أحوص ؛ إن الله سائلُك عن كل ما قلت . ثم تقدم إليه  
نصيب فأستأذن في الإنشاد ، فأبى أن يأذن له ، وغضب غضبا شديدا ، وأمره باللاحاق  
بدايق <sup>(١)</sup> ؛ وقال لنا : ما عندي ما أعطيكم ، فانتظروا حتى يخرج عطائي فأواسيكم  
منه . فانتظرناه حتى خرج ، فأمر لي وللأحوص بثلاثمائة درهم ، وأمر لنصيب بمائة  
وخمسين درهما . فإرأيت أعظمَ بركة من الثلاث المائة التي أعطاني ، ابتعتُ بها  
وصيفةً فعلتُها يآلف دينار .

---

(١) دابق : قرية قرب حلب .

## ١٠١ — إيجاز في المقال وبلاغة في البيان\*

قال سُفيان القرشي :

كنا عند هشام<sup>(١)</sup> بن عبد الملك ، وقد وفد عليه وفدُ أهل الحجاز - وكان شباب الكتاب إذا قدم الوفد حضروا لاستماع بلاغة خطبائهم - فحضرتُ كلامهم . وكان محمد بن أبي الجهم أعظمَ القوم قدراً ، وأكبرهم سناً ، وأفضلهم رأياً وحلماً ؛ فقال : أصلح الله أمير المؤمنين ! إن خطباء قريش قد قالت فيك ما قالت ، وأكثرت وأطبت ، والله ما بلغ قائلهم قدرك ، ولا أحصى خطيبهم فضلك ، وإن أذنت في القول قلت . قال : تكلم ، قال : أفأوجز أم أطنب ؟ قال : بل أوجز .

قال : تولاك الله يا أمير المؤمنين بالحسنى ، وزينك بالتقوى ، وجمع لك خير الآخرة والأولى ، إن لي حوائج أفأذكرها ؟ قال : هاتِها ، قال : كبرتُ سنِّي ، ونال الدهرُ مني ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يجبرُ كسري ، وينقِ فقرى فعل ! قال : وما الذي ينقِ فقرك ، ويجبرُ كسرك ؟ قال : ألف دينار ، وألف دينار ، وألف دينار !

فأطرق هشام طويلاً ، ثم قال : هيات يا بن أبي الجهم ! بيت المال لا يَحتمِلُ ما ذكرت ، فقال : إن الله آتاك لجلسك ، فإن تعطينا حقاً أدّيت ، وإن تمنعنا

---

\* العقد الفريد : ٣ - ١٨٦ ، الأمل : ١ - ١٤٧ ، صبح الأعشى : ١ - ٢٦٤  
(١) تولى الخلافة هشام بن عبد الملك سنة ١٠٥ هـ ، وكان غزير العقل ، حليماً عفيفاً ، امتدت أيامه ، وجرى فيها كثير من الوقائع . توفى سنة ١٢٥ هـ .

فنسأل الذى بيده ماحويت يا أمير المؤمنين . إن الله جميل العطاء محبة ، والمنع مبغضة ؛ والله لأن أحببك أحب إلى من أن أبغضك !

قال : فألف دينار لماذا ؟ قال : أفضى بها ديناً فدحني <sup>(١)</sup> قضاؤه ، وقد عتاني حمله ، وأضر بي أهله . قال : فلا بأس ؛ تنفس كربة ، وتؤدي أمانة . وألف دينار لماذا ؟ قال : أزوج بها من أدرك من ولدى . قال : نعم المسلك سلكت ، أغضضت بصرأ ، وأعققت ولداً ، ورفعت نسلاً . وألف دينار لماذا ؟ قال : أشتري بها أرضاً يعيش بها ولدى ، وأستمين بفضلها على نوائب دهري ، وتكون ذخراً لمن بقى بعدى .

قال : فإننا قد أمرنا لك بما سألت . قال : فالحمد لله على ذلك ، وجزاك الله يا أمير المؤمنين والرحم خيراً ! ثم خرج .

فاتبعه هشام بصره ، وقال : تالله ما رأيت رجلاً ألطف في سؤال ، ولا أرفق في مقال من هذا ، هكذا فليكن القرشي . أما والله إننا لنعرف الحق إذا نزل ، ونكره الإسراف والبخل ، وما نعطى تبذيراً ، ولا نمنع تقتيراً ، وما نحن إلا خزان الله في بلاده ، وأمانؤه على عباده ، فإذا أذن أعطينا ، وإذا منع أبينا ، ولو كان كل قائل يصدق ، وكل سائل يستحق ، ما جئنا <sup>(٢)</sup> قائلاً ، ولا ردّدنا سائلاً ، ونسأل الذى بيده ما استحفظنا أن يجريه على أيدينا ، فإنه ييسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر <sup>(٣)</sup> ؛ إنه كان بعباده خبيراً بصيراً ! فقالوا : يا أمير المؤمنين ؛ لقد تكلمت فأبلغت ، وما بلغ في كلامه ما قصصت ؛ قال : إنه مبتلى ، وليس المبتلى كالمعتلى !

(١) فدحني : أثقلني (٢) جبهه : لقيه بما يكره (٣) يقدر : يقسم .

## ١٠٢ — سميت فأكديتُ، ورجعت فرزقت \*

وفد جرّوة <sup>(١)</sup> بن أذينة الشاعر على هشام بن عبد الملك في جماعة من الشعراء ،  
فلما دخلوا عليه عرف عروة ، فقال له : ألسن القائل :

لقد علمتُ وما الإشراف <sup>(٢)</sup> من خلقي أن الذى هو رزقى سوف يأتينى  
أسعى له فيعنينى تطلبُ به ولو قدمتُ أتانى لا يمتننى

وأراك قد جئت من الحجاز إلى الشام فى طلب الرزق ! فقال له : يا أمير المؤمنين ؛  
زادك الله بسطةً فى العلم والجسم ، ولا ردّ وافدك خائباً . والله لقد بالفت فى الوعد ،  
وأذكرتني ما أنسانيه الدهر !

وخرج من فوره إلى رحلته ؛ فركبها وترجّه راجعاً إلى الحجاز ، فلما كان الليل  
ذكره هشام ، وهو فى فراشه ، فقال : رجل من قريش قال حكمة ، ووفد إلى  
فجبهته وردّ دثته عن حاجته ، وهو مع ذلك شاعر لا آمن ما يقول .  
فلما أصبح سأل عنه ، فأخبر بانصرافه ، فقال : لا جرم ، ليعلم أن الرزق سيأتيه .

\* الشعر والشعراء : ٢٢٥ ، المستطرف : ١ - ٧ ، ابن خلكان : ١ - ٢١٢  
(١) عروة بن أذينة : كان من أعيان العلماء وكبار الصالحين ، وله شعر فى الغزل غفيف رائق ؛  
وقفت عليه سكينه بنت مرة فقالت له : أنت القائل :

إذا وجدت أوار الحب فى كبدى ذهبت نحو سقاء القوم أبترد  
هبنى بردت يبرد الماء ظاهره فمن نار على الأحشاء تنفد !  
فقال لها : نعم . فقالت : وأنت القائل :

قالت : وأنتها سرى وبحث به قد كنت عندى تحب السرفاستر  
ألسن تبصر من حولى ؟ فقلت لها : غطى هواك وما ألقى على بصرى !  
قال : نعم ، فالتفت إلى جواربها وقالت : من الحرائر إن كان خرج هذا من قلب سليم .  
(٢) الإشراف : التطلع للأمر .

ثم دعا مولى له ، وأعطاه ألفي دينار ، وقال : الحق بهذه ابن أذينة ، وأعطيه إياها ؛  
فأذركه وقد دخل بيته ، فقرع الباب عليه ، فخرج إليه ، فأعطاه المال .  
فقال : أبلغ أمير المؤمنين قولي : سمعت فأكدت ، ورجعت إلى بيتي  
فأتاني رزقي .

### ١٠٣ — هذا الذي تعرف البطحاء وطأته \*

حبّج هشام بن عبد الملك في خلافة الوليد أخيه ، ومعه رؤساء أهل الشام ،  
فجهد أن يستلم الحجر ، فلم يقدر من ازدحام الناس ، فنصب له منبر فجلس عليه  
ينظر إلى الناس ، وأقبل على بن الحسين - وهو أحسن الناس وجهاً ، وأنظفهم ثوباً ،  
وأطيبهم رائحة - فطاف بالبيت ، فلما بلغ الحجر الأسود تنحى الناس كلهم ، وأخلوا  
له الحجر ليستلمه هيبة وإجلالاً .

ففاظ ذلك هشاماً ، وبلغ منه ، فقال رجل لهشام : من هذا أصلح الله الأمير !  
قال : لا أعرفه - وكان به عارفاً - ولكنه خاف أن يرغب فيه أهل الشام ،  
ويعلموا منه ، فقال الفرزدق - وكان لذلك كله حاضراً : أنا أعرفه ، فسكني يا شامي .  
قال : ومن هو ؟ قال :

هذا الذي تعرف البطحاء <sup>(١)</sup> وطأته      والبيت يعرفه والحل والحرم  
هذا ابن خير عباد الله كلهم      هذا النقي النقي الطاهر العلم

---

\* الأغاني : ١٤ - ٧٥ ( طبع الساسي ) ، المحاسن والمساوي : ٢٣١ ( طبع ليزج ) .  
(١) البطحاء : مسبل واسع فيه دفاق الحصى .



إذا رأيته قريشٌ قال قائلهم : إلى مكارم هذا ينتهي الكرمُ  
يكادُ يُنسكه عِرْفَانٌ (١) راحته رُكْنُ الحَظِيمِ (٢) إذا ما جاء يستلِمُ  
فليس قولك : مَنْ هذا بضائره العُزْبُ تعرفُ من أنكرتَ والعجمُ  
فجيسه هشام فقال في حبسه :

أتحبسنى بين المدينة واللى إليها قلوب الناس يهوى منيها !  
يقلبُ رأساً لم يكنُ رأسَ سيّدٍ وعيناً له حواء بادٍ عيوبها  
فبعث إليه هشام فأخرجه ، ووجه إليه على بن الحسين عشرة آلاف درهم ،  
وقال : اعذر يا أبا فراس ، فلو كان عندنا في هذا الوقت أكثرُ من هذا لوصلناك به ،  
فردّها ، وقال : ما قلتُ ما كان إلا لله ، وما كنتُ لأرزأ (٣) عليه شيئاً ، فقال له  
على : نحن أهل بيت إذا أنفدنا شيئاً ما نرجع فيه .

(١) عرفان : منصوب على أنه مفعول له (٢) الحطيم : حجر الكعبة أو جدارها ، أو ما بين  
الركن وزمزم واللقام (٣) رزأه ماله : أصاب من ماله شيئاً .

## ١٠٤ — واعظ الملوك \*

قال خالد بن صفوان بن الأهمم<sup>(١)</sup> :

أوفدني يوسف بن عمر النخعي إلى هشام بن عبد الملك في وفد أهل العراق  
فقدِمْتُ عليه ، وقد خرج بقرابته وحشمه وغازيته<sup>(٢)</sup> وجلسائه ، فنزل في أرض  
قاع صحصح<sup>(٣)</sup> ، تنائف أفيح<sup>(٤)</sup> ، في عام قد بكر ونميته ، وتتابع وليه<sup>(٥)</sup> ، وأخذت  
الأرض فيه زيتها على اختلاف ألوان نبتها ؛ من نور ربيع موق<sup>(٦)</sup> ، فهو في  
أحسن منظر ونخبر ، وأحسن مستمطر ، بصعيد<sup>(٧)</sup> كأن ترابه قطع الكافور .  
وقد ضرب له سرادق من جبر<sup>(٨)</sup> ، كان يوسف بن عمر صنعه له باليمن ، فيه فسطاط  
فيه أربعة أفرشة من خز أحمر ، مثلها مرافقها ، وعليه دراعة<sup>(٩)</sup> من خز أحمر  
مثلها عمامتها ، وقد أخذ الناس مجالسهم .

فأخرجت رأسي من ناحية السماء<sup>(١٠)</sup> ، فنظر إلى شبه المستنطق لي !  
فقلت : أتم الله عليك يا أمير المؤمنين نعمه ، وجعل ما قلّدتك من هذا الأمر رُشداً ،  
وعاقبة ما يتوَل إليه حمداً ؛ وأخلصه لك بالثقي ؛ وكثره لك بالناء ، ولا كدر عليك .

\* الأغاني : ٢ - ١٥٣ ( طبعة دار الكتب ) . معجم الأدباء : ١١ - ٢٧ .

- (١) كان خالد خطيباً بليغاً ولساناً مبيهاً ، حسن السر جيد النادرة ، مات سنة ١٣٣ هـ .  
(٢) غاشية الرجل : من يتنابه من زواره وأصدقائه (٣) القاع الصحصح : الأرض الجرداء  
المستوية ، والتنائف : جم تنوفة ، وهي أرض لا أنيس بها ولا ماء (٤) الأفيح : الواسع  
(٥) الوسمي : مطر الربيع الأول ، والولي : المطر الذي يلي الوسمي (٦) موق : معجب  
(٧) الصعيد : التراب أو وجه الأرض (٨) الجبر : جمع الجبرة ، وهي نوع منسوج من اليمن  
فيه نقط (٩) الدراعة : الثوب المشقوق من الأمام (١٠) السماء : جمع سمط ، وهو الصف  
من الناس وغيرهم .

منه ماصفاً ، ولا خالطَ سروره بالرّدى . فقد أصبحت للمسلمين ثقة ، إليك يقصدون في أمورهم ، ويفزعون في مظالمهم ، وما أجدُ شيئاً - يا أمير المؤمنين - هو أبلغ في قضاء حقك وتوقير قبر مجلسك ، وما من الله على به من مجالستك ، من أن أذكرك بنعم الله عليك ، وأنبئك لشكرها ؛ وما أجد في ذلك شيئاً هو أبلغ من حديث من سلف قبلك من الملوك ؛ فإن أذن أمير المؤمنين أخبرته به .

فاستوى هشامٌ جالساً - وكان متكئاً - ثم قال : هات يا بن الأهم ! فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ إن ملكاً من الملوك قبلك خرج في عامٍ مثل عامك هذا إلى الخوزنق والسدير<sup>(١)</sup> في عامٍ قد بكر وسميه ، وتتابع وليه ، فهو في أحسن منظر ، وأحسن مستمطر ، بصعيد كأن ترابه قطع الكافور ، وكان قد أعطى فتاة<sup>(٢)</sup> السن ، مع الكثرة والقلبة والقهر ؛ فنظر فابتعد النظر ؛ ثم قال جلسائه : لمن هذا ؟ هل رأيتم مثل ما أنا فيه ؟ وهل أحدٌ أعطى مثل ما أعطيت ؟

وكان عنده رجل من بقايا حَمَلَةِ الْحِجَّةِ<sup>(٣)</sup> ، والمضى على أدب الحق ومناهجه - ولم تخل الأرض من قائمٍ لله بالحجة في عباده - فقال : أيها الملك ؛ إنك سألت عن أمرٍ ، أفتأذن لي في الجواب عنه ؟ قال : نعم ، قال : رأيته<sup>(٤)</sup> هذا الذي أنت فيه ، أشيء لم تزل فيه ، أم شيء صار إليك ميراثاً وهو زائلٌ عنك وصائرٌ إلى غيرك ، كما صار إليك من لدن غيرك ؟ قال : كذلك هو ! قال : فما أراك إلا أعجبت بشيء يسير تكون فيه قليلاً ، ويغيبُ عنك طويلاً ، وتكون غداً بحسابه مرتهاً . قال : ويحك ! فإين المهرب ؟ وإين المطلب ؟ فقال : إنا أن تقيم

(١) الخوزنق والسدير : قصران بالحيرة (٢) الفتاة : الشاب (٣) الحجة : البرهان .  
(٤) رأيته : أخبرني .

فِي مُلْكِكَ فَتَعْمَلْ بَطَاعَةَ اللَّهِ رَبِّكَ عَلَى مَسَاءِكَ وَسِرِّكَ، وَأَمَضَّكَ<sup>(١)</sup> وَأَرْمَضَّكَ<sup>(٢)</sup>،  
وَأَمَّا أَنْ تَضَعَ تَاجَكَ، وَتَخْلَعْ أَطْمَارَكَ<sup>(٣)</sup>، وَتَلْبَسَ أَمْسَاحَكَ<sup>(٤)</sup>، وَتَعْبُدَ رَبَّكَ، حَتَّى  
يَأْتِيَكَ أَجْلُكَ !

قال الملك : فإذا كان السَّحَرُ فاقْرَعِ عَلَى بَابِي ؛ فَإِنِّي مُخْتَارُ أَحَدِ الرَّائِينَ ، فَإِن  
اخْتَرْتُ مَا أَنَا فِيهِ كُنْتُ وَزِيرًا لَا يُعْصَى ، وَإِن اخْتَرْتُ فُلُوتِ الْأَرْضِ وَقَفَرُ  
الْبِلَادِ كُنْتُ رَفِيقًا لَا يَخَالَفُ .

فلما كان السحر قرع عليه بآبِهِ ، فإذا هو قد وضع تاجَهُ ، وخلع أطمارَهُ ، ولبس  
أَمْسَاحَهُ ، وتبهداً للسياحة ، فلزما والله الجبل ، حتى أتاهما أُمُجَلُهُمَا ، فذلك حيث يقول  
عدي بن زيد ، أخو بني تميم :

أَيُّهَا الشَّامِتُ الْمُعَيَّرُ بِالذَّهْرِ أَنْتَ الْبُشَيْرُ الْمَوْفُورُ !  
أَمْ لَدَيْكَ الْعَهْدُ الْوَثِيقُ مِنَ الْأَيَّامِ بَلْ أَنْتَ جَاهِلٌ مَغْرُورُ !  
مَنْ رَأَيْتَ الْمُنُونَ خَلَدْنَ أَمْنًا ذَا عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يُضَامَ خَفِيرُ !  
أَيْنَ كَسْرَى ، كَسْرَى لِلوَكِّ أَنْوَشَرُ وَانْ ، أَمْ أَيْنَ قَبْلَهُ سَابُورُ !  
وَبَنُو الْأَصْفَرِ الْكِرَامُ مُلُوكُ الزَّمَانِ ، لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ مَذْكُورُ !  
وَأَخُو الْحَضَرِ<sup>(٥)</sup> إِذَا بَنَاهُ وَإِذَا دَجَلَهُ تُجَجِّي إِلَيْهِ وَالْخَابُورُ<sup>(٦)</sup>  
شَادَهُ مَرْمَرًا وَجَلَّلَهُ كَلَامًا<sup>(٧)</sup> فَلِلطَّيْرِ فِي ذَرَاهِ وَكُورُ  
لَمْ يَهْبَهُ رَيْبُ الْمُنُونِ فَبَادَ الْمُلُوكُ عَنْهُ ، فَبَابَهُ مَهْجُورُ

(١) يقال أمضى : أحرقتي وشق على (٢) أرمضك : أوجعك (٣) الطمر : الثوب الخلق  
(٤) السح : الكساء من الشعر الغليظ ويجمع على أمساح على قلة (٥) الحضرة : قصر بجبال  
تكريت بين دجلة والفرات بناه الفضل بن معاوية ، ملك الجزيرة (٦) الخابور : نهر بالجزيرة  
(٧) الكلس : ما يدهن به التزل وغيرها .

وتذكر رب الخورتن إذ أشرف يوماً وللهدى<sup>(١)</sup> تفكير  
سره ماله وكثرة ما ملك والبحر مفرضاً<sup>(٢)</sup> والسدير  
فارغوى قلبه فقال : وما غبطة حتى إلى المات بصير !  
ثم بعد الفلاح والملك والإمة<sup>(٣)</sup> ورآتهم هنالك القبور  
ثم صاروا كأنهم ورق جف فآلوت<sup>(٤)</sup> به الصبا والدبور  
فبكي هشام حتى اخضلت<sup>(٥)</sup> لحيته ، وبلت عمامته ، وأمر بنزع أبيته ، ونقل  
قرايته وحشيه وغاشيته وجلسائه ، ولزم قصره .

فأقبلت الموالى والحشم على فقالوا : ما أردت بأمر المؤمنين ! أفسدت عليه  
لذته ، ونقصت عليه مأذنته . فقلت : إليكم عنى ، فإني عاهدت الله عز وجل ألا  
أخلو بملك إلا ذكرته الله عز وجل !

---

(١) يريد بهذه الجملة : أن التفكير طريق الهدى (٢) معرضاً : متسماً (٣) الإمة : العمة  
(٤) آلوت : ذهب (٥) اخضلت : اجلت .

١٠٥ — إن خالداً أدل فأمل\*

قال خالد بن صفوان : دخلتُ على هشام بن عبد الملك ، وذلك بعد عزله خالد بن عبد الله القسري ، فالتقيته جالساً على كرسي في بركة ، ماؤها إلى الكعبين ، فدعاني بكرسي فجلستُ عليه ، فقال : يا خالد ؛ ربَّ خالدٍ جلس مجلسك ، كان ألوط بقلبي ، وأحبَّ إلي !

فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ إن حليمك لا يضيقُ عنه ، فلو صفحتَ عن جرُمه ! فقال : إن خالداً أدل فأمل ، وأوجف فأجحف ، ولم يدع لراجع مَرَجاً ، ولا لعودَةٍ موضعاً ، ثم قال : ألا أخبرُك عنه يا بنَ صفوان ؟ قلت : نعم ، قال : إنه ما بدَأني بسؤال حاجة قطُّ مذ قدِمَ العراق حتى أكون أنا الذي أبدؤه بها . فقلت : فذاك أخري أن ترجعَ إليه ، فقال متملاً :

إذا انصرفَتِ نفسى عن الشئ لم تنكدُ إليه بوجهٍ آخرَ الدهرِ تقبلُ  
قال خالد : ثم قال لى هشام : حاجتك ، فقلت : تزيدني في عطائي عشرة دنائير . فأطرق ثم قال : ولم ؟ وفيم ؟ العبادة أحدثتها فنعينك عليها ، أم لبلاء حسن أبليتَه عند أمير المؤمنين ، أم لماذا يا بنَ صفوان ! إذن يكثر السؤال ولا يحتملُ ذلك بيتُ المال ! فقلت : يا أمير المؤمنين ، وفقاك الله وسدّك ، أنت والله كما قال أخو خُزاعة :

إذا المال لم يوجبْ عليك عطاءهُ قرابةٌ قُربى أو صديقٌ توافقه

مَنَعْتَ وَبَعْضُ الْمَنَعِ حَزْمٌ وَقُوَّةٌ وَلَمْ يَفْتَلِتْكَ <sup>(١)</sup> الْمَالُ إِلَّا حَقَائِقَهُ  
فَلَمَّا قَدِمَ خَالِدُ الْبَصْرَةِ ، قِيلَ لَهُ : مَا الَّذِي حَمَلَكَ عَلَى تَزْيِينِ الْإِمْسَاكِلَةِ ؟ فَقَالَ :  
أَحْبَبْتُ أَنْ يَمْنَعَ غَيْرِي فَيَكْثُرَ مِنْ يَلُومُهُ !

### ١٠٦ — أَبُو النَجْمِ عِنْدَ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ \*

وَرَدَّ أَبُو النَجْمِ <sup>(٢)</sup> عَلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي الشُّعْرَاءِ ، فَقَالَ لَهُمْ هِشَامُ : صَفُّوا  
لِي إِبِلًا فَقَطَّرُوهَا <sup>(٣)</sup> وَأَوْرِدُوهَا وَأَصْدِرُوهَا ؛ حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهَا ؛ فَأَنْشُدُوهُ ، وَأَنْشُدْهُ  
أَبُو النَجْمِ :

\* الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَهَّابِ الْمَجْزِلِ \*

حَتَّى بَلَغَ إِلَى ذِكْرِ الشَّمْسِ فَقَالَ : « وَهِيَ عَلَى الْأَفْقِ كَعَيْنٍ ..... » وَأَرَادَ أَنْ  
يَقُولَ « الْأَحُولُ » ، ثُمَّ ذَكَرَ حَوَالَةَ هِشَامِ ؛ فَلَمْ يَتِمَّ الْبَيْتَ وَأَرْتَجَعَ عَلَيْهِ .

فَقَالَ هِشَامُ : أَجِزْ الْبَيْتَ ؛ فَقَالَ : « كَعَيْنِ الْأَحُولُ » وَأَتَمَّ الْقَصِيدَةَ ، فَأَمَرَ  
هِشَامُ فَوُجِيءَ <sup>(٤)</sup> عَنَقَهُ ، وَأُخْرِجَ مِنَ الرُّصَافَةِ ؛ وَقَالَ لِمُصَاحِبِ شَرْطَتِهِ : يَا رُبِيعَ ؛  
إِنِّي أَرَى أَنَّ هَذَا ! فَكَلَّمَ وَجْهَهُ النَّاسُ صَاحِبَ الشَّرْطَةِ أَنْ يَقْرَأَهُ فَعَفَلَ .  
قَالَ أَبُو النَجْمِ : وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ بِالرُّصَافَةِ يُضَيِّفُ إِلَّا سَلِيمُ بْنُ كَيْسَانَ الْكَلْبِيِّ

(١) اخْتَلَتِ الشَّمْسُ : أَخَذَتْهُ فِي سُرْعَةٍ ، وَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ .

\* الْأَغَانِي : ١٠ - ١٥٥ ( طَبْعَةُ دَارِ الْكِتَابِ ) ، رَغْبَةُ الْأَمَلِ : ٦ - ٢٣٩ .

(٢) اسْمُهُ الْفَضْلُ بْنُ قُدَامَةَ أَحَدِ رِجَالِ الْإِسْلَامِ الْفَعُولِ الْمَقْدَمِينَ ، وَفِي الطَّبَقَةِ الْأُولَى مِنْهُمْ .

(٣) قَطَّرَ الْإِبِلَ : قَرَّبَ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ عَلَى نَسْقٍ .

(٤) وَجِيءَ : وَجَّاهُ بِالْيَدِ وَبِالسَّكِينِ إِذَا ضَرَبَهُ .

وَعَمْرُو بْنُ بَشْطَامٍ التَّغْلِبِيُّ ، فَكَنتُ آتِي سُلَيْمًا فَأُفْتَدِي عَنْده ، وَآتَى صِرًا فَأُتَمَشِي عَنْده ، وَآتَى الْمَسْجِدَ فَأُيْنِتَ فِيهِ .

قال : فَاهْتَمَّ هِشَامُ لَيْلَةً ، وَأَمْسَى لَقِيسَ النَّفْسِ ، وَأَرَادَ مُحَدَّثًا مُحَدَّثَهُ ؛ فَقَالَ خَلَامٌ لَهُ : ابْنِي مُحَدَّثًا أَعْرَابِيًّا شَاعِرًا يَرُوي الشعر .

فَخَرَجَ الْخَلَامُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَإِذَا هُوَ بِأَبِي النَّجْمِ ، فَضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ ، وَقَالَ لَهُ : قُمْ أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : إِنِّي رَجُلٌ أَعْرَابِيٌّ غَرِيبٌ . قَالَ : إِيَّاكَ أَبْنَى ، فَهَلْ تَرُوي الشعر ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَأَقُولُهُ .

فَأَقْبَلَ بِهِ حَتَّى أَدْخَلَهُ الْقَصْرَ ، وَأَغْلَقَ الْبَابَ ، فَأَيَقَنَ بِالشَّرِّ ، ثُمَّ مَضَى بِهِ ، فَأَدْخَلَهُ عَلَى هِشَامٍ فِي بَيْتٍ صَغِيرٍ ، وَالشَّمْعَ بَيْنَ يَدَيْهِ يَزُهرُ<sup>(١)</sup> .

فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ لَهُ هِشَامٌ : أَبُو النَّجْمِ ؛ قَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ طَرِيدُكَ ! قَالَ : اجْلِسْ ، فَسَأَلَهُ وَقَالَ لَهُ : أَيْنَ كُنتَ تَأْوِي ؟ وَمَنْ كَانَ يُنْزِلُكَ ؟ فَأَخْبَرَهُ الْخَبِيرَ . قَالَ : وَكَيْفَ اجْتَمَعْتُ لَكَ ؟ قَالَ : كُنتُ أُفْتَدِي عَنْده هَذَا ، وَأُتَمَشِي عَنْده هَذَا . قَالَ : وَأَيْنَ كُنتَ تَبِيتُ ؟ قَالَ : فِي الْمَسْجِدِ حَيْثُ وَجَدَنِي رَسُولُكَ . قَالَ : وَمَالُكَ مِنْ الْوَلَدِ وَالْمَالِ ؟ قَالَ : أُمَّا الْمَالُ فَلَا مَالَ لِي ، وَأُمَّا الْوَلَدُ فَلِي ثَلَاثُ بَنَاتٍ وَبُنَى يَقَالُ لَهُ شَيْبَانٌ .

فَقَالَ : هَلْ زَوَّجْتَ مِنْ بَنَاتِكَ أَحَدًا ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ زَوَّجْتُ اثْنَتَيْنِ ، وَبَقِيَتْ وَاحِدَةٌ تَجْمِزُ<sup>(٢)</sup> فِي أَيْبَاتِنَا كَأَنَّهَا نَعَامَةٌ .

قال : وَمَا وَصِيتَ بِهِ الْأُولَى ؟ فَقَالَ :

(١) يَزُهر : يَتَلَأَلُ (٢) تَجْمِزُ : تَعْدُو وَتَسْرِعُ .



أَوْصَيْتُ مِنْ بَرَّةَ<sup>(١)</sup> قَلْبًا حُرًّا بِالْكَلْبِ خَيْرًا وَالْحَمَاقَةِ شَرًّا  
لَا تَسْأَلُنِي ضَرْبًا لَهَا وَجَرًّا حَتَّى تَرَى حُلُولَ الْحَيَاةِ مُرًّا  
وَأَنْ كَسْتُكَ ذَهَبًا وَدُرًّا وَالْحَيِّ عُمَيْهِمْ بِشَرِّ طُرًّا

فضحك هشام ، وقال : فما قلت للأخرى ؟ قال : قلت :

سُبِّ الْحَمَاقَةِ وَابْتِئِ<sup>(٢)</sup> عَلَيْهَا وَإِنْ دَنَتْ فَازِدْ لَنِي إِلَيْهَا  
وَأَوْجِي بِالْفَهْرِ<sup>(٣)</sup> رَكْبَتِهَا وَمِرْقَتَيْهَا وَاضْرِبِي جَنْبَيْهَا  
وظَاهِرِي النَّذْرَ لَهَا عَلَيْهَا لَا تَخْبِرِي الدَّهْرَ بِهِ ابْنَتَيْهَا

قال : فضحك هشام حتى بدت نواجذهُ ، وسقط على قَفَاهُ . فقال : ويحك !  
ما هذه وصية يعقوب ولده ! فقال : وما أنا كيعقوب يأمر المؤمنين . قال : فما قلت  
لثالثة ؟ قال : قلت :

أَوْصِيكَ يَا بِنْتِي فَإِنِّي ذَاهِبٌ أَوْصِيكَ أَنْ تَحْمَدَكَ الْقَرَائِبُ  
وَالْجَارُ وَالضَّيْفُ الْكَرِيمُ السَّاعِبُ لَا يَرْجِعُ الْمُسْكِينُ وَهُوَ خَائِبُ  
وَلَا تَنِي أَظْفَارُكَ السَّلَاحُ<sup>(٤)</sup> مِنْهُمْ فِي وَجْهِ الْحَمَاقَةِ كَاتِبُ

وَالزَّوْجَ إِنْ الزَّوْجَ بئسَ الصَّاحِبُ

قال : فكيف قلت لها هذا ولم تتزوج ؟ وأى شيء قلت في تأخير تزويجها !

قال : قلت فيها :

(١) كان اسمها برة (٢) بهته : قذفه بالباطل ، وقال عليه ما لم يفعل (٣) الفهر : الحجر  
يملاً الكف (٤) السلاهب : الطويلة .

كَانَ ظَلَامَةً أُخْتُ شَيْبَانَ يَتِيمَةً وَوَالِدَاهَا حَيَّانُ  
الرَّأْسُ قُلُّ كُلُّهُ وَصَيْبَانُ<sup>(١)</sup> وَلَيْسَ فِي الرَّجُلَيْنِ إِلَّا خَيْطَانُ  
فَهِيَ الَّتِي يُذَعَرُ مِنْهَا الشَّيْطَانُ

فَقَالَ هِشَامُ لِأَخِيهِ : مَا فَعَلْتَ الدَّنَانِيرُ الْمُخْتَوِمَةُ الَّتِي أَمَرْتُكَ بِقَبْضِهَا ! قَالَ :  
هِيَ عِنْدِي ، وَوَزَنَهَا خَمْسِمِائَةَ ! قَالَ : فَادْفَعِهَا إِلَى أَبِي النِّجَمِ ؛ لِيَجْعَلَهَا فِي رَجُلَيْنِ  
ظَلَامَةٍ مَكَانَ الْخَيْطَيْنِ !

---

(١) الصَّيْبَانُ : جَمْعُ الصَّوَابَةِ وَهِيَ : بَيْتَةُ الْقَمَلِ ؛ جَمْعُ صَيْبَانٍ .

١٠٧ — لا يعرف الكلام إلا بنشره \*

قمطت البادية في أيام هشام بن عبد الملك ، قدمت العرب من أحياء القبائل ، فجلس هشام لرؤسائهم فدخلوا عليه ، وفيهم درؤاس بن حبيب وله أربع عشرة سنة ، عليه شملتان وله ذؤابة . فأحجم القوم وهابوا هشاماً ، ووقعت عين هشام على درؤاس فاستصغره ، فقال لحاجبه : ما يشاء أحد أن يصل إلى إلا وصل حتى الصبيان !

فلم درؤاس أنه يريد ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إن دخولي لم يُخل بك شيئاً ، ولقد شرفني ، وإن هؤلاء القوم قدموا لأمر أحجموا دونه ، وإن الكلام نُشر ، والسكوت طي ، ولا يعرف الكلام إلا بنشره . فقال هشام : فانشر لا أن لك ! ! وأعجبه كلامه .

فقال : أصابتنا ثلاث سنين ، فسنة أذابت الشحم . وسنة أكلت اللحم ، وسنة نقت<sup>(١)</sup> العظم ، وفي أيديكم فضول أموال ؛ إن كانت لله ففروها على عبادة المستحقين لها ، وإن كانت لم فعلام تحبسونها عنهم ؟ وإن كانت لكم ، فتصدقوا بها عليهم ، فإن الله يجرى المتصدقين ، ولا يُضيع أجر الحسنين . واعلم يا أمير المؤمنين أن الوالي من الرعية كالروح من الجسد ، لا حياة ... إلا به .

فقال هشام : ما ترك الغلام في واحدة من الثلاث عذراً . وأمر أن يقسم في

\* لباب الآداب : ٣٥٣ .

(١) النقي : مخ العظام وشحمها ، ونقي العظم : استخرج نقيه .

باديته مائة ألف درهم ، وأمر لدرواس بمائة ألف درهم . فقال : يا أمير المؤمنين ؛  
اردها إلى أعطية أهل باديتي فإنني أكره أن يعجز ما أمر لهم به أمير المؤمنين عن  
كفائتهم . قال : فما لك من حاجة تذكرها لنفسك ؟ قال : مالي من حاجة دون  
عامة المسلمين !!

ولما عاد درواس إلى منزله بعث إليه هشام بمائة ألف درهم ، ففرقها في تسعة  
أبطن من العرب ، لكل بطن عشرة آلاف ، وأخذ هو عشرة آلاف ، فقال  
هشام : إن الصنعة عند درواس لتضعف على سائر الصنائع <sup>(١)</sup> .

---

(١) جمع صنعة ، وهي المعروف والإحسان .

## ١٠٨ - أنجحت وفادتك ، ووجبت ضيافتك \*

وفد سعد بن مرة بن جبيرة - وكان شاعراً - على الوليد<sup>(١)</sup> بن يزيد ، فعرض له في يوم من أيام الربيع ، وقد خرج إلى منزله له ، فصاح به : يا أمير المؤمنين ؛ وإفدك وزائر ومؤمك ! فتبادر إليه الحرس ليصدوه عنه ، فقال : دعوه ، اذن إلى . فدنا إليه ، فقال : من أنت ؟ قال : أنا رجل من أهل الحجاز ، شاعر ، قال : تريد ماذا ؟ قال : تسمع مني أربع أبيات ، قال : هات ؛ فقال :

شمن<sup>(٢)</sup> المخاليل نحو أرضك بالحيا<sup>(٣)</sup> ولقين ركباناً بعرفك فقللاً  
قال : ثم مه ؟ قال :

فعمدن نحوك لم ينخن لحاجة إلا وقوع الطير حتى ترحلا  
قال : إن هذا السير حديث ، ثم ماذا ؟ قال :

يعمدن نحو موطن حجراته كرمًا ، ولم تعدل بذلك معديلاً  
قال : قد وصلت إليه فه ؟ قال :

لاحت لها نيران حي قسطل<sup>(٤)</sup> فاخترن نارك في المنازل منزلاً  
قال : فهل غير هذا ؟ قال : لا ، قال : أنجحت وفادتك ، ووجبت ضيافتك ، أعطوه أربعة آلاف دينار ، فقبضها ورحل !

\* الأغاني : ٧ - ٢٤ ( طبعة دار الكتب ) .

(١) كان الوليد قبل أن يلى الخلافة من فتيان بني أمية وظرقاتهم وشعرائهم ، ولما ولي الخلافة انهمك في اللهو والشراب وسماع الفناء ، مات مقتولاً سنة ١٢٦ هـ (٢) شمت مخايل الشيء : إذا تطلعت نحوه ببصرك منتظراً له (٣) الحيا : الحصب والمطر (٤) قسطل : اسم لموضعين أحدهما قرب البلقاء من أرض دمشق ، والثاني بين حمص ودمشق .

١٠٩ — شاعر بني هاشم \*

لما قال الكُميت <sup>(١)</sup> بن زيد الأسدي الهاشميات قدم البصرة ، فأتى الفرزدق ، فقال : يا أبا فراس ؛ إنك شيخ مضر وشاعرها ، وأنا ابن أخيك ! قال : ومن أنت ؟ فانتسب له . فقال : صدقت ، فما حاجتك ؟ قال : نِفثَ حَلَى لِسَانِي ، فقلتُ شعرا ، وأحببتُ أن أعرضَ عليك ماقلت ، فإن كان حسنا أمرتني بإذاعته ، وإن كان غير ذلك أمرتني بستره ، وسترته على . فقال : يا ابن أخي ؛ أحسب شعرك على قدر عقلك ، فهاتِ ماقلتِ راشداً ، فأنشده :

طربتُ وما شوقاً إلى البيض <sup>(٢)</sup> أطربُ وما لعباً متى ، وذو الشيب يلعبُ !  
قال : بلى ؛ فإنك في أوان اللعب فالعب . فقال :

ولم يُلمني دار ولا رسم <sup>(٣)</sup> منزلٍ ولم يتطرَّبني بنـانٌ مُحَضَّبُ  
قال : فما يطر بك يا ابن أخي ؟ فقال :

وما أنا ممن يزجرُ الطيرَ همهُ أصاحَ غرابٍ أم تعرض ثعلب <sup>(٤)</sup>  
قال : فما أنت ؟ ويحك ! وإلى من تسمو ؟ فقال :

\* خزانة الأدب : ٤ - ٢٣٧ ( الطبعة الأميرية ) ، السعدي : ٢ - ١٩٠  
(١) نشأ الكُميت في الكوفة وتأدب على علمائها ، وأخذ عن الأعراب ، وعالج الشعر حتى نبه شأنه . واتصل بالولاة والهاشميين يمدحهم وينال جوائزهم ، وقد لقي في سبيل مذهبه الشيعة بلاء كثيراً ، وقد أثار الفتنة بين عدنان وقحطان ، وفتح للشيعه طريق مناظرة خصومهم بالشعر ، وتوفي سنة ١٣٦ (٢) البيض : جمع بيضاء ، يريد النساء (٣) رسم : أثر ، ويتطربني : يحملني على الطرب (٤) الزجر للطيور : هو التيمن والنشأوم بها ، والغراب أعظم ما كانت العرب تتطير به . وهو نوع من العيافة .

ولا السامحات<sup>(١)</sup> البارحات عشية أمر سليم القرن أمر أعضب  
قال : أمّا هذا فقد أحسنت فيه ، فقال :

ولكن إلى أهل الفضائل والنهي وخير بني حواء والخير يطلب  
قال : من هم ! ونحك ! قال :

إلى النفر البيض<sup>(٢)</sup> الذين يحبهم إلى الله فيما نابى أتقرب  
قال : أرخني ؛ ويحك ! من هؤلاء ؟ قال :

بني هاشم رهط<sup>(٣)</sup> النبي فإني بهم ولهم أرضى مراراً وأغضب  
قال : لله در بني أبيك ! أصبت وأحسنت ؛ إذ عدلت عن الزعانف والأوباش ؛  
إذن لا يضرّد<sup>(٤)</sup> سهمك ، ولا يكذب قولك .

ثم مرّ فيها ، فقال له : أظهر ثم أظهر ؛ فأنت والله أشعر من مضى ، وأشعر  
من بقى .

فقدم المدينة فأتى أبا جعفر محمد بن علي بن الحسين ، فأذن له ليلاً ، وأنشده ،  
فلما بلغ من الميمية قوله :

وقتل بالطف<sup>(٥)</sup> غودر منهم بين غوغاء أمة وطفام

بكى أبو جعفر ، ثم قال : يا كميّ ! لو كان عندنا مال لأعطيناك ، ولكن  
لك ما قال رسول الله لحسان بن ثابت : لا زلت مؤيداً بروح القدس ما ذببت عنا  
أهل البيت !

(١) السانح : ماولاك ميامنه ، والبارح : ماولاك مياسره ، وكان أهل نجد يقيمون بالأول  
ويتشاءمون بالثاني ، وأهل العالية على العكس . والأعضب . الثور المكسور القرن ، وكانوا  
يتشاءمون به (٢) البيض هنا : المشهورين من الأشراف (٣) الرهط : القوم والقبيلة (٤) صرد  
السهم : أخطأ (٥) الطف : موضع قرب الكوفة ، وقتل الطف هو الحسين عليه السلام .

فخرج من عنده فأتى عبد الله بن الحسن بن علي فأنشده فقال له . إن لى ضيعةً  
أعطيتُ فيها أربعة آلاف دينار ، وهذا كتابُها ، وقد أشهدتُ لك بذلك شهوداً ،  
وناوله إياها !

فقال : أبى أنت وأمى ! إنى كنتُ أقولُ الشعر فى غيركم أريد بذلك الدنيا  
والمال ، ولكنى - والله - ما قلتهُ فيكم إلا لله ، وما كنتُ لأخذَ على شىء جعلتهُ لله  
مالاً ولا ثمنًا ؛ فألحَ عبدُ الله عليه ، وأبى من إعفائه .

فأخذ الكميت الكتاب ومضى ، فسكث أياماً ، ثم جاء إلى عبد الله فقال :  
بأبى أنت وأمى ؛ يا بنَ رسولِ الله ! إن لى حاجة ؟ قال : وماهى ، وكلّ حاجة لك  
مقضية ؟ قال : كائنة ما كانت ؟ قال : نعم ! قال : هذا الكتاب تقبله ، وترجعُ  
الضيعة . ووضعَ الكتابَ بين يديه ، فقبله عبد الله .

ونَهَضَ عبدُ الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، فأخذ ثوباً ، فدفعه إلى  
أربعة من غلمانه ، ثم جعل يدخل دور بنى هاشم ويقول : يا بنى هاشم ، هذا  
الكميت قال فيكم الشعر حين صمّت الناسُ عن فضلكم ، وعرض دمه لبنى أمية ،  
فأثيبوه بما قدرتم ! فيطرحَ الرجل فى الثوب ما قدر عليه من دراهم ودنانير ؛ وأُعلم  
النساء بذلك ؛ فكانت المرأةُ تبحث ما أمسكها ، حتى إنها لتخلع الحلى عن  
جسدها . فاجتمع من الدنانير والدرهم ما قيمته مائة ألف درهم .

فجاء بها إلى الكميت فقال له : أتيناك بجهد المُقِلِّ ، ونحن فى دولة عدوِّنا ، وقد  
جمعنا هذا المال ، وفيه حلّى النساء كما ترى ، فاستعينَ به على دهرِك . فقال . بأبى أنت  
وأمى ! قد أكثرتم وأطيتتم ، وما أردت بمدحى إياكم إلا الله ورسوله ، ولم أكُ  
لأخذ لذلك ثمنًا من الدنيا ، فأرُدده إلى أهله ، فجهد به عبد الله أن يقبله بكلِّ حيلة



فأبى ، فقال : إن أبيتَ أن تقبل فأبى رأيتَ أن تقول شيئاً يغضب منه بعض الناس ؛  
لعل فتنة تحدث فيخرج من بين أصابعها بعضُ ما يجب .

فابتدأ الكميت ، وقال قصيدته <sup>(١)</sup> التي يذكر فيها قومه مناقب من مضر ،  
وربيعة <sup>(٢)</sup> وإياد وأنمار ، ويكثر فيها من تفضيلهم ، ويطلب في وصفهم ، وأنهم أفضل  
من قحطان .

فثارت العصبية في البدو والحضر ، وانحرف أهل اليمن إلى الدعوة العباسية ،  
وأعقب ذلك انتقال الدولة عن بني أمية إلى بني هاشم .

---

(١) من هذه القصيدة :

وجدت الله إذ سمى تزارا      وأسكنهم بمكة قاطنينا  
لنا جعل المكارم خالصات      وللناس القفا ولنا الجينا  
وقد قضى دعبل هذه القصيدة على الكميت ، وذكر مناقب اليمن وقضائلها من ملوكها كما فعل  
الكميت ، وذلك في قصيدته التي منها :

أفيق من ملامك ياظعينا      كفاك اللوم من الأربعينا  
ألم تحزنك أحداث الليالي      يشين ادواء والقرونا  
(٢) كان الكميت من شعراء مضر وأاستنها للتمصين على القحطانية المقارعين بالثالب .

# ١١٠ — إِنَّ يُمْنِي يَغْلِبُ شَوْمَكَ \*

لما توفى السفاح دخل أبو دلامة <sup>(١)</sup> على المنصور ، والناسُ عنده يعزُّونه فقال :

أَمْسَيْتَ بِالْأَنْبَارِ يَا بْنَ مُحَمَّدٍ      لَمْ تَسْتَطِعْ عَنْ عُقْرِهَا <sup>(٢)</sup> تَحْوِيلاً  
وَيْلِي عَلَيْكَ وَوَيْلِ أَهْلِ كَلْبِهِمْ      وَيْلًا وَعَوَلاً فِي الْحَيَاةِ طَوِيلاً  
فَلَتَبْكِينَ لَكَ السَّمَاءُ بَعِيرَةً      وَلَيَبْكِينَ لَكَ الرَّجَالُ عَوِيلاً  
مَاتَ النَّدَى إِذِ مِتَّ يَا بْنَ مُحَمَّدٍ      فَعَمَلَتْهُ لَكَ فِي التَّرَابِ عَدِيلاً  
إِنِّي سَأَلْتُ النَّاسَ بِعَدِّكَ كَأَنَّهُمْ      فَوَجَدْتُ أَسْمَحَ مِنْ سَأَلْتُ بِخِيلاً  
أَلْشَقَوْنِي أُخْرْتُ بِعَدِّكَ لِلَّتِي      تَدَعِ الْعِزَّ مِنَ الرِّجَالِ ذَلِيلاً ؟  
فَلَا حُلْفَنَ يَمِينٍ حَقِ بَرَّةٍ      تَاللَّهِ مَا أُعْطِيتُ بِعَدِّكَ سُولا <sup>(٣)</sup>

فأبكى الناسَ قوله ؛ فغضب المنصور غضباً شديداً ، وقال : لئن سمعتك تنشُد هذه القصيدة ، لأقطعنَّ لسانك ، قال : يا أمير المؤمنين ؛ إن أبا العباس أمير المؤمنين كان لي مُكرِماً ، وهو الذي جاء بي من البدو ، كما جاء اللهُ بإخوة يوسف إليه ، فقل كما قال يوسف لإخوته : ﴿ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ، وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ .

\* الأغاني ١٠ - ٢٤٠ ( طبعة دار الكتب ) ، معاهد التنصيص : ٢ - ٢١٠

(١) أبو دلامة : اسمه زناد بن الجون ، كوفي المنشأ ، كان أبوه عبداً لرجل من بني أسد ثم أعتقه ، نبغ في الشعر ، واقطع إلى السفاح والمنصور والهدى ، وكانوا يقدمونه ويصلونه ويستطيون عاهته ونوادره توفي سنة ١٦٢ هـ (٢) عقر الدار : أصلها ووسطها (٣) السون : يهز ولا يهز : مأسأته .

فُسِّرَ عن المنصور ، وقال : قد أَقْلَنَّاكَ يَا أَبَا دُلَامَةَ ، فَسَلِّ حَاجَتَكَ ! قال :  
يا أمير المؤمنين ؛ قد كان أبو العباس أمرَ لي بعشرة آلاف درهم وخمسين ثوباً ، وهو  
مريض ، ولم أَقبضْها ؛ فقال المنصور : وَمَنْ يَعْلَمُ ذَلِكَ ؟ قال : هؤلاء - وأشار إلى  
جماعة ممن حضر .

فوثب سليمان بن مُجَالِدٍ ، وأبو الجُهم ؛ فقالا : صدق أبو دُلَامَةَ ، نحن نعلم ذلك .  
قال المنصور لأبي أيوب الخازن - وهو مَغِيْظٌ : يا سليمان ، ادفنها إليه ، وسيِّره إلى هذا  
الطاغية - يعنى : عبد الله <sup>(١)</sup> بن على ، وكان قد خرج بالشام ، وأظهر الخلاف -  
فوثب أبو دُلَامَةَ ، وقال : يا أمير المؤمنين ، أعيذك بالله أن أخرجَ معهم ، والله  
إنى مشثوم !

قال المنصور : امضِ ، فإن يُمْنَى يغلبُ شوْءُكَ . فقال : يا أمير المؤمنين ، والله  
ما أَحِبُّ أن يُجَرَّبَ ذلك منى على مثل هذا العسكر ؛ فإنى لا أدري أيُّهما يغلب :  
يُمنُكَ أم شوْئى ؟ إلا أنى بنفسى أوثق وأعرف وأطولُ تجربة .  
فقال : دَعْنِي وهذا ؛ فمالك من الخروج بُدٌّ . قال : فإنى أَصْدُوكَ الآن ، شهدتُ  
والله تسعةَ عشرَ عسكرياً ، كُلُّها هُزِمَتْ ، وكنتُ سببها ، فإن شئتَ الآن - على  
بصيرة - أن يكونَ عسكريك تمامَ العشرين فافعل .  
فضحك المنصور ، وأمره أن يتخلف مع عيسى بن موسى بالكوفة .

---

(١) هو عبد الله بن على ، عم الخليفة المنصور ، خرج عليه ودعا لنفسه ، فوجه إليه المنصور  
أبا مسلم .

## ١١١ — قَتَلَهُمُ الشَّعْرُ\*

كان أبو العباس جالساً في مجلسه على سريرته ، وبنو هاشم دونهم على الكراسي ، وبنو أمية على الوسائد ، قد تُنِيَتْ لهم — وكانوا في أيام دَوَلَّتْهم يجلسون هم والخلفاء منهم على السرير ، ويجلس بنو هاشم على الكراسي — فدخل الحاجب فقال : يا أمير المؤمنين ؛ بالباب رجلٌ حجازيٌّ أسود راكبٌ على نجيب ، مُتَعَمِّمٌ<sup>(١)</sup> ، يستأذن ولا يُخَيِّرُ باسمه ، ويحلف ألاّ يتخسر اللثام عن وجهه حتى يراك ؛ قال : هذا مولاي سُدَيْف ، يدخل ؛ فدخل ، فلما نظر إلى أبي العباس وبنو أمية حوله ، حَذَرَ<sup>(٢)</sup> اللثام عن وجهه ثم سلم ، ودنا وقبل يده ، ثم انصرف إلى خلفه ، فقام مقام مثله ، وأنشأ يقول :

أصبح الملكُ ثابتَ الأساسِ      بالبَهَائِلِ<sup>(٣)</sup> من بني العباسِ  
بالصُّدُورِ المُقَدِّمِينَ قَدِيمًا      والرُّءُوسِ القِمَامِ<sup>(٤)</sup> الرُّؤُوسِ<sup>(٥)</sup>  
يا أميرَ المطَهَّرِينَ مِنَ الذَّمِّ      ويا رأسَ مُنْتَهَى كُلِّ راسٍ  
أنتَ مهدئُ هاشمٍ وهُدَاهَا      كم أناسٍ رَجَوْكَ بعدَ إياسٍ  
لا تُقِيلَنَّ عَبْدَ شمسٍ عِثَارًا      وأقْطَعَنَّ كُلَّ رَقْلَةٍ<sup>(٦)</sup> وِغْرَاسٍ  
أَنْزَلُوهَا بِمِثِّ أَنْزَلَهَا اللهُ      بدارِ الهوانِ والإِنْعَاسِ

\* الأغاني ٤ — : ٣٤٥ (طبعة دار الكتب) ، المحاسن والساوي\* : ٤١٠ ، (ليزج)  
(١) تلثم الرجل : وضع اللثام ؛ وهو رد العمامة على الوجه (٢) حذر اللثام : حطه من علو إلى سفلى (٣) البهاليل : جمع بهلول وهو العزيز الجامع لكل خير (٤) القمقام : السيد الكثير الخير ، الواسع الفضل (٥) الرؤاس : الولاة والحكام (٦) الرقلة : النخلة الطويلة التي تقوت اليد .

خوفهم أظهر التودد منهم      وبهم منكم كحز المواسي  
أقصيهم أيها الخليفة وأحسبهم      عنك بالسيف شأفة<sup>(١)</sup> الأرجاس  
واذكرن مصرع الحسين وزيد<sup>(٢)</sup>      وقبيل<sup>(٣)</sup> بجانب المهراس  
والإمام<sup>(٤)</sup> الذي بمران أمسي      رهن قير في غربة وتناسي  
فلقد ساءني وساء شوائي      قربهم من نمارق وكراسي

فتغير لون أبي العباس ، وأخذه زمع<sup>(٥)</sup> ورعدة ؛ فالتفت بعض ولد سليمان  
ابن عبد الملك إلى رجل منهم ، وكان إلى جنبه ، فقال : قتلنا والله العبد ، ثم أقبل  
أبو العباس عليهم ، فقال : أرى قتلاكم من أهلى قد سلفوا وأتم أحياء تلتذذون  
في الدنيا ، خذوهم ؛ فأخذتهم الخراسانية وضربوهم فأفهدوا ؛ إلا ما كان من  
عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز فإنه استجار بدادود بن علي ، وقال له : إن أبي لم  
يكن كآبائهم ، وقد علمت صنيعة إليكم ؛ فأجاره واستوهبه من السفاح ، وقال  
له : قد علمت يا أمير المؤمنين صنيع أبيه إلينا . فوهبه له ، وقال له : لا تريني وجهه ،  
وليكن بحيث تأمنه ، وكتب إلى عماله في النواحي بقتل بني أمية .

(١) الأرجاس : جمع رجس ؛ وهو القذر (٢) هو زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب قتل في أيام هشام بن عبد الملك (٣) المهراس : ماء بأحد ، ويعني بالقتيل حزة بن عبد المطلب ، قتله يوم أحد غلام لجبر بن مطعم ؛ اسمه وحشى (٤) الإمام الذي بمران : هو إبراهيم الإمام ، رأس الدولة العباسية ؛ قتله مروان بن محمد صبراً وحبسا (٥) الزمع : شبه الرعدة تأخذ الإنسان .

## ١١٢ - المنصور أحق بشعر طريف \*

قال أبو بكر الهذلي : سرتُ مع أمير المؤمنين المنصور <sup>(١)</sup> إلى مكة وسائرته يوماً ، فعرضَ لنا رجل على ناقةٍ حمراء تذهبُ في الأرض ، وعليه جُبَّةٌ خَزَّ وِعِمامَةٌ عَدَنِيَّة ، وفي يده سوط يكادُ يمسُّ الأرض ، سرى الهيئة .

فلما رآه أمرني أن أدعوه ، فدعوته فجاء ، فسأله عن نسبه وبلاده وبادية قومه وعن ولادة الصدقة ، فأحسنَ الجواب ؛ فأعجبه ما رأى منه ، فقال : أنشدني . فأنشده شعراً لأوس بن حَجَر وغيره من الشعراء ، وحدّثه حتى أتى على شعر لطريف ابن تميم العنبري ؛ وهو قوله :

إِنْ قَتَانِي لَنَبْعٌ <sup>(٢)</sup> لَا يُؤَيِّسُهَا <sup>(٣)</sup>      عَمَزُ الثَّقَافِ <sup>(٤)</sup> وَلَا دُهْنٌ وَلَا نَارٌ  
مَتَى أُجِرَ خَائِفًا تَأْمَنُ مَسَارِحُهُ <sup>(٥)</sup>      وَإِنْ أُخِفَ آمَنًا تَقْلُقُ بِهِ الدَّارُ  
إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا أوردَتْهَا صَدَرْتُ      إِنَّ الْأُمُورَ لَهَا وَرْدٌ وَإِصْدَارُ

فقال : ويحك ! ما كان طريف فيكم حيث قال هذا الشعر ؟ قال : كان أثقلَ العرب على عدوه وطاعةً ، وأدرَكهم بئار ، وأيمنهم نقييةً <sup>(٦)</sup> ، وأصلبهم قنأةً لمن رام

\* الطبري : ٩ - ٢٩٨

(١) هو أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي ، ثاني خلفاء بني العباس وأعظمهم شدة وبأساً وبقظة وثباتاً . توفي سنة ١٥٨ هـ . (٢) النبع : شجر من أشجار الجبال ؛ تتخذ منه القسي . (٣) التأيس : التذليل والتأثير ؛ أي لا يؤثر فيها شيء . (٤) الثقاف : ما تقوم به الرياح . (٥) المسارح جمع مسرح : وهو الموضع الذي تسرح إليه الماشية بالغداة للرعى . (٦) النقيية : النفس ؛ وميمون النقيية : مبارك النفس .

هَضَمَهُ ، وأقراهم لضيغه وأحوطهم من وراء جاره ؛ اجتمعت العربُ بعكاظ فكلَّهم  
أقرَّ له بهذه الخلال ، غير أنَّ امرأً أراد أن يقصِّر به فقال : والله ما أنت ببيعد  
النَّجْمَةِ<sup>(١)</sup> ولا قاصد الرَّمِيَةِ<sup>(٢)</sup> ؛ فدعاه ذلك إلى أن جعل على نفسه ألاَّ يأكل إلا  
لحم قَنْصٍ يَقْتَنِصُهُ ، ولا ينزع كلَّ عامٍ عن غزوةٍ يبعد فيها أثره .  
قال : يا أخا تميم ، لقد أَحْسَنْتَ إذ وصفت صاحبك ، ولكني أحقُّ ببيتيه منه ،  
أنا الذي وَصَفَ ، لا هو !

---

(١) النجمة : المذهب في طلب الكلاء (٢) قصد الرمية : أصابها .

### ١١٣ — المحبة مفتاح كل خير \*

دعا المنصور بالربيع<sup>(١)</sup> فقال : سَلْنِي مَا تَرِيدُ ! فقد سَكَتَ حَتَّى نَفَقَتْ ، وَخَفَفَتْ حَتَّى ثَقَلَتْ ، وَأَقَلَّتْ حَتَّى أَكْثَرَتْ !

فقال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ مَا أَرْهَبُ بِخُلُوكَ ، وَلَا أَسْتَصْفِرُ فَضْلَكَ ، وَلَا أَعْتَمُ مَالِكَ ، وَإِنْ يَوْمِي بِفَضْلِكَ عَلَى أَحْسَنُ مِنْ أَمْسِي ، وَغَدَاكَ فِي تَأْمِيلِي أَحْسَنُ مِنْ يَوْمِي ! وَلَوْ جَازَ أَنْ يَشْكُرَكَ مِثْلِي بِغَيْرِ الْخِدْمَةِ وَالْمُنَاصَحَةِ لَمَا سَبَقَنِي لِذَلِكَ أَحَدٌ .

قال : صَدَقْتَ ، عَلَى بَهَذَا مِنْكَ أَهْلُكَ هَذَا الْحُلْ ، فَسَلْنِي مَا شِئْتَ !

قال : أَسْأَلُكَ أَنْ تَقْرُبَ عَبْدَكَ الْفَضْلَ<sup>(٢)</sup> ، وَتَوْثِرَهُ وَتُحِبَّهُ ! قال : يَا رَبِيعُ ؛ إِنَّ الْحَبَّ لَيْسَ بِمَالِ يَوْهَبَ ، وَلَا رُبَّةٌ تُبَدَّلُ ، وَإِنَّمَا تُؤَاكِدُهُ الْأَسْبَابُ ! قال : فَاجْعَلْ لَهُ طَرِيقًا إِلَيْهِ بِالْفَضْلِ عَلَيْهِ !

قال : صَدَقْتَ ، وَقَدْ وَصَلْتُهُ بِالْفِ دَرَاهِمَ ! وَلَمْ أَصِلْ بِهَا أَحَدًا غَيْرَ عُمُومَتِي ؛ لَتَعْلَمَ مَالَهُ عِنْدِي ؛ فَيَكُونُ مِنْهُ مَا يَسْتَدْعِي بِهِ مَحَبَّتِي .

ثم قال : فَكَيْفَ سَأَلْتَ لَهُ الْحَبَّةَ يَا رَبِيعُ ؟ قال : لِأَنَّهَا مِفْتَاحُ كُلِّ خَيْرٍ ، وَمِفْلَاقُ كُلِّ شَرٍّ ؛ تُسَاوِي بِهَا عِنْدَكَ عِيُوبُهُ ، وَتَصِيرُ حَسَنَاتٍ ذُنُوبُهُ !

قال : صَدَقْتَ .

---

\* زهر الآداب : ٢ - ٢٩٩ .

(١) هو الربيع بن يونس ، خديم المنصور ، ثم تدرج في المناصب عنده إلى أن استوزره ، وكان جليلا نبيلًا عارفاً بخدمة الخلفاء ، مات سنة ١٧٠ هـ (٢) هو ابنه الفضل بن الربيع ، وقد وُزِرَ للرَّشِيد بعد البرامكة ؛ ولابنه الأمين .



## ١١٤ — المنصور والشعراء\*

قال الربيع بن يونس يوماً لأبي جعفر المنصور : يا أمير المؤمنين ؛ إنَّ الشعراء  
بيابك ، وهم كثير ، وقد طالت أيامهم ، ونفدت نفقاتهم ، فقال : اخرج إليهم ، وسلم  
عابهم ، وقل لهم : مَنْ مَدَحَنَّا مِنْكُمْ ؛ فلا يصف الأسد ؛ فإنما هو كلبٌ من الكلاب ،  
ولا الحية ؛ فإنما هي دُوَيْبَّةٌ مُنْتَنَةٌ تأكل التراب ؛ ولا الجبل ؛ فإنه حجر أصم ،  
ولا البحر ؛ فإنه عَطِنٌ لَجِبٌ<sup>(١)</sup> ؛ فمن ليس في شعره شيء من هذا فليدخل ،  
ومن كان في شعره شيء منه فليُنْصَرَفْ . فأبلغهم ؛ فأنصرفوا كلهم إلا إبراهيم<sup>(٢)</sup> بن  
هرمة ، فقال : أنا له ياربيع ، فأدخلني عليه .

فأدخله ، فلما مثل بين يديه ، قال له : ياربيع ؛ قد علمتُ أنه لا يجيئك غيره ،  
فأنشدَه قصيدته التي منها :

له لَحَظَاتٌ عَنْ حِفَافٍ<sup>(٣)</sup> سَرِيرِهِ إِذَا كَرَّهَا<sup>(٤)</sup> فِيهَا عُقَابٌ وَنَائِلُ  
فَأَمْ الَّذِي أَمَنْتَ أَمْنَةً الرَّدَى وَأَمْ الَّذِي خَوَّفْتَ بِالشُّكْلِ ثَا كُلُّ

\* نهاية الأرب : ٣ - ٣٠٦ ، العقد الفريد : ١ - ١٦٥ ، ذيل زهر الآداب : ٨٤ ،  
الفرر : ١٨٥ ، الأغاني : ٦ - ١٠٩ ( طبعة دار الكتب ) .

(١) لب : ذو لب ، وجر ذو لب : إذا سمع اضطراب أُمُوجِه (٢) هو إبراهيم بن علي  
ابن هرمة المنتسب إلى قریش ؛ نشأ بالمدينة ، وأخذ عن الرواة والمتقدمين والمتأديين كثيراً ، وقال  
الشعر وأجاده . وتوفي سنة ١٥٠ هـ (٣) الحفافان : الجانبان (٤) كرها : أرجعها ،  
والنائل : المطاء .

فقال له المنصور : أما لقد رأيتك في هذه الدار قائماً بين يدي عبد الواحد بن سليمان تُنشدُه قولك فيه :

وجدنا غالباً كانت جناحاً      وكان أبوك قادمةً الجناح  
فقطِّعْ بابن هَرَمَة حتى ما قدر على الاعتذار ، فقال له المنصور : أنت رجل  
شاعر طالب خير ، وكلّ ذلك يقول الشاعر ، وقد أمر لك أمير المؤمنين بثلاثمائة  
دينار .

فقام إليه الحسن بن زيد فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إن ابن هَرَمَة رجلٌ منفاقٌ  
مُتَلَف لا يبق شيئاً ؛ فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر له بها ، يُجرى عليه منها  
ما يكفيه ، ويكفي عياله ، ويكتب بذلك فعل .  
فقال : افعلوا ذلك به .

## ١١٥ - المؤمل يمدح المهدي\*

وفد المؤمل<sup>(١)</sup> بن أميل على المهدي<sup>(٢)</sup> بالركبي فامتدحه ، فأمر له بعشرين ألف درهم ، فاتصل الخبر بالمنصور ، فكتب إليه أن يعذله ويقول: إنما كان سيملك أن تأمر الشاعر بعد أن يقوم ببابك سنة بأربعة آلاف درهم ! وكتب إلى كاتب المهدي بإفاد الشاعر إليه . فسأل عنه . فقيل له : قد شخّص إلى مدينة السلام .

فكتب إلى المنصور بخبره ، فأنفذ المنصور قائداً من قواده إلى التهرّوان يتصفّح وجوه الناس رجلاً رجلاً بمن يمرّ به حتى يظفر بالمؤمل .

وسار القائد حتى انتهى إلى القافلة التي فيها المؤمل ، فسأله من أنت ؟ قال : أنا المؤمل بن أميل الحاربي الشاعر ، أحد زوّار الأمير المهدي ، فقال : إياك طلبت .

قال المؤمل : فكأذ قلبي يتصدع خوفاً من أبي جعفر ، وقبض على ؛ ثم أتى بي وأسلمني إلى الربيع ، فأدخلني إلى أبي جعفر ، فسلمتُ تسليم مُروّع ، فردّ السلام ،

---

\* نهاية الأرب : ٣ - ٣٠٧ ، مذهب الأعاني : ٤ - ١٣٥ ، أمالي الزجاجي : ٢٦ ، ذيل زهر الآداب : ٨٤ ، الفرر : ١٨٥ ، المحاسن والمساوي : ٢٧٠ ، معجم الأدباء : ٩ - ٢٠٣ .  
(١) شاعر كوفي من مخضرمي الدولتين : الأموية والعباسية ، واقطع إلى المهدي في حياة أبيه وبعمه ، وكان في شعره لبّ ، وله طبع صالح . (٢) المهدي هو ابن أبي جعفر المنصور والخليفة بعده ، كان فطناً كريماً شديداً على أهل الإلحاد ، كثير الجلوس بنفسه للعظام . توفي سنة ١٦٩ هـ .

وقال : أتيتَ غلاماً غِراً كريماً فخدعته ، قال : يا أمير المؤمنين ، إنما أتيتُ ملكاً  
جواداً كريماً فدحته فحملته أريحته على أن وصلني وبرني ؛ فكان ذلك أعجبه ،  
فقال له : أنشدني ما قلتَ فيه ، فأنشده .

هو المهديُّ إلا أن فيهِ	مِثَابُهُ <sup>(١)</sup> صورة القمر المنير
تشابهَ ذا وذا فهما إذا ما	أَنَارَا يُشْكِلَانِ على البصير
فهذا في الضياء سراجٌ عدلٌ	وهذا في الظلام سراجٌ نور
ولكن فضل الرحمنُ هذا	على ذا بالمنايرِ والسرير
وبالملكِ العزيزِ فذا أميرٌ	وماذا بالأميرِ ولا الوزير
ونقصُ الشهرِ يُحمِدُ ذا ، وهذا	مُنِيرٌ عند نقصانِ الشهر
فيا بنَّ خليفة الله المصنَّى	به تَعْلُو مَفَاخِرُهُ الفُخُور
لئن فتَّ الملوكَ وقد تَوَافَوْا	إليك من الشهولةِ والوعور
لقد سبقَ الملوكَ أبوكَ حتى	تَرَاهُم بَيْنَ كَابٍ أَوْ حَسِير
وجئتَ وراءه تجرى حثيثاً	وما بك حين تجزى من فتور
فقال الناس : ما هذان إلا	بمنزلة الخَلِيقِ من الجدير
فإن سبقَ الكبيرُ فأهلُ سبقِ	له فضلُ الكبيرِ على الصغير
وإن بلغَ الصغيرُ مدىَ كبيرِ	فقد خُلِقَ الصَّغِيرُ مع الكبير

فقال : أحسنت ! ولكن هذا لا يساوي عشرين ألف درهم ، ثم قال له :

(١) مشابهة : جمع شبه على غير قياس .

أين المال؟ قال : هاهو ذا ! قال : ياربِّيعُ ؛ أَعْطِهِ مِنْهُ أَرْبَعَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ ،  
وخذ الباقي .

قال المؤمل : فأخذ مني ستة عشر ألفاً ، فأليت على نفسي ألا أدخل العراق  
وللمنصور بها ولاية .

فلما صارت الخلافةُ إلى المهدي رفعتُ إليه رقعة ذكرت فيها قصَّتي ، فلما قرأها  
ضحك جتى استلقى ، وقال : هذه مظلمة أنا بها عارف ؛ ردُّوا عليه ماله ، وزيدوا  
له عشرين ألفاً ، فأخذتها وانصرفت .

## ١١٦ — مدائح وعطايا\*

أُهديت جارية يمانية إلى أبي جعفر المنصور ، فأنشدته شعرا المروان بن أبي حفصة<sup>(١)</sup> يمدح به السريّ بن عبد الله ، ويذكر فيه وراثة العباس ، فسألها : لمن هذا الشعر ؟ فأخبرته ، فأمر بإحضار مروان ، فوافاه بالرّبذة<sup>(٢)</sup> حاجاً ، فلقى الربيع بن يونس والمنصور عليل ؛ العلة التي مات فيها . فقال : كُنْ قريباً حتى ندعو بك ، فلم تزل العلة تشتد به حتى مات قبل أن يصل إليه مروان ، فقال له الربيع : الحقّ بالمهدى<sup>(٣)</sup> ولا تتخلف عنه ؛ وانصرف مروان إلى اليمامة ، فجعلها طريقاً ، وعليها بشر بن المنذر واليا ، فأوفده بشرفين أوفده ، وأعطى كل رجل ألف درهم ، فقدم مروان على المهدي ؛ وقد مدحه بأربع قصائد . فأعطاه المهدي ثلاثين ألف درهم ، فانصرف إلى اليمامة .

ثم عاد بعد ذلك ، فطلب الوصول يعقوب بن داود<sup>(٤)</sup> ، فأقام نحواً من سنة ، وغضب المهدي على يعقوب بن داود .

قال مروان : بينا أنا واقف على باب المهدي إذ خرج خالد بن يزيد بن منصور فقال : يا بن أبي حفصة ؛ ذكرك أمير المؤمنين آنفاً ؛ وهو يراك أشعر الناس ، غير أنه يقول : لا حاجة لنا فيما قبلك ؛ فانصرف عن بابنا .

\* المحاسن والمساوي : ٢٤٠ ( طبع ليزج ) ، الفرج بعد الشدة : ١ — ٧٣

(١) هو مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة . نشأ في أواخر الدولة الأموية ؛ ولم يشتهر إلا في دولة بني العباس ، مدح المهدي ومعن بن زائدة والرشيد ، وبعد من فحول الشعراء ، مات سنة ١٨١ هـ . (٢) الربذة : من قرى المدينة (٣) انظر صفحة ٢٨١ (٤) كان يعقوب وزير المهدي ، وكان عالم المنزلة عنده ، موضع ثقة منه ، ثم تغير عليه وحبسه ، وما زال في حبسه حتى تولى الرشيد . وأخرجته منه .

فانصرفت مغموماً ؛ ثم تذكرت رجلاً أحدث عنده ، وآنسُ لديه ؛ فأتيت يزيدَ بنَ مزَيدَ ، فشكوت إليه ما قال لي خالد بن يزيد . فقال : أدلك على رجل صدوقٍ ، له رِقَّةٌ ، لعله ينفُكُ ! قلت : ومن هو ؟ قال : الحسن الحاجب ، فمَدَدْتُ إلى الحسن ، فشكوت إليه ما حكاه خالد من رأَى أمير المؤمنين ؛ فقال : بل ذلك من يعقوب بن داود . فقلت : بأبي أنت وأُمي ! أنت ترجو أن يكون ذلك مفتاحاً لما أنا فيه ! قال : ذاك كما أقول لك ، فانصرفت ؛ وقلت :

أَتَانِي مِنَ الْمَهْدِيِّ قَوْلٌ كَأَنَّمَا	بِهِ احْتَرَزْتُ أَنْفِي مُدَّ مِنْ الضَّغْنِ جَادِعُ
وَقُلْتُ - وَقَدْ خِفْتُ الَّتِي لَاشَوَى لَهَا <sup>(١)</sup>	بِلَا حَدَثٍ : إِنِّي إِلَى اللَّهِ رَاجِعُ
وَمَا لِي إِلَى الْمَهْدِيِّ لَوْ كُنْتُ مُذْنِبًا	سِوَى حِلْمِهِ الصَّافِي مِنَ النَّاسِ شَافِعُ
وَلَا هُوَ - عِنْدَ السُّخْطِ مِنْهُ وَلَا الرِّضَا -	بَغَيْرِ الَّذِي يَرْضَى بِهِ اللَّهُ صَانِعُ
عَلَيْهِ مِنَ التَّقْوَى رَدَالًا يَكْنُهُ	وَاللَّحَقُّ نَوْرٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ سَاطِعُ
يُنْفِضُ لَهُ طَرْفُ الْعَيُونِ وَطَرْفُهُ	عَلَى غَيْرِهِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ خَاشِعُ
هَلِ الْبَابُ مُنْفِضٌ بِي إِلَيْكَ ابْنَ هَاشِمٍ	فَعَذْرِي إِنْ أَفْضَى بِي الْبَابُ نَاصِعُ
أَتَيْتُ امْرَأً أَطْلَقْتَهُ مِنْ وَثَاقِهِ	وَقَدْ أَنْشَبَتْ فِي أَخْذَعِيمِهِ الْجَوَامِعُ <sup>(٢)</sup>
وَجَلَّى ضِيَابَ الْعُدْمِ عَنْهُ وَرَاشَهُ	وَأَنْهَضَهُ مَعْرُوفَكَ الْمُسَابِعُ
فَقُلْتُ : وَزِيرٌ نَاصِحٌ قَدْ تَتَابَعْتُ	عَلَيْهِ يَا نَعَامَ الْإِمَامِ الصَّنَاعُ
وَمَا كَانَ لِي إِلَّا إِلَيْكَ ذَرِيعَةٌ	وَمَا مَلِكٌ إِلَّا إِلَيْهِ الدَّرَائِعُ
وَلِنْ كَانَ مَطْوِيًّا عَلَى الْقَدْرِ كَشْحُهُ	فَلَمْ أَذْرِ مِنْهُ مَا تُجْنِ الْأَضَالِعُ

(١) لاشوَى لها : لا يبرء لها

(٢) الجوامع : جمع الجامعة : القل .

وقلت في قصيدة أخرى :

سَيُحْشَرُ يَعْقُوبُ بْنُ دَاوُدَ خَائِبًا      يَلُوحُ كِتَابٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ  
بَدَأَ مِنْكَ لِلْمَهْدِيِّ كَالصَّبْحِ سَاطِعًا      مِنَ الْغَشِّ مَا كَانَتْ تُجْنُ الضَّمائرُ  
وَهَلْ لِبَيَاضِ الصَّبْحِ إِنْ لَاحَ ضَوْؤُهُ      فَجَابَ الدُّجَا مِنْ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ سَائِرًا  
أَمْنَزَلَةٌ فَوْقَ التِّي كُنْتَ نَزَلْتَهَا      تَمَاطَيْتَ إِلَّا أَفْلَحْتَ مِمَّا تُحَاذِرُ  
ثم أتيت الحسنَ بعد يومين ، فقال : ما صنعت ؟ فأنشدتهما إياه ، فقال :  
اكتبهما لي . فقلت : قد فعلت . فقال : هاتهما ، فتناولهما ، وقال : لست واضعهما  
من يدي حتى أضمهما في يد المهدي ، ثم مضى .

وأتيتُه من الغدِ ، فقال : ما وضعتُهما من يدي حتى وضعتُهما في يد المهدي !  
فقرأهما فرقاً لك وأمر بإدخالك عليه ؛ فاحضر يوم الاثنين .

فحضرت ، فخرج عليّ ؛ فقال : قد علم أمير المؤمنين بمكانك ، وقد أحب أن  
يجعل لك يوماً يشرفك فيه ويبلغ بك ، قلت : فني ؟ بأبي أنت وأمي ! قال :  
يوم الخميس .

فعدتُ إليه يوم الخميس ، فإذا وجوهُ بني العباس يدخلون على المهدي ، فلما  
تَنَآمَ المجلس دعاني فدخلتُ فسلمتُ فردَّ السلام ، وقال : إنما حبسك عن الدخول  
انقطاعك إلى يعقوب بن داود ، فافتتحت النشيد بما قلت في يعقوب ، فأنشدته ،  
ثم أنشدته :

طَرَقَتْكَ<sup>(١)</sup> زَائِرَةٌ فِي خِيَالِهَا      بِيضَاءُ تَخِلِظُ بِالْجَمَالِ دَلَالَهَا

(١) طرق القوم : أتاهم ليلاً .



قَادَتْ فَوَادَكَ فَاسْتَقَادَ وَمِثْلَهَا      قَادَ الْقُلُوبَ إِلَى الصَّبَا <sup>(١)</sup> فَأَمَّا لَهَا  
فَأَنْصَتَ النَّاسَ حَتَّى بَلَغْتَ إِلَى قَوْلِي :

هَلْ تَطْمِسُونَ مِنَ السَّمَاءِ نُجُومَهَا      بِأَكْفَكُمْ أَوْ تَسْتُرُونَ هَالَهَا !  
أَوْ تَجْجِدُونَ مَقَالََةً عَنْ رَبِّكُمْ      جَبْرِيلُ بَلَّغَهَا النَّبَى فَقَالَهَا  
شَهِدَتْ مِنَ الْأَنْفَالِ آخِرَ آيَةٍ      بِتُرَايِهِمْ <sup>(٢)</sup> فَأَرَدْتُمْ إِبْطَالَهَا  
فَأَعْجَبَ بِذَلِكَ ، وَقَالَ : جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا ! فَقُلْتُ : اشْهَدُوا ، هَذَا وَاللَّهِ الشَّرَفُ ،  
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَحْزِنُنِي خَيْرًا ، ثُمَّ أُنْشَدْتُهُ :

\* أَعَادَكَ مِنْ ذِكْرِ الْأَحِبَّةِ عَائِدُ \*

حَتَّى صَرْتُ إِلَى قَوْلِي :

أَيَادِي بَنِي الْعَبَّاسِ بَيِضٌ سَوَابِغُ      عَلَى كُلِّ قَوْمٍ بَادِيَاتٌ عَوَائِدُ  
فَهُمْ يَمْدِلُونَ السَّمَكُ مِنْ قُبَّةِ الْهَدَى      كَمَا يَمْدِلُ الْبَيْتَ الْحَرَامَ الْقَوَاعِدُ  
سَوَاعِدُ عِزِّ الْمُسْلِمِينَ ، وَإِنَّمَا      يَنْوُو بِصَوَلَاتِ الْأَكْفِ السَّوَاعِدُ  
يَزِينُ بَنِي سَاقِ الْحَجِيجِ <sup>(٣)</sup> خَلِيفَةُ      عَلَى وَجْهِهِ نَوْرٌ مِنَ الْحَقِّ شَاهِدُ  
يَكُونُ غِرَارًا نَوْمُهُ مِنْ حِذَارِهِ      عَلَى قُبَّةِ الْإِسْلَامِ وَأَخْلَقُ رَاقِدُ  
كَأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَمَّادًا      لَرَأْفَتِهِ بِالنَّاسِ لِلنَّاسِ وَالِدُ  
عَلَى أَنَّهُ مَنْ خَالَفَ الْحَقَّ مِنْهُمْ      سَمَتَهُ يَدُ الْمَوْتِ الْحَتُوفُ الرَّوَاصِدُ

(١) استقاد : اتقاد ، والصابا : الشوق (٢) التراث : ما يتركه الميت لورثته ، ويعني بآخر آية من سورة الأنفال قوله تعالى : « وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ » (٣) يشير إلى سقاية الحاج ، وهي ما كانت قريش تسقيه الحاج من الزبيب المنبوذ في الماء ، وكان يليها العباس ابن عبد المطلب ، جد الخلفاء العباسيين .

فأشار إلىّ ، فأمسكتُ . فقال : يا بنى العباس ، هذا شاعركم المنقطع إليكم ،  
المعادى فيكم ، فأعطوه مايسرّه . فقلت : ينبغي إذ سمعوا كلام أمير المؤمنين ،  
وعرفوا رأيه أن يصلوني من أموالهم ، فقال : أنا فارضٌ عليهم لك مالاً ، ففرضَ  
على موسى ابنه خمسة آلاف درهم ، وعلى هارون خمسة آلاف ، ثم فرض على  
القوم على قدرِ حالاتهم ، حتى فرض عليهم سبعة وثلاثين ألف درهم ، والربيعُ  
يكتبُ كلَّ ما فرض على كل رجل منهم .

فقال واحد من حضر : يا أمير المؤمنين ؛ إنما نحن من أهلك ، فأدخلنا فما  
أدخلتهم فيه ؛ فجعل عليه ألفاً ، وعلى الربيع ألفين ؛ فتمت أربعين ألفاً .

فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ مَنْ لى بهذا المال ؟ قال : هذا - وأشار إلى الربيع .  
ثم قال : إن أمير المؤمنين يعطيك من صلب ماله . فأمر لى بثلاثين ألف درهم  
في ثلاثِ بَدَرٍ<sup>(١)</sup> ، فجى بهنّ ؛ فطرحن قرياً ، فدعوتُ وشكرتُ ، فقال : يا بن  
أبى حفصة ؛ ستجئتك صلاتى وبرّى ، ويأتيك منى ما يؤدّيك إلى الفنى .

قلت : يا أمير المؤمنين ؛ قد رأيتُ من قبُولك وبشرِك وسرورك بما سمعت منى  
ما سآزداؤبه شعراً ، وستسمعُ ويبلغك ، وقلت : يا أمير المؤمنين ؛ لا يبلغ ما أعطيتنى  
لشاعري بعدى ، قال : أجل ! قلت : وآذنى فى زيارتك ؛ قال : نعم .

قلت : يا أمير المؤمنين ، لى عدوّ فيك ، وفى أهل بيتك ، فإن رأى أمير المؤمنين  
الآبِجَمَلَ لأحدٍ على سلطانِ دونه ! قال : لا سلطان عليك دون أمير المؤمنين ،  
فقلت : اكتبْ إلىّ بذلك كتاباً ، فأمر بالكتاب بذلك ! فأنصرفت .

فلما صرتُ خَلَفَ السَّيْرَ خرج إلى خادمٍ بمندبل فيه أربعة أثواب وشئ وثوب

(١) البدره : كيس فيه عشرة آلاف .

خَزَّ<sup>(١)</sup> وَجَبَّةً وَقَمِيصَ. فَقَالَ : أَلْبَسُوهُ وَأَعِيدُوهُ إِلَيَّ ؛ فَلَبِستُ الْخَزَّ وَالْوَشْيَ عَلَى الثِّيَابِ  
الَّتِي كَانَتْ عَلَى ، وَأَلْقَيْتُ الْقَمِيصَ عَلَى أَحَدِ مَنْكِيَّ وَالْجَبَّةَ عَلَى الْمَنْكِبِ الْآخَرِ .  
فَقَالَ لِي : يَا بْنَ أَبِي حَفْصَةَ ؛ أَتَدْخُلُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هَكَذَا ، وَقَدْ مَثَلْتَ بِنَفْسِكَ !  
فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَوْ كَانَتْ كِرَامَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَحَدًا مَا خَلَعْتُ مِنْهَا شَيْئًا أَطِيقُ حَمْلَهُ .

ثُمَّ دَخَلْتُ فَلَمَّا رَأَيْتَنِي تَبَسُّمٌ ، ثُمَّ قَالَ : مُطَرِّفُ<sup>(٢)</sup> ، فَأَبْطَلُوا بِهِ ، فَقَالَ : الْمُطَرِّفُ -  
وَأَنَا قَائِمٌ - ، ثُمَّ قَالَ الثَّالِثَةُ : الْمُطَرِّفُ . فَلَمَّا أَبْطَلُوا انصرفت ، وَقَعَدْتُ خَلْفَ السِّتْرِ ،  
فَلَمْ أَلْبَثْ أَنْ رُفِعَ السِّتْرُ ، وَخَرَجَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى دَابَّةٍ فَعَمْتُ إِلَيْهِ فَلَمَّا رَأَيْتَنِي قَالَ :  
الْمُطَرِّفُ ، فَمَا بَرِحَ حَتَّى أَتَيْتَنِي بِهِ ؛ فَتَنَشَّرَ عَلَى بَيْنِ يَدَيْهِ ، وَأَمَرَ لِي بِعَشْرَةِ مَنَ خَدَمِ  
الرُّومِ ، وَجَائِزَةٍ سَنِيَّةٍ ، وَبِرِذْوَنٍ<sup>(٣)</sup> بِسَرِّجِهِ وَلِجَامِهِ .

---

(١) الخَزَّ : الحرير (٢) المطرف : ثوب في طرفيه علمان (٣) البرذون : الدابة .

## ١١٧ — فصاحة نصيب \*

وجّه المهدي نصيباً<sup>(١)</sup> الشاعرَ مولاه إلى اليمن في شراء إبل مَهْرِيَّة<sup>(٢)</sup> ، ووجه معه رجلاً من الشيعة ، وكتب معه إلى عامل اليمن بعشرين ألف دينار ، فذَّ يده في الدنانير ينفقها في الأكل والشرب ، وشراء الجوارى والتزويج ، فكتب الشيعي بخبره إلى المهدي ، فكتب في حمله موثقاً في الحديد ، فلما دخل على المهدي أنشده شعراً ، قال :

تَأَوَّبَنِي ثِقَلٌ مِنْ الْمَهْمِ مُوجِعٌ	فَارَّقَ عَيْنِي ؛ وَاتَّخِلِيُون هُجْعُ
هَمُومٌ تَوَالَتْ لَوْ أَطَافَ بِسِيرُهَا	بَسَلَتِي لَظَلَّتْ صُؤْمُهُ تَتَصَدَّعُ <sup>(٣)</sup>
وَعَادَتْ بِلَادُ اللَّهِ ظِلْمَاءَ حِنْدِسَا	فَخِلْتُ دُجَا ظِلْمَائِهَا لَا تَقْشَعُ
إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَمْ أَجِدْ	سِوَاكَ مُجِيراً مِنْكَ يُدْنِي وَيَمْنَعُ
تَلَسَّتْ : هَلْ مِنْ شَافِعٍ لِي ؟ فَلَمْ أَجِدْ	سِوَى رَحْمَةٍ أَعْطَاكَهَا اللَّهُ تَشْفَعُ
لَئِنْ جَلَّتِ الْأَجْرَامُ <sup>(٤)</sup> مِنِّي وَأَفْطَمْتُ	لَمَقْوُوكَ عَنْ جَرَمِي أَجَلٌ وَأَوْسَعُ
لَئِنْ لَمْ تَسْعِنِي يَا بَنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ	فَمَا عَجَزْتُ عَنْ وَاسَائِلِ أَرْبَعِ
طُبِعَتْ عَلَيْهَا صِبْغَةٌ ثُمَّ لَمْ تَزَلْ	عَلَى صَالِحِ الْأَخْلَاقِ وَالِدِينَ تُطْبَعُ

\* الأغاني : ٢٠ — ٢٦ ( طبعة الساسي ) .

- (١) هو عبد نشأ باليمامة ، واشترى للمهدي في حياة المنصور ، فلما سمع شعره قال : والله ما هو بدون نصيب مولى بني مروان ، فأعتقه وزوجه ، وأقطعته ضيعة بالسوداء ، توفي سنة ١٧٥ هـ .  
 (٢) مهرة بن حيدان : أبو حى في اليمن ، والإبل المهرية منسوبة إليه (٣) سلمى هنا : جبل  
 (٤) الأجرام : الذنوب .

تَعَابِيكَ عَنْ ذِي الذَّنْبِ تَرْجُو صِلَا حَه  وَأَنْتَ تَرَى مَا كَانَ يَأْتِي وَيَصْنَعُ  
وَعَفْوُكَ عَمَّنْ لَوْ تَكُونُ جَزِيَّتَه  لَطَارَتْ بِهِ فِي الْجَوِّ نَسْكَابُهُ زَعَزَعُ  
وَأَنْتَ لَا تَنْفَكُ تَنْعَشُ عَائِراً  وَلَمْ تَعْتَرِضْهُ حِينَ يَكْبُو وَيَجْمَعُ<sup>(١)</sup>  
وَحَلَمْتَ عَنْ ذِي الْجَهْلِ مِنْ بَعْدِ مَا جَرَى  بِهِ عَنَقُ<sup>(٢)</sup> مِنْ طَائِشِ الْجَهْلِ أَشْنَعُ  
وَأِنِّي لَوَلَاكَ الَّذِي إِنْ جَفَوْتَهُ  أَنْتِ مُسْتَكِينًا رَاهِبًا يَتَضَرَّعُ  
وَأِنِّي لَمَوْلَاكَ الضَّعِيفِ فَأَعْنِي  فَأِنِّي لَمَفْوِيٍّ مِنْكَ أَهْلٌ وَمَوْضِعُ  
ثُمَّ تَشْفَعُ لَهُ الْهَادِي وَأَعْتَقَهُ ، وَأَمْضَى الْمَهْدَى ذَلِكَ لَهُ ، وَأَمْرٌ بِجَدِيدِهِ فَقُلْتُ عَنْهُ ،  
وَحَلَعَ عَلَيْهِ عَدَّةً مِنْ الْخَلْعِ ، وَوَصَلَهُ بِالْأُتَى دِينَارٌ ، وَأَمْرٌ لَهُ بِجَارِيَةٍ يُقَالُ لَهَا جَمْعُفَرَةٌ ،  
جَمِيلَةٌ فَائِقَةٌ ، فَقَالَ لَهُ سَالِمٌ قِيمَ الرَّقِيقِ : لَا أَدْفَعُهَا إِلَيْكَ أَوْ تَعْطِينِي أَلْفَ دَرَاهِمَ ، فَمَادَ  
إِلَى الْمَهْدَى وَأَنْشَدَهُ :

مَازَلْتُ تَبْذُلُ لِي الْأَمْوَالَ مَجْتَهِدًا  حَتَّى لَأَصْبَحْتُ ذَا أَهْلٍ وَذَا مَالٍ  
زَوَّجْتَنِي بِأَبْنِ خَيْرِ النَّاسِ جَارِيَةً  مَا كَانَ أَمْثَالَهَا يُهْدَى لَأَمْثَالِي  
زَوَّجْتَنِي بَضَّةً بَيَاضًا نَاعِمَةً  كَأَنَّهَا دُرَّةٌ فِي كَفِّ لَالٍ<sup>(٣)</sup>  
حَتَّى تَوَهَّمْتُ أَنَّ اللَّهَ عَجَّلَهَا  بِأَبْنِ الْخِلَافِ - لِي مِنْ خَيْرِ أَعْمَالِي  
فَسَأَلَنِي<sup>(٤)</sup> سَالِمٌ أَلْفًا فَقُلْتُ لَهُ :  أَنْتِ لِي الْأَلْفُ ؛ يَا قُبْحَتَ مَنْ سَأَلَ !  
هِيَ بَاتُ أَلْفِكَ إِلَّا أَنَّ أَجْبَى بِهَا  مِنْ فَضْلِ مَوْلَى لَطِيفِ الْمَنِّ مِفْضَالٍ  
فَأَمْرٌ لَهُ الْمَهْدَى بِأَلْفِ دِينَارٍ ، وَلِسَالِمٍ بِأَلْفِ دَرَاهِمَ .

(١) التَّجَمُّعُ : التَّطَلُّعُ   (٢) العَنَقُ فِي الْأَصْلِ : نَوْعٌ مِنَ السَّيْرِ   (٣) اللَّالُ : بِالْمِ الْوَلُّو .  
(٤) سَأَلَنِي : سَأَلَنِي .

## ١١٨ — أئته الخلافة متقادة \*

جلس المهدي للشعراء يوماً فأذن لهم ، وفيهم بشار <sup>(١)</sup> وأشجع ؛ وكان أشجع يأخذ عن بشار ويعظمه ، وكان في القوم غير هذين أبو العتاهية <sup>(٢)</sup> ، قال أشجع : فلما سمع بشار كلام أبي العتاهية قال : يا أخا سليم ؛ أهذا ذلك الكوفي الملقب ؟ قلت : نعم . قال : لا جزى الله خيراً من جمعنا معه . ثم قال له المهدي : أنشد ، فقال : ويحك ! أو يستنشد أيضاً قبلنا ! فقلت : قد ترى ، فأنشد :

ألا مالسيدي مالهـ      أدلاً فأحيل إذلالها  
وإلا فقيم تجننت وما      جنيت سقى الله أطلالها  
ألا إن جارية للإمـ      م قد أسكن الحسن سير بالها  
مشت بين حورٍ قصار الخطا      تجاذب في المشى أكفـالها  
وقد أنعب الله نفسي بها      وأنعب باللوم عذالها

قال أشجع : فقال لي بشار : ويحك يا أخا سليم ! ما أدري من أي أمرينه أحجب : أمن ضعف شعره ، أم من تشبيهه بجارية الخليفة ، وهو يسمع ذلك بأذنه ! حتى أتى على قوله :

\* الأغاني : ٤ - ٣٣ ( طبعة دار الكتب ) .

(١) هو فارسي الأصل ، أخذ أبوه في سبي للهرب بن أبي صفرة ، ثم ولد بشاراً ، وأعتق . ولد أعمى قبيح المنظر ، وتبع في الشعر ، فكان رئيس شعراء العصر العباسي غير مدافع ، وتوفي سنة ١٦٧ هـ . (٢) أبو العتاهية : اسمه إسماعيل بن القاسم ، نشأ بالكوفة ، وعالج الشعر صبيّاً خليعاً ، ثم ألم بمذاهب التكلمين والفلاسفة ، وظهر ذلك في شعره . مات سنة ٢١١ هـ .

أَتْنَهُ اخْلَافَةً مُنْقَادَةً    إِلَيْهِ تَجَرَّرُ أَذْيَالُهَا  
فَلَمْ تَكُ تَصْلَحْ إِلَّا لَهُ    وَلَمْ يَكُ يَصْلَحْ إِلَّا لَهَا  
وَلَوْ رَأَتْهَا أَحَدٌ غَيْرُهُ    لَزُلْزِلَتْ الْأَرْضُ زِلْزَالُهَا  
وَلَوْ لَمْ تُطْعَمْ بَنَاتُ<sup>(١)</sup> الْقُلُوبِ    لِمَا قَبِيلَ اللَّهِ أَعْمَالُهَا  
وَإِنَّ الْخَلِيفَةَ مِنْ بَعْضِ «لَا»    إِلَيْهِ كَيْفَ مِنْ قَالِهَا

قال أشجع : فقال لي بشار ، وقد اهتزَّ طرباً : ويمك يا أخا سليم ! أترى  
الخليفة لم يطرح عن فراشه طرباً لما يأتي به هذا الكوفي .

## ١١٩ — صريع الغواني\*

خرج مُسْلِمٌ<sup>(١)</sup> بن الوليد ذات يوم ، فلقى يزيد بن منصور الحميريّ بباب الرشيد ، فسلم فردّ عليه السلام ، ورحّب به ، وسأله عن شأنه فخبّره ، وسأله أن يقربّه من الخليفة ، وأن يحتال حتى يُعدّ في مُكازحيه ، ومن يجرى عليه أرزاقه ! فقال له الحميريّ : سأنتأني لوصولك إلى أمير المؤمنين .

فدخل الحميريّ ، فأصاب أمير المؤمنين لقيس<sup>(٢)</sup> النفس ، قد اشتمل عليه الفكرُ في سرعة تقصّي أمور الدنيا ، وأنه لا يُتَشَبَّثُ منها بشيء إلا كان كالظلّ الزائل ، والسراب الخادع ! فقال له جعفر بن يحيى : يا أمير المؤمنين ؛ أفتظنّ أن هذا الفكر يحبسُ عليك الأيام ، ويمنّحك مما لا يستمتع به ؛ إنما هذا الذي أنت فيه عارض عرض لك ، وقد كان ملك من الملوك حكيمًا يقول : اللهمّ مفسدة للنفس ، ومضلة للفهم ، ومشدّهة للقلب ، ومن أعظم الخطأ التشاغلُ بما لا يمكن دفعه .

وقال له سليمان بن أبي جعفر : يا أمير المؤمنين ؛ قد قال لقمان الحكيم : من يملك يستأثر ، ومن لا يستشيرُ يندم ، اللهمّ نصف الهرم ، والفقر الموت الأكبر .

---

\* المحاسن والمساوي : ٢٥٣ ( طبع ليزج ) .

(١) مسلم بن الوليد : من أبناء الأنصار ، كان مداحاً محسناً ، لطيف المعنى رقيق القول ، مدح يزيد ابن مزيد والبرامكة والرشيد ، وولاه الأُمون بريد جرجان ، ولم يزل بها إلى أن مات سنة ٢٠٨ هـ .

(٢) يقال : لقيت نفسه من الشيء : انصرفت .



فكان الرشيد نشيط ، واندفع عنه ما اعتراه من ذلك الفكر ، فتقدم إليه الحميري ، وقال : يا أمير المؤمنين ؛ خلقتُ بالباب آنفاً رجلاً من أخوالك الأنصار ، متقدماً في شعره وأدبه وظرفه ؛ أنشدني قصيدة يذكر فيها أنسه ولهوه ولعبه ومحادثته إخوانه ، ويذكر مجالس اتصلت له بأبلغ قولٍ وأحسن وصفٍ وأقرب رصفٍ ، يبعثُ والله على الصبابة والفرح ، ويباعد عن الهم والتّرح ، وكأنه قد وفق - يمين أمير المؤمنين ، وسعادة جدّه - لأن يكون مُبرّئاً من هذه الشكوى ، زائداً في سرور أمير المؤمنين ، مستدعيّاً له صلة رَحِمه ، والتشرُّف بخدمته .

فاستقرّ السرور والقلق إلى دخوله ، واستماع قصيدته ، وجعل يتابع الرسل بعضهم في أثر بعض ، حتى دخل ، وكان حلو الشّائل ، فوصل إليه في وقتٍ قد كان خرج فيه من رسم الشباب وشرّته ، ولم يكن في عداد من اضطرب سنّاً ، وكان - ناهيك من رجل ! معه فهمٌ وتجربة وتمييز ومعرفة ، فأهمل حتى سكن ، ثم أذن له في الجلوس ، فأنبرى مسلم ينشد قصيدته التي يقول فيها :

أديرًا على الكأس لا تشرباً قبلي	ولا تطلباً من عند قاتلتى دحلى <sup>(١)</sup>
فما جزعى أنى أموتُ صباةً	ولكن على من لا يحلُّ لها قتلى
أحبُّ التي صدّت وقالت لترهباً :	دعيه ؛ الثرياً منه أقربُ من وصلي !
بلى ربّما وكّلتُ عيني بنظرةٍ	إليها تزيد القلبَ خَبلاً على خَبَلٍ
كتمتُ تباريحَ الصباةِ عاذلي	فلم يدرِ ما بى ، واسترحتُ من العذلِ

إلى أن قال :

(١) الدحل : الثأر .

إذا ما عَلَتْ مِنَّا ذُؤَابَةٌ وَاحِدٍ      تَمَشَّتْ بِهِ مَشْيَ الْمَقِيدِ فِي الْوَحْلِ  
فلا نَحْنُ مِتْنًا مَوْتَةَ الدَّهْرِ بَفْتَةٍ      وَلَا هِيَ عَادَتْ بَعْدَ عُلٍّ وَلَا نَهْلٍ  
سَأَقَادُ لِلذَّاتِ مُتَبِعَ الْهَوَى      لَا تُمَضِي هُمًّا أَوْ أُصِيبَ فَنِي مِثْلِي  
هَلِ الْمِشْهُ إِلَّا أَنْ تَرْوَحَ مَعَ الصَّبَا      وَتَقْدُوسَ رِيحِ الْكَأْسِ وَالْأَعْيُنِ النَّجْلِ!

فجعل الرشيدُ يتناول لها ، ويستحسن ما حكاها من وصف شرابٍ ولهو  
وَعَزَلَ ومهولة ألقاظ ؛ فأمر له بئال ، وأمر أن يتخذ له مجلس يتحول إليه ، وجعل  
الرشيد وأحبابه يتناشدون قصيدته ، فسماء يومئذ - بآخر بيت من شعره : صريع  
الغواني !

١٢٠ — الرشيد وابن مناذر \*

قال ابن مناذر <sup>(١)</sup> : حج الرشيد بعد إيقاعه بالبرامكة ، وحج معه الفضل بن الربيع ، فبيأت فيه قولاً أجذت تنميته ، وتنوقت <sup>(٢)</sup> فيه ، فدخلت إليه في يوم التروية <sup>(٣)</sup> ، وإذا هو يسأل عني ويطلبني ؛ فبدرنى الفضل بن الربيع قبل أن أكلم فقال : يا أمير المؤمنين ؛ هذا شاعر البرامكة ومادحهم — وكان البشر ظهر لي في وجهه لما دخلت — فتنكر وعبس في وجهي ، فقال الفضل : مره يا أمير المؤمنين أن ينشدك قوله فيهم :

\* أتانا بنو الأملاك من آل برمك \*

فقال : أنشدني ، فأبيت ، فتوعدني وأكرهني فأنشدته :

أتانا بنو الأملاك <sup>(٤)</sup> من آل برمك	فياطيب أخبار وياحسن منظر !
إذا وردوا بطحاء مكة أشرقت	يبحي وبالفضل بن يحيى وجعفر
فتظلم بغداد ويحول الدجى	بمكة — ما حجوا — ثلاثة أقم
فاصلحت إلا لجلود أكفهم	وأرجلهم إلا لأعواد منبر
إذا راض يحيى الأمر ذلت <sup>(٥)</sup> صعابه	وحسبك من راع له ومدبر

\* الأغاني : ١٧ — ٢٥ ( طبعة الساسي )

(١) هو محمد بن مناذر ، شاعر فصيح مقدم في العلم بالآفة ، كان في أول أمره ناسكاً متألماً ، ثم عدل عن ذلك فهجا الناس ، وتهتك وخلع وقذف أعراض أهل البصرة ، ومدح المهدي ، ومات في أيام المأمون (٢) تنوقت فيه : بالفت في تجويده (٣) التروية : يوم قبل يوم عرفة ، وهو الثامن من ذي الحجة (٤) الأملاك : الملوك (٥) سهلت .

ترى الناس إجلالا له وكأنهم غرائيق<sup>(١)</sup> ماء تحت بازٍ مصرصر<sup>(٢)</sup>  
ثم أتبعْتُ ذلك بأن قلت : كانوا أولياءك يا أمير المؤمنين أيام مدحتهم ، وكانوا  
في طاعتك ، لم يلحقهم سَخَطُكَ ، ولم تحُلْ بهم نِقْمَتُكَ ، ولم أكن في ذلك مبتدِعا ،  
ولا خلا أحدٌ من نظرائي من مدحهم ، وكانوا قوماً قد أظلّني فضلهم ، وأغناي  
رِفْدُهُم ، فأثنييت بما أولوا .

فقال : يا غلام ؛ العظم وجهه ، فلطِمت والله حتى سَدِرْتُ<sup>(٣)</sup> وأظلم ما كان بيني  
وبين أهل المجلس . ثم قال : اسحبوه على وجهه ، والله لأحرمنك ، ولا تركتُ  
أحدًا يعطيك شيئا في هذا العام ! فسُحِبْتُ حتى أُخرجت .

وانصرفت وأنا أسوأ الناس حالا في نفسي وحالي ، وما جرى عليّ ؛ لا والله  
ما عندي ما يكفي عيالي لعيدهم ، فإذا بشاب قد وقف عليّ ؛ ثم قال : أعزّز عليّ والله  
يا كبيرنا بما جرى عليك ، ودفع إلى صُرّة ، وقال : تَبْلُغْ بما في هذه ! فظننتها  
دراهم ، فإذا هي ثلثمائة دينار ؛ فقلت : من أنت ؟ جعلني الله فداك ! قال : أنا أخوك  
أبو نواس ، فاستعمن بهذه الدنانير واغذرنى ، فقبلتها وقلت : وصّلك الله يا أخي ،  
وأحسن جزاءك !

(١) الغرائيق : جمع غرنوق ؛ وهو طائر أبيض من سيور الماء (٢) المصرصر : من برج  
الصوت (٣) سدر بصره : أظلم ولم يبصر .

## ١٢١ — ربيعة الرقي يمدح فلا يثاب \*

امتدح ربيعة الرقي<sup>(١)</sup> العباس بن محمد بن علي ؛ بقصيدة لم يُسبق إليها ،  
يقول فيها :

لو قيل للعباس : يابن محمد ؛      قل : « لا » وأنت مُخلدٌ ما قالها  
ما إن أعد من الكارم خصلةً      إلا وجدتكَ عمًّا أو خالها  
وإذا الملوكُ تسارت في بلدةٍ      كانوا كواكبها وكنْتَ هلالها  
إن الكارم لم تزل مَعقولةً<sup>(٢)</sup>      حتى حلَّت براحتيك عقالها

فبعث إليه العباس بدينارين ، وكان يقدر فيه ألفين ، فلما نظر إلى الدينارين  
كاد أن يُجنَّ غضباً ، وقال للرسول : خذ الدينارين فهما لك على أن تردَّ إلي الرقعة  
من حيث لا يدري العباس ، ففعل الرسول ذلك ، فأخذها ربيعة وأمر من كتب  
في ظهرها .

مدحتك مدحة السيف المحلَّى      لتجري في الكرام كما جريتُ  
فهيأ مدحة ذهب ضياعاً      كذبتُ عليك فيها واقتريتُ

\* الأغاني : ١٥ - ٣٨ (طبعة الساسي) ، نهاية الأرب : ٣ - ٢١٥ ، معجم الأدباء : ١١ - ١٣٤  
(١) اسمه ربيعة بن ثابت ، وكان ينزل الرقة ، وبها مولده ومنشؤه . وكان من الشعراء الكثيرين  
المجيدين ، ولكن خل ذكره عن طبقته لبعده عن العراق وتركه خدمة الخلفاء ومخالطة الشعراء ،  
ومع ذلك فما عدم مفضلاً مقدماً له . ومات سنة ١٩٨ هـ (٢) عقل البعير : شد وظيفه إلى  
فراعه ، وهو استعارة من هذا .

ثم دفعها إلى الرسول ، وقال : ضَعِهَا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي أَخَذْتَهَا مِنْهُ ، فَعَمَل .  
فلما كان من الغد أخذها العباس فنظر فيها ، فلما قرأ الآيات ، غَضِبَ ، وقام  
من قَوْرِهِ ، فركب إلى الرشيد - وكان أَثِيرًا<sup>(١)</sup> عنده يَبْجَلُهُ وَيَقْدِمُهُ ، وكان قد همَّ  
أن يَخْطُبَ إِلَيْهِ ابْنَتَهُ - فرأى الرشيد الكراهةَ في وجهه ، فقال : ماشَأَنكَ ؟ قال :  
هَجَانِي رِبِيعَةُ الرَّقِيِّ .

فأحضره الرشيد ، وقال له : أَتَهْجُو عَمِي وَآثَرَ خَلْقِ اللَّهِ عِنْدِي ! لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ  
أُضْرِبَ عُنُقَكَ ! فقال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَاللَّهِ لَقَدْ امْتَدَحْتَهُ بِقَصِيدَةٍ مَقَالَ أَحَدٍ مِثْلَهَا  
مِنَ الشُّعْرَاءِ فِي أَحَدٍ مِنَ الْخُلَفَاءِ ، وَلَقَدْ بَالَفْتُ فِي الثَّنَاءِ ، وَأَكْثَرْتُ مِنَ الْوَصْفِ ؛  
فَإِنْ رَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَأْمَرَ بِإِحْضَارِهَا فَعَلَ .

فلما سمع الرشيد ذلك سَكَنَ غَضَبُهُ ، وَأَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ فِي الْقَصِيدَةِ ، فَأَمَرَ الْعَبَّاسَ  
بِإِحْضَارِهَا ، فَتَلَكَّأَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ : سَأَلْتُكَ بِحَقِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا أَمَرْتَ  
بِإِحْضَارِهَا . فَأَحْضَرَتْ ، فَإِذَا فِيهَا الْقَصِيدَةُ بِعَيْنِهَا ؛ فَاسْتَحْسَنَهَا وَاسْتَجَادَهَا ، وَأَعْجَبَ  
بِهَا ، وَقَالَ : وَاللَّهِ مَا قَالَ أَحَدٌ مِنَ الشُّعْرَاءِ فِي أَحَدٍ مِنَ الْخُلَفَاءِ مِثْلَهَا ، وَلَقَدْ صَدَّقَ  
رِبِيعَةُ فَبَرَّ .

ثم قال للعباس : كَمْ أَثْبَتَتْهُ عَلَيْهَا ؟ فَسَكَتَ الْعَبَّاسُ ، وَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ ، وَغَضَّ بِرِيقِهِ ،  
فَقَالَ رِبِيعَةُ : أَتَأْتِي عَلَيْهَا بِدِينَارَيْنِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! فَتَوْهَمُ الرَّشِيدُ أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ مِنْ  
الْوَجْدَةِ<sup>(٢)</sup> عَلَيْهِ ، فَقَالَ : بِحَيَاتِي يَارَقِي كَمْ أَتَابَكَ ؟ فَقَالَ : وَحَيَاتِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ  
مَا أَتَابَنِي إِلَّا بِدِينَارَيْنِ .

فغضب الرشيد غضباً شديداً ، ونظر في وَجْهِ الْعَبَّاسِ ، وقال : سَوْءَةٌ لَكَ ! آيَةٌ

(١) أَثِيرًا : مَكْرَمًا (٢) الْمَوْجِدَةُ : الْغَضَبُ .

حال قعدت بك عن إتيابه ؟ أقله مال ؟ فوالله لقد مَوَّلْتُكَ جهدي<sup>(١)</sup> ، أم انقطاع  
المادة عنك ؟ فوالله ما انقطعت ، أم أصلك ؟ فهو الأصل الذي لا يُدانيه شيء ، أم  
نفسك ؛ لا ذنبَ لي ! بل نفسك والله فعلتُ بك ذلك حتى فضحتَ أجدادك  
وفضحتني وفضحتَ نفسك ، فنكسَ العباس رأسه ، ولم ينطق .

فقال الرشيد : يا غلامُ ؛ أعطِ ربيعةَ ثلاثين ألفَ درهمٍ وخِلعةً ، واحمله  
على بغلة .

ثم قال له : بحياتي لا تذكره في شيء من شعرك تعريضاً ولا نصريحاً ، وقتَر  
الرشيد عما كان قد عم به من أن يتزوج إليه ، وأظهر له بعد ذلك جفاءً واطراحاً .

---

(١) موله : أعطاه مالا كثيراً ، والجهد : الطاقة .

## ١٢٢ — شاعر بين يَدَيِ الرشيد\*

قال أحمد بن سعيد الباهلي : كنتُ عند الرشيد ، فدخل عليه أشجع <sup>(١)</sup> السلي  
وَمَنْصُور الثمري <sup>(٢)</sup> ، فأنشده أشجع :

قَصْرٌ عَلَيْهِ تَحِيَّةٌ وَسَلَامٌ	أَلَقْتُ عَلَيْهِ جَمَالَهَا أَيَّامٌ
قَصْرٌ سُقُوفُ الْمَزْنِ دُونَ سُقُوفِهِ	فِيهِ لِأَعْلَامِ الْهَدْيِ أَعْلَامٌ
فِيهِ اجْتَلَى الدُّنْيَا الْخَلِيفَةُ وَالتَّقَتْ	لِلْمَلِكِ فِيهِ سَلَامَةٌ وَسَلَامٌ
نَشَرَتْ عَلَيْهِ الْأَرْضُ كُسُوتَهَا الَّتِي	نَسَجَ الزَّبْيَعُ وَزَخَرَفَ الْإِرْهَامُ <sup>(٣)</sup>
أَدْنَتْكَ مِنْ ظِلِّ النَّبِيِّ وَصِيَّةٌ	وَقَرَابَةٌ وَشَجَتْ <sup>(٤)</sup> بِهَا الْأَرْحَامُ
بَرَقَتْ سَمَاوُكَ فِي الْعَدُوِّ وَأَمْطَرَتْ	هَامًا لَهَا ظِلُّ السُّيُوفِ غَمَامٌ
وَإِذَا سِيُوفُكَ صَافَحَتْ هَامَ الْعَدَا	طَارَتْ لَهْنٌ عَنِ الرُّعُوسِ الْهَامُ
ثَنَى عَلَى أَيَّامِكَ الْأَيَّامُ	وَالشَّاهِدَاتُ : الْحُلُّ وَالْإِحْرَامُ

ولما بلغ قوله :

وعلى عدوك يا بن عم محمدٍ رَصْدَانِ ضَوْؤُهُ الصُّبْحُ وَالْإِظْلَامُ

\* أمالي المرتضى : ٤ - ١٧٨ ، الأغاني : ١٢ - ١٩ ، ١٧ - ٣٢ ( طبعة الساسي ) .

(١) هو أشجع بن عمرو السلي ، نشأ بالبصرة وقال الشعر وأجاده ، وعد من الفحول ، ثم اتصل بالبرامكة ، واختص بيجفر بن يحيى فأعجب به وأوصله إلى الرشيد (٢) منصور الثمري : نشأ في الجزيرة بين التهرين ، أخذ عن كلثوم الغنابي ، ثم قصد إلى البرامكة ، ومدحهم ، ثم قال الشعر السياسي ووصل به إلى الرشيد (٣) الرهمة : الطر الضعيف الدائم ، والجمع رهم ( كغلب ) ، وأرهمت السماء : أتت بالرمم (٤) وشجت : علفت .



فإذا تنبّه رُغْتَه وإذا غَفَا سَلَتْ عليه سيوفك الأحلامُ  
فاستحسن ذلك الرشيد ؛ وأوماتُ إلى أشجع أن يَقْطَعَ الشعر ؛ إذ علمتُ أنه  
لا يأتي بمثلها فلم يفعل . ولما أنشده ما بعدها فتر الرشيد وضرب بِمُخَصَّرَةٍ (١)  
كانت بيده الأرض ، واستنشد منصوراً النمرى ، فمرّ والله في قصيدة قلما تقولُ  
العربُ مثلاً ، ومطلّعها :

ما تنقضى حَسْرَةٌ منى ولا جَزَعُ إذا ذكرتُ شباباً ليس يُرْتَجَعُ  
بَانَ الشبابُ وفاتننى بلذته صروفُ دهرٍ وأيام لها خُدَعُ  
ولما بلغ إلى قوله :

ما كنتُ أوفى شبابي كُفَّةً غرّته حتى انقضى فإذا الدنيا له تبع  
قال الرشيد : أحسن والله ! لا يتهنى أحدٌ يعيش حتى يخطر في رداء الشباب .  
ولما بلغ إلى قوله :

أى امرئى بات من هارون في سخط فليس بالصلوات الخمس ينتفع  
إن المكارم والمعروف أوديةٌ أحلكَ الله منها حيث تُفْتَجَعُ  
إذا رفعتَ امرأً فالله رافِعُهُ وَمَنْ وَضَعْتَ مِنَ الْأَقْوَامِ مُتَّعُ  
نفسى فداؤك والأبطالُ مُعْلِمَةُ يوم الوغى والمنايا بينهم قُرْعُ

رمى الرشيد بالخِوان بين يديه ، وصاح وقال : هذا والله أطيبُ من كل طعام ؛  
وأعطاه سبعة آلاف دينار .

---

(١) المخمصة : ما يتوكأ عليه : كالعصا ونحوها ، وما يأخذه الملك بشير به إذا خاطب والخطيب إذا خطب .

قال أحمد بن سعيد : فلما خرجنا قلت لأشجع : غزيتك أن تقطع فلم تفعل ،  
ويلك ! ولم تأت بشيء ، فهلا مت بعد البيتين أو خرست ، فكنت تكون  
أشعر الناس !

### ١٢٣ — يبابك أنزلت حاجتي \*

قصده أعرابي مالك بن طوق التغلبي<sup>(١)</sup> صاحب الرحبة<sup>(٢)</sup> ، وكان رث الهيئة ،  
زري الحال ، فمنع من الدخول عليه مدة ، إلى أن خرج مالك ذات يوم يريد الزهدة  
حول مدينته ؛ فاعترض له الأعرابي ، فردّه رجاله ازدراء به ، فلم يثن ؛ بل اقترب  
منه حتى أخذ بعنان فرسه ، ثم قال : أيها الأمير ؛ أنا عائد بك<sup>(٣)</sup> من شر حرّسك !  
فَنَسَهُمْ<sup>(٤)</sup> عنه ، وقال له : ما حاجتك ؟ قال : أن تُصَنِّيَ إلى كلامي بسمعك ،  
وتنظر إلى بطرفك ، وتُقِيلَ على بوجهك ، ثم أنشد :

يبابك دون الناس أنزلت حاجتي	وأقبلتُ أَسْتَعِي نَحْوَهُ وَأَطُوفُ
وَيَمْنَعُنِي الْحِجَابُ وَاللَّيْلُ مُسِيلُ	وأنت بعيدُ والرجال صفوفُ
يطوفون حولي عابسين كأنهم	ذئابُ جِيعٌ يَنْهَنُ خُرُوفُ
فكيف وقد أبصرتُ وجهك مقبلاً	ترُدُّ امرأً وَاظَاكَ وهو لهيفُ
ومالي في الدنيا سواك وما لمن	تركتُ ورأى مَرَبَعَ <sup>(٥)</sup> ومنصيفُ

\* غرر الحقائق : ١٦٨

(١) مالك بن طوق : أحد تدماء الرشيد ، أقطعه أرضاً بناها ونسبت إليه ثم خرج على الرشيد  
فأخذ إليه الجيوش حتى ظفروا به ، وحبس ، ثم عفا عنه (٢) مدينة جميلة بين بغداد والرقّة ،  
بناها مالك على الفرات ، وساعده الرشيد على بنائها بالأموال والرجال (٣) عاذ به : لجأ إليه  
(٤) نَسَهُمْ : زجرهم وكفهم (٥) المربع : منزل القوم في الربيع خاصة .

فَجَنَّتْكَ أَبْنَى الْخَيْرِ مِنْكَ فِرَاعْنَى      يَبَابِكَ مِنْ ضَرْبِ الْعَبِيدِ صُنُوفُ  
فَلَا تَجْعَلْنِي لِي نَحْوَ يَابِكَ عَوْدَةً      فَقَلْبِي مِنْ صُنْعِ الْقِسَاءِ مَخُوفُ  
فَضَحَكَ مَالِكُ ، ثُمَّ قَالَ لِحِرَاسِهِ : مَنْ يَعْطِيهِ دِرْهَمًا بِدَرَاهِمِينَ ؟ فَمَا أَتَمَّ كَلِمَتَهُ حَتَّى  
نُثِرَتْ الدِّرَاهِمُ عَلَى الْأَعْرَابِيِّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى تَحْيَرَ ، وَاخْتَلَطَ لَدَيْهِ الْحَابِلُ بِالنَّائِلِ ؛  
لِكَثْرَةِ مَا أُعْطِيَ .

فَعِنْدَ ذَلِكَ التَّفَتَّ إِلَى مَالِكِ ، وَقَالَ لَهُ : هَلْ بَقِيَتْ لَكَ حَاجَةٌ يَا أَخَا الْعَرَبِ ؟  
قَالَ : أَمَّا إِلَيْكَ فَلَا . فَقَالَ : وَإِلَى مَنْ ؟ قَالَ . إِلَى اللَّهِ أَنْ يَبْقِيَكَ لِلْعَرَبِ ؛ فَإِنَّهُمْ  
لَنْ يَزَالُوا يَنْخِرُ مَا بَقِيَْتَ لَهُمْ !

## ١٢٤ — النكت في البيع خير من خيانة الشريك \*

جلس مالك بن طوق في قصره ، في شُبَّاكٍ مطل على رَحْبَتِهِ ، ومعه جساؤه ؛  
فأقبل أعرابي تَخْبُ<sup>(١)</sup> به ناقتَه . فقال : إِيَّايَ أَرَادَ ، ونحوي قصد ، ولعل منه أدبا  
يُنْتَفَعُ به . ثم أمر بإدخاله .

فلما مَلَكَ بين يديه قال : ما أقدمك يا أعرابي ؟ قال : سَيْبُ<sup>(٢)</sup> الأمير ، ورجاء  
نائله ؛ قال : هل قدَّمْتَ أمامَ رَغْبَتِكَ وسيلة ؟ قال : نعم ! أربعة آيات قُلْتُها بظَهْرِ  
البرية ، فلما رأيت ما يباب الأمير من الهَيْبَةِ والجلال استحققتها واستصَفَرْتُها .  
قال : فهل لك أن تُنْشِدَنا آياتَكَ على أن نَجْزِكَ عليها ألفَ درهم ؛ فإن كنت ممن  
أَحْسَنَ رَجَحْنَا ، وإلا فقد نِلْتَ مُرَادَكَ ، وربحت ! قال : رضيتُ ، وأنشده :

وما زلت أَخْشَى الدهرَ حَتَّى تَمْلَقَتْ      يداي بمن لا يَتَّقِي الدهرَ صاحِبُهُ  
فلما رَأَيْتُ الدهرُ نَحْتَ جناحِهِ      رأى مرتقى صعباً مَنِيعاً مطالِبُهُ  
رَأَيْتُ بِحِمِّ النجمِ في رأسِ بَاذِخٍ<sup>(٣)</sup>      تَظِلُّ الورى أَكْثافُهُ وجوانِبُهُ  
فَتَى كَسَمَاءِ الفَيْثِ والنَّاسُ حَوْلَهُ      إِذَا قُحِطُوا<sup>(٤)</sup> جادت عليهم سَحَابَتُهُ

فقال : والله ظَفَرْنَا يا أعرابي ، وَرُزِقْنَا الفَلَجَ<sup>(٥)</sup> عليك ، والله ما قِيمَتُهَا إلا  
عشرة آلاف درهم . قال : فإن لي صاحباً شاركته فيها ، وما أراه يَرْضَى بَيْنِي . قال :

\* ذيل زهر الآداب : ٢٨٢ .

(١) الحب : نوع من السير (٢) السبب : العطاء والمعروف (٣) باذخ : عال (٤) قحطوا :  
أصابهم القحط ، وهو الجدب (٥) الفلاج : الفوز والظفر .

أترك حدثتك نفسك بالنكث<sup>(١)</sup>؟ قال : نعم ! وجدت النكث في البيع خيراً  
من خيانة الشريك ، فأمر له بمشرة آلاف دينار .

١٢٥ — باتت تميرني الإقتار والعدما \*

قال الأضمرى : لقيت أعرابياً بالبادية فاسترشدته إلى مكان ، فأرشدني  
وأنشدني :

ليس العمى طول السؤال وإتما      تمام العمى طول السكوت على الجمل  
فكن سائلاً عما عناك فإتما      خلقت أخا عقل لتسأل بالعقل  
ثم رجعت إلى البصرة فكشت بها حيناً ؛ ثم قدمت البادية ، فإذا بالأعرابي  
جالس بين ظهري قوم ، وهو يقضى بينهم ، فارأيت قضية أخطأت قضية الصالحين  
من أقضيته ، ثم جلست إليه وقلت : يرحمك الله ، أما من رشوة ! أما من هدية !  
أما من صلة ! فقال : إذا جاء هذا ذهب التوفيق . فشكوت إليه ما ألقى من  
عذل حليّة لي إياي في طلب المعيشة ، فقال : لست فيها بأوحد ، وإني لشريكك ،  
ولقد قلت في ذلك شعراً ، قلت : أنشدني ، فأنشدني :

باتت تميرني الإقتار والعدما      لما رأت لأخيها المال وانخدما  
عنف رأيك ما الأرزاق من جلد      ولا من العجز بل مقسومة قسماً  
يأمة الله إني لم أدع طلباً      للرزق - قد تعلمين - الشرق والشأماً

\* أمالي المرتضى : ٢ - ١٤٠

(١) بنقض العهد .

لو كان من جلد ذاك المال أو أدب  
أرضي من العيش ما لم تحوجي معه  
واستشعري الصبر على الله خالقنا  
لا تحوجيني إلى ما لو بذلت له  
بالله سرك أب الله خولتي  
ماسرني أنني خولت ذاك ولا  
وأنتي لم أفد عفا ولا أدبا  
ففسرة المرء أخرى في معاشك من  
قال : فوالله ما أنشدتها زوجي حتى حلفت ألا تعذلي أبدا .

لكنْتُ أَكْثَرَ مَنْ تَمَلُّ الْقُرَى نَعْمَا  
أَنْ تَفْتَحِيَ لِسْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ فَمَا  
يَوْمًا سَيَكْشِفُ عَنَّا الضَّرَّ وَالْعَدَمَا  
نَفْسِي لِأَعْقَبِكَ التَّهْمَامَ وَالنَّدَمَا  
مَا كَانَ خَوَّلَهُ الْأَعْرَابَ وَالْعَبَا  
أَلَا أَقُولَ لِبَاغِي حَاجَةً نَعْمَا  
وَلَا إِرْثَ وَالِدِي تَجْدَا وَلَا كَرَمَا  
أَمْرٍ يَجْرُ عَلَيْكَ الْهَمُّ وَالْأَلَمَا  
قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا أَنْشَدْتُهَا زَوْجِي حَتَّى حَلَفْتُ أَلَّا تَعْذُلْنِي أَبَدًا .

١٢٦ - سَكَنْتَ عَنِّي وَاللَّهُ الْحَمِيُّ \*

قال الأصمعي : نزلت ليلةً في وادي بني العنبر؛ وهو إذ ذاك غان<sup>(١)</sup> بأهله ،  
فإذا فتية يريدون البصرة ، فأحببت صُحبَتَهُمْ ، وأقمتُ ليلتي تلك ، وإني لَوَصِيبٌ<sup>(٢)</sup>  
محمومٌ ، أخافُ ألاَّ أَسْتَمْسِكَ على راحِلتي ، فلما أقاموا ليرحلُوا أيقظوني ، فلَمَّا رَأَوْا  
حالي حملوني ، وركبَ أحدهم ورائي يُمَسِّكُنِي ، فلما أمعنوا السيرَ تَنَادَوْا : ألا فتي  
يَحْدُونَا أو يَنْشُدُنَا ؟ فإذا منشدٌ في سواد اللَّيْلِ يُنْشِدُ بِصَوْتٍ نَدِيٍّ حزينٍ :

لعمرك إني يومَ بانوا فلم أُمْتُ	خُفَاتَا <sup>(٣)</sup> على آثارهم لَصَبُورٌ
غداة المُتَقَى <sup>(٤)</sup> إذ رميتُ بنظرةٍ	ونحنُ على مَتْنِ الطريقِ نسيرُ
فقلت لقلبي حينَ خَفَ به الهوى	وكاد من الوجد المُبْرُ <sup>(٥)</sup> يطير :
فهذا ولَمَّا تمض للبين ليلةٌ	فكيف إذا مَرَّتْ عليك شُهُورُ !
وأصبحَ أعلامُ الأحبة دُونَهَا	من الأرضِ غُولُ <sup>(٦)</sup> نازِحٌ ومسيرُ
وأصبحتُ نجدُ الهوى مُنْهِمَ الثَّوَى	أزید اشتياقًا أَنْ يَحِينَ بَعِيرُ
عسى الله بعد النأي أن يُسَمِّفَ الثَّوَى	وَيُجَمِّعَ شَمْلُ بَدَها وسُرُورُ

قال : فسكنتُ والله عَنِّي الْحَمِيُّ ما أَحْسَنَ بها ؛ وقلت لرفيقي : انزل يرحمك الله  
إلى راحِلَتِكَ فَإِنِّي مُتَمَّا سَكُ ، وجزاك الله عن الصحبة خَيْرًا !

\* أمالي المرتضى ٢ - ١٤٢

(١) غان : آمل (٢) الوصب : المرض (٣) يقال : مات خفأتا ؛ أي فجأة (٤) المتقي : طريق  
للمرب إلى الشام ؛ كان في الجاهلية يسكنه أهل تهامة (٥) البر : الشديد (٦) الغول : بعد الشفة .

١٢٧ — عجوز تُنشد الأُصمى شعرا\*

قال الأُصمى : إني لفي سوق ، وقد نزلتُ على رجلٍ من بني كلاب ، كان متزوجاً بالبصرة ؛ إذ أقبلت عجوز على ناقَةٍ لها ، حسنةُ البرَّةِ ، فيها باقى جمال ، فأناختُ وعَقَلْتُ ناقَتها ، وأقبلتُ تنوَكاً على حِجْنٍ<sup>(١)</sup> لها ، فجلست قريباً منّا ، وقالت : هل من مُنشد ؟ فقلت للكلابي : أيجزك شيء ؟ قال : لا ، فأنشدتها شعرا لبشر بن عبد الرحمن الأنصاوى :

وقصيرة الأيام<sup>(٢)</sup> ودَّ جَلِيسُها      لو باع<sup>(٣)</sup> مجلسُها      بفقدِ حِمِيمٍ  
من مُخَذَّيات<sup>(٤)</sup> أخى الهوى غُصَصَ الجوى      بدَلالِ غانِيةٍ ومُثَقَلِ رِيمٍ  
صفراءُ من بَقَرِ الجِواءِ<sup>(٥)</sup> كَأَمَّا      خَفَرُ الحِياءِ بها رُدَّاعُ سَقِيمٍ<sup>(٦)</sup>  
قال : فجِثْتُ على ركبتيها ، وأقبلتُ تحرَّش<sup>(٧)</sup> الأرضَ بمَحْجَنِها  
وأنشأتُ تقول :

قنى يا أَمِيمَ القلبِ ثَقْراً نَحِيَةً      ونَشْكُ الهوى ثم افعلى ما بدا لكِ  
فلو قلتِ : طأ فى النارِ أَعْلَمُ أَنَّهُ      هَوَى لكِ أو مُدْنٍ لنا من نِوالِكِ  
لقد مَتُّ رَحلى محوها فوطئتها      هُدَى مِنكَ لى أو ضَلَّةٌ من ضَلالِكِ  
سلى البانَةَ العَلِيَاءَ بالأجرع الذى      به البانُ هل حَيَّيتُ أطلالَ دارِكِ ؟

\* أمالى المرتضى ٢ : ١٣٨

(١) المحجن : العصا الموجهة (٢) يريد : أن أيام جليسها تقصر ، إذ أن أيام السرور موصوفة بالقصر (٣) باع : اشترى ، وهو من الأضداد (٤) يقال : أحذيت الرجل ؛ أعطيته (٥) الجواء : موضع (٦) الرداع : الوجع فى الجسد ، وكأنه أراد أنها متقبضة منكسرة من الحياء كما يتغير لون السقيم (٧) تحرَّش الأرض : تحذشها .



وهل قتُ في أطلالين عشيةً      مقام أخى البأساء واخترتُ ذلك ؟  
 لهنك إمسكي بكفى على الحشى      ورقراق عيني خشيةً من زياك<sup>(١)</sup>  
 قال الأصمى : فأظلمت علىّ والله الدنيا بحلاوة منطقتها ، وفصاحة لهجتها ،  
 فدنوتُ منها وقلت : أنشدتك الله لما زدتنى من هذا ! فرأيت الضحك في عينها  
 وأنشدت :

ومستخفياتٍ ليس يُخفين زُرْنَنَا      يسحبن أذيال الصبابة والشكل<sup>(٢)</sup>  
 بجمعن الهوى حتى إذا ما ملكنه      نزغن وقد أكثرن فينا من القتل  
 مريضات رجع الطرف خرس عن الخنا      بختل ذوى الألباب بالجدّ والهزل  
 يمتنّفى العذال فيهن ، والهوى      يحذرني من أن أطيع ذوى العذل

(١) الزيال : المفارقة (٢) الشكل (بالفتح والكسر) : دل المرأة وغزلها .

## ١٢٨ — الأَصْمَى وبعض الأعراب \*

قال بعض الرواة : كنا مع أبي نصر راوية الأَصْمَى ، في رياض من المذاكرة ، نَجَتْنِي ثَمَارَهَا ، وَنَجَتْلِي أَنْوَارَهَا ، إلى أن أفضنا في ذكر أبي سعيد عبد الملك بن قريب الأَصْمَى ، فقال : رحم الله الأَصْمَى ! إنه لمعدنُ حِكْمٍ ، ومجرُ علمٍ ، غير أنه لم ترَ قط مثل أعرابي وقف بنا فسلم ، فقال : أيكم الأَصْمَى ؟ فقال : أنا ذاك ا فقال : أتأذنون بالجلوس ؟ فأذنا له ، وعجبنا من حُسن أدبه ، مع جفاء أدب الأعراب !

قال : يا أَصْمَى ؛ أنت الذي يزعم هؤلاء النفر أنك أتقُبهم معرفة بالشعر والعريسة ، وحكايات الأعراب ! قال الأَصْمَى : منهم مَنْ هو أعلم مني ، ومَنْ هو دوني !

قال : أفلا تنشدني من بعض شعر أهل الحضر حتى أقيسه على شعر أصحابنا !

فأنشده شعراً لرجل امتدح به مسلمة بن عبد الملك :

أَمْسَلَمَ أَنْتَ الْبَحْرَ إِنْ جَاءَ وَارِدٌ	وَلَيْثٌ إِذَا مَا الْحَرْبُ طَارَ عُقَابُهَا <sup>(١)</sup>
وَأَنْتَ كَسِيفَ الْهِنْدَوَانِي <sup>(٢)</sup> إِنْ غَدَتْ	حَوَادِثٌ مِنْ حَرْبٍ يَعْبُ عُقَابُهَا
وَمَا خُلِقْتَ أَكْرُومَةً <sup>(٣)</sup> فِي أَمْرِي لَهُ	وَلَا غَايَةَ إِلَّا إِلَيْكَ مَا بَهَا
كَأَنَّكَ دِيَّانٌ عَلَيْهَا مُوَكَّلٌ	بِهَا ، وَعَلَى كَفِّكَ يَجْرِي حِسَابُهَا
إِلَيْكَ رَحَلْنَا الْعَيْسَ <sup>(٤)</sup> إِذْ لَمْ نَجِدْ لَهَا	أَخَاثِقَةً يُرْجَى لَدَيْهِ ثَوَابُهَا

\* زهر الآداب : ٢ - ١٠٠

(١) طار عقابها : كناية عن اشتداد الحرب (٢) الهندواني : منسوب إلى رجال الهند  
(٣) الأكرومة : فعل الكرم (٤) العيس : الإبل يخالط يياضها شقرة .

فتبسم الأعرابي ، وهز رأسه ؛ فظننا أن ذلك لاستحسانه الشعر ، ثم قال :  
يا أصمى ! هذا شعرٌ مهلهلٌ ، خَلَقَ النّسج ، خطّوه أكثرُ من صوابه ، ينفلى  
عيوبه حسنُ الرّوى ورواية النّشد ! يشبهون الملك إذا امتدح بالأسد ، والأسد  
أنخر شتم<sup>(١)</sup> للنظر ، وربما طرده شير ذمة من إماننا ، وتلاعب به صبياننا ويشبهونه  
بالبحر ، والبحر مضعبٌ على مَنْ رَكبه ، مُرٌّ على مَنْ شربه ! وبالسيف ، وربما خان  
في الحقيقة ، ونبا عن الضريبة ! ألا أنشدني كما قال صبيٌّ من حيننا !

قال الأصمى : وماذا قال صاحبكم ؟ فأنشده :

الموت بـكره أن يلقى مـنيته      في كرهه عند لفّ الخليلِ بالخليلِ  
و راحم الشمسَ أبقي الشمسَ كاسفة      أو زاحم الصمَّ ألبأها إلى المئيلِ  
أمضى من النجم إن نابتة نابتة      وعند أعدائه أجري من السيلِ  
لا يستريح إلى الدنيا وزينتها      ولا تراه إليها صاحب الذيلِ  
يقصر الجدُّ عنه في مكارمه      كما يقصر عن أماله قولي !

قال أبو نصر : فأبهتتنا والله ما سمعنا من قوله .

ثم قال الأعرابي : ألا تنشدني شعراً ترتاح إليه النفس ، ويسكن إليه القلب ؟  
فأنشده لابن الرّفاع العاملي :

وناعمة تجلو بعود أراك      مؤشّرة<sup>(٢)</sup> يسبي المغانق طيها  
أراك إلى نجدٍ تحين وإمّا      متى كلّ نفسٍ حيثُ كان حبيبها

فتبسم الأعرابي ، وقال : يا أصمى ؛ ما هذا بدون الأول ، ولا فوقه ؛

(١) شتم : كربة (٢) تأشير الأستان : تحزيرها .

ألا أنشدني كما قلت ؟ قال الأصمى : وما قلت جُمِلْتُ فذاك ! فأنشده :  
تعلّقها بِكَرٍّ وعُلّقَتْ جِهاً      فقلبي عن كل الوري فارغٌ بكَرٍّ  
إذا احتجبت لم يكفك البدر ضوءها      وتسكفك ضوء البدر إن حُجِبَ البدر  
وما الصبر عنها - إن صبرت - جدته      جميلاً ، وهل في مثلها يَحْسُنُ الصبرُ !  
ولو أن جلد الذر<sup>(١)</sup> لأمسَ جلدها      لكان لِمَسِّ الذر في جلدها أثرُ  
فقال لنا الأصمى : اكتبوا ما سمعتم ، ولو بأطراف المدى في رقاق الأكباد .  
وأقام عندنا شهراً ؛ فجمع له الأصمى خمسمائة دينار ! وكان يتعاهدنا في الحين  
بعد الحين ، حتى مات الأصمى وتفرق أصحابنا !

---

(١) القدر : صغار النمل .

١٢٩ - شعره مُرتَّبَل\*

جلس جعفر<sup>(١)</sup> بن يحيى بالصَّاحِيَّة<sup>(٢)</sup> ، يشرب على مُسْتَشْرِفٍ له فجاءه  
أعرابي من بني هلال ، فاشتكى واستباح<sup>(٣)</sup> بكلام فصيح ، ولفظٍ مثله يعطف  
المستول .

فقال له جعفر: أتقول الشعر ياهلالي؟ فقال : كنت أقوله وأناحدثُ أُمَّلَحُ به ،  
ثم تركته لما صرتُ شيخاً ، قال : فأنشدنا لشاعرٍ كُم حميد بن ثور ، فأنشده قوله :  
لِنَ الدِّيارِ بِجَانِبِ الْخُمْسِ كَحَطَّ ذِي الْحَاجَاتِ وَالنَّفْسِ  
حتى أتى على آخرها - وكان أشجعُ السُّلَمَى حاضراً المجلس - فاندفع يُنشد  
مديحاً في جعفر ، قاله لوقته على الوزن والقافية :

ذهبتْ مكارمُ جعفرٍ وفعَّالُهُ في الناسِ مثلَ مذاهبِ الشمسِ  
ملكٌ تسوسُ له للعالي نفسه والعقلُ خيرُ سياسةِ النَّفسِ  
فإذا تراءتِ الملوكُ تَرَاجَعُوا جهرُ الكلامِ بمنطقِ هَمْسِ  
سَادَ البرامِكُ جعفرَهمُ والآلِ بعدَ الخلائفِ سَادَةُ الْإِنْسِ

فقال له جعفر : صِفْ موضعنا ، فقال :

\* الأغانى ١٧ - ٣٢ ( طبعة الساسى )

(١) جعفر بن يحيى : كان عالٍ القدر بعيدَ الهمة عظيمَ الكرم ، ذا منزلةٍ قريبةٍ عندِ الرشيد ،  
كما كان سمحَ الأخلاق ، طلقَ الوجه ، ظاهرَ البشر ، فصيحاً لسناً ، قتله الرشيد سنة ١٨٧ هـ  
(٢) الصَّاحِيَّة : محلةٌ ببغداد (٣) استباح : طلبُ العطاء .

قُصُور الصالحية كالمدارِى لبسنَ ثيابهنَّ ليومِ عُرْسِ  
مُطَلَّاتٌ عَلَى بَطْنِ كِسْتِهِ أَيْادِى الْمَاءِ وَشِيَا نَسِجِ غَرْمِ  
إِذَا مَا الطَّلَ أُنْثَرُ فِي ثَرَاهُ تَنْفَسَ نَوْرُهُ مِنْ غَيْرِ نَفْسِ  
فَتُفْبِقُهُ<sup>(١)</sup> السَّمَاءُ بِصَبْغِ وَرْسِ وَتَصْبَحُهُ بِأَكْوَسِ عَيْنِ شَمْسِ

فَقَالَ جَعْفَرٌ لِلْأَعْرَابِيِّ : كَيْفَ تَرَى صَاحِبَنَا يَا هَلَالِي ؟ فَقَالَ : أَرَى خَاطِرَهُ طَوَّعَ  
لِسَانَهُ ، وَبَيَّنَّ النَّاسَ تَحْتَ بَيَانِهِ ، وَقَدْ جَعَلْتُ لَهُ مَا تَصِلُنِي بِهِ ؛ فَقَالَ : بَلْ نَصَلُكَ  
يَا أَعْرَابِي وَنَرْضِيهِ ، وَأَمْرٌ لِلْأَعْرَابِيِّ بِمِائَةِ دِينَارٍ ؛ وَلَأَشْجَعُ بِمِائَتَيْنِ .

(١) الفُبُوقُ : شراب العشي ، والصُّبُوحُ : شراب الصباح .

١٣٠ — هَوَّنتَ عَلَى الْعَزْلِ\*

وَلَى الرَّشِيدِ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى خُرَّاسَانَ<sup>(١)</sup> ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ النَّاسُ يُهْنِثُونَهُ ،  
ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ الشُّعْرَاءُ ، فَقَامَ أَشْجَعُ السُّلَى آخِرَهُمْ ، وَاسْتَأْذَنَ فِي الْإِنْشَادِ ، فَأُذِنَ  
لَهُ فَأَنشَدَ :

أَنْصَبِرُ لِلْبَيْنِ أَمْ تَجَزَعُ      فَإِنَّ الدِّيَارَ غَدًا بَلَقَعُ  
غَدًا يَتَفَرَّقُ أَهْلُ الْهَوَى      وَيَكْثُرُ بَالِكُ وَمُسْتَرْجِعُ  
وَتَفْنَى الطُّلُولُ وَيَبْقَى الْهَوَى      وَيَصْنَعُ ذُو الشُّوقِ مَا يَصْنَعُ

حتى انتهى إلى قوله :

وَدَوْبَةٌ<sup>(٢)</sup> بَيْنَ أَفْطَارِهَا      مَقَاطِيعُ أَرْضِينَ لَا تُقَطِّعُ  
تَجَاوَزَتْهَا فَوْقَ رِبْعَانَةٍ<sup>(٣)</sup>      مِنَ الرِّيحِ فِي سِيرِهَا أَسْرَعُ  
إِلَى جَعْفَرٍ نَزَعَتْ رَغْبَةً      وَأَيُّ فِتْنَى نَحْوَهُ تَنْزَعُ !  
فَمَا دُونَهُ لَأَمْرِي مُطْمَعٌ      وَلَا لَأَمْرِي غَيْرُهُ مُقْنَعُ  
وَلَا يَرْفَعُ النَّاسُ مِنْ حَطِّهِ      وَلَا يَضَعُونَ الَّذِي يَرْفَعُ  
يُرِيدُ الْمُلُوكُ مَدَى جَعْفَرٍ      وَلَا يَصْنَعُونَ كَمَا يَصْنَعُ  
تَلَوْدُ الْمُلُوكِ بِأَبْوَابِهِ      إِذَا نَالَهَا الْخَدَثُ الْأَفْطَعُ  
بِدَيْهَتِهِ مِثْلُ تَدْيِيرِهِ      مَتَى رُمَّتْهُ فَهُوَ مُسْتَجْمَعُ

\* الأغانى : ١٧ - ٧ ( طبعة الساسى ) .

(٢) الدوبة : الفلاة

(١) خراسان : بلاد واسعة كانت حدودها أول ما يلى العراق

(٣) الربعانة : الناقة الكثيرة اللبن .

وكم قاتل إذ رأى ثروتي ، وما في فضول الغنى أضغ  
غدا في ظلال ندى جعفرٍ يحرق ثياب الغنى أشجع  
قل لخراسان : تحيا فقد أناها ابن يحيى النقي الأزوع<sup>(١)</sup>

فأقبل عليه جعفر ضاحكاً ، واستحسن شعره ، وجعل يخاطبه مخاطبة الأخ  
أخاه ، ثم أمر له بألف دينار .

قال الراوى : ثم بدا للرّشيد في ذلك التدبير ، فعزل جعفرأ عن خراسان بعد  
أن أعطاه العهد والكتاب . وعقد له العقد ، وأمر ونهى ، فوجم لذلك جعفر ،  
فدخل عليه أشجع وقال :

أمنت خراسان تُعزى بما أخطأها من جعفر المرتجى  
كان الرشيد المعتلى أمره ولى عليه المشرق الأبلجا  
ثم أراه رأيه أنه أمتى إليه منهم أحوجا  
فكم به الرحمن من كربة في مدة تقصر قد فرجا

فضحك جعفر وقال : لقد هونت على العزل ، وقت لأمير المؤمنين بالعدر ؛  
فسلنى ماشئت ، فقال : قد كفانى جودك ذلة السؤال ، فأمر له بألف  
دينار أخرى .

(١) الأزوع : من يجبك بحسنه وجهارة منظره أو بشجاعته .



### ١٣١ — أرى الأيام لا تُدْفِنِي الذي أرتجى \*

قال محمد بن أمية<sup>(١)</sup> : كنت جالساً بين يدي إبراهيم بن المهدي ، فدخل إليه أبو العتاهية ، وقد تَنَسَّكَ وَلَبِسَ الصوف ، وترك قولَ الشعر إلا في الزهد . فرفعه إبراهيم ، وسرَّ به ، وأقبل عليه بوجهه .

قَالَ لَهُ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ؛ بَلَفَنِي خَبْرُ فَقِيٍّ فِي نَاحِيَتِكَ وَمِنْ مَوَالِكَكَ يُعْرِفُ بَابَنَ أُمِيَّةَ ، يَقُولُ الشَّعْرَ ، وَأَنْشَدْتُ لَهُ شِعْراً فَأَعْجِبْنِي ، فَمَا فَعَلَ ! فَضَحَكَ إِبْرَاهِيمُ ، ثُمَّ قَالَ : لَعَلَّهُ أَقْرَبُ الْحَاضِرِينَ مَجْلِساً مِنْكَ .

فَالْتَفَتَ إِلَى فَقَالَ : أَنْتَ هُوَ فَدَيْتُكَ ؟ فَقُلْتَ لَهُ : أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أُمِيَّةَ جُمِلْتُ فِدَاكَ ! وَأَمَّا الشَّعْرُ فَإِنَّمَا أَنَا شَابٌ أَعْبَثُ بِالْبَيْتِ وَالْبَيْتَيْنِ وَالثَّلَاثَةِ كَمَا يَبْعَثُ الشَّابُّ . قَالَ لِي : فَدَيْتُكَ ؛ ذَاكَ وَاللَّهِ زَمَانُ الشَّعْرِ وَإِبَانُهُ ، وَمَا قِيلَ فِيهِ فَهُوَ غُرْرُهُ وَعِيُونُهُ ، وَمَا زَالَ يُنْشَطِنِي وَيُؤْنِسُنِي حَتَّى رَأَيْتُ أَنِّي قَدْ أَنْسَيْتُ بِهِ .

ثُمَّ قَالَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهَدِيِّ : إِنْ رَأَى الْأَمِيرُ - أَكْرَمَهُ اللَّهُ - أَنِّي يَأْسِرُهُ يَنْشَادِي مَا حَضَرَ مِنَ الشَّعْرِ ! فَقَالَ لِي إِبْرَاهِيمُ : بِحَيَاتِي يَا مُحَمَّدُ أَنْشُدْهُ ، فَأَنْشَدْتُهُ :

رُبَّ وَغْدٍ مِنْكَ لَا أَنْسَاهُ لِي      أَوْجِبَ الشُّكْرَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلِ

---

\* الْأَغَانِي : ١١ - ٣٠ ( طبعة الساسي )  
(١) محمد بن أمية كاتب شاعر ظريف ، كان نديماً لإبراهيم بن المهدي .

أَقْطَعُ الدَّهْرَ بظَنِّ حَسَنٍ وَأُجَلِّي غَمْرَةَ مَا تَنْجَلِي  
كَلِمَاتُ أَمَلْتُ يَوْمًا صَالِحًا عَرَضَ الْمَكْرُوهُ لِي فِي أَمَلِي  
وَأَرَى الْأَيَّامَ لَا تُدْنِي الَّذِي أُرْتَجِي مِنْكَ وَتُدْنِي أَجَلِي  
فَبَكَى أَبُو الْعَتَاهِيَةِ حَتَّى جَرَتْ دُمُوعُهُ عَلَى لَحْيَتِهِ ، وَجَمَلَ يَرُدُّدُ الْبَيْتِ  
الْأَخِيرَ مِنْهَا وَيَنْتَعِبُ ، وَقَامَ فُجِرَجَ وَهُوَ يَرُدُّدُهُ وَيَبْكِي ، حَتَّى خَرَجَ إِلَى  
الْبَابِ !

١٣٢ — حديث عن دُعبل \*

قال عمرو بن مَسْعَدَة : حضرتُ أبا دُلف عند المأمون - وقد قال له : أى شيء تروى لأخى خُزاعة ؟ فقال : وأى خُزاعة يا أمير المؤمنين ؟ قال : ومن تعرف فيهم شاعراً ؟ فقال : أمّا من أنفسهم ؛ فأبو الشَّيص ودُعبل <sup>(١)</sup> وابن أبي الشَّيص ، وداود ابن أبي رَزِين ؛ وأمّا من مواليتهم فظاهر وابنه عبد الله .

فقال : ومن عسى في هؤلاء أن يُسأل عن شعرة سوى دُعبل ! هات ؛ أى شيء عندك فيه ؟ فقال : وأى شيء أقول في رجل لم يترك أهل بيته حتى هُجّام ، فقرّن إحسانهم بالإساءة ، وبذلهم بالمنع ، وجودهم بالبخل ، حتى جعل كل حسنة منهم يازاء سيئة ! قال : حين يقول ماذا ؟ قال : حين يقول في المطلب بن عبد الله ابن مالك - وهو أصدقُ الناس له ، وأقربهم منه : وقد وفد إليه في مصر ، فأعطاه الجزيل ، وولّاه ؛ ولم يمنعه ذلك أن قال فيه :

أضرب ندى طلحة <sup>(٢)</sup> الطلحات مُتَبَدِّداً بلوهم مُطْلِبٍ فيتنا وكن حَكماً

\* الأغاني : ١٨ - ٤٤ ( طبعة الساسي )

(١) هو دُعبل بن علي بن رزِين ، من خُزاعة . شاعر مطبوع هجاء خبيث اللسان لم يسلم منه أحد من الخلفاء ولا وزرائهم ولا أولادهم ، ولا ذى قِباة ؛ أحسن إليه أو لم يحسن ، وتوفى سنة ٢٤٦ هـ . (٢) طلحة الطلحات : قيل اسمه طلحة بن عبد الله ، وإنه إنما سُمي طلحة الطلحات بسبب أمه ، وهي صفية بنت الحارث بن طلحة بن أبي طلحة ، وإن أخاها طلحة بن الحارث ، فقد تكلفه هؤلاء الطلحات كما ترى ، وقد مدحه سحبان بن وائل الباهلي ، فقال :

ياطلح أكرم من مثنى حسباً وأعظام لئالذ  
منك العطاء فأعطني وعلى مدحك في المشاهد

فقال له طلحة : احتكم ، فقال : برذونك الورد ، وغلامك الحجاز ، وقصرك الذي بمكان كذا ، وعشرة آلاف درهم . فقال طلحة : أف لك ! سألتني على قصرك ولم تسألني على قصري ! لو سألتني كل عبد وكل دابة وكل قصر لي لأعطيتك !

تُخْرِجُ خُرَاعَةً مِنْ لُؤْمٍ وَمِنْ كَرَمٍ      فَلَا تَحِيسَ لَهَا لُؤْمًا وَلَا كَرَمًا  
 قَالَ الْمَأْمُونُ : قَاتِلْهُ اللَّهُ ! مَا أَغْوَصَهُ وَالْطُفْهَ وَأَذْهَاهُ ! وَجَعَلَ يَضْحَكُ .  
 ثُمَّ دَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ ، قَالَ لَهُ : أَيْ شَيْءٍ تَحْفَظُ يَا عَبْدَ اللَّهِ لِذِعْبِلِ ؟  
 قَالَ : أَحْفَظُ آيَاتًا لَهُ فِي أَهْلِ بَيْتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ : هَاتِهَا ، وَيْحَكَ ! فَأَنْشَدَهُ  
 عَبْدُ اللَّهِ قَوْلَهُ :

سَقِيًّا وَرَعِيًّا لِأَيَّامِ الصَّبَابَاتِ      أَيَّامَ أَرْزُلُ فِي أَثْوَابِ لَذَائِي  
 أَيَّامَ غُصْنِي رَطِيبٌ مِنْ لَيَّانَتِهِ      أَصْبُو إِلَى غَيْرِ جَارَاتٍ وَكُنَّائِي <sup>(١)</sup>  
 دَعَّ عَنْكَ ذِكْرَ زَمَانٍ فَاتَ مَطْلَبُهُ      وَاقْذِفْ بِرَحْلِكَ عَنْ مَتْنِ الْجَهْلَالَاتِ  
 وَاقْصِدْ بِكُلِّ مَدِيحٍ أَنْتَ قَائِلُهُ      نَحْوِ الْمُدَاةِ بَنَى بَيْتَ الْكِرَامَاتِ  
 قَالَ الْمَأْمُونُ : إِنَّهُ قَدْ وَجَدَ وَاللَّهِ مَقَالًا فَقَالَ ، وَنَالَ بِبَعِيدِ ذِكْرِهِ مَا لَا يَنَالُهُ  
 فِي وَصْفِ غَيْرِهِ .

ثُمَّ قَالَ : لَقَدْ أَحْسَنَ فِي وَصْفِ سَفَرٍ سَافَرَهُ ، فَطَالَ ذَلِكَ السَّفَرُ عَالِيَهُ ، فَقَالَ فِيهِ :  
 أَلَمْ يَأْنِ <sup>(٢)</sup> لِلسَّفَرِ الَّذِينَ تَحْمَلُوا      إِلَى وَطَنِ قَبْلَ الْمَمَاتِ رَجُوعُ ؟  
 فَقُلْتُ - وَلَمْ أَمْلِكْ سِوَابِقَ عُبْرَةٍ :      نَطَقْنَ بِمَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ ضُلُوعُ <sup>(٣)</sup>  
 تَبَيَّنَ ! فَمَا دَارَ تَفَرَّقَ شَمْلُهَا      وَشَمْلُ <sup>(٤)</sup> شَتِيَّتِ عَادَ وَهُوَ جَمِيعُ  
 كَذَلِكَ اللَّيَالِي صَرَفُوهِنَّ <sup>(٥)</sup> كَمَا تَرَى      لِكُلِّ إِنَاسٍ جَذْبَةٌ وَرَبِيعُ <sup>(٦)</sup>

ثُمَّ قَالَ : مَا سَافَرْتُ قَطُّ إِلَّا كَانَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ نَصَبَ عَيْنِي فِي سَفَرِي وَهَجِيرَايَ  
 وَمَسْلَيْتِي حَتَّى أَعُودَ !

(١) الكنة : امرأة الابن أو الأخ (٢) يَأْنِ : يقرب ويحضر . والسفر : المسافرون  
 (٣) العبرة : الدفعة ، وما ضُمَّتْ عَلَيْهِ الضُّلُوعُ : الحزن والشوق إلى الوطن والأهل (٤) الضل :  
 اجتمع من أمر أو ما تفرق منه ، والشَّتِيَّتِ : للتفرق ، والجمع : المجتمع (٥) صرف الليالي :  
 أحدثها . (٦) جذبة وربيع : حالنا خير وشر .

١٣٣ — دُعْبِلُ عِنْدَ وَالِيِ مِصْرَ \*

قال دُعْبِلُ بْنُ عَلِيٍّ : حَجَجْتُ أَنَا وَأَخِي رَزِينُ ، وَأَخَذْنَا كِتَابًا إِلَى الْمَطْلَبِ  
ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكٍ ، وَهُوَ بِمِصْرَ يَتَوَلَّاهَا .

فَصِرْنَا مِنْ مَكَّةَ إِلَى مِصْرَ ، فَصَحَبْنَا رَجُلًا يَعْرِفُ بِأَحَدِ بْنِ السَّرَّاحِ ، فَمَا زَالَ  
يُحَدِّثُنَا وَيُؤَنِّسُنَا طَوْلَ طَرِيقِنَا ، وَيَتَوَلَّى خِدْمَتَنَا ، كَمَا يَتَوَلَّاهَا الرِّفْقَاءُ وَالْأَتْبَاعُ ،  
وَرَأَيْنَاهُ حَسَنَ الْأَدَبِ — وَكَانَ شَاعِرًا وَلَمْ نَعْلَمْ — وَكَتَمْنَا نَفْسَهُ ، وَفَدَّ عِلْمَ مَا قَصَدْنَا لَهُ ؛  
فَعَرَضْنَا عَلَيْهِ أَنْ يَقُولَ فِي الْمَطْلَبِ قَصِيدَةً نَنَحِّلُهَا لِإِيَّاهَا ، فَقَالَ : إِنْ شِئْتُمْ ، وَأَرَانَا  
بِذَلِكَ سُرُورًا وَتَقَبُّلًا لَهُ ، فَعَمَلْنَا قَصِيدَةً ، وَقَلْنَا لَهُ تُنَشِّدُهَا الْمَطْلَبُ ، وَإِنَّكَ تَنْتَفِعُ بِهَا ،  
قَالَ : نَعَمْ .

وَوَرَدْنَا مِصْرَ بِهِ ، فَدَخَلْنَا إِلَى الْمَطْلَبِ ، وَأَوْصَلْنَا إِلَيْهِ كِتَابًا كَانَتْ مَعْنَاهُ ،  
وَأَنشَدْنَاهُ ، فَفُسِّرَ بِمَوْضِعٍ وَأَوْصَفْنَا لَهُ أَحْمَدُ بْنُ السَّرَّاحِ هَذَا ، وَذَكَرْنَا لَهُ أَمْرَهُ ،  
فَأَذِنَ لَهُ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ ، وَنَحْنُ نَنْظُرُ أَنَّهُ سَيُنَشِّدُهُ الْقَصِيدَةَ الَّتِي نَحْمَلْنَاهُ لِإِيَّاهَا ، فَلَمَّا مَثَلَ  
بَيْنَ يَدَيْهِ عَدَلَ عَنْهَا وَأَنشَدَهُ :

لَمْ آتْ مُطْلِبًا إِلَّا بِمَطْلَبٍ	وَهَمَّةٌ بَلَفَتْ بِي غَايَةَ الرَّتَبِ
أَفْرَدْتُهُ بِرَجَاءٍ أَنْ تَشَارَكَ	فِيِّ الْوَسَائِلِ أَوْ أَلْقَاهُ فِي الْكُتُبِ <sup>(١)</sup>
رَحَلْتُ عَيْسَى إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ عَلَى	مَا كَانَ مِنْ وَصَبٍ فِيهَا وَمِنْ نَصَبٍ

\* الْأَغَانِي : ١٨ — ٤٧ ( طَبْعَةُ السَّاسِي ) .  
(١) قَالَ دُعْبِلُ : أَشَارَ بِهَذَا إِلَى الْكُتُبِ الَّتِي أَوْصَلْتُهَا إِلَيْهِ وَهِيَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَكَانَ ذَلِكَ أَشَدَّ  
عَلَى مَنْ كُلِّ شَيْءٍ مَرَّ بِهِ .

ألقى بها وبوجهي كل هاجرة<sup>(١)</sup> تكاد تَقْدَحُ بين الجلد والعصب  
حتى إذا ما قضت نسكي ثنيت لها عطف<sup>(٢)</sup> الزمام فأمت سيد العرب  
فأتممتك<sup>(٣)</sup> وقد ذابت مفاصلها من طول مانع لاقت ومن نقب<sup>(٤)</sup>

فصاح مُطلب : لبيك لبيك ! ثم قام إليه ، فأخذه بيده وأجلسه معه ، وقال :  
يا غلام ؛ البدر<sup>(٥)</sup> فأحضرت ، ثم قال : الخلع ، فنشرت ، ثم قال : الدواب ،  
فقيدت ، فأمر له من ذلك بما ملأ عينه وأعيننا وصدورنا ، وحسدناه عليه ؛ وكان  
حسدنا له بما اتفق له من القبول وجودة الشعر ، وغيطنا بكتمه إيانا نفسه واحتياله  
علينا أكثر وأعظم ، فخرج بما أمر له ، وخرجنا صفرأ .

قال الراوى : ومكث دعبل أياماً ، ثم ولّاه المطلب أسوان ، ولكن دعبلا  
كان قد هجاه غيطاً منه فقال :

أَمَطَّلْتُ أَنْتَ مُسْتَعِزُّ حَيًّا<sup>(٦)</sup> الْأَفَاعَى وَمُسْتَقْبَلُ  
سَنَاتِكَ إِمَّا وَرَدَّتْ الْعِرَاقَ صَحَائِفُ يَأْتِرُهَا دِعْبِلُ  
مُنْمَقَةٌ بَيْنَ أَثْنَانِهَا خَازٍ مُخَطَّ فَلَ تَرَحَّلُ  
وَضَعْتَ رَجَالًا فَاضْرَهُمْ وَشَرَفْتَ قَوْمًا فَلَمْ يَنْبُلُوا<sup>(٧)</sup>  
إِذَا الْحَرْبُ كُنْتَ أَمِيرًا لَهَا فُظْهِمُ مِنْكَ أَنْ يُقْتَلُوا  
شِعَارُكَ فِي الْحَرْبِ يَوْمَ الْوَعَى إِذَا انْهَزَمُوا : عَجَلُوا عَجَلُوا !

(١) الهاجرة : إنما تكون في القبط نصف النهار  
أمه وأمه بمعنى قصده (٤) قب البعير ؛ إذا حنى  
عشرة آلاف (٦) الحما من كل شيء : شدته  
وعاديت قوماً فاضرمهم  
(٢) عطف الشيء : جانبه (٣) يقال :  
(٥) البدر : جمع بدره (فتح الباء) وهي  
(٧) روى هذا البيت :  
وقدمت قوماً فلم ينبلوا

هَذَا مِمَّا كَتَبَ الْغُرُّ مشهورة يَقْرَئُ<sup>(١)</sup> فِيهِمْ مَنْ يَنْضِلُ  
فَأَنْتَ إِذَا مَا اتَّقُوا آخِرُ وَأَنْتَ إِذَا انْهَزَمُوا أَوَّلُ<sup>(٢)</sup>

وبلغ المطلبَ هجاؤه إياه بعد أن ولّاه ؛ فعزله عن أسوان ، وأنفذ إليه كتاب  
العزل مع مولى له ، وقال : انتظره حتى يصعد المنبر يوم الجمعة ، فإذا علاه فأوصل  
الكتابَ إليه ، وامتنعه من الخطبة وأنزله عن المنبر ، واصعد مكانه ؛ فلما أن علا  
المنبر وتفتح ليخطب ناو له الكتاب ، فقال له دِعِيل : دعني أخطب فإذا نزلتُ  
قرأته ، قال : لا ، قد أمرني أن أمتنع الخطبة حتى تقرأه . فقرأه ، وأنزله عن المنبر  
معزولا .

(١) قرطس : أصاب القرطاس ، أي الغرض (٢) قال دعبيل : قال لي المطلب : ما تفكرت في  
قولك قط :

إِنْ كَانُوا جُنَا بِأَسْرَتِهِ      أَوْ وَاحِدُونَا جُنَا بِمَطْلَبِ  
إِلَّا كُنْتُ أَحَبَّ إِلَيَّ ، وَلَا تَفَكَّرْتُ وَاقِفًا فِي قَوْلِكَ لِي :  
وَعَادَيْتُ قَوْمًا فَاسْخَرْتُمُ      وَقَدِمْتُ قَوْمًا فَلَمْ يَنْبُلُوا  
إِلَّا كُنْتُ أَبْغَضَ النَّاسِ لِي .

١٣٤ — دُعْبِلْ وَعَلَى الرضا\*

قال دُعْبِلْ بن علي : دخلتُ على علي بن موسى الرضا - عليه السلام فقال لي :  
أُنشِدْنِي شَيْئًا مِمَّا أَحْدَثْتَ ، فَأُنْشِدْتَهُ <sup>(١)</sup> :

مدارسُ آيَاتٍ خَلَّتْ مِنْ تِلَاوَةٍ      ومنزلٌ وَخِي مُقْفِرُ العَرَصَاتِ <sup>(٢)</sup>  
لآلِ رسولِ الله بِالْخَيْفِ مِنْ مَنَى      وبالرُّكْنِ والتَّقْرِيفِ ، والجَمَرَاتِ  
ديارُ عليٍّ والحسينِ وجعفرِ      وحمة والسَّجَادِ ذِي الثَّنَاتِ <sup>(٣)</sup>

حتى انتهيتُ إلى قولي :

بنفسِي أَنتمُ مِنْ كَهولٍ وَفِيَةٍ      لَفَكٌ عُنَاةٍ <sup>(٤)</sup> أَوْ لَحْمٍ دِيَاتِ  
أَحَبَّ قِصَى الرَّحْمِ مِنْ أَجْلِ حُبِّكُمْ      وَأَهْجَرُ فَيْكُمْ أُسْرَتِي وَبَنَاتِي  
وَأَكْتُمُ حُبِّيَكُمْ مَخَافَةَ كَاشِحٍ      عِنْدِي لِأَهْلِ الْحَقِّ غَيْرِ مُؤَاتِ  
لَقَدْ حَفَّتِ الْآيَامُ حَوْلِي بِشَرِّهَا      وَإِنِّي لِأَرْجُو الْأَمْنَ بَعْدَ وَقَاتِي  
أَلَمْ تَرَ أَنِّي مِنْ ثَلَاثِينَ حِجَّةً      أَرْوَحُ وَأَغْدُو دَائِمَ الْحَسَرَاتِ  
أَرَى فِيهِمْ فِي غَيْرِمُ مَقْتَمًا      وَأَيْدِيَهُمْ مِنْ قِيَّتِهِمْ صَفَرَاتِ

\* الأغاني : ١٨ - ٤٢ ( طبعة الساسي ) ، معجم الأدباء ١١ ، ١٠٨

(١) تمد هذه القصيدة من أحسن الشعر وفاخر المدائح (٢) المرات : جمع عرصة : وسط الدار ، والمعنى أنه لا أنيس بها (٣) يمدد أسماء آل البيت ، وذو الثنات علي بن الحسين بن علي ، وسمى بذلك ، لأن طول السجود أثر في ثناته ، والفتنة من الإنسان : الركبة (٤) العناة : جمع عان ، وهو الأسير .



قَالَ رَسُولُ اللَّهِ نَحَفُ جَسُومَهُمْ وَآلُ زِيَادٍ حُقِلُ الْقَصَرَاتِ<sup>(١)</sup>  
إِذَا وَرَوَا<sup>(٢)</sup> مَدُّوا إِلَى أَهْلِ وَثَرِهِمْ أَكْفًا عَنِ الْأَوْتَارِ مِنْقِبُضَاتٍ  
فَبَكَى حَتَّى أَغْمَى عَلَيْهِ ، وَأَوْمَأَ إِلَى خَادِمٍ كَانَ عَلَى رَأْسِهِ : أَنْ اسْكُتْ ، فَسَكَتَ  
سَاعَةً . ثُمَّ قَالَ لِي : أَعِذْ ، فَأَعِدْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى آخِرِهَا ، فَقَالَ لِي : أَحْسَنْتَ ،  
ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، ثُمَّ أَمَرَ لِي بِمِشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ مِمَّا ضُرِبَ بِاسْمِهِ ، وَلَمْ تَكُنْ وَقَعْتُ  
لِأَحَدٍ بَعْدَ ، وَأَمَرَ لِي مَنْ فِي مَنْزِلِهِ بِحُلِيِّ كَثِيرٍ أَخْرَجَهُ الْخَادِمُ إِلَى .  
فَقَدِمْتُ الْعِرَاقَ ، فَبِعْتُ كُلَّ دِرْهَمٍ مِنْهَا بِمِشْرَةِ دِرْهَمٍ ، اشْتَرَاهَا مَنَى الشَّيْعَةِ ،  
فَحَصَلَ لِي مِائَةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَكَانَ أَوَّلَ مَالٍ اعْتَقَدْتُهُ<sup>(٣)</sup> .  
قَالَ حُذَيْفَةُ بْنُ غَمْدٍ : ثُمَّ اسْتَوْهَبَ دِغْبِلَ مِنَ الرِّضَا ثَوْبًا قَدْ لَبَسَهُ لِيَجْعَلَهُ فِي  
أَكْفَانِهِ ، فَخَلَعَ جُبَّةً كَانَتْ عَلَيْهِ ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا ، وَبَلَغَ أَهْلَ قَوْمِ خَبَرُهَا ، فَسَأَلُوهُ  
أَنْ يَبِيعَهُمْ إِيَّاهَا بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ سَمِ يَعْلُ ، فَخَرَجُوا عَلَيْهِ فِي طَرِيقِهِ ، فَأَخَذُوهَا  
مِنْهُ غَضَبًا ، وَقَالُوا لَهُ إِنْ شِئْتَ أَنْ تَأْخُذَ الْمَالَ فَافْعَلْ ، وَإِلَّا فَأَنْتَ أَعْلَمُ ، فَقَالَ لَهُمْ :  
إِنِّي وَاللَّهِ لَا أُعْطِيكُمْ إِيَّاهَا طَوْعًا ، وَلَا تَنْفَعُكُمْ غَضَبًا ، وَأَشْكُوكُمْ إِلَى الرِّضَا ؛ فَصَالَحُوهُ  
عَلَى أَنْ أُعْطَوْهُ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَفَرَّدَ كَمًّا مِنْ بَطَاتِنِهَا ، فَرَضَى بِذَلِكَ !

(١) القصرات : جمع قصرة (بالتحريك) وهي أصل الضيق ، وحفل : ممتلئة ، والمعنى أن أعناقهم  
مملوءة غفظة من طول النعيم (٢) الوتر : الثأر ، أو الظلم فيه ، والمقصود : أنهم إذا اعتدى  
عليهم لا يستطيعون رد الاعتداء (٣) اعتقدته : اقتنيت .

١٣٥ — سَجَدُوا لِشِعْرِهِ !\*

حدث دِغْبِلُ الشاعر : أنه اجتمع هو ومُؤْسِلِم وأبو الشَّيْص<sup>(١)</sup> وأبو نُوَاس في مجلس ، فقال لهم أبو نُوَاس : إن مجلسنا هذا قد شهر باجتماعنا فيه ، ولهذا اليوم مابعده ، فليأت كل واحد منكم بأحسن ما قال فليُنشده ، فأنشد أبو الشَّيْص :  
وَقَفَ المَوَى بِي حَيْثُ أَنْتِ فليس لي متأخراً عنه ولا متقدماً  
أجد المَلَامَةَ في هَوَاكِ لذيذة حباً لذكرك فليُلمني اللُّوم  
وأهنتني فأهنت نفسي صاغراً ما من يهون عليك من يُكرِّم !  
أشبهت أعدائي فصرتُ أحبهم إذا كان حظي منك حظي منهم  
فجمل أبو نُوَاس بموجب من حسن الشعر حتى ما كاد ينقضي عجبهُ ، ثم أنشد مسلم أبياتاً من شعره الذي يقول فيه :

فأقسمتُ أنسى الداعيات إلى الصبا وقد فاجأتها العينُ والستر واقع  
فغطتُ بأيديها ثمارَ نحوورها كأيدى الأسارى أقتلتها الجوامع<sup>(٢)</sup>  
قال دِغْبِلُ : فقال لي أبو نُوَاس : هات أبا علي ، وكأني بك قد جئتنا بأم  
القلادة فأنشدته :

أين الشبابُ ؟ وأية<sup>(٣)</sup> سلكا ؟ أم أين يطلب ؟ ضلَّ بلْ هلكا

\* المقد الفريد : ٤ - ٢ ، مهذب الأغاني : ٧ - ٢٢٤ ، ديوان مسلم : ٢٠٩ ( طبعة أوروبا ) .  
(١) هو محمد بن رزيق عم دعبيل ، كان من شعراء عصره ، متوسط الحال فيهم غير نبيه الذكر  
لوقوعه بين شعراء كانوا أكثر منه شهرة . توفي سنة ١٩٦ هـ (٢) جمع جامعة : وهي الغل ؛  
لأنها تجمع الديدن إلى الفنى (٣) أى أية سبيل .

لا تَعَجِبِي يَا سَلَمُ مِنْ رَجُلٍ ضَحِكَ الشَّيْبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى  
يَا لَيْتَ شَعْرِي كَيْفَ صَبَرْتُكَ يَا صَاحِبِي إِذَا دَمِي سَفِكَ  
لا تَطْلُبَا بَطْلَامَتِي <sup>(١)</sup> أَحَدًا قَلْبِي وَطَرَفِي فِي دَمِي اشْرَكَ  
نَمْ سَأَلْنَا أَبَا نَوَاسٍ أَنْ يُنْشِدَ ، فَأَنْشَدَ :

لا تَبْكِ هَذَا وَلَا تَطْرُبِ إِلَى دَعْدٍ وَاشْرَبِ عَلَى الْوَرْدِ <sup>(٢)</sup> مِنْ حَمْرَاءِ كَالْوَرْدِ  
كَأَسَا إِذَا انْحَدَرْتُ فِي كَفِّ شَارِبِهَا أَخَذْتُ بِحِمْرَتِهَا فِي الْعَيْنِ وَالْخَدِّ  
فَالْخُرُ يَا قُوْتَةُ ، وَالْكَأْسُ لَوْلُوَّةٌ فِي كَفِّ جَارِيَةٍ مَمْشُوقَةِ الْقَدِّ  
تَسْقِيكَ مِنْ عَيْنِهَا خَمْرًا وَمِنْ يَدِهَا خَمْرًا ، فَمَا لَكَ مِنْ سُكْرَيْنِ مِنْ بُدِّ  
لِي نَشُوتَانِ وَلِلنَّدَمَانِ وَاحِدَةٌ شَيْءٌ خَصَصْتَ بِهِ مِنْ يَدِهِمْ وَخَدِي  
فَقَامُوا كُلُّهُمْ ، فَسَجَدُوا ! فَقَالَ : أَفَعَلَيْتُمُوهَا أَعْجَبِيَّةٌ ؟ لَا كَلَّتْكُمْ ثَلَاثًا .

(١) الظلامة : ما احتمله من الظلم ، والمراد هنا موته عشقاً من أثر النظر بعينه والحب بقلبه  
(٢) الورد : الماء الذي يورد .

١٣٦ — إنما الدنيا أبو دلف !\*

قال المأمون يوماً لبعض جلسائه : أقسم على من حَضَرَ مِنِّي يحفظُ قصيدةَ عليّ ابنِ جبلة<sup>(١)</sup> الأعمى في القاسم<sup>(٢)</sup> بن عيسى إلّا أنشدّها ؛ فقال بعضُ الجلساء : قد أقسم أميرُ المؤمنين ، ولا بدّ من إبرارِ قَسَمِهِ ، وما أحفظها ، ولكنها مكتوبة عندى . قال : قم فاجتني بها . فمضى وأتاه بها ، وأنشده :

ذادَ ورَدَ النِّىَّ عن صَدْرِهِ      وازعَوَى واللَّهْوُ من وطَرِهِ  
وأَبَتْ إلّا البــكاهُ له      ضحكاتُ الشَّيبِ في شِعْرِهِ  
نَدِمَ أن الشَّبابَ مَضَى      لم أَبْلُغْهُ مَدَى أَشْرِهِ<sup>(٣)</sup>  
حَسَرْتُ<sup>(٤)</sup> عَنِّي بِشاشَتِهِ      ودَوَى الحُمُودُ من ثَمَرِهِ  
ودِمَّ أَهْدَرْتُ من رَشَاءٍ<sup>(٥)</sup>      لم يُرِدْ عَقْلًا<sup>(٦)</sup> على هَدَرِهِ

\*\*\*

دَعَجَ جَدًّا قحطانَ أوْ مُضِرَّ      في يَمَانِيهِ ، وفي مُضِرِّهِ  
وامتدَحَ من وائِلِ رجلاً      عَصُرَ الآفاقِ من عُصْرِهِ

\* الأغانى : ٨ - ٢٥٩ ( مطبعة دار الكتب ) .

- (١) عليّ بن جبلة ، ويلقب بالعمكوك : شاعر مطبوع عذب اللفظ ، لطيف المعاني ، مداح حسن التصرف ، استنفذ شعره في مدح أبي دلف العجل وأبي عام الطوسي ، وزاد في تفضيل أبي دلف حتى فضله على أهل مصر كلهم . أسخط المأمون وكان سبباً في تعذيبه . توفى سنة ٢١٣ هـ .  
(٢) كنيته أبو دلف ، وكان عمله في الشجاعة وعلوُّ المحل عند الخلفاء وعظم الفناء في المشاهد وحنُّ الأدب وجودة الشعر محلاً لم يكن لأحد من نظرائه (٣) أشر ( كفرح ) : مرح  
(٤) حسرت : انكفشت (٥) الرشاء : ( في الأصل ) ولد الطي (٦) العقل : الدية .

الْمَنَآيَا فِي مَمَانِيهِ<sup>(١)</sup>      والعطايا في ذَرَا حُجْرِهِ  
 مَلِكٌ تَنْدَى أَنَامِلُهُ      كانبلاجِ النَّوْءِ عن مَطَرِهِ  
 مُسْتَهْلٌ عن مَوَاهِبِهِ      كابتسامِ الرُّؤُوسِ عن زَهْرِهِ  
 جَبَلٌ عَزَّتْ مَنَاكِبُهُ      أَمِنَتْ عَدَنَانُ في نَفَرِهِ  
 إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ<sup>(٢)</sup>      بين مَبْدَاهُ ومَحْتَضَرِهِ  
 فَإِذَا وَلَّى أَبُو دُلْفٍ      وَلَّتِ الدُّنْيَا على أَثَرِهِ  
 كُلُّ مَنْ في الأَرْضِ من عَرَبٍ      بين بَادِيهِ إلى حَضَرِهِ  
 مُسْتَعِيرٌ مِنْهُ مَكْرَمَةٌ      يَكْتَسِبُهَا يَوْمَ مُفْتَخَرِهِ

فغضب المأمون، واغتاض، وقال: لست لأبى إن لم أقطع لسانه أو أسفك دمه.  
 ثم قال: اطلبوه حيث كان؛ فطلب فلم يقدر عليه. ولما اتصل به الخبر هرب إلى  
 الجزيرة، فكتب إلى الآفاق في طلبه، فهرب من الجزيرة إلى الشام، وظفروا به  
 هناك، وأخذ وحل إلى المأمون.

ولما وصل إليه سبه، وقال له: أنت القائل للقاسم بن عيسى:

كُلُّ مَنْ في الأَرْضِ من عَرَبٍ      بين بَادِيهِ إلى حَضَرِهِ  
 مُسْتَعِيرٌ مِنْهُ مَكْرَمَةٌ      يَكْتَسِبُهَا يَوْمَ مُفْتَخَرِهِ

جملتنا عن يستعير المكارم منه! فقال له: يا أمير المؤمنين؛ أنتم أهل بيت

(١) المقاب: جمع مقب؛ وهو جماعة الخيل تغير      (٢) قيل: إنه بينا أبو دلف يسير مع  
 مقل مرا بقصر، فأشرفت منه جارتان، فقالت إحداهما للأخرى: هذا أبو دلف الذى يقول فيه  
 الشاعر: «إنما الدنيا أبو دلف»، فقالت الأخرى: أو هذا؟ قد والله كنت أحب أن أراه منذ  
 سمعت ما قيل فيه، فالتفت أبو دلف إلى مقل، فقال: ما أنصفنا على بن جبلة ولا وفتناه حقه، وإن  
 ذلك لمن كبير همى، وكان قد أعطاه ألف درهم.

لا يُقَاسُ بِكُمْ أَحَدٌ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ فَضَّلَكُمْ عَلَى خَلْقِهِ ، وَاخْتَارَكُمْ لِنَفْسِهِ ، وَإِنَّمَا  
عَنَيْتَ بِقَوْلِي فِي الْقَاسِمِ أَشْكَالَ الْقَاسِمِ وَأَقْرَانَهُ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا اسْتَنْثَيْتَ أَحَدًا ،  
وَلَسْتُ اسْتَحْلَ دَمَكَ لَذَاكَ ، وَلَكِنِّي اسْتَحْلَهُ بِقَوْلِكَ وَكَفْرِكَ فِي شَعْرِكَ ، حَيْثُ تَقُولُ  
الْقَوْلَ الَّذِي أَشْرَكَتَ فِيهِ :

أَنْتَ الَّذِي تُنْزِلُ الْأَيَّامَ مَنَازِلَهَا وَتَنْقُلُ الدَّهْرَ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ  
وَمَا مَدَدْتَ مَدَى طَرَفٍ إِلَى أَحَدٍ إِلَّا قَضَيْتَ بِأَرْزَاقٍ وَأَجَالٍ  
كَذَبْتَ . . . مَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، الْمَلِكُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ،  
نَمِ أَمْرُ بَعْقَابَةِ !

### ١٣٧- مِدْحَة شاعر وعَظِيَة أمير\*

قال علي بن جبلة : زرتُ أبا دُلْفٍ بالجبل<sup>(١)</sup> ، فكان يُظهر من إكرامِي  
وبرِّي واليحيى<sup>(٢)</sup> بي أمراً مفرطاً ، حتى تأخرت عنه حيناً حياءً ؛ فبعث إلى مَعْقِلَ  
ابن عيسى ، فقال : يقول لك الأمير : قد انقطعت عني ، وأحسبك استقلتَ برِّي  
بك ، فلا يفضبتك ذلك فسأزيد فيه حتى ترضى . فقلت : والله ما قطعني إلا  
إفراطه في البر ، وكتبتُ إليه :

هَجَرْتُكَ لَمْ أَهْجُرْكَ مِنْ كَفْرِ نِعْمَةٍ    وَهَلْ يُرْتَجَى نَيْلُ الزِّيَادَةِ بِالْكَفْرِ !  
وَلَكِنِّي لَمْ أَتَيْتُكَ زَائِراً    فَأَفْرَطْتُ فِي بَرِّي عَجْزْتُ عَنْ الشُّكْرِ  
فَمِلَّانُ<sup>(٣)</sup> لَا آتِيكَ إِلَّا مُسَلِّماً    أَزُورُكَ فِي الشَّهْرَيْنِ يَوْمًا أَوْ الشَّهْرِ  
فَإِنْ زِدْتَنِي بَرًّا تَزِيدْتُهُ جَفْوَةً    وَلَمْ تَلْقِنِي طَوْلَ الْحَيَاةِ إِلَى الْحُشْرِ !  
فَلَمَّا قَرَأَهَا مَعْقِلُ اسْتَحْسَنَهَا ، وَقَالَ : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ ! أَمَا إِنَّ الْأَمِيرَ لَتَعْجَبُهُ  
هَذِهِ الْمَعَانِي .

فلما أوصلها إلى أبي دُلْفٍ قال : قاتله الله ! ما أشعره وأدقَ معانيه ! وأعجبته  
وأجابني لوقته - وكان حسن البديهة حاضر الجواب :  
أَلَا رَبَّ ضَيْفٍ طَارِقٍ قَدْ بَسَطَتْهُ    وَأَنْسَتْهُ قَبْلَ الضِّيَافَةِ بِالْبَشْرِ

\* الأغاني : ٧ - ٢٥٦ ( طبعة دار الكتب )

(١) بلاد الجبل : مدن بين أذربيجان والعراق

(٢) تحنى به : بالغ في إكرامه

(٣) يريد فن الآن .

أَتَانِي يَرْجِيْنِي فَـا حَال دُونِهِ      وَدُونَ الْقِرَى وَالْمَرْفِ مِنْ نَائِلِي سِتْرِي  
وَجَدْتُ لَهُ فَضْلًا عَلَى بَقْصَدِهِ      إِلَى ، وَبَرًا زَادَ فِيهِ عَلَى بَرِّي  
فَزَوَّدْتُهُ مَالًا يَقِلُّ بِقَاوِهِ      دَزَوَّدَنِي مَدْحًا يَدُومُ عَلَى الدَّهْرِ  
وَبَعَثَ إِلَيَّ بِالْأَبْيَاتِ مَعَ وَصِيفٍ لَهُ ، وَبَعَثَ إِلَيَّ بِأَلْفِ دِينَارٍ ؛ فَقُلْتُ حِينَئِذٍ :  
إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ      بَيْنَ مَبْدَاهِ وَمَحْتَضَرِهِ



# ١٣٨ - بين أبي تمام وعبد الله بن طاهر\*

لما شَخَّصَ أبو تمام <sup>(١)</sup> إلى عبدِ الله بن طاهر <sup>(٢)</sup> وهو بخُرَّاسان ، أقبل الشتاء وهو هناك : فاستنْقَلَ البلد ، وكان عبد الله وَجِدَ <sup>(٣)</sup> عليه ، وأبطأ بجائزته ؛ لأنه نثر عليه ألف دينار ، فلم يَمْسَسْهَا بيده ترفعاً عنها ، فقال : يحترق فملي ، ويرفع علي ! فكان يبعث إليه بالشيء بعد الشيء كالقوت . فقال أبو تمام :

لم يَبْقَ للصَّيْفِ رَمَمٌ ولا طَلَلٌ ولا قَشِيبٌ فَيَسْتَكْسِي ولا سَمَلٌ <sup>(٤)</sup>  
عدلٌ من الدمع أن يَبْكِيَ المصيفَ كما يُبْكِي الشابُّ وَيُبْكِي اللّهُو والغزلُ  
يَمْنَى الزمانِ انْقَضَى معروفُها وَغَدَتْ يُسْراهُ وَهَى لنا من بعدها بَدَلٌ

فبلغت الأبيات أبا العمير شاعر آل طاهر ، فأتى أبا تمام واعتذر إليه لعبد الله ابن طاهر .

ثم دخل إلى عبد الله فقال : أيها الأمير ؛ أتهاون بمثل أبي تمام ، وتحفوه ! فوالله لو لم يكن له ماله من النباهة في قدره ، والإحسان في شعره ، والشائع من ذكره ، لكان الخوف من شره ، والتوقي لذمه يُوجبُ عليّ مثلك رعايته ومراقبته ،

\* الأغانى : ١٥ - ١٠٢ ( طبعة الساسي )

- (١) هو حبيب بن أوس ، ولد بالشام ثم انحدر إلى مصر ، فروى الأدب وأتقن الشعر ، ثم سار إلى بغداد فمدح الخليفة وغيره ، وارتفع ذكره وتقدم على شعراء عصره ومات سنة ٢٣١ هـ .  
(٢) عبد الله بن طاهر : ولد سنة ٢٨١ هـ في خلافة الرشيد ونشأ نشأة مجيدة ، ثم نشأ في كنف المأمون حيث كان أبوه من أكبر قواده . ثم حل عند المأمون بعد وفاة أبيه عمله ، وكان كثير الاعتماد عليه حسن الالتفات إليه . وكان عبد الله أيضاً ظريفاً شاعراً مترسلاً جيد الفناء . توفي سنة ٢٣٨ هـ .  
(٣) وجد عليه : غضب (٤) السمل : التوب الخلق .

فكيف وله بنزوعه إليك من الوطن ، وفراقه السكن شفيق ! وقد قصدك عاقداً  
بك أمله ، مُعَمِّلاً إليك ركبته ، متعباً فيك فكره وجسمه ، وفي ذلك مايلزمك  
قضاء حقه حتى يتصرف راضياً ، ولو لم يأت بفائدة ولا سُمِعَ فيك منه ما سُمِعَ  
إلا قوله .

يَقُولُ فِي قُومِسْ <sup>(١)</sup> صَحْبِي وَقَدْ أَخَذْتُ مِنْ الشَّرَى وَخُطَاً لَمْهَرِيَّةً <sup>(٢)</sup> الْقُودِ <sup>(٣)</sup>  
أَمْطَعَ الشَّمْسَ تَبَغَى أَنْ تَوْثَّمَ بِنَا ؟ فَقُلْتُ : كَلَّا ! وَلَكِنْ مَطْلَعُ الْجُودِ  
لَكَفَى ! فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ لَقَدْ نَبَّهْتَ فَأَحْسَنْتَ ، وَعَاتَبْتَ فَأَوْجَعْتَ ، وَلَكِ  
وَلَأَبِي تَمَامُ الْعُتْبَى <sup>(٤)</sup> . ادْعُهُ يَا غَلَامَ فَدَعْلُهُ . فَنَادَاهُ يَوْمَهُ ، وَأَمَرَ لَهُ بِأَلْفِي دِينَارٍ وَمَا يَحْمِلُهُ  
مِنَ الظَّهْرِ ، وَخَالَعَ عَلَيْهِ خِلْعَةً تَامَةً مِنْ ثِيَابِهِ ، وَأَمَرَ بِبَذْرِ قَتِهِ <sup>(٥)</sup> إِلَى آخِرِ عَمَلِهِ .

---

(١) قومس : إقليم في طبرستان (٢) الإبل المهرية : تنسب إلى مهرة : حى في العرب .  
(٣) القود : جمع أقود وهو الطويل النقي (٤) أعتبه : سره بعد ما ساءه ، والاسم العتبي  
(٥) البذرقة : الحفارة .

١٣٩ — لا يَعْجَبُكَ مِنْ يَصُورُنْ ثِيَابَهُ خَوْفَ النَّبَارِ وَعِرْضُهُ مَبْذُولٌ \*

ارتاح محمد <sup>(١)</sup> بن عبد الله بن طاهر يوماً للعنادمة ، وقد حضره ابن طالوت ، وكان وزيره وأخص الناس به وأحضرهم لخلواته ، فأقبل عليه ، وقال : لا بد لنا اليوم من ثالث تطيب لنا به المباشرة ، وتلد بمنادمتها المؤانسة ؛ فمن ترى أن يكون ؟ وأعفنا أن يكون شرير الأخلاق ، أو دنس الأعراق ، أو ظاهر الإملاق .

قال ابن طالوت : فأعلت الفكر ، وقلت : أيها الأمير ؛ خطر بيالى رجل ليس علينا من مجالسته مثونة ، وقد برى من إبرام <sup>(٢)</sup> المجالسين ، وخلا من ثقل المؤانسين ، خفيف الوطاء إذا أذنته ، سريع الوثبة إذا أمرته .

قال : ومن ذلك ؟ قلت : ماني <sup>(٣)</sup> الموسوس . قال : أحسنت والله ! فما كان بأسرع من أن اقتنصه صاحب الشرطة ؛ فصار به إلى الأمير ، فأخذ ونظف وأدخل الحمام ، وألبس ثياباً نظافاً ، وأدخل عليه ، فقال : السلام عليك أيها الأمير ، فقال محمد : وعليك السلام يا ماني . أما آن لك أن تزورنا على حين توفان منا إليك ، ومنازعة قلوب منا نحوك ؟ فقال : الشوق شديد ، والحب عتيد ، والمزار بعيد ، والحجاب صعب ، والبواب فقط ؛ ولو سهل لنا في الإذن لسهلنا علينا الزيارة !

\* الأغانى : ٢٠ - ٨٥ ( طبعة الساسى ) السمودى : ٢ - ٢٤٥

(٢) توفى سنة ٢٥٣ هـ وذلك في خلافة المعتز . وكان من الجود والكرم وغزارة الأدب ما لم يكن عليه أحد من نظرائه (٢) أبرمه : أملة (٣) ماني الموسوس : اسمه محمد بن القاسم ، شاعر لين الشعر رقيقه ، لم يقل شيئاً إلا في الفزل ، وماني لقب غلب عليه .

فقال : أَلَطَفْتَ فِي الاسْتِئْذَانِ ، فَلْيَلْطَفْ لَكَ فِي الْإِذْنِ ؛ لَا يَمْنَعُ مَانِي أَى وَقْتٍ  
وَرَدَ مِنْ لَيْلِ أَوْنَهَارِ .

ثُمَّ أَذِنَ لَهُ فِي الْجُلُوسِ فَجَلَسَ ، وَدَعَا بِالطَّعَامِ فَأَكَلَ ، ثُمَّ غَسَلَ يَدَيْهِ ، وَأَخَذَ  
مَجْلِسَهُ . وَكَانَ مُحَمَّدٌ قَدْ تَشَوَّقَ إِلَى السَّمَاعِ مِنْ مَوْئِئَةِ جَارِيَةِ بِنْتِ الْمَهْدِيِّ فَأَحْضَرَتْ ،  
فَكَانَ أَوَّلَ مَا غَنَتْ بِهِ :

وَلَسْتُ بِنَاسٍ - إِذْ غَدَوْا فَتَحَمَلُوا - دَمْعِي عَلَى الْخُلْدَيْنِ مِنْ شِدَّةِ الْوَجْدِ  
وَقَوْلِي وَقَدْ زَالَتْ بَلِيلُ جَهْلِهِمْ بَوَاكِرُ تُحْدِي : لَا يَكُنْ آخِرَ الْعَهْدِ  
فَقَالَ مَانِي : أَحْسَنْتِ ! وَبِحَقِّ الْأَمِيرِ إِلَّا مَا زِدْتِ فِيهِ :

وَقَدْ أَنَاجَى الْفِكْرَ وَالْدَمْعُ حَائِرٌ مَمْلُوءَةٌ مَوْقُوفٌ عَلَى الضَّرِّ وَالْجَهْدِ<sup>(١)</sup>  
وَلَمْ يُعَذِّنِي هَذَا الْأَمِيرُ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى ظَالِمٍ قَدْ لَجَّ فِي الْهَجْرِ وَالصَّدِّ  
فَانْدَفَعْتَ تَعْنِيهِ ، فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدٌ : أَعَاشِقُ أَنْتِ ؟ فَاسْتَحْيَا ، وَغَمَزَهُ ابْنُ طَالُوتَ  
أَلَّا يَبُوجَ لَهُ شَيْءٌ فَيَسْقُطَ مِنْ عَيْنَيْهِ ، وَقَالَ : مَبْلُغُ طَرْبٍ وَشَوْقٍ كَانَ كَأَمْنًا فَظَهَرَ ؛  
وَهَلْ بَعْدَ الشَّيْبِ صَبُوءَةٌ !

ثُمَّ اقْتَرَحَ مُحَمَّدٌ عَلَى مَوْئِئَةِ هَذَا الصَّوْتِ :  
حَبِّبُوهَا عَنِ الرِّيَّاحِ لِأَنِّي قُلْتُ : يَارِيحُ بَلِّغِيهَا السَّلَامَا  
لَوْ رَضُوا بِالْحِجَابِ هَانَ وَلَكِنْ مَنَعُوهَا عَنِ الرِّيَّاحِ الْكَلَامَا  
فَفَتَنَتْهُ ؛ فَطَرَبَ مُحَمَّدٌ ، وَدَعَا بِرُطَلٍ فَشَرَبَ ، فَقَالَ مَانِي : مَا عَلَى قَائِلِ هَذَا الشَّعْرِ  
لَوْ زَادَ فِيهِ :

---

(١) الضَّرُّ : سُوءُ الْحَالِ ، وَالْجَهْدُ : الْمَشَقَّةُ .

فَتَنَفَّسْتُ ، ثُمَّ قُلْتُ لَطِيفِي : آه إِنْ زُرْتِ طَيْفَهَا إِيَّامَا  
خُصَّه بِالسَّلَامِ مِنِّي فَأَخْشَى يَنْمُوها لِشِقْوَتِي أَنْ تَنْسَامَا  
لَكَانَ أَثَقَبَ <sup>(١)</sup> لَزَنْدِ الصَّبَابَةِ بَيْنَ الْأَحْشَاءِ ، وَأَشَدَّ تَقْلَعًا إِلَى الْعَكْبَدِ <sup>(٢)</sup>  
الصادية من زلال الماء ، مع حسن تأليف نظمه ، والانتهاه بالمعنى إلى نهاية تمامه ؛  
فقال محمد : أَحْسَنْتِ ! ثُمَّ أَمْرٌ مُؤَنَسَةٌ بِالْحَاقِمَا بِالْبَيْتَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ ، وَالْغَنَاءُ بِهِمَا ،  
فَفَعَلْتُ . ثُمَّ غَنَتْ بِهَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :

يَا خَلِيلِي سَاعَةً لَا تَرِيْمَا <sup>(٣)</sup> وَعَلَى ذِي صَبَابَةٍ فَأَنْبِيَا  
مَا مَرَّرْنَا بَدَارَ زَيْنَبٍ إِلَّا هَتَكَ الدَّمْعُ سَرَّانَا الْمَكْتُومَا  
فَاسْتَحْسَنَهُ مُحَمَّدٌ ، فَقَالَ مَانِي : لَوْلَا رَهْبَةُ التَّعْدَى لَأَضَفْتُ إِلَى هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ  
بَيْتَيْنِ لَا يَرِدَانِ عَلَى سَمْعِ ذِي أُبٍ فَيَصْدُرَانِ إِلَّا عَنْ اسْتِحْسَانٍ لِهَمَا ، فَقَالَ مُحَمَّدٌ :  
يَا مَانِي ؛ الرِّغْبَةُ فِي حَسَنِ مَا تَأْتِي بِهِ حَائِلَةٌ دُونَ كُلِّ رَهْبَةٍ ، فَهَاتِ مَا عِنْدَكَ !  
فَقَالَ :

ظَلِيَّةٌ كَالْهَلَالِ لَوْ تَلَحَّظَ الصَّخْرُ رَ بَطَرْفٍ لِفَادَرَتُهُ هَشِيْمَا  
وَإِذَا مَا تَبَسَّمَتْ خِلَتْ إِيْمَا ضَ بُرُوقٍ أَوْ لَوْلُؤًا مَنْظُومَا  
فَقَالَ : أَحْسَنْتِ يَا مَانِي ! فَأَجِزْ <sup>(٤)</sup> هَذَا الشَّعْرُ :  
لَمْ تَطْلُبِ اللَّذَاتِ إِلَّا بِمَنْ طَابَتْ بِهَا اللَّذَاتِ مَانُوسَه  
غَنَتْ بِصَوْتٍ أَطْلَقَتْ عَابِرَةً كَانَتْ بِسَجْنِ الصَّبْرِ مَحْبُوسَه  
فَقَالَ مَانِي :

وَكَيْفَ صَبَرَ النَّفْسُ عَنْ غَادَةِ أَظْلَمِهَا إِنْ قُلْتُ : طَاوُسَه !

(١) ثَقِبَ النَّارُ : انْقَدَتْ . وَالزَنْدُ : الْمَوْدُ الَّتِي يَقْدَحُ بِهِ النَّارُ وَهِيَ الْأَعْلَى (٢) الْعَكْبَدُ : مُؤَنَسَةٌ  
وَقَدْ تَذَكَّرَ (٣) لَا تَرِيْمَا : لَا تَبْرَحَا (٤) الْإِجَازَةُ فِي الشَّعْرِ : أَنْ تَمَّ شَعْرٌ غَيْرُكَ .

وَجُرْتُ إِنْ شَبَّهْتُهَا بِأَنَّهُ<sup>(١)</sup> فِي جَنَّةِ الْفَرْدُوسِ مَقْرُوسَةٌ  
وغيرُ عدلٍ إِنْ عدَلْنَا بِهَا جَوْهَرَةً فِي الْبَحْرِ مَقْمُوسَةٌ  
ثم سكت ، فقال محمد : ما عدا في وصفه لها ، فقال ماني :

جَلَّتْ عَنِ الْوَصْفِ فَمَا فِكْرَةٌ تُلَحِّقُهَا بِالنِّعَةِ مُحْسُوسَةٌ

فقال محمد : أحسنت ! فقالت مؤنسة : وجب شكرُك يا ماني . نساعداك  
الدهر ، وعطف عليك إلفك ، وقارنك سرورك ، وفارقك محذورك ، والله يُديم  
لنا ذلك ببقاء من به اجتمع شملنا ، فقال لها ماني - عند قولها : « وعطف عليك  
إلفك » - محيياً :

ليس لي إلفٌ فيعطفني فارقَتِ نفسِي الأَباطِيلُ  
أنا موصول بنعمة من حَبَلُهُ بِالْمَجْدِ مَوْصُولُ  
أنا مغبوط بنعمة من طَبْعُهُ بِالْمَجْدِ مَأْمُولُ  
فأوماً إليه ابن طالوت بالقيام فنهض ، وهو يقول :

ملك قلَّ النظير له زانه الفَرُّ البهاليل  
طاهريٌّ في مواكبه عُرْفُهُ فِي النَّاسِ مَبْذُولُ

فقال محمد : وجب جزاؤك لشُكْرِكَ على غيرِ نعمةٍ سبقتُ ، ثم أقبل على ابن  
طالوت ، فقال : ليست خسارة المرء ، ولا اتضاع دهره ، ولا نبوءة العين عن الظاهر  
بمذهبٍ ما ركب فيه من الأدب ، وما أخطأ صالح بن عبد القدوس حين يقول :

لا يعجبُكَ مَنْ يَصُونُ ثِيَابَهُ خَوْفَ الْغَبَارِ وَعَرْضُهُ مَبْذُولُ  
فلربما افتقر الفتي فرأيتَه دَنَسَ الثِيَابِ وَعَرْضُهُ مَفْسُولُ

فلم يزل محمد يُجَرِّبُ عليه رزقه حتى توفي !

١٤٠ — سِمْيَاة \*

سُمَيُّ بِأَبِي الْحَسَنِ <sup>(١)</sup> عَلَى بْنِ مُحَمَّدٍ الْعَلَوِيِّ إِلَى التَّوَكُّلِ ، وَقِيلَ لَهُ : إِنْ فِي مَنْزِلِهِ سِلَاحًا وَكُتُبًا وَغَيْرَهَا مِنْ شِيعَتِهِ ، فَوَجِّهْ إِلَيْهِ لَيْلًا مَنْ هَجَمَ عَلَيْهِ فِي مَنْزِلِهِ عَلَى غَفْلَةٍ يَمْنَنُ فِي دَارِهِ ، فَوُجِدَ فِي بَيْتٍ وَحْدَهُ ، مَغْلُوقٍ عَلَيْهِ ، وَعَلَيْهِ مِذْرَعَةٌ <sup>(٢)</sup> مِنْ شَعْرِ ، وَلَا بَسَاطَ فِي الْبَيْتِ إِلَّا الرَّمْلُ وَالْحَصَى ، وَعَلَى رَأْسِهِ مِائِحَةٌ <sup>(٣)</sup> مِنْ الصُّوفِ ، مُتَوَجِّهًا إِلَى رَبِّهِ يَتَرَنَّمُ بآيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ فِي الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ .

فَأَخِذَ عَلَى مَا وَجِدَ عَلَيْهِ ، وَحَمَلَ إِلَى التَّوَكُّلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ؛ فَمَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَالتَّوَكُّلُ يُشْرِبُ ، وَفِي يَدِهِ كَأْسٌ ؛ فَلَمَّا رَأَاهُ أَغْظَمَهُ وَأَجْلَسَهُ إِلَى جَنْبِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي مَنْزِلِهِ شَيْءٌ مِمَّا قِيلَ فِيهِ ، وَلَا حَالُهُ يُتَقَلَّلُ عَلَيْهِ بِهَا ؛ فَنَادَاهُ التَّوَكُّلُ الْكَأْسُ الَّتِي فِي يَدِهِ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ مَا خَاسِرَ لَحْمِي وَدُمِي قَطْ ! فَأَعْفَنِي مِنْهُ ، فَأَعْفَاهُ ، وَقَالَ : أَنْشِدْنِي شِعْرًا أَسْتَحْسِنُهُ ، فَقَالَ : إِنِّي لَقَلِيلُ الرَّوَايَةِ لِلْأَشْعَارِ ؛ فَقَالَ : لَا بَدَأَنْ تَنْشِدُنِي فَأَنْشِدْهُ :

بَاتُوا عَلَى قُلُلِ الْأَجْبَالِ تَحْرُسُهُمْ      عُلُبُ <sup>(٥)</sup> الرِّجَالِ فَمَا أَغْنَتْهُمْ الْقُلُلُ  
وَأَسْتَنْزَلُوا بَعْدَ عَزٍّ مِنْ مَعَالِمِهِمْ      فَأَوْدَعُوا حُفْرًا ، يَا بُنْسَ مَا نَزَلُوا !

\* ابن خلكان : ١ - ٣٢٢

- (١) هو أحد الأئمة الاثني عشر عند الإمامية ، كان مولده بالمدينة ، وأقام بها ، ولما كثرت السِمْيَاةُ بِهِ عِنْدَ التَّوَكُّلِ قَتَلَهُ إِلَى سَرٍّ مِنْ رَأْيِ فَأَقَامَ بِهَا ٢٠ سَنَةً . وَتَوَفَّى سَنَةَ ٢٥٤ هـ .  
(٢) المِذْرَعَةُ : نَوْعٌ مِنَ الثِّيَابِ (٣) المِائِحَةُ : اللَّحْفَةُ : اللَّيَاسُ فَوْقَ سَائِرِ اللَّيَاسِ يَتَّقِي بِهِ الْبَرْدَ كَالْحِصَانِ  
(٤) الْفَلْبُ : جَمْعُ أَغْلَبٍ وَهُوَ التَّجَاعُ ، وَأَصْلُ الْأَغْلَبِ : الْأَسَدُ .

ناداهم صارخ من بعد ما قُبِرُوا : أين الأسرةُ والتيجانُ والحلِلُ !  
 أين الوجوه التي كانت منعمةً من دونها تُضربُ الأستار والكِلَلُ !  
 فأفصحَ القبر عنهم حين ساء لهم : تلك الوجوه عليها الدودُ يقتتلُ  
 قد طالما أكلوا دهرًا وما شَبِعُوا فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا  
 وطالما عَمَرُوا دُورًا لتحصنهم فقارثوا الدور والأهلين وانتقلوا  
 وطالما كنزوا الأموالَ وأدَّخروا فخلَّفوها على الأعداء وارتحلوا  
 أضحت منازلهم فقرًا معطلةً وساكنوها إلى الأجداث قد رحلوا  
 فأشفقَ مَنْ حضر على عليٍّ ، وظنُّوا أن بادرةً تبدر منه إليه ، ولكن المتوكل  
 بكى بكاءً طويلاً ، حتى بليت دموعه لحيته وبكى مَنْ حَضَره ، ثم أمر برفع الشراب ،  
 وقال : يا أبا الحسن ؛ أعليك دين ؟ قال : نعم أربعة آلاف دينار ! فأمر بدفعها إليه ،  
 وردَّه إلى منزله من ساعته مكرماً .



## ١٤١ — أشعر من بالشام ومن بالعراق \*

دخل أبو نصر المنذرى على أبي العلاء<sup>(١)</sup> المعرى فى جماعة من أهل الأدب ؛  
فأنشد كل واحد من شعره ما تيسر ، وأنشده أبو نصر :

وقانا لفحة الرمضاء وادٍ سقاء مضاعفُ الغيثِ العميم  
نزلنا دَوْحَهُ<sup>(٢)</sup> فَحَنَّا علينا حُنَّ الوالداتِ على الفَظِيمِ  
وأزشفنا على ظلمٍ زُلالاتٍ<sup>(٣)</sup> أَلَذَّ من المدامة<sup>(٤)</sup> للنديمِ  
يَصُدُّ الشمسَ أنى واجهتنا فيحبُّها ويأذنُ للنسيمِ  
يروع<sup>(٥)</sup> حصاهُ حاليَّةَ<sup>(٦)</sup> المذارى فتلمس جانب العقـد النّظيمِ  
فقال أبو العلاء : أنت أشعر من بالشام .

ثم رحل أبو العلاء إلى بغداد ، فدخل المنذرى عليه فى جماعة من أهل الأدب  
ببغداد ، وأبو العلاء لا يعرف منهم أحداً ، فأنشد كل واحد منهم ما حضره من شعره ،  
حتى جاءت نوبة المنذرى فأنشده :

لقد عرض الحماهُ لنا يَسْجَعُ إذا أصغى له رَكْبٌ تلاحى<sup>(٧)</sup>

\* المستطرف : ١ - ٤٦ .

(١) أبو العلاء المعرى : هو أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخى المعرى الضرير الفيلسوف المؤلف  
نشأ بالمعرة ، ودرس على أبيه وأمله صبياً ، ثم على علماء حلب وأعلى الشام حتى صار عالماً بالاشتهار ،  
ثم ذهب إلى بغداد ولاقى علماءها ورؤساءها ، ومكث فيها فلم يطب له العيش فرجع إلى منزله ولم  
يخرج منه . وعمر حتى مات سنة ٤٤٩ هـ (٢) الدوح : جم دوحه : الشجرة العظيمة من أى  
شجر كان (٣) ماء زلال : عذب (٤) المدامة : الخمر (٥) يروع : يفزع (٦) حليت  
للرأة : صارت ذات حلى ، فهى حلية وحالية (٧) تلاحى : تنازع .

شجى <sup>(١)</sup> قلب الخلى فقليل : غنى وبرح <sup>(٢)</sup> بالشجى <sup>(٣)</sup> فقليل : ناها  
وكم للشوق فى أحشاء صبر إذا اندملت أجدا لها جراحا  
ضعيف الصبر عنك وإن تقاوى وسكران الفؤاد وإن نصاحى  
بذاك بنو الهوى سكرى صحاة كأحداق ألها مريضى صحاحا  
فقال أبو العلاء : ومن بالعراق : ( عطفنا على قوله : من بالشام <sup>(٤)</sup> ) !

---

(١) شجاه : أطربه (٢) برح به الأمر : جهده (٣) الشجى : الحزين .  
(٤) المروى أن الأبيات الأولى لمجدونه الأندلسية .

١٤٢ — ابن جاح ينشد المعتضد بن عباد شعره \*

ورد ابن جاح الشاعر على المعتضد بن عباد ، فدخل الدار المخصوصة بالشعراء  
فسألوه ، فقال : إني شاعر ! فقالوا : أنشدنا من شعرك ؛ فأنشدهم شعراً ضحكوا  
منه وأزدرؤه .

فقال بعض عقلائهم : دَعُوهُ ، فإن هذا شاعر ، وما يبعد أن يدخلَ مع الشعراء  
ويندرجَ في سِلْكِهِمْ ؛ فلم يُبَالُوا كلام الرجل .

فبقى معهم ، وكان لهم في تلك الدولة يومٌ مخصوص ، لا يدخلُ فيه على الملك  
غيرُهم ، فقال بعضُ لبعض : هذه شُئْمَةٌ <sup>(١)</sup> بنا أن يكون مثلُ هذا البادى يُقدِّمُ  
علينا ، ويَجْزِي على الدخْلِ .

فاتفقوا على أن يكون هو أول متكلم في اليوم المخصوص بهم عند جلوس  
السلطان ، وقدَّروا أن يقول مثلَ ذلك الشعر المضحك فيطرده عنهم ، ويكون ذلك  
حسماً لعله إقدام مثله عليهم .

فلما كان اليوم المذكور ، وقعد السلطانُ في مجلسه ، ونُصِبَ الكرسي لم ،  
رغبوا منه أن يكون هذا القادمُ أولَ متكلم في ذلك اليوم ، فأمر بذلك فصعد  
الكرسي ، وانتظروا أن ينشد مثلَ ذلك الشعر المضحك ، فقال :

قَطَّمْتَ يا يومَ النوى أكبادي      وحرمت عن عيني لذِيذَ رُقَادِي  
وتركتني أرعى النجومَ مَسْهَدًا      والنَّارُ تُضْرِمُ في صِيمِ فَوَادِي

\* نفع الطيب : ٢ - ٤٦٨

(١) الشاعة : الفظاعة ، والأسَمُ الشنعة .

فَكَاثِمًا إِلَى الظَّلَامُ أَلِيَّةٌ      لَا يَنْجَلِي إِلَّا إِلَى مِيعَادِ  
وَلَرْبِ خَرَقٍ<sup>(١)</sup> قَدْ قَطَعْتَ نِيَاظَهُ      وَاللَّيْلِ يَرْفُلُ فِي ثِيَابِ حُدَادِ  
بِشِمْلَةٍ<sup>(٢)</sup> حَرْفٍ<sup>(٣)</sup> كَانَ ذَمِيلَهَا      سَرَحٌ<sup>(٤)</sup> الرِّيحِ ، وَكُلُّ بَرْقٍ غَادِي  
وَالنَّجْمُ يَحْدُوهَا وَقَدْ نَادَيْتَهَا :      يَا نَاقَتِي عُوجِي عَلَى عَبَّادِ  
مَلِكٍ إِذَا مَا أُضْرِمَتْ نَارُ الْوَعْيِ      وَتَلَاقَتْ الْأَجْنَادَ بِالْأَجْنَادِ  
فَتَرَى الْجُسُومَ بِلَا رُءُوسٍ تَنْثَنِي      وَتَرَى الرُّءُوسَ لَقَى<sup>(٥)</sup> بِلَا أَجْسَادِ  
يَأْيِسُهَا الْمَلِكُ الْمُؤْمَلُ وَالَّذِي      قُدُمًا سَمَا شَرْفًا عَلَى الْأُنْدَادِ  
إِنْ الْقَرِيضُ لَكَاسِدٌ فِي أَرْضِنَا      وَلَهُ هُنَا سَوْقٌ بَغِيرَ كَسَادِ  
فَجَلَبْتُ مِنْ شَعْرَى إِلَيْكَ قَوَافِيًّا      يَفْنَى الزَّمَانَ وَذَكَرُهَا مَتَادِي  
مِنْ شَاعِرٍ لَمْ يَضْطَلْعْ أَدْبَاءً وَلَا      خَطَّتْ يَدَاهُ صَحِيفَةً بِمَدَادِ  
فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : أَنْتَ ابْنُ جَاخٍ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ! فَقَالَ : اجْلِسْ ، فَقَدْ وَلَيْتَكَ رِيَاةَ  
الشُّعْرَاءِ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ ، وَلَمْ يَأْذِنْ فِي الْكَلَامِ فِي ذَلِكَ لِأَحَدٍ بَعْدَهُ !

(١) الحرق : القفر والأرض الواسعة (٢) الشملة : السريمة (٣) الحرف : الناقة الضامرة  
(٤) سرح الرياح : لإرسالها (٥) اللقي : ما طرح .

## البَابُ الرَّابِعُ

---

في القصص التي تسرد بارع ملّحهم ، ورائع طرفهم ،  
في جواباتهم المسكتة ، وتصرفاتهم الحكيمة ، وتخلصاتهم  
اللبقة ، مما يدل على حضور الذهن وسرعة البديهة ،  
وشدة العارضة .

## ١٤٢ - حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ وَالنَّابِغَةُ \*

قال حسان بن ثابت : قدمتُ على النعمانِ بنِ المنذر وقد امتدحتهُ ، فاتيتُ حاجبه عَصَامَ بنَ شَهْبَرٍ فجلستُ إليه ، فقال : إني لأرى عرباً ، أفن الحجاز أنت ؟ قلت : نعم قال : فكن قحطانياً ، قلت : فأنا قحطاني ، قال : فكن يثريباً ، قلت : فأنا يثيربي ، قال : فكن خَزْرَجِيّاً ، قلت : فأنا خَزْرَجِي ، قال : فكن حسانَ ابنِ ثابت . قلت : فأنا هو !

قال : أَجِئْتَ بِمَدْحَةِ الْمَلِكِ ؟ قلت : نعم ، قال : فإني أُرْسِدُكَ إِذَا دَخَلْتَ عَلَيْهِ ، فإنه يسألك عن جَبَلَةِ بنِ الأيهم ويسئبه ، فإياك أن تساعدَه على ذلك ، ولكن أَمِرٌ ذِكْرُهُ إِسْرَاراً لَا تَوَافُقُ فِيهِ وَلَا تَخَالُفُ ، وقل : مادخولُ مثلي أيُّها الملك بينك وبين جَبَلَةٍ وهو منك وأنت منه ! وإن دعاك إلى الطعام فلا تؤأكله ، فإن أقسم عليك فأصِيبْ منه اليسيرَ إصَابَةً بَارَةً قَسَمَهُ ، منشرفٍ بمؤاكلته ، لا أكلَ جَائِعٍ مَغِيبٍ <sup>(١)</sup> ، وَلَا تُظِلُّ مُحَادَثَتَهُ ، وَلَا تَبْدُوهُ بِإِخْبَارٍ عَنْ شَيْءٍ حَتَّى يَكُونَ هُوَ السَّائِلُ لَكَ ، وَلَا تُظِلُّ الْإِقَامَةَ فِي مَجْلِسِهِ .

فقلت : احسن الله رِفْدَكَ ! قد أَوْصَيْتَ واعيأ . ودخل ، ثم خرجَ إليّ فقال لي : ادْخُلْ ، فدخَلْتُ فَسَلَّمْتُ وَحَيَّيْتُ تَحِيَّةَ الْمَلُوكِ .

ثم جرى بيني وبينه في شأن جَبَلَةَ ما قاله عصام كأنه كان حاضراً ، وأجبتُ بما أمرني ، ثم استأذنيَّ في الإنشاد فأذن لي ؛ فأنشدته . ثم دعا بالطعام ، ففعلت ما أمرني عَصَامُ به ، وبالشراب ففعلت مثل ذلك ، فأمر لي بِجَائِزَةٍ سَنِيَّةٍ وخرجت .

\* الأغانى : ٩ - ١٦٤ ( طبعة الساسي )

(١) السفب : الجوع ؛ ولا يكون إلا مع تعب .

فقال لى عصام : بَقِيتْ عَلَى وَاحِدَةٍ لَمْ أُوصِكَ بِهَا ، قَدْ بَلَغْنِي أَنَّ النَّابِغَةَ <sup>(١)</sup> الذِّبْيَانِي قَدِمَ عَلَيْهِ ، وَإِذَا قَدِمَ فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْهُ جَظٌّ سِوَاهُ ، فَاسْتَأْذَنَ حِينَئِذٍ وَانصَرَفَ مَكْرَمًا ؛ فَذَلِكَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَنْصَرَفَ مَجْفُورًا .

فَأَقَمَتْ بِيَابَهُ شَهْرًا ، ثُمَّ قَدِمَ عَلَيْهِ فَزَارِيَانُ كَانَا بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ النِّعْمَانِ دُخْلًا <sup>(٢)</sup> ، وَكَانَ مَعَهُمَا النَّابِغَةُ قَدْ اسْتَجَارَ بِهِمَا ، وَسَأَلَهَا مَسْأَلَةَ النِّعْمَانِ أَنْ يَرْضَى عَنْهُ ، فَضَرَبَ عَلَيْهِمَا قَبَّةً مِنْ أَدَمَ ، وَلَمْ يَشْعُرْ أَنَّ النَّابِغَةَ مَعَهُمَا ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِمَا بِطِيبٍ وَالطَّافِ مَعَ قَيْنَةٍ مِنْ إِمَائِهِ ، فَكَانَا يَأْمُرَانِهَا أَنْ تَبْدَأَ بِالنَّابِغَةِ قَبْلَهُمَا ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لِلنِّعْمَانِ ، فَعَلِمَ أَنَّ النَّابِغَةَ ، ثُمَّ أَلْقَى عَلَيْهَا شَعْرَهُ :

• يَادَارِمِيَّةَ بِالْعَلْيَاءِ فَالْسِّنَدِ •

وَسَأَلَهَا أَنْ تُغْنِيَهُ بِهِ إِذَا أَخَذَتْ فِيهِ الْخَمْرَ ، فَفَعَلَتْ ، فَأَطْرَبَتْهُ ، فَقَالَ : هَذَا شَعْرُ النَّابِغَةِ .

ثُمَّ خَرَجَ فِي غَيْبٍ <sup>(٣)</sup> سَمَاءَ ، فَعَارَضَهُ الْفَزَارِيَانُ وَالنَّابِغَةُ بَيْنَهُمَا قَدْ خَضِبَ بِحَنَاءَ ، فَأَقْنَأَ <sup>(٤)</sup> خَضَابَهُ ، فَلَمَّا رَأَى النِّعْمَانُ قَالَ : هِيَ بِدَمٍ كَانَتْ أُخْرَى أَنْ تُخَضِبَ ! فَقَالَ الْفَزَارِيَانُ : أَيَّتَ الْهَمِّ ! لَا تُثْرِبَ ! قَدْ أَجْرَنَاهُ وَالْعَفْوُ أَجْلٌ ، فَأَمَنَهُ وَاسْتَنْشَدَهُ أَشْعَارَهُ .

قَالَ حَسَانُ : فَخَسَدْتُ عَلَى ثَلَاثٍ لَا أَدْرِي عَلَى أَيِّتَيْنِ كُنْتُ لَهُ أَشَدَّ حَسَدًا ؛ عَلَى إِدْنَاءِ النِّعْمَانِ لَهُ بَعْدَ الْمُبَاعَدَةِ ، وَمَسَامَرَتِهِ لَهُ وَإِصْفَائِهِ إِلَيْهِ ؟ أَمْ عَلَى جَوْدَةِ شَعْرِهِ ؟ أَمْ عَلَى مَائَةِ بَعِيرٍ مِنْ عَصَافِيرِهِ <sup>(٥)</sup> أَمْرٌ لَهُ بِهَا ؟

(١) هُوَ زِيَادُ بْنُ مَعَاوِيَةَ ، مِنْ ذِيَّانٍ مِنْ قَيْسٍ ، وَهُوَ مِنَ الْأَشْرَافِ الَّذِينَ غَضَّ الشَّعْرَ مِنْهُمْ كَمَا غَضَّ مِنْ أَمْرِ الْقَيْسِ ، مَدَحَ النِّعْمَانُ صَاحِبَ الْحَبِيرَةِ وَعَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ مَلِكَ الْفُصَايَةِ ، وَكَانَتْ لَهُ مَنَزَلَةٌ كَبِيرَى عِنْدَ شُعْرَاءِ عَصَرِهِ ، فَإِذَا جَاءَ عَكَازٌ ضَرَبُوا لَهُ قَبَّةً مِنْ جِلْدٍ وَجَاءَ انْشِعَاءُ يَنْشُدُونَهُ أَشْعَارَهُمْ (٢) دُخْلًا : خَاصَّةً (٣) غَيْبُ سَمَاءَ : أَيُّ بَعْدَ أَنْ أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ (٤) أَقْنَأَ خَضَابَهُ : سَوَدَهُ (٥) الْعَصَافِيرُ : إِبِلٌ كَانَتْ لِلنَّبْتِ تَتَخَذُ نَجَائِبَ لِلْمَلُوكِ .

## ١٤٤ — آية أخلاق كانت للعرب في الجاهلية ! \*

رَافِقَ أَبُو بَكْرٍ وَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سِيرِهِ ؛  
نَمَّ اتَّهَمُوا جَمِيعًا إِلَى مَجْلِسٍ عَلَيْهِ السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ ، وَإِذَا مَشَاخِمْ لَهُمْ أَقْدَارُهُ وَهَيْئَاتُ .  
فَتَقَدَّمَ أَبُو بَكْرٍ - وَكَانَ مُقَدِّمًا فِي كُلِّ خَيْرٍ - فَسَلَّمَ وَقَالَ : تَمَنَّيْتُ الْقَوْمَ ؟ قَالُوا : مِنْ  
شُهَبَانَ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، فَاتْلِفْتَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ ، يَا بَنِي  
أَنْتَ وَقَوْمِي ! لَيْسَ بَعْدَ هَؤُلَاءِ مِنْ عِزٍّ فِي قَوْمِهِمْ ، وَهَؤُلَاءِ غُرُرٌ فِيهِمْ ، وَكَانَ فِيهِمْ  
مَفْرُوقُ بْنُ عَمْرٍو ، وَهَانِيُّ بْنُ قَبِيصَةَ ، وَالْمُثَنَّى بْنُ حَارِثَةَ ، وَالنَّعْمَانُ بْنُ شَرِيكَ ؛ وَكَانَ  
مَفْرُوقُ بْنُ عَمْرٍو قَدْ غَلَبَهُمْ جَمَالًا وَلِسَانًا ، وَكَانَتْ لَهُ غَدِيرَتَانِ <sup>(١)</sup> تَسْقُطَانِ عَلَى صَدْرِهِ ،  
فَكَانَ أَدْنَى الْقَوْمِ مَجْلِسًا مِنْ أَبِي بَكْرٍ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ : كَيْفَ الْعِدَّةُ فِيكُمْ ؟  
فَقَالَ لَهُ : إِنَّا لَنَزِيدُ عَلَى أَلْفٍ ، وَلَنْ تُغْلِبَ أَلْفٌ مِنْ قَلَّةٍ ؛ فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ الْمَنْعَةُ  
فِيكُمْ ؟ فَقَالَ : عَلَيْنَا الْجَهْدُ وَلِكُلِّ قَوْمٍ جَدٌّ <sup>(٢)</sup> . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : فَكَيْفَ الْحَرْبُ بَيْنَكُمْ  
وَبَيْنَ عَدُوِّكُمْ ؟ فَقَالَ : إِنَّا أَشَدُّ مَا نَكُونُ لِقَاءَ حِينَ نَفْضَبُ ، وَإِنَّا لَنُؤَثِّرُ الْجِيَادَ عَلَى  
الْأَوْلَادِ ، وَالسَّلَاحَ عَلَى اللَّقَاحِ <sup>(٣)</sup> ، وَالنَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُدِيلُنَا مَرَّةً ، وَيُدِيلُ عَلَيْنَا <sup>(٤)</sup>  
مَرَّةً ، لَعَلَّكَ أَخُو قُرَيْشٍ ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنْ كَانَ بَلَغَكُمْ أَنَّهُ رَسُولُ فَهَاهُو ذَا .  
فَقَالَ مَفْرُوقٌ : قَدْ بَلَغْنَا أَنَّهُ يَذْكُرُ ذَلِكَ ؛ ثُمَّ اتَّفَقَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ لِمَجْلِسٍ ،

\* ابن كثير : ٣ - ١٤٤ ، الروض الأتق : ١ - ٢٦٤

(١) الغديرة : الذؤابة (٢) الجد : الحظ (٣) اللقوح : الناقة الحلوب ، وجمعها لقاح .

(٤) يريد ، تغلب مرة ، ويغلبنا العدو مرة .



وقام أبو بكر يُظَلِّه بثوبه ؛ فقال صلى الله عليه وسلم : « أدعوك إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنى رسول الله ، وأن تؤوؤنى وتنصرونى ، حتى أؤدّى عن الله الذى أمرنى به ، فإن قريشاً قد تظاهرت على أمر الله ، وكذّبت رسوله ، واستغفنت بالباطل عن الحق ، والله هو الفنى الحميد » .

قال مفروق : وإلام تدعو أيضاً يا أخا قريش ؟ فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى (١) : « قُلْ تَمَالَوْا أَنْتُمْ مَاحَرَمَ رَبِّكُمْ عَلَىكُمْ آلَا تُنْشِرُ كُؤَاهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِبَاهُمْ ، وَلَا تَقْرَبُوا أَلْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، ذَلِكَُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ، وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ؛ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ . وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ، ذَلِكَُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » .

فقال مفروق : وإلام تدعو أيضاً يا أخا قريش ؟ فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى (٢) : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » .

فقال مفروق : دعوت الله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ، ولقد أفك (٣) قومٌ كذبوك وظاهروا عليك - وكأنه أحب أن يشرّكه فى الكلام هانى بن قبيصة - فقال : وهذا هانى بن قبيصة شيخنا .

(١) سورة الأنعام ١٥١ ، وما بعدها .

(٢) سورة النحل ٩٠ وما بعدها .

(٣) أفك : كذب .

فقال هاني : قد سمعتُ مقاتلتك يا أخا قريش ، وصدقتُ قولك ، وإني أرى أن ترْكنا ديننا ، واتباعنا دينك لِمَجْلِسِ جَلَسْتَهُ لِيُنَالِيَسَ لَهُ أَوَّلٌ وَلَا آخِرٌ - زَلَّةٌ فِي الرَّأْيِ ، وَطِيشَةٌ فِي الْعَقْلِ ، وَقَلَّةٌ نَظَرٍ فِي الْعَاقِبَةِ ؛ وَإِنَّمَا تَكُونُ الزَّلَّةُ مَعَ الْمَجْلَةِ ، وَإِنْ مِنْ وَرَائِنَا قَوْمًا نَكْرَهُ أَنْ نَعْقِدَ عَلَيْهِمْ عَقْدًا ، وَلَكِنْ تَرْجِعُ وَتَرْجِعُ ، وَتَنْظُرُ وَتَنْظُرُ - وَكَأَنَّهُ أَحَبُّ أَنْ يَشْرَكَهُ فِي الْكَلَامِ الْمُثْنَى بْنُ حَارِثَةَ - فَقَالَ : وَهَذَا الْمُثْنَى شَيْخُنَا وَصَاحِبُ حَرْبِنَا . .

فقال المثنى : قد سمعتُ مقاتلتك ، واستحسنْتُ قولك يا أخا قريش ، وأعجبني ما تكلمتَ به ؛ والجواب هو جواب هاني بن قبيصة ، فَإِنَّمَا نَزَلْنَا الصَّرِيَّينَ<sup>(١)</sup> : الْإِمَامَةَ وَالسَّيِّمَةَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَمَا هَذَانِ الصَّرِيَّانِ ؟ فَقَالَ لَهُ : أَمَّا أَحَدُهُمَا فَطُفُوفُ<sup>(٢)</sup> الْبَرِّ وَأَرْضُ الْعَرَبِ ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَرْضُ فَارَسَ وَأَنْهَارُ كَسْرَى ، وَإِنَّمَا نَزَلْنَا عَلَى عَهْدٍ أَخَذَهُ عَلَيْنَا كَسْرَى أَلَّا تُخْدِثَ حَدَثًا ، وَلَا تُؤْوِيَ مُحَدَّثًا ، وَلَعَلَّ هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي تَدْعُونَا إِلَيْهِ مِمَّا تَكْرَهُهُ الْمُلُوكُ ؛ فَأَمَّا مَا كَانَ مِمَّا يَلِي بِلَادَ الْعَرَبِ فَذَنْبُ صَاحِبِهِ مَغْفُورٌ ، وَعُذْرُهُ مَقْبُولٌ ، وَأَمَّا مَا كَانَ مِمَّا يَلِي بِلَادَ فَارَسَ فَذَنْبُ صَاحِبِهِ غَيْرُ مَغْفُورٍ ، وَعُذْرُهُ غَيْرُ مَقْبُولٍ . فَإِنْ أُرِدْتَ أَنْ نَنْصَرِكَ وَنَمْنَعَكَ مِمَّا يَلِي الْعَرَبَ فَعَلْنَا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا أَسْأَلُكُمْ الرَّدَّ إِذَا أَفْصَحْتُمْ بِالْصَدَقِ ؛ إِنَّهُ لَا يَقُومُ بِدِينِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ حَاطَهُ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ » .

(١) كل ماء مجتمع صري ، وتثنيته صريان ، ويروى : « نزلنا بين صيرين فقال رسول الله : وما هذان الصيران ؟ قال : مياه العرب وأنهار كسرى » . والصير : الماء الذي يحضره الناس . لسان العرب - مادة صري (٢) طفوف : جمع طف ؛ وهو ساحل البحر وجانب البر .

نم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أرايتم إن لم تلبثوا إلا يسيراً حتى  
يمنحكم الله ببلادهم وأموالهم أتسبحون الله وتقدسونه؟ » فقال له النعمان بن شريك :  
اللهم وإن ذلك لك يا أخا قريش ! فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى :  
« إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً » .  
ثم نهض قابضاً على يدي أبي بكر ، والتفت إلى علي وقال . يا علي ؛ أية أخلاق  
للعرب كانت في الجاهلية ! ما أشرفها ! بها يتحاجزون في الحياة الدنيا .

## ١٤٥ - مسلم يَحْتَالُ عَلَى قُرَيْشٍ \*

أسلم الحجاج <sup>(١)</sup> بن عِلَاطٍ السَّلَمِي ، ولم تعلم قُرَيْشُ بِإِسْلَامِهِ ؛ فاستأذن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يوم خَيْبَرَ أَنْ يَصِيرَ إِلَى مَكَّةَ ، فَيَأْخُذَ مَا كَانَ لَهُ مِنْ مَالٍ - وَكَانَتْ لَهُ أَمْوَالٌ مُتَفَرِّقَةٌ هُنَاكَ ، وَهُوَ رَجُلٌ غَرِيبٌ بَيْنَهُمْ - فَأَذِنَ لَهُ النَّبِيُّ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ إِنِّي أَحْتَاجُ أَنْ أَقُولَ <sup>(٢)</sup> . قَالَ : فَقُلْ ؛ فَصَارَ إِلَى مَكَّةَ .

فَقَالَتْ قُرَيْشُ : هَذَا لِعَمْرُ اللَّهِ عِنْدَهُ الْخَبَرُ . قَالَ : فَقُولُوا . فَقَالُوا : بَلْفَنَّا أَنْ الْقَاطِعَ <sup>(٣)</sup> قَدْ خَرَجَ إِلَى أَهْلِ خَيْبَرَ . فَقَالَ الْحَجَّاجُ : نَعَمْ ! فَقَتَلُوا أَصْحَابَهُ قَتْلًا لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ ، وَأَخَذُوهُ أَسِيرًا ، وَقَالُوا : نَرَى أَنْ نُكَارِمَ <sup>(٤)</sup> بِهِ قُرَيْشًا ؛ فَندْفَمُهُ إِلَيْهِمْ ؛ فَلَا تَزَالُ لَنَا هَذِهِ الْيَدُ فِي رِقَابِهِمْ ، وَإِنَّمَا بَادَرْتُ لَجْمِ مَالِي ؛ لَعَلِّي أَصِيبُ بِهِ مِنْ قَلٍ <sup>(٥)</sup> مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ قَبْلَ أَنْ يَسْبِقَنِي إِلَيْهِ التَّجَارُ ، وَيَتَّصِلَ بَيْنَهُمُ الْحَدِيثُ .

فاجتهدوا فِي أَنْ يَجْمَعُوا إِلَيْهِ مَالَهُ أَسْرَعَ جَمْعٍ ، وَسُرُّوهُ أَكْثَرَ السُّرُورِ ، وَقَالُوا بَلَا رُغْمَ <sup>(٦)</sup> !

وَأَتَاهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُظَلِّبِ وَهُوَ كَالْمَرْأَةِ الْوَالِهَةِ <sup>(٧)</sup> ، فَقَالَ : وَتَحَكَّ يَا حَجَّاجُ !

\* الكامل للبرد : ١ - ٢٠٧

(١) وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر ، فأسلم (٢) يريد : أقول على جهة الاحتيال (٣) يريدون رسول الله صلى الله عليه وسلم البار الواصل رحمه ، وكانوا يرمونه - سفهاً - بالقاطع ، أى القاطع رحمه (٤) كارهه : غلبه في الكرم (٥) يريد من غنائم ذلك القل (٦) وقالوا بلا رُغم : يريد وفعلوا ذلك بلا كره ، العرب تجعل القول عبارة عن الفعل ، وتطلقه على غير الكلام (٧) الوله : ذهَابُ العقل والتعير من شدة الوجد ، ويقال امرأة والِه والِه ورجل والِه .

ما تقول ؟ فقال : أكاثم على خبري ؟ فقال : إى والله ، فقال : فالبث<sup>(١)</sup> على شيئاً حتى يخف موضعي .

ثم سار إليه ، فقال له : الخبر والله على خلاف ما قلت لهم ؛ خلقت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد فتح خير ، وخلقته الله مغيراً بانبئة ملكهم<sup>(٢)</sup> ، وما جئتكم إلا مسلماً ؛ فاطرو الخبر ثلاثاً ، حتى أعجز<sup>(٣)</sup> القوم ، ثم أشع<sup>(٤)</sup> ، فإنه والله الحق .

فقال العباس : ويحك ! أحق ما تقول ؟ قال : إى والله . فلما كان بعد ثلاثة تخلق<sup>(٥)</sup> العباس وأخذ عصاه ، وخرج يطوف بالبيت ؟ فقالت قريش : يا أبا الفضل ، هذا والله التجلد ، فقال : كلا ومن حلقتم به ، لقد فتح رسول الله خير ، وأعرس بانبئة ملكهم ! فقالوا : من أتاك بها الحديث ؟ فقال : الذي أناكم بخلافه ، ولقد جاءنا مسلماً .

ثم أنت الأخبار من النواحي بذلك ! فقالوا : أفلتنا الخبيث ، أولى له<sup>(٥)</sup> !

---

(١) امكث ، وهو يريد اصبر (٢) يريد صفة بات حي بن أخطب (٣) أعجز التوم : صيرهم عاجزين (٤) الملقوق : العالوب ، وتخلق : على توبه به (٥) أولى له : كلمة تهديد وتوعيد

## ١٤٦ - إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه \*

جاء أعرابي<sup>(١)</sup> إلى علي رضي الله عنه ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، إن لي إليك حاجة رفعتها إلى الله قبل أن أرفعها إليك ، فإن أنت قضيتها حدث والله وشكرتك. وإن أنت لم تقضها حدث الله تعالى وعذرتك ؛ فقال له علي : خطبها في الأرض ؛ فإني أرى الضر عليك . فكتب : إني فقير . فقال : يا قنبر<sup>(١)</sup> اكسبه حلتي ! فلما أخذها مثل بين يديه فقال :

كسوتني حُلَّةً تَبْلَى مَحاسِنُهَا	فسوف أكسوك من حُسْنِ الثَّنا حُلَلًا
إيه أبا حسنٍ قد نلت مَكْرُمَةً	ولست تَبْغِي بِمَا قَدَّمْتُ بَدَلًا !
إن الثناء لِيُخَيِّ ذَكَرَ صاحِبِهِ	كالفيث يَحْيى نَداءَ السَّهْلِ والجَبَلَا
لا تزهّد الدهرَ في عُرْفٍ بدأتَ بِهِ	كلُّ امرئٍ سوف يُجْزَى بالَّذي فعلا

فقال علي : يا قنبر ؛ زده مائة دينار ! فقال : يا أمير المؤمنين ، لو فرقتها في المسلمين لأصلحت بها من شأنهم ! فقال علي : صه يا قنبر ؛ فإني سمعت النبي يقول : اشكروا لمن أثنى عليكم ، وإذا أتاكم كريم قوم فأكرموه !

\* أدب السياسة : ١٧٦ ، المستطرف : ٢ - ٢٤٤

(١) قنبر : مولى علي رضي الله عنه .

## ١٤٧ — ما رأيته لآحى أحداً إلا غلبه \*

قال عبد الله بن عمر : كنتُ عند أبي يومًا ، وعنده نفرٌ من الناس ، فجرى ذكر الشعر ، فقال : مَنْ أشعرُ العرب ؟ فقالوا : فلان وفلان . فطلع عبد الله بن عباس ، فسلم وجلس ، فقال عمر : قد جاءكم الخبير ؟ من أشعر الناس يا عبد الله ؟ قال : زهير بن أبي سلمى ، قال : فأُنشدني مما تستجيده له ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إنه مدح قوما من غطفان ، يقال لهم بنو سنان فقال :

لو كان يَقمَدُ فوقَ الشَّمسِ من كَرَمٍ      قومٌ بأولهم أو تجِدُهم قَعَدُوا  
قومٌ ، سنانُ أبوهم حينَ تَنسُبُهُمُ <sup>(١)</sup>      طابوا وطاب من الأولاد ما وَلَدُوا  
إنسٌ إذا أَمِنُوا ، حينَ إذا فَرَّعُوا      مُرَزَّوونٌ <sup>(٢)</sup> بهاليل <sup>(٣)</sup> إذا جَهَدُوا <sup>(٤)</sup>  
مُحْسَدونٌ <sup>(٥)</sup> على ما كان من نعم      لا يَنزِعُ اللهُ منهم مَالَهُ حُسِدُوا

فقال عمر : والله لقد أحسن ! وما أرى هذا اللدح يصلحُ إلا لهذا البيت من هاشم ؛ لقرابتهم من رسول الله .

فقال ابنُ عباس : وقلك الله يا أمير المؤمنين ، فلم تزل مُوفِّقًا .

فقال عمر : أتدرى يا ابنَ عباس ما منع الناسَ منكُم ؟ قال : لا ، يا أمير المؤمنين !

\* ابن أبي الحديد : ٣ - ١٠٧ ، تاريخ الطبرى : ٥ - ٣٠

(١) نسبه ينسبه : ذكر نسبه ، وسأله أن ينتسب (٢) المرزءون : الكرماء

(٣) البهلول : السيد الجامع لكل خير (٤) جهد - كمن : جد واجتهد (٥) حسده : تمنى أن تتحول إليه نعمته .

قال : لَكِنِّي أَدْرِي ، قال : ما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : كَرِهْتُ قَرِيشٌ أَنْ يَجْتَمَعَ لَكُمْ النُّبُوَّةُ وَالْخِلَافَةُ فَتُجَحِّدُوا<sup>(١)</sup> النَّاسَ جَحْفًا ؛ فَنَظَرْتُ قَرِيشَ لَأَنْفُسِهَا فَاخْتَارْتُ ، وَوُقِّتَتْ فَأَصَابَتْ .

فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : أَيْمِيطُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ غَضَبِهِ فَيَسْمَعُ ؟ قَالَ : قُلْ مَا تَشَاءُ .  
قال : أَمَا قَوْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ : إِنْ قَرِيشًا كَرِهْتُ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِقَوْمٍ : « ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ » . وَمَا قَوْلُكَ : إِنْ كُنَّا نَجْحِفُ ، فَلَوْ جَحَفْنَا بِالْخِلَافَةِ جَحْفًا بِالْقَرَابَةِ ، وَلَكِنَّا قَوْمٌ أَخْلَقْنَا مُشْتَقَّةً مِنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ، الَّذِي قَالَ اللَّهُ فِيهِ : « وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ » . وَقَالَ لَهُ : « وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ » .

وَأَمَّا قَوْلُكَ : فَإِنْ قَرِيشًا اخْتَارَتْ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : « وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ » .

وَقَدْ عَلِمْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ اللَّهَ اخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ لَذَلِكَ مَنْ اخْتَارَ ، فَلَوْ نَظَرْتُ قَرِيشَ مِنْ حَيْثُ نَظَرَ اللَّهُ لَهَا لَوُقِّتَتْ وَأَصَابَتْ .

فَقَالَ عُمَرُ : عَلَى رِسْلِكَ<sup>(٢)</sup> يَا بَنَ عَبَّاسٍ ! أَبْتَ قُلُوبَكُمْ يَا بَنِي هَاشِمٍ إِلَّا غَشَا فِي أَمْرِ قَرِيشَ لَا يَزُولُ ، وَحَقْدًا عَلَيْهَا لَا يَحُولُ .

فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : مَهَلًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَا تَنْسَبُ قُلُوبَ بَنِي هَاشِمٍ إِلَى النَّفْسِ ؛ فَإِنَّ قُلُوبَهُمْ مِنْ قَلْبِ رَسُولِ اللَّهِ الَّذِي طَهَّرَهُ اللَّهُ وَزَكَّاهُ ، وَهُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ لَهُمْ : « إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا » .

وَأَمَّا الْحَقْدُ ؛ فَكَيْفَ لَا يَحْقِدُ مِنْ غُصْبِ شَيْئِهِ ، وَيَرَاهُ فِي يَدِ غَيْرِهِ ؟ فَقَالَ عُمَرُ :

(١) أَجَحَفَ بِهِ : ذَهَبَ (٢) عَلَى رِسْلِكَ : عَلَى مَهْلِكِ .



ما أنت يا ابن عباس ؟ فقد بلغني عنك كلامٌ أكره أن أخبرك به ، فنزل منزلك عندي ! قال : وما هو يا أمير المؤمنين ؟ أخبرني به فإن يك باطلاً فنبلى أماط الباطل عن نفسه ، وإن يك حقاً فإن منزلي عندك لا نزول به ! قال : بلغني أنك لا تزال تقول : أخذ هذا الأمر حسداً وظلماً .

قال : أما قولك يا أمير المؤمنين : «حسداً» : فقد حسد إبليس آدم فأخرجه من الجنة ، فنحن بنو آدم المحسود ، وأما قولك : «ظلماً» فأمر المؤمنين يعلم صاحب الحق من هو !

ثم قال : يا أمير المؤمنين ، ألم تحتج العرب على العجم بحق رسول الله ، واحتجت قريش على سائر العرب بحق رسول الله ، فنحن أحق برسول الله من سائر قريش .

فقال له عمر : قم الآن فارجع إلى منزلك . فقام ، فلما ولى هتف به <sup>(١)</sup> عمر : أيها المنصرف ؛ إني على ما كان منك لرايع حقك . فالتفت ابن عباس فقال : إن لي عليك يا أمير المؤمنين وعلى كل المسلمين حقاً برسول الله . فمن حفظه فحق نفسه حفظ ، ومن أضاعه فحق نفسه أضاع ، ثم مضى .

فقال عمر لجلسائه : واهاً لابن عباس ! ما رأيته لآحى <sup>(٢)</sup> أحداً قط إلا خصمه <sup>(٣)</sup> !

(١) هتف به : ناداه .

(٢) لآحاه : نازعه (٣) خاصمه فخصمه : غلبه .

## ١٤٨ — المغيرة بن شُعْبَةَ وَأَحَدُ الْأَعْرَابِ \*

. خرج المغيرة بن شُعْبَةَ ، وهو على الكوفة يومئذ ، ومعه الهيثم بن الأسود النخعي بعد مطرٍ يسيرٍ بظهر الكوفة ؛ فلقى أعرابياً من بني تميم الله بن ثعلبة . وهو لا يعرف المغيرة <sup>(١)</sup> .

فقال له المغيرة : من أين أقبلت يا أعرابي ؟ قال : من السماء ، قال : كيف تركت الأرض خلفك ؟ قال : عريضة <sup>(٢)</sup> أريضة ، قال : وكيف كان المطر ؟ قال : عفى الأثر ، وملاً الحفر .

قال : ممن أنت ؟ قال : من بكر بن وائل ، قال : كيف علمك بهم ؟ قال : إن جهلتهم لم أعرف غيرهم ، قال : فما تقول في بني شيبان ؟ قال : سادتنا وسادةٌ غيرنا ، قال : فما تقول في بني ذهل ؟ قال : سادة نوّكي <sup>(٣)</sup> ، قال : فقيس بن ثعلبة ؟ قال : إن جاورتهم سرقوك ، وإن ائتمنتهم خانوك . قال : فبنو تميم الله بن ثعلبة ؟ قال : رعاء <sup>(٤)</sup> البقر ، وعراقيب الكلاب ، قال : فما تقول في بني يشكر ؟ قال : صريح <sup>(٥)</sup> نحسبه مولى ، قال : فميجل ؟ قال : أحلاس الخيل <sup>(٦)</sup> ، قال : بخنيقة ؟ قال :

\* الأغاني : ١٥٠ - ١٣٨ ( طبعة الساسي ) .

(١) المغيرة بن شعبة : صحابي جليل ، شهد في عهد رسول الله بعض المواقع ، وشهد كثيراً من الفتوح في عهد الخلفاء الراشدين . وتوفي سنة ٥١ هـ . (٢) يقال : أرض أريضة ؛ إذا كانت زكية معجبة (٣) نوكي : جمع أنوك وهو الأحمق (٤) رعاء : جمع راع (٥) الصريح : الخالص النسب (٦) الخيل (في الأصل) : كساء على ظهر البعير تحت البرذعة ، ويقال : هو حلس بيته ؛ إذا لم يبرح مكانه ، والمراد هنا أنهم يلازمون ركوب الخيل مغيرين أو محارين .

يطعمون الطعام ، ويضربون المام ، قال : ففَنَزَّة ؟ قال : لا تلتقي بهم الشفتان لؤماً !  
قال : فأخبرني عن النساء ، قال : النساء أربع : ربيع مُربع ، وجميع يجمع ،  
وشيطان سَمَمَعٌ ، وغلٌ لا يخلع ، قال : فَسَّرُ ، قال : أما الربيع فالتى إذا نظرت  
إليها سررتك ، وإذا أقسمت عليها برتتك ؛ وأما التى هى جميع يجمع ، فالمرأة تزوجها  
فتجميع نسبك إلى نسبها ؛ وأما الشيطان السَمَمَعُ ؛ فالحلقة فى وجهك إذا دخلت ،  
والمولودة فى إثرك إذا خرجت ؛ وأما الغل الذى لا يخلع ، فبنت عمك السوداء ،  
القصيرة الورهاء <sup>(١)</sup> الذميمة التى قد نثرت لك بطنها ؛ إن طلقها ضاع ولدك ، وإن  
أمسكتها فعلى جدِّع أنفك . ثم قال له : ما تقول فى أميرك المغيرة ؟ قال : أعور زنَّاء ،  
فقال المهيم : فضَّ الله فاك ! ويلك ! هذا الأمير المغيرة ، فقال : إنها كلمة والله تُقال ؛  
فانطلق به المغيرة إلى منزله ، وعنده يومئذ أربع نسوة ، وستون أمة ، ثم قال له :  
ويحك ! هل يقدم أحدٌ على هذه الكبيرة وعنده مثل هؤلاء ؟ ثم قال لمن المغيرة :  
ارمين إليه بحلتيكن ، فخرج الأعرابي بملء كسائه ذهباً وفضة !

---

(١) الورهاء : الخرقاء فى العمل أو الخفاء .

١٤٩ — دَهَاءُ بَعْرُ بنِ المَاصِ \*

لما نزل على بن أبي طالب الكوفة بعد فراغه من أمر البصرة كتب إلى معاوية كتاباً يدعو به إلى البيعة ، وأرسل جرير بن عبد الله البجلي ، قدم عليه به الشام ، فقرأه فاعتم بما فيه وذهبت أفكاره كل مذهب ؛ وطاول جريراً بالجواب عن الكتاب ، حتى كلم قوماً من أهل الشام في الطلب بدم عثمان بن عفان فأجابوه ووثقوا له .

وأحب الزيادة في الاستظهار ، فاستعان بأخيه عتبة بن أبي سفيان ؛ فقال : استعن بعمر بن الماص ؛ فإنه من قد علمت في دهائه ورأيه ، وقد اعتزل عثمان ابن عفان في حياته ، وهو لأمرك أشد اعتزالاً ، إلا أن يُثمن له دينه ، فسيبيعك ، فإنه صاحب دنيا .

فكتب إليه معاوية : أما بعد ، فإنه كان من أمر علي وطلحة والزبير ما قد بلغك ، وقد سقط إلينا مروان بن الحكم في نفر من أهل البصرة ، وقدِم علينا جرير بن عبد الله في بيعة علي ، وقد حبست نفسي عليك ، فأقبل إذا كرك أموراً لا تعدم مغبتها إن شاء الله .

فلما قدم الكتاب على عمرو استشار ابنه : عبد الله بن عمرو ، ومحمد بن عمرو ؛ فقال لهما : ما تريان ؟ فقال عبد الله : أرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وهو عنك راض ، والخليفتان بعده ، وقُتل عثمان وأنت غائب عنه ؛ فقرر في منزلك

فلستَ بمجمولا خائفة ، ولا تزيدُ على أن تكون حاشيةً لمعاوية ، على دنيا أوشكتما أن تهلكا وتفارقاها .

وقال محمدٌ : أرى أنك شيخٌ قریش وصاحبُ أمرٍها ، وإن تصرَّم هذا الأمرُ — وأنت فيه غافل — تصَّغرُ أمرُك ؛ فاللحقْ بجماعة أهل الشام ، وكنْ يداً من أيديها ، طالباً بدمِ عثمان ، فإنه سيقومُ بذلك بنو أمية .

فقال عمرو : أنت يا عبد الله قد أمرتني بما هو خير لي في ديني ، وأما أنت يا محمد فأمرتني بما هو خير لي في دنياي ، وأنا أنظر .

ثم دعا عمرُ و غلامه وُردان — وكان داهيةً مardاً — فقال : ارحلْ يا وُردان ، ثم قال : احطط يا وُردان ! ثم قال : ارحل يا وُردان ، احطط يا وُردان . فقال له وردان : خلطت أبا عبد الله ، أما إنك إن شئت أنبأتك بما في قلبك ، قال : هات ، ويحك ! قال : اعتزكت الدنيا والآخرة على قلبك ، فقلت : على \*معه الآخرة في غير دنيا ، وفي الآخرة غرضٌ عن الدنيا ومعاوية \*معه الدنيا بغير آخرة ، وليس في الدنيا غرضٌ من الآخرة ، وأنت واقف بينهما .

قال : فأتلك الله ! ما أخطأت ما في قلبي ، فما ترى يا وردان ؟ قال : أرى أن تقيمَ في بيتك ؛ فإن ظهر أهل الدين عشتَ في عفو دينهم ، وإن ظهر أهل الدنيا لم يستغنوا عنك ، قال : الآن لما شهرت العرب سيري إلى معاوية !

ثم ارتحل حتى قدم على معاوية ، وعرف حاجته إليه ، فباعده من نفسه ، وكايد كل واحد منهما صاحبه .

فقال له معاوية يوم دخل عليه : أبا عبد الله ؛ طرقتنا في ليلتنا ثلاثة أخبار ليس فيها وُرد ولا صدر . قال : وما ذاك ؟ قال : منها أن محمد بن أبي حذيفة كسر ( ٢٤ قصص العرب — ٢ )

سِجْنِ مصر ، فخرج هو وأصحابه ، وهو من آفات هذا الدين ؛ ومنها أن قيصر زحف  
بجماعة الروم ليغلب على الشام ؛ ومنها أن عليا نزل الكوفة ، وهيباً للمسير إلينا .  
فقال عمرو : ليس كل ما ذكرت عظماً ؛ أما ابن أبي حذيفة فما يتعاظمك <sup>(١)</sup>  
من رجل خرج في أشباهه أن تبعث إليه رجلاً يقتله ، أو يأتيك به ، وإن قاتل لم  
يضرک ؛ وأما قيصر فأهد له الوصائف وآنية الذهب والفضة ، وسله المواعدة فإنه  
إليها سريع ؛ وأما علي ، فلا والله يامعاوية ، ما يسوئ العريء بينك وبينه في شيء  
من الأشياء ، وإن له في العرب لحظاً ، ماهولاً أحد من قریش ، وإنه لصاحب ماهو  
فيه إلا أن تظلمه .

قال معاوية : يا أبا عبد الله ؛ إنى أدعوك إلى جهاد هذا الرجل الذي عصى الله  
وشق عصا المسلمين ، وقتل الخليفة وأظهر الفتنة ، وفرق الجماعة وقطع الرحم .  
فقال عمرو : والله يامعاوية ، ما أنت وعلى عدلاً بعير ، أيس لك هجرته ولا  
سابقته ، ولا صُحْبَتُهُ ولا جهاده ، ولا فقهه ، ولا علمه ؛ والله إن له مع ذلك لحظاً  
في الحرب ليس لأحد غيره ، ولكنى قد تعودت من الله تعالى إحساناً وبلاءً جميلاً ،  
فما تجعل لى إن شايعتك على حربيه ، وأنت أدم ما ميه من الغرر والخطر ؟ قال :  
حُكْمُكَ ، فقال : مصر طعمة ، فتلك معاوية وقال : يا أبا عبد الله ؛ إنى  
أكره لك أن تتحدث العرب عنك أنك إنما دخت في هذا الأمر لمرض  
الدنيا ! قال عمرو : دغنى عنك ، فقال معاوية : إنى . شئت أن أمتيك وأخذت عنك  
لفعلت . قال عمرو : لعمر الله ما مثلى يُخدع ، لأنما أ كِدْسُ من ذلك ، فقال معاوية :  
ادن منى أسارك . فدنا منه عمرو ليساره ، فعض معاوية أذنه ، وقال : هذه خدعة ،

(١) لا يعظم عليك .

هل ترى في البيت أحداً غيرى وغيرك ! ثم تَلَكَّأَ عليه وانصرف عمرو .  
 فلما حضر عتبة بن أبي سفيان قال لمعاوية : أما ترضى أن تشتري عمراً بمصر ؟  
 فقال معاوية : يا عتبة ؛ بت عندنا الليلة . فلما جَنَّ الليل على عتبة رفع صوته لسمع  
 معاوية وقال :

أيتها المانع سيفاً لم يهزْ	إنما ملت على خزْ وقزْ
أعط عمراً إن عمراً تاركْ	دينه اليوم لدنيا لم تُحزْ
أعطه مصرَ وزدْه مثلها	إنما مصرُ لمن عزْ فبزْ
واترك الحرص عليها ضلَّةً	واشعب النار لمقرور يُكزْ
إن مصر لعلَى أو لنا	يُغلب اليوم عليها من عجزْ

فلما سمع معاوية قول عُتْبَةَ أرسل إلى عمرو فأعطاه مصر ، وكتب له  
 كتاباً بها .

١٥٠ — بين معاوية وهاني بن عروة\*

ولَّى معاويةُ كثيرَ بنِ شهابَ اللَّذِ حِجِّي خُرَّاسانَ ؛ فاختَصَّانَ مالا كثيراً ،  
ثم هرب فاستترَ عندَ هاني<sup>(١)</sup> بنِ عروة المرادي ، فبلغَ ذلكَ معاوية ، فنذرَ دمَ هاني ؛  
فخرجَ هذا فكانَ في جوارِ معاوية .

ثم حضرَ مجلسه - ومعاويةُ لا يعرفُه - فلما نهضَ الناسُ ثبتَ مكانه ، فسأله  
معاويةُ عن أمره ؛ فقال : أنا هانيُ بنُ عروة . فقال : إن هذا اليومَ ليسَ بيومِ يقولُ  
فيه أبوك :

أَرْجُلُ بُحَّتِي<sup>(٢)</sup> وَأَجْرُ ذَنْبِي وَتَحْمِلُ شِكَّتِي<sup>(٣)</sup> أَفَقُ<sup>(٤)</sup> كَمَيْتٍ<sup>(٥)</sup>  
أَمْشَى فِي سَرَاقَةِ بَنِي غُطَيْفٍ إِذَا مَا سَسَا مَنِي ضَمِيمٌ أَبَيْتُ  
فَقَالَ لَهُ هَانِيُ : أَنَا الْيَوْمَ أَعَزُّ مِنِّي ذَلِكَ الْيَوْمَ ! فَقَالَ لَهُ : بِمَ ذَاكَ ؛ فَقَالَ :  
بِالْإِسْلَامِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ لَهُ : أَيْنَ كَثِيرُ بْنُ شَهَابٍ ؟ قَالَ : عِنْدِي فِي عَسْكَرِكَ  
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : انْظُرْ إِلَى مَا اخْتَفَاكَ ؛ فَخَذَ مِنْهُ بَعْضًا ، وَسَوَّغَهُ  
بَعْضًا .

\* الكامل ١ : ٧٢

(١) هانيُ بنُ عروة بنِ الفضاض : من قراء الكوفة ، وكان من خواص عليّ بن أبي طالب ،  
قتل مع مسلم بن عقيل رسول الحسين إلى الكوفة (٢) الجمّة : مجتمع شعر الرأس (٣) الشكة :  
السلاح (٤) فرس أفق : رالم (٥) الكيت : الذي خالط حرته قنوه .



١٥١ — إن هذا العبد غلبني وغلبك \*

دخل عمرو<sup>(١)</sup> بن العاص يوماً على معاوية بعد ما كبر ودقّ ، ومعه مولاة  
ورّدان ، فأخذا في الحديث ، وليس عندهما غير ورّدان ، فقال عمرو : يا أمير المؤمنين  
ما بقي مما تستلذه ؟ فقال : أما الثيابُ فقد لبستُ من لَيِّنها وجيّدَها حتى وهَى بها  
جلدى ، فما أدرى أيها ألين ؟ وأما الطعامُ فقد أكلتُ من لينه وطَيِّبَها حتى ما أدرى  
أيه ألذ وأطيب ؟ أمّا الطيبُ فقد دَخَلَ خياشيمي منه حتى ما أدرى أيه أطيب ؟  
فما شيء ألذّ عندي من شراب بارد في يوم صائف ، ومن أن أنظر إلى بَنَى ، وبَنَى  
بَنَى يدورون حولي !

فما بقي منك يا عمرو ؟ قال : مال أغرسه فأصيبُ من ثمرته ومن غلّته . فالتفت  
معاوية إلى ورّدان فقال : ما بقي منك يا ورّدان ؟ قال : صنِعة كريمة سَنِيَة أعلَقَها  
في أعناق قوم ذوى فضل وأخطار ، لا يكافئون عليها حتى ألقى الله تعالى ، وتكون  
لعقبى في أعقابهم بعدى . فقال معاوية : تَبّاً لجلسنا سائرَ اليوم ! إن هذا العبد  
غلبني وغلبك !

\* المسعودى ١ : ٦٦

(١) هو عمرو بن العاص بن وائل : أسلم سنة ثمان مع خالد بن الوليد ، وولاه معاوية مصر ثلاث  
سنين ، ثم حضرته الوفاة قبل الفطر بيوم ، سنة ٤٢ هـ .

١٥٢ — ما عليه لو عرض\*

دخل عمرو بن العاص على معاوية يسأله حاجة ، وقد كان بلغ معاوية عنه ما كرهه ؛ فكره قضاءها وتشاغل .

فقال عمرو : يا معاوية ؛ إن السخاء فطنة ، واللؤم تغافل ، والجفاء ليس من أخلاق المؤمنين ! فقال معاوية : يا عمرو ؛ بماذا تستحقُّ مناقضاء الخوائج العظام ؟ فغضب عمرو ، وقال : بأعظم حقٍّ وأوجبهِ ؛ إذ كنت في بحرٍ عجَّاج<sup>(١)</sup> ؛ فلولا عمرو لفرت في أقلِّ مائة وأرقه ؛ ولكنني دفعتك فيه دفعةً فصرت في وسطه ، ثم دفعتك فيه أخرى ، فصرت في أعلى المواضع منه ؛ فمضى حكمك ، ونفذ أمرُك وانطلقَ لسانُك بعد تلجُّلجِه ، وأضاء وجهُك بعد ظلمته .

فتناوم معاوية ، وأطبق جفَّنيهِ ملياً ، فخرج عمرو ، فاستوى معاوية جالساً ، وقال لجلسائه : أرايتم ما خرج من فمِ ذلك الرجل ! ما عليه لو عرض ! ففى التعريض<sup>(٢)</sup> ما يكفي ، ولكنه جَبَّني بكلامه ، ورماني بسُومٍ سهامه .

فقال بعضُ جلسائه : يا أمير المؤمنين ، إن الخوائج لتُقضى على ثلاث خصال : إما أن يكون السائلُ لقضاء الحاجة مُستحقاً ، فتُقضى حاجتهُ بحقه ، وإما أن يكون السائلُ ثيماً فيصون الشريف نفسه عن لسانه ، فيقضى حاجته ، وإما أن يكون المسئولُ كريماً فيقضيها لكرمه صغرت أو كبرت .

\* ابن أبي الحديد ٢ : ٤٠١

(١) بحر عجَّاج : لثائه صوت (٢) التعريض : ضد التصريح .

فقال معاوية : لله أبوك ! ما أحسن ما نظقت به ! وبعت إلى عمرو فأخبره ،  
وقضى حاجته ، ووصله بصلّة جليّة .

فلما أخذها ولّى منصرفاً ، فقال معاوية : « فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا ، وَإِنْ لَمْ  
يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ » . فسمعها عمرو ، فالتفت إليه مُغَضِّباً ، وقال : والله  
يا معاوية لا أزال آخذ منك قهراً ، ولا أطيع لك أمراً ، وأحفر لك بئراً عميقة إذا  
وقعت فيها لم تُدْرِكَ إلا زمياً<sup>(١)</sup>

فضحك معاوية فقال : ما أردتك يا أبا عبد الله<sup>(٢)</sup> بالسكّمة ، وإنما كانت آيةً  
تلوّثها من كتاب الله عرّضت بقلبي ، فاصنع ما شئت !

---

(١) الرميم : البالي .

(٢) كنية عمرو بن العاص .

# ١٥٣ — لا يأتينا غير طالب فقه أو طالب فضل\*

دخل عبد الله بن صفوان على عبد الله بن الزبير - وهو يومئذ بمكة - فقال :  
أصبحت كما قال الشاعر :

فإن تُصِبَّكَ من الأيام جائحةٌ لا أبك منك على دنيا ولا دين

فقال : وما ذلك يا أعرج ؟ قال : هذا عبد الله بن عباس يفقه الناس ، وعبيد الله أخوه يُطعم الناس ، فما أبقياً لك ؟ فأحفظه ذلك ، وأرسل صاحب شُرطته عبد الله ابن مُطيع وقال له : انطلق إلى ابني عباس ، فقل لهما : أعمدتما إلى راية تُرَايِيَّةٍ قد وضعها الله فنصبتها ! بدِّدَا عني جَمْعَكُما ، ومن ضَوَى<sup>(١)</sup> إليكما من ضلال أهل العراق وإلا فعلتُ وفعلتُ . . .

فقال ابن عباس : قل لابن الزبير : يقول لك ابن عباس : تَكَلَّتْكَ أُمُّكَ ! والله ما يأتينا من الناس غير رجلين : طالب فقه أو طالب فضل ، فأى هذين تمنع ! فقال أبو الطفيل<sup>(٢)</sup> :

لا در درُ الیالی کیف نُضحکنا منها خطوبٌ أعاجیبٌ وتُبکینا  
ومثل ما تحدث الأيام من غیرِ یابن الزبیر عن الدنیا تسلینا  
کُنّا نجی ابن عباس فیقبسنا<sup>(٣)</sup> علماً ویسکبنا أجراً ویهدینا

\* الأغاني ١٣ : ١٦١ ( طبعة الساسی )

(١) ضوى : انضم (٢) هو عامر بن وائلة ، كانت له محبة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعمر بعده طويلاً ، وكان من شيعة علي بن أبي طالب ، وله منه عمل خاص (٣) يقبسنا : يملأنا -

ولا يزال عُبيد الله مترعة	جفانه مُطعمًا ضيفًا ومسكينًا
قاليد الدين والدنيا بدارها	تعال منها الذي ينبغي إذا شينا
إن النبي هو النور الذي كُشِفَتْ	به عماياتُ باقينَا وماضينا
ورحطه عصمة في ديننا ولم	فضل علينا وحقًا واجب فينا
ولست - فاعله - أولى منهم رحماً	بابن الزبير ولا أولى به دينًا
فقيم تمنمهم عنا وتمنعنا	منهم وتؤذيهم فينا وتؤذينا؟
لن يؤتى الله من أخزى يبغضهم	في الدين عزًا ولا في الأرض تمكينًا

١٥٤ — ابن أبي مخجن عند معاوية\*

وفد ابنُ أبي مخجن علي معاوية ، فقام خطيباً ، فأحسن ، فغسده معاوية .  
فقال له : أنت الذي أوصاك أبوك بقوله :  
إذا مت فادفني إلى جنبِ كَرَمَةٍ تروى عظامي بعد موتي عروقها  
ولا تدفني في الفلاة فإنني أخافُ إذا ماتتُ ألا أذوقها  
قال : بل أنا الذي يقول أبي :  
لا تسأل الناس مآلِي وكثرته وسائلِ الناس ماجودي وما خلقي  
أعطى الحسامَ غداةَ الرّوع حصته وعاملُ الرمح أزويه من العلق<sup>(١)</sup>  
وأطعن الطعنةَ النجلاء<sup>(٢)</sup> عن عرض وأكتم السرّ فيه ضربةُ العُنق  
ويعلم الناس أني من سرائهم<sup>(٣)</sup> إذا تطيش يدُ الرّعديدة<sup>(٤)</sup> الفرق<sup>(٥)</sup>  
فقال له معاوية : أحسنت والله يا ابن أبي مخجن ، وأمر له بصلة وجائزة .

\* المستطرف ٢ : ٢٣٦ ، ذيل زهر الآداب ٦٨ .

(١) العلق : أدم الفليظ (٢) النجلاء : الواسعة (٣) سراة : جمع السرى : وهو الرئيس

(٤) الرعديدة : الجبان (٥) الفرق : شديد الفرع .

١٥٥ - ذكّرني يوم النفخ في الصور \*

قدم سعيد<sup>(١)</sup> بن جبير على الحجاج فقال له : ما اسمك ؟ قال : سعيد ، قال : ابن من ؟ قال : ابن جبير ، قال الحجاج : بل أنت شقي بن كسير . قال سعيد : أمي أعلم باسمي واسم أبي ، قال الحجاج : شقيت وشقيت أمك . قال سعيد : الغيب يعلمه غيرك ، قال الحجاج : لأوردنك حياض الموت ! قال سعيد : أصابت إذن أمي اسمي .

قال الحجاج : لأبدلنك بالدنيا نارا تلتظي ! قال سعيد : لو أعلم أن ذلك بيدك لا تتخذنك إلها .

قال الحجاج : فما قولك في محمد ؟ قال سعيد : نبي الرحمة ، وإمام الهدى . قال الحجاج : فما قولك في الخلفاء ؟ قال سعيد : لست عليهم بوكيل ، كل امرئ بما كسب رهين . قال الحجاج : اشتتمهم أم أمدحهم ؟ قال سعيد : لا أقول ما لا أعلم . قال الحجاج : أيهم أعجب إليك ؟ قال : أَرْضَاهُمْ خَالِقِي ، قال : فأيهم أَرْضَى لِلخَالِقِ ؟ فقال : علم ذلك عند الذي يعلم سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ . قال الحجاج : صِفْ لِي قَوْلَهُمْ فِي عَمِّي ؛ أفي الجنة هو أم في النار ؟ قال سعيد : لو دخلت الجنة فرأيت أهلها علمت ، ولو رأيت

---

\* ابن خلكان ٢ : ٢٠٥ ، المعارف لابن قتيبة ١٩٧  
(١) أخذ سعيد بن جبير العلم عن ابن عباس وابن عمر ، وكان من أجمع التابعين لعلم الفقه والتفسير وكان ورعا تقيا ، خرج مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث على عبد الملك بن مروان ، فلما قتل عبد الرحمن هرب سعيد فلحق بمكة ، ولكن واليها يومئذ خالد بن عبد الله القسري أخذه وأرسله إلى الحجاج ، فقتله سنة ٩٥ هـ .

من في النار علمت ؛ فما سؤالك عن غيبٍ قد حُفِظَ بالحجاب ! قال الحجاج : فأى رجل أنا يوم القيامة ؟ قال سعيد : أنا أهونُ على الله من أن يُطْلَعَنِي على الغيب . قال الحجاج : أبيتَ أن تصدقني . قال سعيد : بل لم أرد أن أكذبك .

قال الحجاج : دَعُ عنك هذا كله وأخبرني ؛ مالك لم تضحك قط ؟ قال : لم أر شيئاً يضحكني ، وكيف يضحك مخلوقٌ من طين ، والطين تأكله النار ، ومُنْقَلَبُهُ إلى الجزاء ! قال الحجاج : فأنا أضحك ؛ قال سعيد : كذلك خلقنا الله أطواراً . قال الحجاج : هل رأيت شيئاً من اللهو ؟ قال : لا أعلم . فدعا الحجاج بالعود والنساء ، فلما ضُربَ بالعود ونُفِخَ في الناي بكى سعيد : قال الحجاج : ما يبكيك ؟ قال : هو الحزن ؛ ذكرتني أمراً عظيماً . أما هذه النفخة فذكرتني يوم النفخ في الصور ، وأما العود فشجرة قطعت في غير حق ، وأما الأوتار فمن الشاء تُبْعَثُ معها يوم القيامة ، فقال الحجاج : أنا أحبُّ إلى الله منك ؛ أنا مع إمام الجماعة ، وأنت مع إمام الفرقة . قال سعيد : ما أنا بخارج على الجماعة ولا أنا براصٍ عن الفتنة ، ولكن قضاء الرب نافذٌ لا مردَّ له .

قال الحجاج : كيف تَرَى ما نجمعُ لأُمير المؤمنين ؟ قال سعيد : لم أره . فدعا الحجاج بالذهب والنقصة والكِسْوة والجوهر ، فوَضِعَ بين يديه . قال سعيد : هذا حسنٌ إن قمتَ بشرطه ، قال الحجاج : وما شرطه ! قال : أن تشتري له بما نجمعُ الأمنَ من الفرع الأكبر يوم القيامة ، قال الحجاج : أنحبُّ أن تنالَ منه شيئاً ؟ قال : لا أحبُّ ما لا يحبُّ الله .

قال الحجاج : ويليكَ ! قال سعيد : الويل لمن زُحِرَ حَ عن الجنة فأدخل



النار ، قال الحجاج : اذهبوا به فاقتلوه . فلما أذْبَرَ ضحكك؟ قال : ما يضحكك يا سعيد؟  
قال : عجبت من جرأتك على الله وحلم الله عليك ، قال الحجاج : اضرَبوا عُنُقَه .  
قال سعيد : دَعْنِي أَصِلْ رَكْمَتَيْنِ . فاستقبل القبلة وهو يقول : إني وجهتُ وجهي  
للذي فطرَ السموات والأرضَ حَنِيفًا وما أنا من المشركين . قال الحجاج : اصرفوه  
عن القبلة ، قال سعيد : فأينما تَوَلَّوْا فثمَّ وجه الله إن الله واسع عليم . قال الحجاج :  
لم نُوَكِّلْ بالسرائر ، وإنما وَكَّلْنَا بالظواهر . قال سعيد : اللهم لا تسلَّطْ على أحدٍ  
يقتله بعدى .

ثم ضربت عنقه .

## ١٥٦ — أعرابي عند الحجاج \*

قال زيد بن عمرو : سمعت طاوساً يقول : بينا أنا بمكة إذ دُفِعْتُ إلى الحجاج ابن يوسف ، فَنَتَيْ لى وساداً جُلسْتُ ، فبينما نحن نتحدثُ إذ سمعتُ صوتَ أعرابي في الوادي رافعاً صوته بالتَّلمية <sup>(١)</sup> ، فقال الحجاج : علىَّ بالمَلَبِّي فَأَتَيْ به فقال : مَنْ الرجل ؟ قال : من أَفْنَاء <sup>(٢)</sup> الناس . قال : ليس عن هذا سألتك ! قال : فَعَمَّ سألني !

قال : من أى البلدان أنت ؟ قال : من أهل اليمن . قال له الحجاج : فكيف خلفتَ محمد <sup>(٣)</sup> بن يوسف ؟ — يعنى أخاه — قال : خلفته عظيمًا جسيمًا خراجًا ولا جأ <sup>(٤)</sup> ! قال : ليس عن هذا سألتك ! قال : فَعَمَّ سألني ؟ قال : كيف خلفتَ سيرته في الناس ؟ قال : خلفته ظلوماً غشوماً عاصياً للخالق ، مطيعاً للمخلوق !

فأزورّ من ذلك الحجاج ، وقال : ما أقدمك على هذا وأنت تعلم مكانته منى ! فقال له الأعرابي : أفترأى بمكانة منك أعزّ منى بمكانتى من الله تبارك وتعالى وأنا وافدٌ بيته ، وقاضى دينه ، ومصدقُ نبيّه — صلى الله عليه وسلم ! فَوَجَمَ لها الحجاجُ ، ولم يُجِرْ <sup>(٥)</sup> له جواباً ، حتى خرج الرجلُ بلا إذن !

\* العقد الفريد ٢ : ٢٦٧

(١) التلمية : أن يقول الرجل لبيك ، ومعنى لبيك : لزوماً اطاعتك  
(٢) أفناء الناس : أخلاطهم ، وهو جمع فنو (٣) كان عامله باليمن (٤) الخراج الولاة : العظيم الاحتيال (٥) ما أثار جواباً : مارد .

١٥٧ — دعائي مَنْ هو خير منك \*

حجّ الحجاجُ فنزل ببعض المياه ، ودعا بالفداء ، فقال لحاجبه : انظر من يتغذى معي وأسأله عن بعض الأمر ! فنظر الحجاج فإذا هو بأعرابي نائم بين شملتين<sup>(١)</sup> من شعر فصرّ به برجله ، وقال : انت الأمير .

فأتاه ، فقال له الحجاج : اغسل يدك وتغذّ معي ؛ قال : إنه دعائي مَنْ هو خير منك فأجبتُه ، فقال الحجاج : من الذي دعاك ! قال : الله تعالى دعائي للصوم فصمت ؛ قال : في هذا اليوم الحارّ ! قال : نعم ، صمتُ ليوم أحرّ منه ؛ قال : فأفطر وتصوم غداً ؛ قال : إن صمتَ لي البقاء إلى الغدا ! قال : ليس ذلك إلى . قال : فكيف تسألني عاجلاً بأجل لا تقدرُ عليه ؟ قال : إنه طعام طيب . قال : إنك لم تطيبه ولا الخبز ، ولكن طيبته العافية !

\* عيون الأخبار ٢ : ٣٦٦

(١) الشملة : كساء يشتمل به . .

١٥٨ — أنت إلى القبر أقرب منك إلى العفو \*

دخل أيوب <sup>(١)</sup> ابن القرية على الحجاج - وكان فيمن أمير من أصحاب  
عبد الرحمن بن الأشعث ، فقال له : ما أعددت لهذا الموقف ؟ قال : ثلاثة صفوف ،  
كأنها ركب وقوف ، دنيا وآخرة ومعروف !  
فقال له الحجاج : بشئ منيت به نفسك يا ابن القرية ! أتراني ممن تخدعه  
بكلامك وخطبك ؟ والله لأنت أقرب إلى الآخرة من موضع نمل هذه ! قال :  
أقلني عثرتي ، وأسفني ربي ، فإنه لا بد للجواد من كبتة ، وللسيف من نبوة ،  
وللحليم من صبرة ! قال : أنت إلى القبر أقرب منك إلى العفو ! ألسنت القائل -  
وأنت محرض حزب الشيطان ، وعدو الرحمن : « تَعَذَّوْا بِالْحِجَاجِ قَبْلَ أَنْ يَتَمَشَى  
بِكُمْ » ! ثم قدمه فضرب عنقه !

---

\* زهر الآداب ٤ : ٤٩

(١) هو أيوب بن زيد بن قيس ، والقرية أمه ، وهو من بني هلال بن ربيعة ، وكان لساناً خطيباً ،  
قتله الحجاج لما بلغه من ميله مع ابن الأشعث .

## ١٥٩ — ضربنا بسيفه ثم جاءنا بالأكاذيب \*

قال الشعبي : لما انهزم ابن الأشعث <sup>(١)</sup> ضاقت ب الأرض ، وكرهت ترك عيالي وولدي ؛ فلقيت يزيد بن أبي مسلم ، وكان لي صديقاً ، وكانت الصداقة تنفع عنده - فقلت له : قد عرفت الحال بيني وبينك ، وقد صرنا إلى ما ترى ! قال : يا أبا عمرو ؛ إن الحجاج لا يكذب ولا يعوى <sup>(٢)</sup> ولا ينبج ، ولكن قم بين يديه ، وأقر بذنبك ، واستشهدني ما شئت .

فوالله ما شعر الحجاج إلا وأنا مائل بين يديه ، فقال : أعامر ؟ قلت : نعم أصلح الله الأمير ! قال : ألم أقدم العراق فأحسن إليك وأذيتك ، وأفدتك على أمير المؤمنين ، واستشرتك ! قلت : بلى أيها الأمير .

قال : فأين كنت من هذه الفتنة ؟ قلت : استشرنا الخوف ، واكتحلنا السهر ، وأحزن بنا المنزل ، وأوحش بنا الجنب ، وفقدنا صالح الإخوان ، وشملتنا فتنة لم نكن فيها بررة أتقياء ، ولا جرة أقوياء ؛ وهذا يزيد بن أبي مسلم قد كان يعرف عذري ، وكنت أكتب إليه .

فقال : صدق ؛ أصلح الله الأمير ! قد كان يكتب إليّ بعذره ، ويخبرني بحاله . فقال الحجاج : فهذا الأحق ضربنا بسيفه ، ثم جاءنا بالأكاذيب ؛ كان وكان ؛ انصرف إلى أهلك راشداً .

\* العقد الفريد : - ١٥١ ، ذيل الأمل : ٢٢٠ ( المطبعة الأميرية ) ، مروج الذهب : ٢ - ٥٧٣

(١) هو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، خرج على الحجاج ، وخرج معه القراء واللداء

(٢) يريد أنه لا يكلم بخير ولا شر . اللسان - نبج .

## ١٦٠ - الحجاج وأنس بن مالك \*

حدث سعيد بن جويرية قال :

خَرَجْتُ خَارِجَةً عَلَى الْحَجَّاجِ بْنِ يَوْسُفَ ، فَأَرْسَلُ إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنْ يَخْرُجَ مَعِيَ فَأَبَى ؛ فَكُتِبَ إِلَيْهِ بِشْتِمِهِ . . . فَكُتِبَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ مَرْوَانَ يَشْكُوهُ ، وَأُذْرَجَ كِتَابُ الْحَجَّاجِ فِي جَوْفِ كِتَابِهِ .

قال إسماعيل بن عبد الله : بعث إلى عبد الملك بن مروان في ساعة لم يكن يبعثُ إليَّ في مثلها ، فدخلتُ عليه وهو أشدُّ ما كان حَتَقًا وَغِيظًا ، فقال : يا إسماعيل ، ما أشدَّ أن تقول الرعية : ضَعُفَ أمير المؤمنين وضاق ذَرْعُهُ فِي رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ لَا يَقْبَلُ لَهُ حَسَنَةٌ وَلَا يَتَجَاوَزُ لَهُ عَنْ سَيِّئَةٍ ! فقلت : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال : أنس بن مالك ، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ كتب إليَّ يذكر أن الحجاج قد أضرَّ به وأساءَ جوارَهُ ، وقد كتبت في ذلك كتابين : كتابًا إلى أنس بن مالك والآخر إلى الحجاج ، فاقبضهما ، ثم أخرج على البريد ؛ فإذا ورَدَتِ العراق فابدأ بـأنس بن مالك ، وادفع إليه كتابي ، وقل له : اشتدَّ على أمير المؤمنين ما كان من الحجاج إليك ، ولَنْ يَأْتِيَ إِلَيْكَ أَمْرٌ تَكْرَهُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . ثم اتَّيْتُ الحجاج ، فادفع إليه كتابه وقل له : اغْتَرَزْتُ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ غَرَّةً لَا أَظُنُّهُ يَخْطُئُكَ شَرُّهَا . ثم افهم ما يتكلم به وما يكون منه حتى تفهمني إياه إذا قدمتَ عَلَيَّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

قال إسماعيل : قبضتُ الكتابين وخرجتُ على البريد حتى قدِمْتُ العراق ،  
خيداتِ بِأنس بن مالك في منزله ؛ ودفعتُ إليه كتابَ أمير المؤمنين وأبلغتهُ رسالتهُ  
فدعا له وجزاه خيراً . فلما فرغ من قراءة الكتاب قلتُ له : يا أبا حمزة ؛ إن الحجاج  
عامل ، ويقدرُ أن يضركَ وينفَعَكَ ، فأنا أريدُ أن تُصالحه ، قال : ذلك إليك ؛  
لا أخرج عن رأيك .

ثم أتيتُ الحجاج ، فلما رآني رَحَّب وقال : والله لقد كنتُ أَحِبُّ أن أراك  
في بلدي هذا ؛ قلتُ : وأنا والله كنتُ أَحِبُّ أن أراك ، وأقدم عليك بغير الذي أرسلتُ  
به إليك ؛ قال : وما ذاك ؟ قلتُ : فارتُ الخليفة وهو أغضبُ الناس عليك ؛ قال :  
ولم ؟ فدفعتُ إليه الكتاب ؛ فجعل يقرؤه وجبينه يَمَرِّق ، فمسحه بيمينه ، ثم قال :  
اركب بنا إلى أنس ، قلتُ له : لا تفعل فإنني سأتلطفُ به حتى يكون هو الذي يأتيك ،  
وذلك للذي أشرتُ عليه من مصالحتك .

وَأَلْقَى كتابَ أمير المؤمنين فإذا فيه : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . من  
عبدَ الله عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف ، أما بعد ، فإنك عبد طمَّتْ<sup>(١)</sup>  
بك الأمور فطغيت ، وعلوت فيها حتى جُزْتَ قدرك ، وعدَوْتَ طَوْرَكَ ، وإيم الله ،  
لأغمرنَّك كبعض غمرات السيوف للشعالب ، ولأركضنَّك ركضةً تَدْخُلُ منها في  
وَجَارِكَ ! اذْكُرْ مَنَاسِبَ آبَائِكَ بالطائف ، إذ كانوا ينقلون الحجارة على أكتافهم ،  
ويحفرُونَ الآبار في المناهل<sup>(٢)</sup> بأيديهم ، فقد نسيت ما كنت عليه أنت وأباؤك  
من الدناءة واللوم والضَّراعة ؛ وقد بلغَ أمير المؤمنين استطالةً منك على أنس بن  
مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ جُرْأَةً منك على أمير المؤمنين ،  
وغرَّةً بمعرفة غيره ونعماته وسطوانته على مَنْ خالف سبيله ، وعمدَ إلى غير محبته

(١) طمَّتْ : علت . (٢) المناهل : جمع منهل وهو المشرب .

ونزل عند سخطته . وأظنك أردت أن تروزه<sup>(١)</sup> بها ، لتعلم ما عنده من التغيير والنكير فيها ، فإن سوعتها مضيت قدماً ، وإن غصصت وليت دبراً ، فعليك لعنة الله ، من عهد أخيفش<sup>(٢)</sup> العيين ، أصك<sup>(٣)</sup> الرجلين . وإيم الله ، لو أن أمير المؤمنين علم أنك اجترمت منه جرماً ، واتهمت له عرضاً لبعث إليك من يسحبك ظهراً لبطن ؛ حتى ينتهي بك إلى أنس بن مالك فيحكم فيك بما أحب ، ولم يخف على أمير المؤمنين تبؤوك ، ولكل نبي مستقر ، وسوف تعلمون .

قال إسماعيل : فانطلقتُ إلى أنس ، فلم أزل به حتى انطلق معي إلى الحجاج ، فلما دخلنا عليه قال : يغفر الله لك أبا حمزة ! عجبت باللائمة ، وأغضبت علينا أمير المؤمنين ، ثم أخذ بيده فأجلسه معه على السرير ، فقال أنس : إنك كنت تزعم أنا الأشرار والله سمانا الأنصار ، وقلت : إنا من أبخل الناس والله يقول فينا : وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ . وزعمت أنا أهل نفاق والله تعالى يقول فينا : « وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُخَيِّطُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا » . فكان المخرج والمشكي في ذلك إلى الله وإلى أمير المؤمنين ، فتولى من ذلك ما ولاه الله ، وعرف من حقنا ما جهلت ، وحفظ منا ما ضيعت ، وسيحكم في ذلك ربُّهُ هو أَرْضَى للَرْضَى ، وأسخط للْمُسْخَط ، وأقدر على الغير في يوم لا يشوب الحقَّ عنده الباطل ، ولا النور الظلمة ، ولا اهذى الضلال ، والله لو أن اليهود أو النصارى رأت من خدم موسى بن عمران أو عيسى بن مريم يوماً واحداً لرأت له ما لم تروا في رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين !

(١) تروزه : تجريه (٢) الحفش : ضعف البصر مع ضيق في العين (٣) الصكك : أن تضرب إحدى الركبتين الأخرى عند العدو فتؤثر فيها أمراً .



فاعتذر إليه الحجاج وترضاه حتى قبل عذره ورضى عنه ، وكتب برضاه وقبوله عذره إلى عبد الملك بن مروان .

وكتب الحجاج إلى عبد الملك : « إلى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان .  
بسم الله الرحمن الرحيم ؛ أما بعد - أ صلح الله أمير المؤمنين ، وأبقاه وسهل حظه  
وأحاطه ، ولا أعد مناه - فإن إسماعيل بن أبي المهاجر رسول أمير المؤمنين - أعز  
الله نصره - قدم على بكتاب أمير المؤمنين أطل الله بقاءه ؛ وجعلني من كل  
مكره فداءه - يذكر شيمتي وتوخي بأبائي وتعميري بما كان قبل نزول النعمة  
بي من عند أمير المؤمنين - أتم الله نعمته عليه وإحسانه إليه ، ويدكرني أمير  
المؤمنين - جعلني الله فداءه - استطالة مني على أنس بن مالك خادم رسول الله  
صلى الله عليه وسلم » .

« وأمير المؤمنين - أ صلحه الله في قرابته من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم  
إمام الهدى وخاتم الأنبياء أحق من أقال عترتي ، وعفا عن ذنبي ، فأمهلتني ولم  
يعجلني عند هفوتي ؛ للذي جيل عليه من كريم طبائعه ، وما قلده الله من  
أمر عباده ، فرأى أمير المؤمنين - أ صلحه الله - في تسكين روعتي وإفراج  
كربتي ، فقد ملئت رعباً وفرقاً من سطوته ، وفجأة نقمته . وأمير المؤمنين -  
أقاله الله العثرات ، وتجاوز له عن السيئات ، وضاعف له الحسنات ، وأعلى له  
الدرجات - أحق من صفح عفا وتعمد <sup>(١)</sup> وتعمل وأبقى ، ولم يشمت في عدواً  
مكباً <sup>(٢)</sup> ، ولا حسوداً مضياً <sup>(٣)</sup> ، ولم يجرعني غصصاً ، والذي وصف أمير

(١) تعمد : ستر ما كان منه (٢) أكب عليه : إذا أقبل ولزم (٣) أضب : حل الفيض  
والحفد .

المؤمنين من صنيعته إلى ، وتنويهه لي بما أسند إلى من عمله ، وأوطأني من رقاب رعيته صادق فيه مجزئ بالشكر عليه ، والتوسل مني إليه بالولاية ، والتقرب له بالكفاية .

« وقد عين إسماعيل بن أبي المهاجر رسول أمير المؤمنين وحامل كتابه نزولي عند مسرة أنس بن مالك ، وخضوعي عند كتاب أمير المؤمنين ، وإقلاده إياي ، ودخوله بالمصيبة على ما سيعلمه أمير المؤمنين ، فإن رأى أمير المؤمنين - طوقني الله بشكره ، وأعزني على تأدية حقه ، وبلغني إلى ما فيه موافقة مرضاته ، ومد لي في أجله - أن يامر لي بكتاب من رضاه وسلامة صدره ما يؤمنني به من سفك دمي ، ويرد ما شرد من نومي ، ويطمئن به قلبي ، فقد ورد على أمر جليل ، خطبه عظيم ، وأمره شديد . »

« أسأل الله ألا يسخط أمير المؤمنين ، وأن يثبتني في حزمه وعزمه ، وسياسته وفراسته ، ومواليه وحشمه ، وعماله وصنائه ، ما يحمد به حسن رأيه وبعد همته ، إنه ولي أمير المؤمنين ، والذاب عن سلطانه ، والضايع في أمره والسلام . »

قال إسماعيل : لما قرأ أمير المؤمنين الكتاب قل : يا كاتب؛ أفرخ روع أبي محمد ، وكتب إليه بالرضا عنه !

## ١٦١ — الحجاج والفضبان بن القُبَيْرِ \*

سأل الحجاج يوماً الفضبان<sup>(١)</sup> بن القُبَيْرِ عن مسائل يمتحنه فيها ، قال له :  
مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ ؟ قال : أَقْبَهُهُمْ فِي الدِّينِ ، وَأَصْدَقُهُمْ لِلْيَمِينِ ، وَأَبْذَلُهُمْ لِلْمُسْلِمِينَ ،  
وَأَكْرَمُهُمُ لِلْمُهَانِينَ ، وَأَطْعَمُهُمُ لِلْمَسَاكِينِ .

قال : فَمَنْ أَلَامُ النَّاسِ ؟ قال : الْمَعْطَى عَلَى الْهَوَانِ ، الْمُقْتَرُّ عَلَى الْإِخْوَانِ ،  
الكَثِيرُ الْأَلْوَانِ .

قال : فَمَنْ شَرُّ النَّاسِ ؟ قال : أَطْوَلُهُمْ جَفْوَةً ، وَأَذْوَمُهُمْ صَبْوَةً ، وَأَكْثَرُهُمْ  
خَلْوَةً ، وَأَشَدَّهُمْ قَسْوَةً .

قال : فَمَنْ أَشَجَعُ النَّاسِ ؟ قال : أَضْرَبُهُمْ بِالسَّيْفِ ، وَأَقْرَاهُمُ لِلضَّيْفِ ، وَأَتْرَكَهُمْ  
لِلْحَيْفِ<sup>(٢)</sup>

قال : فَمَنْ أَجَبَنُ النَّاسِ ؟ قال : الْمُتَأَخِّرُ عَنِ الصَّفُوفِ ، الْمُنْقَبِضُ عَنِ الزُّحُوفِ ،  
الْمُرْتَعِشُ عِنْدَ الْوُقُوفِ ، الْحَبِثُ ظِلَالِ السَّقُوفِ ، الْكَارِهُ لَضَرْبِ السَّيْفِ .

قال : فَمَنْ أَثْقَلُ النَّاسِ ؟ قال : الْمُتَغَنِّبُ فِي الْمَلَامِ ، الضَّئِنُ بِالسَّلَامِ ، الْمَهْدَازُ<sup>(٣)</sup>  
فِي الْكَلَامِ ، الْمُتَقَبِّبُ<sup>(٤)</sup> عَلَى الطَّعَامِ .

---

\* المستطرف : ١ - ٤٧

(١) الفضبان بن القُبَيْرِ من أشراف العراق ، وكان من دعاة الرواية أيام حرب عبد الملك  
ابن مروان مع مصعب بن الزبير (٢) الحيف : الجور والظلم (٣) المهذار : كثير الهذيان ،  
وأهذر في كلامه : أكثر (٤) قبب الرجل : حق .

قال : فَمَنْ خَيْرُ النَّاسِ ؟ قال : أَكْثَرُهُمْ إِحْسَانًا ، وَأَقْوَمُهُمْ مِيزَانًا ، وَأَدْوَمُهُمْ غُفْرَانًا ، وَأَوْسَعُهُمْ مِيدَانًا .

قال : لله أبوك ! فكيف يُعرف الرجلُ الغريبُ ؟ أحسبُ هو أم غير حسيب ؟ قال : أصلحَ اللهُ الأميرُ ! إن الرجلَ الحسيبَ يَدُلُّكَ أدبُهُ وعقلُهُ ، وشمائلُهُ وعِزَّةُ نفسه ، وكثرةُ احتماله ، وبشاشته ، وحسنُ مداراته على أصله ؛ فالعاقلُ البصيرُ بالأحساب يعرفُ شمائلَهُ ، والنذلُ الجاهلُ يجهلُهُ ؛ فَمَثَلُهُ كمثلِ الدُّرَّةِ ، إذا وقعتْ عند من لا يعرفها ازْدَرَاهَا ، وإذا نظر إليها العقلاء عرفوها وأكرموها ؛ فهي عندهم لمعرفتهم بها حسنةٌ نفيسةٌ .

فقال المجتاج : لله أبوك ! فَمَنْ العاقلُ ؟ وَمَنْ الجاهلُ ؟ قال : أصلحَ اللهُ الأميرُ ! العاقلُ الذي لا يَتَكَلَّمُ هَذَرًا ، ولا ينظرُ شَرًّا ، ولا يضرُّ غَدْرًا ، ولا يطلبُ عَذْرًا ؛ والجاهلُ هو المَهْذَرُ في كلامه ، المَنَانُ بطعامه ، الضنينُ بسلامه ، المتطاولُ على إمامه ، الفاحشُ على غلامه .

قال : لله أبوك ! فَمَنْ الحازمُ الكيسُ ؟ قال : المقبلُ على شأنه ، التاركُ لما لا يعنيه .

قال : فَمَنْ العاجزُ ؟ قال : للمعجبُ بآرائه ، الملتفتُ إلى ورائه .

قال : هل عندك من النساءِ خبرٌ ؟ قال : أصلحَ اللهُ الأميرُ ! إني بشأنهنَّ خيرٌ ، إن النساءَ من أمهاتِ الأولادِ بمنزلةِ الأضلاعِ ؛ إن عَدَّتْهَا انكَسَرَتْ ، ولهنَّ جوهرٌ لا يصلحُ إلا على المدارةِ ؛ فمن داراهنَّ انتفعَ بهنَّ ، وقرَّتْ عينه . ومن شاورهنَّ كدَرَنَ عيشه ، وتكدَّرتْ عليه حياته ، وتنفضتْ لذاته ؛ فأكرمهنَّ أعفهنَّ ، وأخفهنَّ أحسبنَّ العفة ؛ فإذا زِلْنَ عنها فهنَّ أثنى من الجيفة .

فقال له الحجاج : يا غضبان ؛ إني موجهك إلى ابن الأشعث وإفدأ ؛ فإذا أنت قاتل له ؟ قال : أصلح الله الأمير ! أقول ما يُريدُه <sup>(١)</sup> ويؤذيه ويضنيه ! فقال : إني أظنك لا تقول له ما قلت ، وكأني بصوتك يجلجل في قصرى هذا ، قال : كلا ، أصلح الله الأمير ! سأحدث له لسانى ، وأجر به في ميدانى .

فعمد ذلك أمره بالمسير إلى كركمان ؛ فلما توجه إلى ابن الأشعث ، بعث الحجاج عينا عليه . وكان يفعل ذلك مع جميع رسله .

فلما قدم الغضبان على ابن الأشعث قال له : إن الحجاج قد هم بمحلمك وعزلك ؛ فخذ حذرَكَ ، وتعدّ به قبل أن يتعمّى بك ، فأخذ حذره عند ذلك . ثم أمر للغضبان بجائزة سنية ، وخلعة فاخرة ؛ فأخذها وانصرف راجعا .

فأني إلى رملة كركمان في شدة الحر والقيظ . — وهى رملة شديدة الرّمضاء <sup>(٢)</sup> . — فضرب قُبَّتَه فيها ، وحطّ عن رواحله ، فبينما هو كذلك إذا بأعرابى من بني بكر ابن وائل ، قد أقبل على بعير ، قاصدا نحوّه ، وقد اشتد الحر ، وحيت الغزاة <sup>(٣)</sup> وقت الظهيرة ، وقد ظمى ظمّا شديدا ، فقال : السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، فقال الغضبان : هذه سنّة وردّها فريضة ، قد فاز قائلُها ، وخسر تارِكُها ؛ ما حاجتك يا أعرابى ؟ فقال : أصابتنى الرّمضاء ، وشدة الحر والظما ؛ فتيمنت قُبَّتَكَ ، وأرجو بركتها .

قال الغضبان : فهلا تيممت قبة أكبر من هذه وأعظم !

قال : أيتها تعنى ؟ قال : قبة الأمير ابن الأشعث ! قال : تلك لا يُوصل إليها ! قال : إن هذه أمتع منها ! فقال الأعرابى : ما اسمك يا عبد الله ؟ قال :

(١) أرداه : أهلكه (٢) الرّمض : وقع الشمس على الرمل وغيره (٣) الغزاة هنا : الشمس .

أخذ ، فقال : وما تعطى ؟ قال : أكره أن يكون لى اسمان !

قال : بالله من أين أتيت ؟ قال : من الأرض ! قال : فأين تريد ؟ قال : أمشى فى مَنَّا كَيْهَا<sup>(١)</sup> ، فقال الأعرابى - وهو يرفع رجلا ، ويضع أخرى ، من شدة الحر - أتقرض الشعر ؟ قال : إنما يقرض الفأر ؟ فقال : أفدسَجَع ؟ قال : إنما تسجَعُ الحماة ! فقال : يا هذا ، ائذن لى أن أدخل قُبَّتَكَ ! قال : خلفك أوسع لك ! فقال : قد أحرقتى حرُّ الشمس ! قال : مالى عليها من سلطان ! فقال : إنى لا أريد طعامك ولا شرايك ، قال : لاتعرض لما لاتصل إليه ، ولو تَلَفَتَ روحك !

فقال الأعرابى : سيعان الله ! قال : نعم من قبل أن تطلع أضرأسك ! فقال : ما عندك غير هذا ؟ قال : بلى ، هراوة أضربُ بها رأسك ! فاستغاث الأعرابى : يا جابر بنى كعب !

قال الفضبان : بئس الشيخ أنت ! فوالله ما ظلمك أحدٌ فنتسغيث ! فقال الأعرابى : مارأيتُ رجلاً أقسى منك ؛ أتيتك مستغيثاً فحجبتنى وطردتنى ، هلا أدخلتنى قُبَّتَكَ وطارحتنى القريض ؟ قال : مالى بمحادثتك من حاجة ! فقال الأعرابى : بالله ما اسمك ؟ ومن أنت ؟ فقال : أنا الفضبان بن القَبَعَرَى . قال : اسماء منكروان ، خُلِقا من غضب ! قال : قِفْ متوكلنا على باب قُبَّتِى برجلك هذه العوجاء ! فقال : قطعها الله إن لم تكن خيراً من رجلك هذه الشنعاء !

قال الفضبان : لو كنت حاكماً لجرت فى حكومتك ، لأن رجلى فى الظل قاعدة ، ورجلك فى الرمضاء قائمة .

---

(١) النكب : ناحية كل شىء .

فقال الأعرابي : إني لأظنُّ : جبرك فاسداً . قال : ما أقدرني على إصلاحه !  
فقال الأعرابي : لا أرضاك الله ولا حيّاك ، ثم ولى وهو يقول :

لا بارك الله في قوم تسودهمُ إني أظنك - والرحمن - شيطاناً  
أثبت قَتْمَهُ أرجو ضيافته فإظهر الشيخ ذو القرنين حرماناً  
فلما قدم الغضبان على الحجاج - وقد باغته الجاسوس ما جرى بينه وبين ابن  
الأشعث وبين الأعرابي - قال له الحجاج : يا غضبان ، كيف وجدت أرضَ  
كِرْمان ؟ قال : أصلح الله الأمير ! أرض يابسة ، الناس بها ضعاف ؛ إن كثروا  
جاعوا ، وإن قَلَوْا ضَاعُوا .

فقال له الحجاج : ألسنت صاحب الكلمة التي بلغني أنك قلتها لابن الأشعث :  
« نعدّ بالحجاج قبل أن يتمشى بك » ؟ فوالله لأحسبَنَّك عن الوساد ، ولأنزلنك عن  
الجياد ، ولأشهرنك في البلاد !

قال : الأمان أيها الأمير ! فوالله ما ضرتُّ من قِلت فيه ، ولا نفعت من  
قِلت له !

فقال له : ألم أقل لك : كآني بصوتك يجلجل في قصرى هذا ! اذهبوا به  
إلى السجن .

فذهبوا به ؛ فقيّد وسجن ، فكث ما شاء الله .

ثم إن الحجاج ابْتَنَى الخُصْرَاءَ بِوِاسِطِ فَأَعْجَبَ بِهَا ، فقال لمن حوله : كيف  
تَرَوْنَ قَبَتِي هذه وبناءها ؟ فقالوا : أيها الأمير إنها حصينة مباركة ، منيعة نَصْرَة  
بهجة ، قليل عَيْبُهَا ، كثير خَيْرُهَا ، قال : لِمَ لَمْ تخبروني بنصح ؟ قالوا : لا يصفها  
لك إلا الغضبان .

فبعث إلى النضبان فأخبره ، وقال له : كيف ترى قيتي هذه وبنائها ؟ قال :  
أصلح الله الأمير ؛ بنيتها في غير بلدك ، لالك ولا لولدك ، لا تدوم لك ، ولا يسكنها  
وارثك ، ولا تبقى لك ، وما أنت لها بياق !

فقال الحجاج : قد صدق النضبان ، رُدّوه إلى السجن .  
فلما حملوه قال : « سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ <sup>(١)</sup> » .  
فقال : أنزلوه ، فلما أنزلوه قال : « رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلَ مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ  
الْمُنْزِلِينَ » . فقال : اضربوا به الأرض ، فلما ضربوا به الأرض قال :  
« مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى » .  
فقال : جرّوه ، فأقبلوا يجرّونه ، وهو يقول : « بِسْمِ اللَّهِ جَرَّاهَا وَمُرْسَاهَا  
إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ » .

فقال الحجاج : ويلكم ! اتركوه فقد غلبني دهاء وخبثا . ثم عفا عنه ، وأنعم  
عليه ، وخلق سبيله .



١٦٢ — حسن تخلص\*

صَمَدَ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ الْمُنْبَرِّ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ ، وَهُوَ إِذْ ذَاكَ عَلَى مَكَّةَ ،  
فَذَكَرَ الْحِجَّاجَ ، فَحَمْدَ طَاعَتِهِ وَأَثْنَى عَلَيْهِ .

فَلَمَّا كَانَ فِي الْجُمُعَةِ الثَّانِيَةِ وَرَدَ عَلَيْهِ كِتَابُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، يَأْمُرُهُ فِيهِ  
بِشْتِمِ الْحِجَّاجِ وَنَشْرِ عِيُوبِهِ ، وَإِظْهَارِ الْبِرَاءَةِ مِنْهُ ؛ فَصَمَدَ الْمُنْبَرِّ ، فَحَمْدَ اللَّهِ وَأَثْنَى  
عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ إِبْلِيسَ كَانَ مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، وَكَانَ يُظَاهَرُ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ  
مَا كَانَتِ الْمَلَائِكَةُ تَرَى لَهُ بِهِ فَضْلًا ، وَكَانَ اللَّهُ قَدْ عَلِمَ مِنْ غِشِّهِ وَخُبْنِهِ مَا خَفِيَ عَلَى  
مَلَائِكَتِهِ ؛ فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ فَضِيحَتَهُ أَمَرَهُ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ ، فَظَهَرَ لَهُمْ مَا كَانَتْ يَخْفِيهِ  
عَنْهُمْ ، فَلَعَنُوهُ .

وَإِنَّ الْحِجَّاجَ كَانَ يُظَاهَرُ مِنْ طَاعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا كُنَّا نَرَى لَهُ بِهِ فَضْلًا ، وَكَانَ  
اللَّهُ أَطْلَعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ غِشِّهِ وَخُبْنِهِ عَلَى مَا خَفِيَ عَنْهُ ، فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ فَضِيحَتَهُ  
أَجْرَى ذَلِكَ عَلَى يَدَيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَلَعَنَهُ ؛ فَالْعَنُوهُ لَعْنَةُ اللَّهِ ائْتِمُوا نَزْلَ .

١٦٣ — بُثينة وعزة عند عبد الملك بن مروان \*

دخلت بُثينة وعزة عند عبد الملك بن مروان ، فانصرف إلى عزة ، وقال :  
أنت عزة كثير؟ قالت : لست لكثير بعزة ؟ لكنني أمٌ بكر ، قال : أتروين  
قول كثير :

وقد زعمتُ أني تفتزتُ بعدها ومن ذا الذي ياعرُ لا يتغير !

قالت : لست أروى هذا ، ولكنني أروى قوله :

كأنى أنا دى أو أكلّمُ صغيرة من الصمّ لو تمشى بها العُصم<sup>(١)</sup> زلتِ

ثم انحرف إلى بُثينة فقال : أنت بُثينة جميل ؟ قالت : نعم يا أمير المؤمنين !

قال : ما الذى رأى فيك جميل حتى لهج بذكرك من بين نساء العالمين ؟ قالت :

الذى رأى الناسُ فيك فجعلوك خليفتهم . فضحك حتى بدا له ضرس أسود لم يُرَ

قبل ذلك ، وفضل بُثينة على عزة في الجائزة .

وأمرها أن يدخلها على عاتكة<sup>(٢)</sup> فدخلتا عليها ، فقالت لعزة : أخبريني عن

قول كثير :

قضى كلُّ ذى دين فوق غريمته وعزة ممطولٌ معنّى غريمها

ما كان دينه ؟ وما كنتِ وعدته ؟ قالت : كنت وعدته صلة ثم تأنمت<sup>(٣)</sup> منها .

\* المستطرف : ١ - ٦٩ ، الأملى : ١ - ٤٨ .

(١) الأعصم من الوعل : ما من ذراعيه أو من أحدهما يابس وسائر أسوده أو أحمر .

(٢) عاتكة : امرأة عبد الملك (٣) نائم : تحرج .

## ١٦٤ - مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ ؟

قال عبد الملك لجريز : مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ ؟ فقال : ابن لعشرين <sup>(١)</sup> ، قال : فما رأيك في ابني <sup>(٢)</sup> أبي سُلَيْم ؟ قال : كان شعرهما نيراً يَأْمُرُ الْمُؤْمِنِينَ . قال : فما تقول في امرئ القيس ؟ قال : اتَّخَذَ الْخَلِيفَةُ الشَّعْرَ نَمْلِينَ ، وَأَقْسَمُ بِاللَّهِ لَوْ أَدْرَكْتَهُ لَرَفَعْتُ ذَلَالَتَهُ <sup>(٣)</sup> . قال : فما تقول في ذِي الرِّمَّةِ ؟ قال : قَدَّرَ مِنْ ظَرِيفِ الشَّعْرِ وَغَرِيبِهِ وَحَسَنِهِ عَلَى مَا لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ أَحَدٌ . قال : فما تقول في الْأَخْطَلِ ؟ قال : مَا أَخْرَجَ لِسَانُ ابْنِ النَّصْرَانِيَةِ مَا فِي صَدْرِهِ مِنَ الشَّعْرِ حَتَّى مَاتَ . قال : فما تقول في الْفَرَزْدَقِ ؟ قال : فِي يَدِهِ وَاللَّهِ نَبْعَةٌ <sup>(٤)</sup> مِنَ الشَّعْرِ قَدْ قَبِضَ عَلَيْهَا . قال : فما أراك أَبْقَيْتَ لِنَفْسِكَ شَيْئاً ، قال : بَلَى وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنِّي لَمُدِينَةُ الشَّعْرِ الَّتِي مِنْهَا يُخْرَجُ وَإِلَيْهَا يَعُودُ ، نَسَبْتُ <sup>(٥)</sup> فَأَطْرَبْتُ ، وَهَجَوْتُ فَأَرْدَيْتُ <sup>(٦)</sup> ، وَمَدَحْتُ فَأَسْنَيْتُ ، وَأَرْمَلْتُ <sup>(٧)</sup> فَأَغْزَرْتُ ، وَزَجَرْتُ فَأَبْجَحْتُ ، فَأَنَا قُلْتُ ضَرْوبَ الشَّعْرِ كُلِّهَا ، وَكُلُّ وَاحِدٍ قَالِ نَوْعاً مِنْهَا . قال : صدقت !

\* الْأَغَانِي : ٨ - ٥٣ ( طبعة دار الكتب )

- (١) يَمْنَى طَرْفَةً (٢) يَعْنِي زَهيراً وَابْنَهُ كَعْباً (٣) دَلَالِدُ الْقَمِيصِ : مَا يَلْبَسُ الْأَرْضُ مِنْ أَسَافِلِهِ ، وَيُرِيدُ أَنَّهُ كَانَ يُلْزَمُهُ وَيُخْدَمُهُ (٤) النَّبْعُ : شَجَرٌ تَتَخَذُ مِنْهُ الْقَنَاسُ . وَتَتَخَذُ مِنْ أَغْصَانِهِ السَّهَامُ ، الْوَاحِدَةُ نَبْعَةٌ (٥) نَسَبْتُ بِالْمَرْأَةِ شَبَّاباً فِي الشَّعْرِ (٦) أَرْدَيْتُ : أَهْلَكْتُ . (٧) الرَّمْلُ فِي الشَّعْرِ : غَيْرُ الْقَصِيدِ وَالرَّجَزِ .

## ١٦٥ — سليمان بن عبد الملك وأبى حازم \*

دخل سليمان<sup>(١)</sup> بن عبد الملك المدينة ، فأقام بها ثلاثاً ، ثم قال : أما هنا رجلٌ  
من أدرك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ؟ فقيل له : بلى ، ها هنا  
رجل يقال له أبو حازم . فبعث إليه ، فجاءه .

فقال له سليمان بن عبد الملك : يا أبا حازم ، ما هذا الجفاء ؟ فقال له أبو حازم :  
وأى جفاء رأيت منى ؟ قال له سليمان : أثنى وجوه أهل المدينة كلهم ، ولم تأتى !  
فقال له : أعيدك بالله أن تقول ما لم يكن ، ماجرى بينى وبينك معرفة ، آتيتك  
هكذا ؟ فقال سليمان : صدق الشيخ !

ثم قال سليمان : يا أبا حازم ، ما لنا نسكوه الموت ؟ فقال أبو حازم : لأنكم  
خرّبتُم آخرتكم ، وعمرتُم دنياكم ، فأنتم نسكوهون أن تُنقلوا من العمران إلى  
الخراب . قال : صدقت يا أبا حازم ، كيف القدوم على الله ؟ فقال : أما المُحسن  
فكالفائب يقدم على أهله ، وأما المسيء فسكالأيق<sup>(٢)</sup> يقدم على مولاه . فسكى  
سليمان ، وقال : ليت شعري ما لنا عند الله يا أبا حازم ! فقال أبو حازم : اغرض  
نفسك على كتاب الله عز وجل تعلم ما لك عند الله ، فقال : يا أبا حازم ؛ أين نصيبُ  
تلك المعرفة في كتاب الله عز وجل ؟ قال أبو حازم : عند قوله تعالى : « إِنَّ الْأَبْرَارَ

\* مسامرات الأبرار : ٦ - ١٧٤ ، المغف : الفريد : ٢ - ١٠٧

(١) انظر صفحة ٣٢٩ (٢) الأيق : الهارب .

لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ» . فقال سليمان : يا أبا حازم ؛ فأين رحمة الله ؟ قال أبو حازم : قريب من الحسنين .

قال سليمان : يا أبا حازم ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ ؟ قال أبو حازم : مَنْ بَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ . فقال سليمان : مَا أَسْمَعُ دَعَاءَ النَّاسِ ؟ قال : دَعَاءُ الْخَبِيثِينَ <sup>(١)</sup> إِلَيْهِ . قال سليمان : مَا أَزْكَى الصَّدَقَةِ ؟ فقال أبو حازم : جَهْدُ الْمُقِلِّ . فقال سليمان : يا أبا حازم : مَا تَقُولُ فِيمَا نَحْنُ فِيهِ ؟ فقال أبو حازم : أَغْنَيْنَا مِنْ هَذَا ؛ فقال سليمان : نَصِيحَةٌ بَلَّغْتَهَا . قال أبو حازم : إِنْ أَنَا أَخَذُوا هَذَا الْأَمْرَ مِنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا إِجْمَاعٍ مِنْ رَأْيِهِمْ ، فَسَفَكُوا الدَّمَاءَ عَلَى طَلَبِ الدُّنْيَا ، ثُمَّ ارْتَحَلُوا عَنْهَا ، فَلَيْتَ شَعْرَى مَا قَالُوا ، وَمَا قِيلَ لَهُمْ ! فقال بعض جلسائه : بئس ما قلتَ يَا شَيْخُ ! فقال أبو حازم : كَذَبْتَ ، إِنْ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَخَذَ عَلَى الْعُلَمَاءِ لِيَبْتَلِيَنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُوهُ ، فقال سليمان : يَا أبا حازم ؛ كَيْفَ الْأَخْذَ بِذَلِكَ ؟ قال أبو حازم : تَأْخُذُهُ مِنْ حَقِّهِ ، وَتَضَعُهُ فِي أَهْلِهِ ، فقال له سليمان : اصْحَبْنَا يَا أبا حازم ، تَصِيبُ مِنَّا وَنَصِيبُ مِنْكَ ، فقال : أَعِيدُكَ مِنْ ذَلِكَ ! قال سليمان : وَلَمْ ؟ قال : أَخَافُ أَنْ أُرَكَّنَ إِلَيْكَ شَيْئًا قَلِيلًا ، فَيَذِيقَنِي اللَّهُ مِنْهَا ضَعْفَ <sup>(٢)</sup> الْحَيَاةِ وَضَعْفَ الْمَمَاتِ !

قال سليمان : يا أبا حازم ، فَأَثِيرٌ عَلَى . فقال أبو حازم : اتَّقِ اللَّهَ أَنْ يَرَاكَ حَيْثُ نَهَاكَ ، أَوْ أَنْ يَفْقِدَكَ حَيْثُ أَمَرَكَ . قال سليمان : يَا أبا حازم ، ادْعُ لَنَا بِخَيْرٍ . فقال أبو حازم : اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ سُلَيْمَانُ وَلِيِّكَ فَبَشِّرْهُ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَإِنْ كَانَ عَدُوُّكَ فَخُذْهُ إِلَى الْخَيْرِ بِنَاصِيَتِهِ ، فقال سليمان : عِظْنِي يَا أبا حازم ، فَقَدْ أُوجِزْتَ ، فقال : إِنْ كُنْتَ وَلِيَّهِ فَخَسْبُكَ ، وَإِنْ كُنْتَ عَدُوَّهُ فَمَا يَنْفَعُكَ إِذَا رَمَى بِقَوْسٍ بِخَيْرٍ وَتَرَّ .

(١) الإخبات : الخشوع (٢) أى ضعف العذاب حياً وميتاً .

فقال سليمان : يا غلام ، إيت بمائة دينار ، ثم قال : خذها يا أبا حازم ، فقال أبو حازم : لا حاجة لي بها ، إني أخاف أن تكون قد أعطيتنيها لما سمعت من كلامي ، إن موسى عليه السلام لما هرب من فرعون ووَرَد ماء مَدين ، وجد عليه جارتين تذودان ، قال : ما خطبُكما ؟ قالتا : لا نسقى حتى يُصَدِّر الرَّعَاءُ (١) وأبونا شيخ كبير ، فسقى لهما ، ثم تولى إلى الظل ، فقال : ربّ إلى لما أنزلتَ إلى من خير فقير : ولم يسأل على عَوْن الله أجرا على دينه ، فلما أنكر ذلك أبوها ، وقال : ما أمجلكما ؟ قالتا : وجدنا رجلا صالحا فسقى لنا ، قال : فما سمعناه يقول ؟ قالتا : سمعناه يقول : « رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ » . فقال : ينبغي أن يكون هذا جائنا ؟ تنطلق إحداكما ، فتقول له : إن أبي يدعوك ليجزيك أجرا ما سقيت لنا . فخرج من ذلك موسى - عليه السلام - وكان طريدا في فيافي الصحراء ، فأقبل والجارية أمامه ، فهبت ريح ، فكشفتها له - وكان ذا خُلُق - فلما بلغ الباب ، دَخَلَ ، وإذا طعامٌ موضوع . قال شعيب : أصب يا فتى من هذا الطعام ، قال موسى - عليه السلام : أعوذ بالله . قال شعيب : ولم ؟ قال موسى : لأننا من بيت لا نبيع ديننا بملء الأرض ذهابا . قال شعيب - عليه السلام : لا والله ، لكنها عادتني وعادة آبائي ، نظم الطعام ، ونقري الضيف . فجلس موسى فأكل .

فإن كانت هذه الدنانير عوضاً لما سمعت من كلامي ، فانا أرى أكل الميتة والدم في حال الضرورة أحبّ إلى من أخذها .

فكان سليمان أعجب بأبي حازم ، فقال بعض جلسائه : يا أمير المؤمنين ؛ أيسرُّك أن يكون الناس كلهم مثله ! قال الزهري : إنه لجأري منذ ثلاثين سنة

ما كلمته بكلمة قط ، قال له أبو حازم : صدقت ، إنك نسيت الله فنسيتني ، ولو  
أحببت الله لأحببتني ، قال الزهري : أنتستني ؟ قال سليمان : أنت شمت نفسك ،  
أما علمت أن الجار على جاره حقاً ! قال أبو حازم : إن بني إسرائيل لما كانوا على  
الصواب كانت الأمراء تحتاج إلى العلماء ، وكانت العلماء ترضى بدينها عن الأمراء ،  
فاستغنت الأمراء عن العلماء ، واجتمع القوم على المعصية ، فشنلوا وانتكسوا ، ولو كان  
علمائنا هؤلاء يصونون علمهم ، لما بهم الأمراء . قال الزهري : كأنك لي تريد ، وبني  
تمرص ، قال : هو ما تسمع !

١٦٦ — ضَعَهُ مِنَ النَّارِ حَيْثُ شَتَّتْ \*

لَمَّا وَلِيَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْخِلَافَةَ ، أَتَى بِيَزِيدَ بْنَ أَبِي مُسْلِمٍ — مَوْلَى الْحِجَابِ ،  
فِي جَامِعَةِ <sup>(١)</sup> ، وَكَانَ رَجُلًا دَمِيًّا قَبِيحًا تَقْتَحِمُهُ <sup>(٢)</sup> الْعَيْنُ ، فَلَمَّا رَأَاهُ سُلَيْمَانُ قَالَ :  
لَعَنَ اللَّهُ أَمْرًا أَجْرَكَ رَسَنَكَ <sup>(٣)</sup> ، وَوَلَّى مِثْلَكَ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّكَ رَأَيْتَنِي  
وَالْأَمْرُ عَنِّي مُدْبِرٌ ، وَلَوْ رَأَيْتَنِي وَالْأَمْرُ عَلَيَّ مُقْبِلٌ لَا سَتَعِظَمْتَ مِنْ أَمْرِي  
مَا اسْتَصْفَرْتُ ، وَلَا سَتَجَلَلْتَ مَا اسْتَحَقَرْتُ .

فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ : أَيْنَ تَرَى الْحِجَابَ ، أَيَهْوِي فِي النَّارِ أَمْ اسْتَقَرَّ فِي قَعْرِهَا ؟  
قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَا تَقُلْ هَذَا ، إِنَّ الْحِجَابَ قَمَعَ لَكُمْ الْأَعْدَاءَ ، وَوَطَّأَ  
لَكُمْ الْمَنَابِرَ ، وَزَرَعَ لَكُمْ الْهَيْبَةَ فِي قُلُوبِ النَّاسِ . . . وَبَعْدَ ، فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ  
عَنْ يَمِينِ أَبِيكَ عَبْدَ الْمَلِكِ ، وَشِمَالِ أَخِيكَ الْوَلِيدِ ، فَضَعَهُ مِنَ النَّارِ حَيْثُ شَتَّتْ !  
فَصَاحَ بِهِ سُلَيْمَانُ : أَخْرِجْ إِلَى لَعْنَةِ اللَّهِ ! ثُمَّ التَفَتْ إِلَى جُلَسَائِهِ فَقَالَ : قَبِّحْهُ  
اللَّهُ ، مَا كَانَ أَحْسَنَ تَرْثِيهِ لِنَفْسِهِ وَلِصَاحِبِهِ !

\* الْأَمَلُ : ١ - ٢١٥ ، الْعَقْدُ الْفَرِيدُ : ١ - ١٥٠ ، مَرْوَجُ الذَّهَبِ : ٢ - ١٦٤ ، الْبَيَانُ  
وَالْتَبْيِينُ : ١ - ٢١٠ .  
(١) الْجَامِعَةُ : الْقُبَّةُ (٢) تَقْتَحِمُهُ : تَزْدَرِيهِ (٣) أَجْرُهُ رَسَنُهُ : يَرِيدُ تَرْكُهُ يَضَعُ مَا يَشَاءُ .



## ١٦٧ — مناظرة مع الخوارج \*

بعث عمر بن عبد العزيز إلى شوذب الجُرُوري<sup>(١)</sup> وأصحابه حين خرجوا بالجزيرة ؛ فجاءوه برجلين منهم : أحدهما من بني شيبان ، والآخر حبشي اسمه عاصم ، وهو أشد الرجلين حجةً ولسانا .

وصعدا إليه في غرفة معه فيها ابن عمه عبد الملك وكتابه مزاحم ، وأعلموه مكانهما ، فقال : ابحثوها ألا يكون معهما حديدة ، ثم أدخلوها ، ففعلوا .

فلما دخلا قالَا : السلام عليكم ، ثم جلسا ، فقال لهما عمر : أخبراني ما أخرجكما تُخْرِجَكُما هذا ؟ وأي شئ نقيم علينا ؟ فقال عاصم : والله ما نقمنا عليك في سيرتك ، فإنك لتَجْرى العدلَ والإحسان ، ولكن بيننا وبينك أمرٌ إِنْ أُعْطِينَاهُ فَأَنْتَ مِنَّا ونحنُ مِنْكَ ، وَإِنْ مَنَعْتَاهُ فَلَسْتَ مِنَّا وَلَسْنَا مِنْكَ ! قال عمر : وما هو ؟ قال : رأيتك خالفت أعمالَ أهل بيتك ، وسلكتَ غير طريقهم ، وسمَّيتَها مظالم ؛ فإن زعمتَ أنك على هُدًى وهم على ضلال فابْرَأْ منهم والعَنهم ، فهذا الذي يجمع بيننا وبينك أو يفرق .

فقال عمر : إني قد عرفت أنكم لم تخرجوا لطلب الدنيا ولكنكم أردتم الآخرة

---

\* سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم : ١٣٠

(١) الحرورية : طائفة من الخوارج ، ينسبوت إلى حروراء ، وهو موضع بظاهر الكوفة ، كان فيه أول اجتماعهم حين خالفوا علي بن أبي طالب . وشوذب : اسمه بسطام من بني يشكر .

فأخطأتم سبيلها ، وأنا سائلكم عن أمر ! فبالله لتصدقاني عنه فيما بلغه علمكما .  
 قالا : نفعل ، قال : أرايتم أبا بكر وعمر ؟ أليسا من أسلافكم ومن تتولون وتشهدون  
 لهما بالنجاة ؟ قالا : بلى . فقال : هل تعلمون أن العرب ارتدت بعد رسول الله فقاتلهم  
 أبو بكر ؛ فسفك الدماء ، وسبى الذراري ، وأخذ الأموال ؟ قالا : قد كان ذلك .  
 قال : فهل تعلمون أن عمر لما قام بعده رد تلك السبايا إلى عشائهم ؟ قالا : قد كان  
 ذلك . قال : فهل يرى أبو بكر من عمر ، أو عمر من أبي بكر ؟ قالا : لا ؟ قال :  
 فهل تبرأون من واحد منهما ؟ قالا : لا !

قال : أخبراني عن أهل التَّهْرَوان ؛ أليسوا من أسلافكم ومن تتولون وتشهدون  
 لهم بالنجاة ؟ قالا : بلى ! قال : فهل تعلمون أن أهل الكوفة حين خرجوا إليهم  
 كفوا أيديهم ، فلم يخيفوا آمنا ولم يفسكوا دما ، ولم يأخذوا مالا ؟ قالا : قد كان  
 ذلك . قال : فهل تعلمون أن أهل البصرة حين خرجوا إليهم مع عبد الله بن وهب  
 استعرضوا الناس فقتلهم ، وعرضوا لعبد الله بن خَبَّاب صاحب النبي صلى الله عليه  
 وسلم ؛ فقتلوه وقتلوا جاريته ، ثم صبَّحوا حيًّا من العرب فاستعرضوهم فقتلوا الرجال  
 والنساء والولدان ، حتى جعلوا يلقون الأطفال في قدور الأقط<sup>(١)</sup> وهي تنفور بهم ؟  
 قالا : قد كان ذلك ! قال : فهل يرى أهل الكوفة من أهل البصرة ، أو أهل  
 البصرة من أهل الكوفة ؟ قالا : لا ! قال : فهل تبرأون من طائفة منهما ؟  
 قالا : لا !

قال عمر : أخبراني أرايتم الدين واحد أم اثنين ؟ قالا : بل واحد ! قال :

(١) الأقط : شيء يستخرج من الخيض الفنى .

فهل يسمعكم فيه شيء يُعجزني؟ قالوا : لا ! قال : فكيف وسمعكم أن توليتم أبا بكر وعمر ، وتولّى كل واحدٍ منهما صاحبه ، وقد اختلفت سيرتهما ! أم كيف وسع أهل الكوفة أن تولوا أهل البصرة وأهل البصرة أهل الكوفة وقد اختلفوا ، وكيف وسمعكم أن توليتهم جميعا وقد اختلفوا في أعظم الأشياء ؛ في الدماء والأموال ، ولا يسعني - بزعمكما - إلا لعن أهل بيتي والبراءة منهم ! فإن كان لعن أهل الذنوب فرضة مفروضة لا بد منها ، فأخبرني عنك أيها المتكلم متى عهدك بلعن فرعون ! قال : ما أذكرُ متى لعنته . قال : ويحك ! فيسمعك تركُ لعن فرعون ، ولا يسعني بزعمك إلا لعن أهل بيتي والبراءة منهم ! وإنكم قوم جهال ، أردتم أمرا فأخطأتموه ، فأنتم تقبلون من الناس مارد عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتردون عليهم ما قبل منهم ، ويأمنُ عندكم من خاف عنده ؛ ويخاف عندكم من آمن عنده . قالوا : مانحن كذلك . قال : بل تقرؤون بذلك الآن .

هل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بُعث إلى الناس وهم عبدة أوثان ؛ فدعاهم إلى أن يخلعوا الأوثان ؛ وأن يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، فمن فعل ذلك حقن دمه ، وأمين عنده ، وكان أسوة بين المسلمين ، ومن أبى ذلك جاهدَه ؟ قالوا : نعم ، قال : أنلستم أتم اليوم تبرأون ممن يخلع الأوثان ، ومن يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وتلعنونه وتقتلونه ، وتستحلون دمه ، وتلقون من يأبى ذلك من سائر الأمم من اليهود والنصارى ؛ فتحرمون دمه ويأمن عندهم ؟ فقال عاصم : مارأيت حجةً أبين ولا أقرب مأخذاً من حجتك ؛ أما أنا فأشهد أنك على الحق وأنتى برىء ممن خالفك .

وقال للشيباني : فأنت ماتقول ؟ قال : ما أحسن ماقلت ؛ وأبين ماوصفت ؛

ولكن أكره أن أفئات على المسلمين بأمرٍ لا أدري باحجتهم فيه ، حتى أرجع إليهم ، فلعلّ عندهم حجة لا أعرفها . قال : فأنت أعلم ، ثم أمر لعاصم ببطائه ، وأقام عندهم خمس عشرة ليلة ثم مات ، ولحق الشيباني بقومه فقتل معهم .

### ١٦٨ — ليس الأمر بالسُنْ\*

قدم على عمر بن عبد العزيز ناس من أهل العراق ، فنظر إلى شاب منهم يتهمياً للكلام ، فقال : أكبّروا أكبّروا ! فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إنه ليس بالسُنْ ، ولو كان الأمرُ كلّهُ بالسُنْ لكان في المسلمين من هو أسنّ منك ، فقال عمر : صدقت ، رحلك الله ، تسكّم !

فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إنا لم نأتك رغبة ولا وهبة ؛ أما الرغبة فقد دخلت علينا منازلنا ، وقدمت علينا بلادنا ؛ وأما الرهبة فقد أمننا الله بعدّك من جورك ، قال : فمن أنتم ؟ قال : وفد الشكر .

فنظر محمد بن كعب القرظي إلى وجه عمر يتهلل ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لا يفلبن جهل القوم بك معرفتك بنفسك ! فإن ناساً خدعهم الثناء ، وغرّهم شكر الناس فهلكوا . وأنا أعيذك بالله أن تكون منهم ؛ فألقى عمر رأسه على صدره !

١٦٩ — بنو أمية وعمر بن عبد العزيز \*

لما أقبلَ عمرُ بن عبد العزيز على رَدِّ المظالم ، وقطَعَ عن بني أمية جوازهم وأرزاق أحرّاسهم ، وردَّ ضياعهم إلى الخراج ، وأبطل قطائعهم فأفقرهم ، ضجُّوا من ذلك ؛ فاجتمعوا إليه وقالوا : إنك قد أجَلَبْتَ<sup>(١)</sup> المال للمسلمين ، وأفقرت بني أبيك فيما تردُّ من هذه المظالم ؛ وهذا أمرٌ قد وليه غيرُك قبلك ، فدعهم وما كان منهم ، واشتغل أنت وشأنك ، واعمل بما رأيت .

قال لهم : هذا رأيكم ؟ قالوا : نعم ! قال : ولكني لا أرى ذلك ، والله لو دِدْتُ<sup>(٢)</sup> ألا تبقى في الأرض مظلمةً إلا ردَّتها !

فخرجوا من عنده ، ودخلوا على عمر بن الوليد بن عبد الملك - وكان كبيرهم وشيخهم - فسألوه أن يكتبَ إلى عمرَ يوجِّهُ لعله أن يرده عن مَسَاءَتهم ، فكتب إليه :

« أما بعد فإنك أزرَيْتَ<sup>(٣)</sup> على من كان مِن قبلك من الخلفاء ، وعبت عليهم ، وسِرْتَ بغيرِ سيرتهم وسميتها المظالم ؛ نقصاً لهم ، وعيباً لأعمالهم ، وشذائاً لمن كان بعدهم من أولادهم ، ولم يكن ذلك لك ؛ فقطعتَ ما أمرَ الله به أن يوصلَ ، وعملت بغير الحقِّ في قرابتك ، وعمدتَ إلى أموال قريش وموارئهم وحقوقهم ، فأدخلتها بيتَ مالك ظُلماً وجوراً وعدواناً ، فاتَّقِ اللهَ يا بنَ عبد العزيز وراقِبْه ؛ فإنك إن

\* سيرة عمر بن عبد العزيز : ١٥٢ ، ابن أبي الحديد : ٤ - ٧ ، ١

(١) أجلب : طلب (٢) أزرى عليه : طابه .

شعلت لم تظمن<sup>١</sup> على منبرك ، وإن خضعت ذوى قرابتك بالقطيعة والظلم ؛  
فوالله الذى خص<sup>٢</sup> محمداً صلى الله عليه بما خصه به من الكرامة ، لقد ازددت  
من الله بُعداً فى ولايتك هذه التى تزعم أنها بلاء عليك وهى كذلك ! فاقصد فى  
بعض ممتلك وتماملك . اللهم فاسأل سليمان<sup>(١)</sup> بن عبد الملك بما صنع بأمة محمد  
صلى الله عليه وسلم ! »

فكتب عمر بن عبد العزيز إليه :

« من عمر أمير المؤمنين إلى عمر بن الوليد . سلام على من اتبع الهدى ، أما  
بعد فإن أول أمرك يا فلان أن أمك بئانة كانت أمة تدخل دور حص ، وتطوف فى  
جوانبها ، والله أعلم بها ، فاضترها ذبيان بن ذبيان من قىء المسلمين ، فأهداها إلى  
أبيك فحملت بك ، فبئس الحامل وبئس المحمول ، ثم نشأت فكتت جباراً شقيئاً .  
كتبت إلى تظلمنى<sup>(٢)</sup> ، وزعمت أن حرمتك وأهل بيتك فى بيت مال المسلمين ،  
الذى فيه حق القرابة والضعيف والمسكين وابن السبيل ، وإنما أنت كأحدكم ؛ لك  
مالهم ، وعليك ما عليهم . »

وإن أظلم منى ، وأترك لعهد الله ، الذى استعملك صبيئاً سفيهاً تحكم فى دماء  
المسلمين وأموالهم برأيتك ، ولم يكن يحمله على ذلك إلا حب الولد ، ولم يكن ذلك له  
ولا حق له فيه ، فويلك ثم ويل أهلك ! ما أكثر طلابكم وخضماء كما يوم القيامة !  
وكيف النجاة لمن أكثر خصماؤه ؟

« وإن أظلم منى وأترك لعهد الله من جعل لفلاة البربرية سهماً فى قىء المسلمين

---

(١) سليمان بن عبد الملك هو الذى عهد إلى عمر بن عبد العزيز بالخلافة (٢) ظله : نسب الظلم إليه .

« وَصَدَقَاتِهِمْ . أَهَاجَرْتِ ؟ تَكَلَّمْتُكِ أَمَكِ ! أُمِّ بَايَعْتَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ فَتَسْتَوْجِبُ  
سَهَامَ الْمُقَاتِلِينَ ! »

« وَإِنْ أَظْلَمَ مِنِّي وَأَتْرَكَ لِعَهْدِ اللَّهِ مِنْ اسْتَعْمَلُ قُرَّةَ بْنِ شَرِيكِ أَعْرَابِيًّا جَلْفًا  
جَافِيًّا عَلَى مِصْرَ ، وَأُذِنَ لَهُ فِي الْمَعَازِفِ وَالْبِرَابِطِ <sup>(١)</sup> وَالْخَمْرِ .

« وَإِنْ أَظْلَمَ مِنِّي وَأَتْرَكَ لِعَهْدِ اللَّهِ مِنْ وَلِيِّ يَزِيدَ بْنِ أَبِي مُسْلَمٍ <sup>(٢)</sup> عَلَى جَمِيعِ الْمَغْرِبِ ،  
يَحْبِي الْمَالَ الْحَرَامَ ، وَيَسْفِكُ الدَّمَ الْحَرَامَ . رَوَيْدُكَ ! لَوْ قَدْ التَقْتُ عَلَيْكَ حَلَقَتَنَا  
الْبَطَانِ <sup>(٣)</sup> ، وَطَالَتْ بِي حَيَاةٌ ، وَرَدَّ اللَّهُ الْحَقَّ إِلَى أَهْلِهِ ، تَفَرَّغْتُ لَكَ وَلِأَهْلِ بَيْتِكَ ،  
فَأَقْتَكُمُ عَلَى الْحَبْجَةِ <sup>(٤)</sup> الْبَيْضَاءِ ؛ فَطَالَمَا تَرَكْتُمُ الْحَقَّ وَرَاءَكُمْ ، وَأَخَذْتُمْ فِي بَنِيَّاتِ  
الطَّرِيقِ <sup>(٥)</sup> ؛ وَمِنْ وَرَاءِ هَذَا مَا أَرْجُو أَنْ يَكُونَ خَيْرَ رَأْيٍ رَأَيْتُهُ : يَبِيعُ رَقَبَتَكَ ،  
وَقَسَمُ ثَمَنَكَ بَيْنَ الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْأَرَامِلِ . فَإِنْ لَكُلِّ مُسْلِمٍ فِيكَ سَهْمَانِ فِي  
كِتَابِ اللَّهِ ، وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ، وَلَا يَنَالُ سَلَامُ اللَّهِ الظَّالِمِينَ . »

(١) البرابط : جمع بربط وهو العود (٢) ولي الوليد يزيد بن أبي مسلم على ثلاثة أخماس المغرب ،  
يقتل ويصلب ويقطع (٣) البطان : حزام الرجل ، له حلقتان في كل طرف حلقة يصعب التقاؤهما ،  
ولإذا التقتا بلغ الشد غايته ، وهو مثل يضرب حين بلوغ الشدة منهاها (٤) المحجة : جادة الطريق  
(٥) بنيات الطريق : الطرق الصفار تنشعب من الجادة .

١٧٠ — في وفاة عمر بن العزيز \*

لما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة دخل عليه مسleme بن عبد الملك ، فقال :  
يا أمير المؤمنين ؛ إنك قد ففرت أفواه ولدك من هذا المال ، فلو أوصيت بهم إلى  
وإلى نظرائي من قومك فكفوك مئوتهم !

فلما سمع مقالته قال : أجلسوني . فأجلسوه فقال : قد سمعتُ مقالتك يا مسleme .  
أما قولك : إني قد ففرت أفواه ولدي من هذا المال فوالله ما ظلمتهم حقاً هو لهم ، ولم  
أكن لأعطيهم شيئاً لغيرهم ، وأما ما قلت في الوصية فإن وصيتي فيهم : ( الله الذي  
نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ) ، وإنما ولدُ عمر بين أحد رجلين : إما  
رجل صالح فسيغنيه الله ، وإما غير ذلك فلن أكون أول من أعانه بالمال على  
معصية الله .

ادعُ لي بني : فأتوه ؛ فلما رأهم تفرقت عيناه ، وقال : بنفسى فتية تركتهم  
عالة لا شيء لهم ! وبكى .

يا بني ؛ إني تركت لكم خيراً كثيراً لا تمرّون بأحد من المسلمين وأهل ذمتهم  
ألا رأوا لكم حقاً ؛ يا بني ، إني قد ميّلت<sup>(١)</sup> بين الأمرين : إما أن تستغنوا وأدخل  
النار ، أو تفتقروا إلى آخر الأبد وأدخل الجنة . فأرى أن تفتقروا فذلك أحبُّ إليّ .  
قوموا عصمكم الله ، قوموا رزقكم الله !

\* سيرة عمر : ١١٧

(١) ميل بين الأمرين : تردد في أيهما يفعل .



١٧١ — رأى خالد بن صفوان في الشعراء \*

قال هشام بن عبد الملك لِشَبَّةَ بن عِقَالٍ ، وعنده جريرٌ والفرزدقُ والأخطلُ ،  
وهو يومئذ أميرٌ : ألا تُخَيِّرُنِي عن هؤلاء الذين قد مزَّقوا أعراضهم ، وهتكوا  
أستارهم ، وأغرَّوا بين عشائرم في غير خيرٍ ولا ير ولا نفع ، أيهم أشعرُ ؟  
فقال شَبَّةُ : أما جريرٌ فيُغْرِفُ من بحر ، وأما الفرزدقُ فينحِتُ من صخر ،  
وأما الأخطلُ فيجيدُ المدحَ والفخر .

فقال هشام : ما فسرَّت لنا شيئاً نحصله ! فقال : ما عندي غيرُ ما قلتُ !  
فقال خالد<sup>(١)</sup> بن صفوان : صَنِمَ لَنَا يَا بْنَ الْأَهَمِّ ؛ فقال : أما أعظمهم فخراً ،  
وأبعدُهم ذِكْراً ، وأحسنهم عُذْراً ، وأسيرهم مثلاً ، وأقلهم غزلاً ، وأحلامهم عللاً ،  
الطامى<sup>(٢)</sup> إذا زخِرَ ؛ والحامى إذا زُأِرَ ، والسامى إذا خَطِرَ ؛ الذى إن هَدَرَ<sup>(٣)</sup> قال ،  
وإن خَطَرَ صَالَ ، الفصيحُ اللسان ، الطويلُ العنان . فالفرزدق .  
وأما أحسنهم نَفْعًا ، وأمدحهم بَيْئَةً ، وأقلهم قُوَّةً ، الذى إن هَجَا وَضَعَ<sup>(٤)</sup> ،  
وإن مدح رَفَعَ ، فالأخطل .  
وأما أغزرهم بحراً ، وأرقهم شعراً ، وأهتكهم لعدوِّهِ سِتْراً ؛ الأغرُّ الأبلقُ ،

\* الأغاني : ٨ - ٨١ ( طبعة دار الكتب ) ، معجم الأدباء : ١١ - ٢٥

(١) أحد فصحاء العرب وخطبائهم ، وهو مشهور برواية الأخبار ، وكان يجالس هشام بن عبد الملك ؛ ولكنه كان بخيلاً ، وتوفى سنة ١٣٥ هـ . (٢) الطامى : من طمى الماء ؛ إذا ارتفع وملاّ النهر ، وزخر البحر : امتلأ . (٣) هدر البعير : ردد صوته في حجرتة ، وهدر الحمام : كثر صوته . (٤) خفض .

الذى إن طَلَبَ لم يُسَبِّحْ ، وإن طُلِبَ لم يُلْحَقْ ؛ فخرير ، وكلهم ذكىُّ الفؤاد ،  
رَفِيعُ العِباد ، وَارَى الزَّنَاد .

فقال له مَسَلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ . ماسمعنا بمثلك يا خالداً في الأولين ، ولا رأينا  
في الآخرين ؛ وأشهدُ أنك أحسنهم وصفاً ، وألينهم عطفاً ، وأعفهم مقالا ،  
وأكرمهم فعالا .

فقال خالد : أتمَّ اللهُ عليكم نِعْمَةً ، وأجزَلَ لديكم قِسْمَةً <sup>(١)</sup> وَأَنَسَ بكم الْفُرْبَةَ ،  
وَفَرَّجَ بكم الْكُرْبَةَ . وَأَنْتَ ، وَاللَّهُ - ماعَلَتْ أَيْهَا الْأَمِير - كَرِيمُ الْفِرَاسِ ، عَالِمٌ  
بِالنَّاسِ ، جَوَادٌّ فِي الْمَحَلِّ ، بَسَّامٌ عِنْدَ الْبَذْلِ ، حَلِيمٌ عِنْدَ الطَّيْشِ ، فِي ذِرْوَةِ <sup>(٢)</sup>  
قَرِيْشٍ ، وَلِبَابِ <sup>(٣)</sup> عِبْدِ شَمْسٍ ، وَيَوْمُكَ خَيْرٌ مِنْ أَمْسٍ .

فَضَحَكَ هُشَامٌ وَقَالَ : مَا رَأَيْتُ كَتَخْلَصِكَ يَا بَنَ صَفْوَانَ فِي مَدْحِ هَؤُلَاءِ وَوصفهم ،  
حَتَّى أَرْضَيْتَهُمْ جَمِيعاً ، وَسَلِمْتَ مِنْهُمْ .

(١) القسم : جمع قسمة ، وهى الرزق وما قسم (٢) ذروة : أعلى (٣) لباب : خلاصة .

١٧٢ — المنصور وابن طاوس \*

قال مالك بن أنس : بعث إلى أبو جعفر المنصور وإلى ابن طاوس ، فدخلنا عليه وهو جالس على فرش قد نضدت له ، وبين يديه أنطاع<sup>(١)</sup> قد بسطت ، وجلاد<sup>٢</sup> بأيديهم السيوف ؛ لضرب رقاب الناس ، فأومأ إلينا بالجلوس ، وأطرق عنا طويلا ، ثم التفت إلى ابن طاوس ، فقال له : حدثني عن أبيك .

قال : نعم ؛ سمعت أبي يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل أشركه الله في حكمه ، فأدخل عليه الجور في عدله » : ثم أمسك ساعة ، قال مالك : فضمنت ثيابي مخافة أن يملأني دمه .

ثم التفت إليه أبو جعفر ، فقال ، عظمي يابن طاوس ، قال : نعم ، أما سمعت الله يقول : « أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ . إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ، الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ . وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ<sup>(٢)</sup> بِالْوَادِ . وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ؛ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ . فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ . فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ . إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْعِرْصَادِ » .

قال مالك : فضمنت ثيابي أيضا مخافة أن يملأني دمه ، فأمسك المنصور ساعة حتى اسود ما بيننا وبينه ، ثم قال : يابن طاوس ؛ ناولني الدواة ، فأمسك ابن طاوس ، ولم يناوله إياها وهي في يده ، فقال : ما يمنعك أن تناولنيها ؟ قال :

\* العقد الفريد للملك السعيد : ٥٦

(١) الأنطاع : جمع نطع وهو جلد يفرش (٢) جابوا : خرقوا الصخر فاتخذوه بيوتا .

أخشى أن تكتبَ بها معصيةَ لله فأكونَ شريكك فيها . فلما سمع ذلك المنصور  
قال : قوماً عني !

قال ابن طاووس : ذلك ما كنّا نبنى ! قال مالك : فزالَتْ أعرُفُ لابنِ  
طاووس بعدها فضله .

### ١٧٣ - بديهة معن \*

قدم معنُ بن زائده من اليمن ودخل على أبي جعفر المنصور ، فقال له : قد بلغ  
أمير المؤمنين عنك شيء ؛ ولولا مكأُتك عنده ورأيه فيك لغضب عليك ، قال :  
وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال : إعطاؤك مروان بن أبي حفصة ألفَ دينار لقوله  
فيك :

معن بن زائده الذي زيدتُ به شرفاً على شرف بنو شيبان  
أن عُدَّ أيامَ الفَعالِ فأَما يوماء يومُ ندى ويومُ طعان  
فقال : والله يا أمير المؤمنين ما أعطيتُهُ ما بلغتُ لهذا الشعر ، وإنما أعطيتُهُ  
لقوله :

ما زلتَ يومَ الهاشمية<sup>(١)</sup> مُعَلِّناً بالسيف دون خليفة الرحمنِ  
فمنعت حوزتَه وكنت وِقاءه من وقَع كلُّ مُهَنَّد وسِنان  
فاستحيا المنصور ، وقال : إنما أعطيتُهُ ما أعطيتُهُ لهذا القول ! قال : نعم ،

\* الأغاني : ١٠ - ٨٦ ( طبعة الساسي ) .

(١) الهاشمية : مدينة بناها السفاح قريبا من الكوفة .

يا أمير المؤمنين ! والله لولا مخافة الشنعة لأمكنته من مفاتيح الأموال ، وأبجته  
إياها ، فقال له المنصور : لله درك من أعرابي ! ما أهون عليك ما يعز على الرجال  
وأهل الحزم !

١٧٤ — رسول معن \*

أراد معنُ بن زائدة أن يوفدَ إلى أبي جعفر المنصور قوماً يسألون سخيّمته ،  
ويستمطفون قلبه عليه ، وقال : قد أفنيتُ عمرى فى طاعته ، وأنعبتُ نفسى ، وأفنيتُ  
رجالى فى حربِ اليمى ، ثم يسخطُ علىَّ أن أنفقتُ المال فى طاعته !  
فانتخب جماعة من عشيرته من أفناء ربيعة ، وكان فيمن اختارَ جماعة بن الأزهر ،  
فجملَ يدعو الرجال واحداً واحداً ، ويقول : ماذا أنت قائل لأمير المؤمنين إذا  
وجهتُك إليه ؟ فيقول : أقول وأقول . . . حتى جاءه جماعة بن الأزهر ، فقال : أعزَّ  
الله الأمير ! تسألنى عن مخاطبة رجل بالعراق وأنا باليمن ! أقصدُ لحاجتك حتى أتاتى  
لها كما يمكن وينبغى ؛ فقال : أنتَ صاحبى .

ثم التفت إلى عبد الرحمن بن عتيق المزنى وقال : شدَّ على عضد ابن عمك ،  
وقدّمه أمامك ، فإن سها عن شىء فتلاّفه . واختار من أصحابه ثمانية نفرٍ معهم ، حتى  
تمّوا عشرة وودّعهم ومضوا ، حتى صاروا إلى أبي جعفر .

فلما صاروا بين يديه تقدّموا ، فابتدأ جماعة بحمد الله والثناء عليه والشكر له

حتى ظنَّ القومُ أنه إنما قصدَ لهذا ؛ ثم كَرَّ على ذكرِ النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وكيف اختاره الله من بطون العرب ، ونشَر من فضله حتى تعجَّب القومُ ؛ ثم كَرَّ على ذِكْر أمير المؤمنين المنصور ، وما شرفه الله به وما قلَّده ؛ ثم كَرَّ على حاجته في ذكر صاحبه . فلما انتهى كلامه ، قال المنصور : أَمَا ما وصفتَ من حَمْدِ الله ، فالله أَجَلُّ وأَكْبَر من أن تبْلغه الصفات ؛ وأما ما ذكرت من النبي صلى الله عليه وسلم فقد فضله الله بأَكْثَر مما قلت ، وأما ما وصفتَ به أمير المؤمنين فقد فضله الله بذلك ، وهو مَعِينُهُ على طاعته إن شاء الله ، وأما ما ذكرت من صاحبك فكذبت ولوئمت ؛ ثم أمر المنصور بإخراجهم . قال : صدق أمير المؤمنين ، والله ما كذبتُ في صاحبي .

فأخْرِجُوا ، فلما صاروا إلى آخر الإيوان أمر بِردِّه مع أصحابه ، فقال ، أَعِدْ ما ذكرت . فكَرَّ عليه الكلام حتى كأنه في صحيفة يقرؤه ؛ فقال له مثل القول الأول ؛ فأخْرِجُوا حتى برزوا جميعاً ، وأمر بهم فوقفوا ، ثم التفتَ إلى مَنْ حضره من مُضر ، فقال : هل تعرفون فيكم مثل هذا ؟ والله لقد تكلم حتى حسدته ، وما معنى أن أتم على رده إلا أن يقال : تعصَّب عليه لأنه رَبَّعَى ، وما رأيتُ كالיום رجلاً أربط جأشاً ولا أظهر بيانا ؛ ردَّه يا غلام !

فلما صار بين يديه أعاد السلام وأعاد أصحابه ، فقال له المنصور : اقصدِ لحاجتك وحاجة صاحبك ، قال : يا أمير المؤمنين ، معنُ بن زائدة عبدك وسيفك وسهمك ، رميتَ به عدوك فضرَبَ وطعنَ ورمى ، حتى سَهَّلَ ماحزُن ، وذَلَّ ما صَعَب ، واستوى ما كان معوجاً من اليمين ؛ فأصبحوا من حَوْل أمير المؤمنين - أطال الله

بقائه .. فإن كان في نفس أمير المؤمنين هنة من ساعٍ أو واشٍ أو حاسدٍ فأمر المؤمنين  
أولى بالتفضل على عبده ، ومن أفتى عمره في طاعته .

فقبل وفادتهم ، وقيل العذر من مَن ، وأمر بصرفهم إليه .  
فلما صاروا إلى مَن وقرأ الكتاب بالرضا قبل ما بين عينيه ، وشكر أصحابه ،  
وخلع عليهم وأجازهم ، فقال جماعة :

آلَيْتُ فِي مَجْلِسٍ مِنْ وَائِلٍ قَسَمًا	أَلَا أَيْمُكَ يَا مَنُّ بِأَطَاعِ
يَا مَنُّ إِنَّكَ قَدْ أَوْلَيْتَنِي نِعْمًا	عَمْتُ لُجَيْمًا وَخَصَّتْ آلَ تَجَاعِ
فَلَا أَزَالُ إِلَيْكَ الدَّهْرَ مُنْقَطِعًا	حَتَّى يُشِيدَ بِهَلْكَى هَتْفَةُ النَّاعِي

١٧٥ — كبير\*

دخل عمارة<sup>(١)</sup> بن حمزة على المهدي ، فلما استقرَّ به الجلوس ، قام رجل كان  
للمهدي قد أعدَّه ليتهمَّ به ، فقال : مظلوم يا أمير المؤمنين ! قال : مَنْ ظلمك ؟  
قال : عمارة غصبني ضيعةً - وذكر ضيعة من أحسن ضياع عمارة ، وأكثرها  
خراجاً - فقال المهدي لعمارة : قم فاجلس مع خضمك ! فقال : يا أمير المؤمنين ؛  
ما هو لي بخضم ؛ إن كانت الضيعة له فلست أنازعه فيها ، وإن كانت لي فقد  
وهبتها له ، ولا أقوم من مجلس شرفني به أمير المؤمنين .

فلما انصرف المجلس سأل عمارة عن صفة الرجل ، وما كان لباسه ، وأين كان  
موضع جلوسه !

---

\* نهاية الأرب : ٣ - ٣٧٣ ، معجم الأدباء : ٥ - ٢٤٧

(١) مولى عبد الله بن العباس ، ثم مولى السفاح ، ثم مولى أبي جعفر المنصور ، وكان تياماً معجباً  
بنفسه ، جواداً كريماً معدوداً في سراة الناس ، وكان فصيحاً بليغاً وكان أعور دميماً . وكان المنصور  
والمهدي يقسمانه ويحتملان أخلاقه لفضله وبلاغته ووجوب حقه ، وولى لها أعمالاً كباراً .



١٧٦ — قنّاعة\*

قال أبو ذؤلف المِجَلِّي :

حجبتُ فرأيتُ أبا العتاهية واقفاً على أعرابي في ظلٍّ مِيلٍ<sup>(١)</sup> ، وعليه شملة  
إذا غطى بها رأسه بدتُ رجلاه ، وإذا غطى رجله بدا رأسه ؛ فقال أبو العتاهية :  
يا هذا ؛ لولا أن الله أنقذ بعض العبادِ بشرِ البلاد ، ما وسّع خيرُ البلاد جميعَ  
العباد ؛ ثم قال له : من أين معاشُكم ؟ فقال : منكم معشرَ الحاجِّ ؟ تمرون بنا  
فننال من فضولكم<sup>(٢)</sup> ، وتنصرفون فيكون ذلك ؛ فقال له : إنما نمرّ وننصرف  
في وقتٍ من السنة ، فمن أين معاشُكم ؛ فأطرق الأعرابي ثم قال : لا والله لأدري  
ما أقول إلا أنا نرزق من حيث لا نَحْتَسِبُ<sup>(٣)</sup> أكثر مما نرزق من حيث نَحْتَسِبُ ؛  
فولى أبو العتاهية وهو يقول :

ألا يا طالبَ الدنيا      دَعِ الدنيا لشائِكَا  
وما تصنعُ بالدنيا      وظلُّ المِيلِ يكفِيكَا ؟

\* الأغاني : ٤ - ٨٣ ( طبعة دار الكتب ) .

(١) الميل : منار بيني للمسافر (٢) فضول الغنم : ما فضل منها (٣) أى من حيث  
لا تتفكر .

## ١٧٧ — الرشيد وعبد الملك بن صالح\*

رُفِعَ إلى الرشيد أن عبد الملك <sup>(١)</sup> بن صالح يطلبُ الخلافةَ لنفسه ، ويطمعُ فيها ، وأن البرامكة كانوا له في ذلك عوناً ، وأيدَ هذه السعاية ابنه عبد الرحمن بن عبد الملك وخادمه قُمامة . فأحضر إلى الرشيد ، فلما دخل عليه قال : أكَفراً بالنعمة وجُهوداً لجليل المنّة والتَّكْرمة ! فقال : يا أمير المؤمنين ؛ لقد بُوتُ إذن بالندم ، وتعرّضتُ لاسْتِحْلالِ النِّقَمِ ، وما ذاك إلا بَنَى حاسِدٍ نَافَسَنِي فيكَ المودةَ والقِرابَةَ ، وتقديمَ الولاية ؛ إنك يا أمير المؤمنين خليفةُ رسولِ الله في أمته ، وأمينُهُ على عِترته <sup>(٢)</sup> ، لك عليها فرضُ الطاعة وأداءه النصيحة ، ولما عليك القَدْلُ في حُكْمِها والغفران لذنوبها .

فقال الرشيد : أَتَضَعُ لِي من لسانك ، وترفعُ لِي من جَنَانِكَ ! هذا كاتبك قمامة يخبر بِغَلْكَ وفساد نيتك ، فاسمع كلامه !

فقال عبد الملك : أعطاك ما ليس في عَقْدِهِ ، ولعله لا يقدر أن يَمَضِيَنِي <sup>(٣)</sup> أو يَهْتَنِي بما لم يعرفه مني . وأحضر قمامة . فقال له الرشيد : تقدّم غير هائب ولا خائف . قال قمامة : أقول : إنه عازم على التَّدْرِيكِ والخِلافِ عَلَيْكَ ! فقال عبد الملك :

---

\* المحاسن والمساوى : ٥٤٦ ( طبع ليزج ) ، تاريخ الطبري : ١٠ - ٨٩ ، العقد الفريد : ١٤٣ - ١ ، الكامل لابن الأثير : ٦ - ٧٢ ، زهر الآداب : ٢ - ٢٨٣ .

(١) هو عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس ، وهو في المباسين في درجة السفاح والنصور نسباً . وولد الرشيد الحروب في الثنور ؛ فقام بذلك خير قيام ، إلى أن مزله الرشيد ، وحبسه بعد نكبة البرامكة سنة ١٨٧ هـ (٢) العترة : نسل الرجل ورهطه وعشيرته الأولون ممن مضى وغيب . (٣) يقال : غشه فلاناً ؛ أي بهته وقال فيه ما لم يكن .

أهو كذلك يا قدامة؟ قال : نعم ، لقد أردت ختل<sup>(١)</sup> أمير المؤمنين . فقال عبد الملك : كيف لا يكذب على من خلني ، وهو يبهتني في وجهي !

فقال له الرشيد : وهذا ابنك عبد الرحمن يخبرني بعثوك ، وفساد نيتك ؛ ولو أردت أن أحتج عليك بحجة لم أجد أعذل من هذين لك ، فبم تدفعهما عنك ؟ فقال عبد الملك : هو مأمور ، أو عاق مجبور ، فإن كان مأموراً فعذوره ، وإن كان عاقاً ففاجره ككفور ، أخبر الله بعبادته وحذر منه بقوله : « إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ » . فنهض الرشيد وهو يقول : أمّا أمرك فقد وضح ، ولكنني لا أعجل حتى أعلم الذي يرضى الله فيك ، فإنه الحكم بيني وبينك ، فقال عبد الملك : رضيت بالله حكماً ، وبأمر المؤمنين حاكماً ، فإني أعلم أنه يؤثر كتاب الله على هواه ، وأمر الله على رضاه .

فلما كان بعد ذلك جلس مجلساً آخر ، ودخل عبد الملك عليه فسلم ، فلم يرد عليه الرشيد ! فقال عبد الملك : ليس هذا يوماً أحتج فيه ، فقال الرشيد : لِمَه ؟ فقال : لأن أوله جرى على غير السنة فأنا أخاف آخره ، قال : وما ذاك ؟ قال : لم ترد على السلام . أنصف نصفة العوام . فقال الرشيد : السلام عليكم اقتداء بالسنة ، وإيناراً للعهد ، واستعمالاً للتحية ، ثم التفت نحو سليمان بن أبي جعفر وقال :

\* أريدُ حياته ويُريدُ قَتْلِي \*

أما والله لكانني أنظر إلى شوئبها<sup>(٢)</sup> قد همع ، وعارضها<sup>(٣)</sup> قد لَمع ، وكانني

(١) ختله : خدعه (٢) الشؤبوب : الدفعة من المطر ، وهمع : سال (٣) العارض : السحاب المعترض في الأفق .

بالوعيد قد أَوْرى ناراً تسطع فأقلع عن بَرّاجم<sup>(١)</sup> بلا معاصم ؛ ورووس بلا غلامم<sup>(٢)</sup> . فهلا مهلا ، بى والله سهّل لكم الوعر ، وصفاً لكم الكدير ، وألقت إليكم الأمور أزيّمتها ، فنذار لكم نذار ! قبل حلول داهية ، خبطوط باليد ، لبوط<sup>(٣)</sup> بالرجل !

فقال عبد الملك : اتق الله يا أمير المؤمنين فيما ولّأك وفي رعيّتك التي استقرّك ، ولا تجعل الكفر مكان الشكر ، ولا العقاب موضع الثواب ؛ فقد نخلت لك النصيحة ومحضت لك الطاعة ، وشدّدت أواخى<sup>(٤)</sup> مُلكك بأنقل من رُكني يلمّتم<sup>(٥)</sup> ، وتركّت عدوك مُشتغلا ؛ فالله الله في رحمتك أن تقطعه بمد أن بلّيته<sup>(٦)</sup> ، بظنّ أفصح الكتاب بمضمه<sup>(٧)</sup> ، أو ببني باغ ينهش اللحم ، ويلبغ في الدم ! فقد والله سهّل لك الوعر ، وذللّت لك الأمور ، وجهت على طاعتك القلوب في الصدور . فكم من ليل تمام فيك كأبدته ، ومقام ضيق لك قمته ! كما قال أخو بني جعفر بن كلاب :

ومقام ضيق فرّجته بينان ولسان وجّادل  
لو يقوم الفيل أو فيّاله<sup>(٨)</sup> زلّ عن مثل مقامى وزحل<sup>(٩)</sup>

فقال له الرشيد : أمّا والله لولا الإبقاء على بني هاشم لضربت عنقك ؛ ثم أمر بحبسه ، فحبّس عند الفضل بن الربيع .

ثم بعث الرشيد إلى يحيى بن خالد وهو في السجن : « إن عبد الملك بن صالح

(١) البراجم : مفاصل الأصابع (٢) الغلامم : جم غلصمة ، وهى اللحم بين الرأس والعنق (٣) يقال : لبط به الأرض ؛ أى ضرب (٤) أواخى : جم آخية : عروة تربط إلى وتد مدقوق وتعد فيه الداية (٥) يلتم : جبل من الطائف على ليلتين (٦) بلّيته : لزمته (٧) المضمه : الكذب والتمية (٨) الفيال : صاحب الفيل (٩) زحل : زال عن مكانه .

أراد الخروج علىّ ومنازعتي في الملك ، وقد علمت ذلك ، فأعلمني ما عندك فيه ، فإنك إن صدقتني أعدتُك إلى حالك .

فقال يحيى : والله يا أمير المؤمنين ما اطلعتُ من عبد الملك على شيء من هذا ، ولو اطلعتُ عليه لكنتُ صاحبه دونك ؛ لأنّ ملكك كان ملكي ، وسلطانك سلطاني والخير والشرّ كانا فيه علىّ وليّ ؛ فكيف يجوز لعبد الملك أن يطمع في ذلك مني ! وهل كنتُ إذا فعلتُ ذلك به يفعل بي أكثر من فعلك ! أعيذك بالله أن تظنّ بي هذا الظنّ ؛ ولكن كان رجلاً محتملاً ، بسرّني أن يكون في أهلِكَ مثله ، فوليتُهُ لما أَحَدْتُ<sup>(١)</sup> من مذهبه ، ومِلْتُ إليه لأدبه واحتماله .

فلما أتى الرسولُ الرشيدُ بهذا أعاده عليه وقال : إن أنتَ لم تقرّ على عبد الملك قتلُ ابنك الفضل ؛ فقال له يحيى : أنتَ مسلط علينا فافعل ما شئتَ ، على أنه إذا كان من هذا الأمر شيءٌ قالَ دُنبُ فيه لي ، فمِمَّ يدخلُ الفضلُ في ذلك ! فقال الرسولُ للفضل : قم ، فإنه لا بدّ لي من إنفاذ أمر أمير المؤمنين فيك ؛ فلم يشك في أنه قاتله ؛ فودّعَ أباه وقال له : ألسنتُ راضياً عني ؟ قال : بلى ، فرضى الله عنك ، وفرق بينهما ثلاثة أيام ؛ فلما لم يجد عندهما من ذلك شيئاً جمعهما كما كانا .

---

(١) يقال : أَحَدْتُ فلاناً ، أى رضيت مذهبه .

١٧٨ — هارون الرشيد ومسلم بن الوليد \*

كان هارون الرشيد يقتل أولاد فاطمة وشيعتهم ، وكان مسلم بن الوليد صريح النوائى - قد رُمى عنده بالتشيع ؛ فأمر بطلبه ، فهرب منه ، ثم أمر بطلب أنس بن أبي شيخ كاتب البرامكة ، فهرب منه .

ثم وُجد هو ومسلم بن الوليد عند قينة ببغداد ؛ فلما أتى بهما ، قيل له : يا أمير المؤمنين ؛ قد أتى بالرجلين ، قال : أى الرجلين ؟ قيل : أنس بن أبي شيخ ، ومسلم بن الوليد . فقال : الحمد لله الذى أظفرنى بهما . يا غلام ؛ أحضرهما .

فلما دخلَا عليه نظر إلى مسلم وقد تغير لونه ، فرق له ، وقال : إيه يا مسلم ! أنت القائل :

أَنَسَ الهوى ببنى عليٍّ فى الحشا وأراه يَطْمَحُ عَنْ بنى العباس  
قال : بل أنا الذى أقولُ - يا أمير المؤمنين :

أَنَسَ الهوى ببنى العمومة فى الحشا مستوحشًا من سائر الأناس <sup>(١)</sup>  
وإذا تكاملت الفضائلُ كنتمُ أولى بذلك يا بنى العباس

فعجِب هارون الرشيد من سرعة بديهته ، وقال له بعض جلسائه : استنْبِقْه يا أمير المؤمنين ، فإنه من أشعر الناس ، وامتنحه فسترى منه عجباً ! فقال له : قلْ شيئاً فى أنس . فقال : يا أمير المؤمنين ؛ أفرِخ <sup>(٢)</sup> رَوْعِي أفرِخَ الله رَوْعَكَ

\* المقد الفريد : ١ - ٤٢٩ ، ديوان مسلم ٣٠١ ( طبعة أوربا )

(١) الأناس : الناس (٢) أذهب روعى وقرعى .

يَوْمَ الحاجة إلى ذلك ؛ فإنى لم أَدْخُل على خليفة قط ، ثم أنشأ يقول :

تَلَمَّظُ<sup>(١)</sup> السيف من شوقٍ إلى أنس      فالموتُ يلحظُ والأقدارُ تنتظرُ  
فليس يبلغُ منه ما يؤمِّلُهُ      حتى يُؤامِرَ فيه رأيك القدرُ  
أمضى من الموت ؛ يَمُوتُ عند قدرته      وليس للموت عفوٌ حين يقتدر  
فأجلسه هارون وراء ظهره ، لئلا يرى مام به ، حتى إذا فرغ من قتل أنس  
قال له : أنشدنى أشعر شعرك ، فكلما فرغ من قصيدة قال : التى تقول فيها «الوحد»  
فإنى رويتها وأنا صغير ، فأنشده شعره الذى أوله :

أَدِيرَا عَلَى الرَّاحِ لَا تَشْرَبَا قَبْلِي      وَلَا تَطْلُبَا مِنْ عِنْدِ قَاتِلَتِي دَحْلِي<sup>(٢)</sup>  
حتى انتهى إلى قوله :

إِذَا مَا عَلَتْ مِنْهَا ذُؤَابَةٌ شَارِبٍ      تَمَشَّتْ بِنَامَشَى الْمُقَيَّدِ فِي الْوَحْلِ  
فضحك هارون ، وقال : عليك ! أما رَضِيتَ أَنْ قِيدَتْهُ حَتَّى يَمَشَى فِي الْوَحْلِ !  
ثم أمر له بمجازرة وخلق سبيله .

(١) أصل التلمظ تحريك اللسان في الفم بعد الأكل ، كأنه يتتبع بقية الطعام بين أسنانه ، ويقال  
تلمظت الحية : إذا أخرجت لسانها لتلمظ الأكل (٢) الدحل : الثأر .

## ١٧٩ — شاعر باهلي في حضرة الرشيد \*

أوفد سعيد بن سالم على الرشيد شاعراً باهلياً ؛ فأنشده قصيدة حسنة ؛  
 فاسترأب به <sup>(١)</sup> الرشيد ؛ وقال : أستمعك مستحسناً ، وأكرمك مُتَهماً ! فإن كنتَ  
 صاحبَ هذا الشعر ؛ فقل في هذين - وأشار إلى الأمين والمأمون ، وكانا جالسين .  
 فقال : يا أمير المؤمنين ؛ حَمَلَنِي على غير الجدِّد <sup>(٢)</sup> هيبةُ الخلافة ، ووحشةُ  
 الغُربة ، ورَوْعةُ المفاجأة ، وجلالةُ المقام ، وصعوبةُ البديهة ، وشروءُ القوافي على  
 غير الروية ، فليَمَهِّلْنِي أمير المؤمنين حتى يتألف نافر القول !  
 فقال الرشيد : لا عليك ألا تقول ، قد جعلتُ اعتذارك عوضَ امتحانك !  
 فقال : يا أمير المؤمنين ، نفست <sup>(٣)</sup> الخناق ، وسهلتُ مَيِّدَانِ السباق ، ثم قال :  
 بَنَيْتُ لعبد الله بعد محمدٍ ذُرّاً قُبَّةَ الإسلام فاخضرَّ عودها  
 هما طُنْبَاهَا <sup>(٤)</sup> بارك الله فيهما وأنت أمير المؤمنين عمودُها  
 فقال الرشيد : بارك الله فيك - سلْ ، ولا تكن مسألتك دون إحسانك .  
 فقال : الهَيْدَةَ <sup>(٥)</sup> يا أمير المؤمنين ! فأمر له بها وبمخلعٍ نفيسة ، وصلةٍ جزيلة !

\* زهر الآداب : ٤ - ١٥٣ .

(١) استرأب به : رأى منه ما يريبه (٢) الجدِّد : ما استوى من الأرض وأصغر ، والمراد هنا  
 الأمر السهل (٣) نفست : فرجت (٤) الطنب : جبل الحباء (٥) الهيدة : اسم المائة  
 من الإبل .



١٨٠ — أَبَانُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ يَمْدَحُ نَفْسَهُ \*

قال العتّابي : كنا بباب الفضل بن يحيى البرمكي أربعة آلاف ؛ ما بين شاعر  
وزائر ، وفيينا فتى <sup>(١)</sup> يحدّثنا ونجتمع إليه ؛ فيينا هو ذات يوم قاعد إذ أقبل إليه  
غلام له ! فقال له : يا مولاي ؛ أخرجتني من بين أبوي ، وزعت أن لك صلة  
بالمملك ؟ فقد صرنا إلى أسوأ ما يكون من الحال . فإن رأيت أن تأذن لي فأنصرف  
إلى أبويّ فعلت !

فاغرورقت عينا الفتى ، ثم قال : ائتنى بدواة وقرطاس ، فأناه بهما فقمعد ؛  
فكتب رقعة ، ثم عاد إلى مجلسه ، ثم قال للغلام : انصرف إلى وقت رجوعي  
إليك .

فيينا نحن كذلك إذ جاء رجلٌ يستأذنُ على الفضل ، فقام إليه الفتى ، فقال :  
تَوَصَّلْ رقتي هذه إلى الأمير ؟ قال : وما في رقعتك ؟ قال : أمدح نفسي ، وأحث  
الأمير على قبولي ، قال : هذه حاجة لك دون الأمير ، فإن رأيت أن تعفيني فعلت !  
قال : قد فعلت .

فعاد إلى مجلسه ، فخرج الحاجب فقام إليه ، فقال له مثل مقالته الأولى .

\* الأوراق للصول : ٤

(١) هو أبان بن عبد الحميد النلاحى الذى نظم كلية ودمنة شعراً . وقد أعطاه يحيى بن خالد  
عشرة آلاف دينار ، وأعطاه الفضل خمسة آلاف دينار .

فاستظرفه الحاجب وقال : إن رجلاً يمدح نفسه ، ولا يمدح الفضل عجيب !

فأخذ منه الرقعة ، ثم دخل فلوحها للفضل ، فقرأ منها سطرين وهو مستلق على فراشه ، ثم استوى قاعدا ، وتناول الرقعة فقرأها ، فلما فرغ قال للحاجب : أين صاحبُ الرقعة ؟ قال : أعزُّ الله الأمير ؛ والله لا أعرفه لكثرة من بالباب ؛ فقال الفضل : أنا أعرفه لك الساعة ؛ يا غلام ! اصعد القصر فناد أين مَدَحَ نفسه ؟ فقام العلام فصاح ؛ فقام الفتى من بيننا بغير رداء ولا حذاء !

فلما مثل بين يدي الفضل ، قال له : أنت القائل ما فيها ؟ قال : نعم ! قال : أنشدني ، فأنشأ الفتى يقول :

أنا مِن بُغْيَةٍ<sup>(١)</sup> الأمير وكنزٍ من كنوزِ الأمير ذو أرباح  
 كاتبٌ حاسبٌ خطيبٌ أديبٌ ناصحٌ زائدٌ على النصّاح  
 شاعرٌ مُفْلِقٌ أخفٌ من الريش ممّا يكون تحت الجناح<sup>(٢)</sup>  
 لي في النحو فطنة وانقاد أنا فيه قلادة بوشاح  
 ثم أروى من ابن سيرين للعالم بقولٍ منورٍ الإفصاح  
 ثم أروى من ابن سيرين للشعر وقول النسيب والأمّاح  
 وطريف الحديث في كل فن وبصيرٌ بترّهات الملاح  
 كم وكم قد خبأت عندي حديثاً هو عند الملوك كالفتاح

(١) من بغية : من مطالبه ، يريد أن الأمير لو اصطفيه واصطفاه لرأى فيه خيراً كثيراً ، وقد عدد مزايا نفسه في البيتين بعده (٢) الشاعر المفلق : المبدع ، وأخف الريش وأدقه : ما يكون تحت الجناح ، وأراد بالحنفة خفة الروح .

فَيَمِثْلِي تَجْلُو الْمُلُوكُ وَتَلْهُوُ وَتَنَاجِي فِي الْمَشْكَلِ الْفَدَاحِ  
أَيْمَنُ النَّاسِ طَائِرًا يَوْمَ صَيْدٍ لَعَدَوْ دُعَيْتُ أَوْ لَرَوَّاحِ  
أَبْصَرَ النَّاسَ بِالْجَوَاهِرِ وَالْخَيْلِ وَبِالْخَرَدِ الْحَسَانَ الصُّبَّاحِ  
كُلُّ ذَا قَدْ جَعْتُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى أَنْتَنِي ظَرِيفِ الْمَزَاحِ  
لَسْتُ بِالنَّاسِكِ الْمُشْمَرِّ ثَوْبِيهِ وَلَا الْمَاجِنِ الْخَلِيعِ الْوَقَّاحِ  
إِنْ رَمَى بِي الْأَمِيرُ أَصْلَحَهُ اللَّهُ رِمَاحًا ثَلُتُ حَدَّ الرِّمَاحِ  
مَا أَنَا وَاهِنٌ وَلَا مُسْتَكِينٌ لِسَوَى أَمْرِ سَيِّدِي ذِي السَّمَاحِ  
حَتَّى أَتَى عَلَى آخِرِهَا .

فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ :

كَاتِبٌ، حَاسِبٌ، خَطِيبٌ، أَدِيبٌ، نَاصِحٌ زَائِدٌ عَلَى النَّصَاحِ ؟ !  
قَالَ : نَعَمْ ! أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرُ ؟ فَقَالَ الْفَضْلُ : يَا غِلَامُ ؛ السَّكْتَبَ الَّتِي وَرَدَتْ  
مِنْ فَارِسٍ ! فَأَتَنِي بِهَا ، فَقَالَ الْفَتَى : خُذْهَا فَاقْرَأْهَا وَأَجِبْ عَنْهَا ، فَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيِ  
الْفَضْلِ يَكْتُبُ ، فَقَالَ لَهُ الْحَاجِبُ : اعْتَزِلْ يَكُنْ خَيْرًا لَكَ ؟ فَقَالَ : هَهُنَا الرَّأْيُ  
أَجْمَعُ ؛ يَحِثُّ الرِّغْبَةُ وَالرَّهْبَةُ .

فَلَمَّا فَرَّغَ مِنَ السَّكْتَبِ عَرَضَهَا عَلَى الْفَضْلِ ، فَكَأَنَّمَا شَقَّ عَنْ قَلْبِهِ ! فَقَالَ  
الْفَضْلُ : يَا غِلَامُ ؛ بَدْرَةٌ ، بَدْرَةٌ ، بَدْرَةٌ <sup>(١)</sup> ، فَقَالَ الْفَتَى لِلْغِلَامِ : أَعَزَّ اللَّهُ الْأَمِيرُ !  
دَنَانِيرُ أَوْ دَرَاهِمُ ؟ قَالَ : دَرَاهِمُ . قَالَ : دَنَانِيرُ يَا غِلَامُ !

فَلَمَّا وَضَعَتِ الْبَدْرَةَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ الْفَضْلُ : احْمِلْهَا بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا . قَالَ  
الْفَتَى : وَاللَّهِ - أَيُّهَا الْأَمِيرُ : مَا أَنَا بِحَمَّالٍ ، وَمَا لِلْحَمْلِ خَلَقْتُ . فَإِنْ رَأَى الْأَمِيرُ أَنْ

(١) الْبَدْرَةُ : كَيْسٌ فِيهِ عَشْرَةُ آلَافٍ .

يأمر بعضَ غلمانه بحملها على أن الغلام لى ! فأشار الفضل إلى بعض الغلمان ، فأشار  
الفتى إليه : مكانك ! ثم قال : إن رأى الأمير - أيده الله أن يجعل الخيار إلى - فى  
الغلمان كما فعل بين البدرتين فعل . فقال : اختر . فاختار من أحسنهم غلاما ، فقال :  
احمل ، فلما صارت البدرّة على منكب الغلام بكى الفتى ؟ فاستفزع الفضل ذلك ،  
وقال : ويلك . أستقللا ؟ قال : لا - والله - أيذك الله ، ولقد أكرثت ،  
ولكن أسفا أن الأرض توارى مثلك . قال الفضل : هذا أجود من الأول ،  
يا غلام زده كسوة .

## ١٨١ — العتابي عند المأمون \*

كان كلثوم العتابي<sup>(١)</sup> واقفاً بباب المأمون ، فجاء يحيى بن أكثم ، فقال له العتابي : إن رأيت أن تُعلمَ أميرَ المؤمنين بمكاني ا قال : لستُ بحاجة ا قال : قد علمتُ ولكنك ذو فضل ، وذو الفضل معوان ! قال : سلكتُ بي غيرَ طريقٍ ا قال : إن الله قد ألحقك بجاهٍ ونعمة منه ، فهما مُقيان عليك بالزيادة إن شكرتَ ، وبالتقدير إن كفرتَ ! وأنا لك اليوم خيرٌ منك لنفسك ؛ أَدْعُوكَ لما فيه زيادةُ نعمتك وأنت تأبى ذلك ، ولكلُّ شيءٍ زكاة ، وزكاة الجاه بذله للمستعين .

فدخل يحيى فأخبر المأمون بالخبر ؛ فأدخل عليه العتابي ، وفي المجلس إسحاق ابن إبراهيم الموصلي ، فأمره بالجلوس ، وأقبلَ يسأله عن أحواله وشأنه ؛ فيجيبه بلسان ناطق ، فاستظرفه المأمون ، وأخذ في مُدَاعَبَتِهِ .

فظن الشيخ أنه قد استخفَّ به ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ؛ الإبناس<sup>(٢)</sup> قبل الإبناس ، فاشتبه عليه قوله ، فنظر إلى إسحاق ، ثم قال : ألف دينار ، فأتى بها فوضعت بين يدي العتابي .

\* السمودي : ٢ - ٣٢٣ .

(١) كان العتابي من أرض جند قنسرين ، وسكن الرقة ، وكان من العلم والقراءة والأدب والمعرفة والترسل ، وحسن النظم للكلام وكثرة الحفظ وحسن الإشارة وفصاحة اللسان وبراعة البيان ، وحلاوة المخاطبة وجودة الحفظ وصحة الفريضة على ما لم يكن لكثير من الناس في عصر مثله .  
(٢) الإبناس : ضد الإيعاش . والإبناس : الرفق بالناقة عند الحلب ، وهو أن يقال : بس بس ، وهو مثل يضرب في المداراة عند الطلب .

ثم دعا إلى المعارضة ، وأغرى المأمونُ إسحاق بالعبث به ، فأقبل إسحاق يعارضه في كل باب يذكره ويزيد عليه ؛ فعجب منه ، وهو لا يعلم أنه إسحاق ، ثم قال العتابي : أياذنُ أميرُ المؤمنين في مسألة هذا الرجل عن اسمه ونسبه ؟ فأذن له . فقال العتابي : من أنت ؟ وما اسمك ! قال : أنا من الناس ، واسمى : « كل بصل » ! فقال له العتابي : أمّا النسبةُ فقد عُرِفَتْ ، وأما الاسمُ فنكر ! وما « كل بصل » من الأسماء ! فقال له إسحاق : ما أقلُّ إنصافك ! وما « كلثوم » ؟ والبصل أطيب من الثوم !

قال العتابي : قاتلكَ الله ! ما رأيتُ كالرجل حلاوةً ، أياذنُ أمير المؤمنين في صلته بما وصلني به . فقد - والله - غلبني ! فقال له المأمون : بل ذلك مُوفَّرٌ عليك ، ونأمرُ له بمثله ؛ فانصرف إسحاق إلى منزله ، ونادَمَه بقيةَ يومِهِ .

## ١٨٢ — أبو تمام والأعرابي \*

قال أبو تمام الطائي : خرجتُ يوماً إلى سُرٍّ من رأى ، حين ولى الوائقُ ،  
فَلَيْقِنِي أَعْرَابِي وقد قَرِبتُ منها ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَسْأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ أَخْبَارِ النَّاسِ بِهَا ،  
فَخَاطَبْتُهُ ، فَإِذَا أَفْصَحُ النَّاسِ وَأَفْطَهُمْ .

فقلتُ : بَمَنْ الرَّجُلُ ؟ قال : من بنى عامر ، قلت : كيف عدلُك بأمير المؤمنين ؟  
قال : قتلَ <sup>(١)</sup> أَرْضًا عَالِمُهَا ؟ قلت : فما تقول فيه ؟ قال : وثق بالله فكفاه ،  
أَشْجَى <sup>(٢)</sup> العاصية ، وقمع العادية ، وعدل في الرعية .

قلت : فما تقول في أحمد بن أبي دؤاد <sup>(٣)</sup> ؟ قال : هَضْبَةٌ لَا تُرَام ، وَجَنْدَلَةٌ <sup>(٤)</sup>  
لَا تُضَام ، تُشَحَذُ لَهُ الْمُدَى ، وَتُحَبَّلُ <sup>(٥)</sup> لَهُ الْأَشْرَاكُ ، وَتُبَغَى لَهُ الْفَوَائِلُ ، حَتَّى إِذَا  
قِيلَ : كَأَنَّ قَدْ ، وَثَبَ وَثْبَةً الذَّئْبِ ، وَخَتَلَ <sup>(٦)</sup> خَتَلَ الضَّبِّ .

قلت : فما تقول في محمد بن عبد الملك ؟ قال : وسع الداني شَرُّهُ ، وقتل البعيدَ

\* أخبار أبي تمام للصولي : ٨٩

- (١) أصل القتل التذليل ، وهذا مثل معناه ؛ أن الرجل العالم بالأرض عند سلوكها يذلها ويقلبها  
بعلمه ؛ يضرب في مدح العلم (٢) أشجيتَه : أوقته في حزن ، وقهرته (٣) أحمد بن  
أبي دؤاد : كان فصيحاً مفوهاً ، شاعراً جواداً ممدحاً ، رأساً في التجهيم ، وهو الذي شغب على  
الإمام أحمد بن حنبل وأفتى بقتله ، وكان معتزلياً ، له القبول التام عند المؤمن والمتمتع ، وهو أول  
من بدأ الخلفاء بالكلام ، وكان بينه وبين ابن الزيات شحنة ومهاجاة . توفي بالبصرة سنة ٢٤٠ هـ  
(٤) الجندل : ما يقل الرجل من الحجارة وقيل : الحجر كله ؛ الواحدة جندلة .  
(٥) حبل الصيد حبلاً : أخذه وصاده بالحبال أو نصبها له (٦) ختل : خدع .

خَرَّه ، له كلَّ يومٍ صريعٌ لا يرى فيه أثرُ ناب ، ولا ندبٌ مخلب <sup>(١)</sup> .  
قلت : فما تقول في عمرو <sup>(٢)</sup> بن فرج ؟ قال : ضغمٌ لهم <sup>(٣)</sup> ،  
مستعذبٌ للذم .

قلت : فما تقول في الفضل بن مروان - واستعذبتُ خطابه - قال : ذاكرُ رجلٍ  
نُشِرَ بعد ما قُبِرَ ، فطليه حياةُ الأحياء وخَفَّتْهُ الموتى .

قلت : فما تقول في أبي الوزير ؟ قال : كبشُ الزنادقة ؛ ألا ترى أن الخليفة  
إذا أهمله سنح ورتع ، فإذا هزّه أمطر فأمرع .

قلت : فابنُ الخصيب ؟ قال : أكلُ أكلةٍ نهم ، فذَرَقَ ذَرَقَةً يَشِمُ <sup>(٤)</sup>  
قلت : فما تقول في إبراهيم أخيه ؟ قال : أمواتٌ غير أحياء وما يشعرون  
أَيَّانَ يُبْمَتُونَ .

قلت : فما تقول في ابن إسرائيل ؟ قال : لله دره ! أى قلقل <sup>(٥)</sup> هو أغريس  
في منابت الكرم ، حتى إذا اهتز لهم حصوده .

قلت : فما تقول في إبراهيم بن رباح ؟ قال : أَوْبَقَهُ <sup>(٦)</sup> كرمه ، وأسلمه حَسْبُهُ ،  
وله معروفٌ لا يُسْلِمُهُ ، وربٌّ لا يَحْدُلُهُ ، وخليفة لا يظلمه .

قلت : فما تقول في نجاح بن سلمة ؟ قال : لله دره ! أى طالبٍ وتِرٍ ومُذْرِكٍ  
ثَار ! يتلَّهبُ كأنه شعلة نار ، له من الخليفة جلسةٌ تزيل نِعَمًا ، وتُحِل نِقَمًا .

---

(١) الندب : جمع ندبة ، وهى أثر الجرح الباقي على الجلد (٢) عمرو بن فرج : كان من  
علية الكتاب ، وسخط عليه التوكل سنة ٢٣٣ هـ (٣) اللهم : الرغيب الرأى ، الجواد ،  
العظيم الكفاية (٤) البشم : التضمة (٥) القلقل : المعوان السريع الثقفل وهو التحرك  
(٦) أوبقه : ذلله وأهلكه .



قلت : يا أعرابي ؛ أين منزلك ؟ قال : اللهم غفرأ ، إذا اشتمل الظلام فحينما أدركنى الرقادُ رقدتُ !

قلت : فكيف رضاك عن أهل العسكر ؟ قال : لا أُخِلِّق وجهي بمسألتهم ، أو ما سمعتَ قول هذا الفتى الطائى ، الذى قد ملأ الدنيا شعره :

وما أبالى - وخيرُ القولِ أصدقه - حَفَنْتَ لى ماء وجهي أو حَفَنْتَ دَمِي

قلت : فأنى الطائى قاتل هذا الشعر ! فدنا مبادراً فعانقنى ، وقال : لله أبوك ! أَلَسْتَ الذى يقول :

ما جود كفك إن جادتْ وإن بخلتْ    من ماء وجهي إذا أُخِلِّقته عِوَض

قلت : نعم ، قال : أنت والله أشعر أهل الزمان .

فرجعتُ بالأعرابي معي إلى ابن أبي دؤاد ، وحدثتهُ بحديثه ، فأدخله إلى الوائق ، فسأله عن خبره معي ، فأخبره به ؛ فأمر له بجال ، وأحسن إليه ، ووهب له أحمد بن أبي دؤاد ، فكان يقول : قد عَظَّمَ اللهُ بركتك على !

١٨٣ — امتحان شاعر\*

كان صاعد<sup>(١)</sup> بين يدي المنصور بن أبي عامر ، فأحضرت إليه وردة في غير وقتها لم يستم فتح ورقها ، فقال صاعد مرتجلاً :

أتسك أبا عامر وردةً      يذكرك المسك أنفاسها  
كعذراء أبصرها مبصرٌ      فغطت بأكامها رأسها

فسر بذلك المنصور ، وكان ابن العريف حاضراً فحسده ، وقال لابن أبي عامر : هذان البيتان لغيره ، وقد أشدنيهما بعض البغداديين لنفسه بمصر ، وهما عندي على ظهر كتاب بخطه !

فقال له المنصور : أرنيه . فخرج ابن العريف ، وركب ، وحرك دابته ، حتى أتى مجلس ابن بدر وكان أحسن أهل زمانه بديهة ، فوصف له ماجرى ، فقال هذه الأبيات ودمت فيها بيتي صاعد :

غدوت إلى قصر عباسه      وقد جدل<sup>(٢)</sup> النوم حراسها  
فألقيتها وهي في خدرها      وقد صرع<sup>(٣)</sup> السكر أناسها  
فقلت : أسار على هجعة<sup>(٤)</sup>      بلى فرمت كاسها  
ومدت يديها إلى وردة      يحاكى لك الطيب أنفاسها

\* فتح الطيب : ٢ - ٨٩

(١) هو أبو العلاء صاعد بن الحسن بن عيسى البغدادى التتوى ، وأصله من الموصل ، وهو من الموافدين إلى الأندلس ، وكان شديد البديهة في ادعاء الباطل ، وكان مع ذلك عالماً . توفي سنة ٤١٧ هـ .  
(٢) جدله : صرعه (٣) صرع فلاناً : ضربه شديداً (٤) الهجعة : طائفة من الليل .

كعذراء أبصرها مبصر ففطت بأكلها رأسها

فسار ابن العريف بها ، وعلقها على ظهر كتاب بخط مصري ، ومِدَاد أشقر ؛  
ودخل بها على المنصور .

فلما رآها اشتد غيظه على صاعد ، وقال للحاضرين : غداً أمتحنه ، فإن فضحه  
الامتحان أخرجه من البلاد ، ولم يبق في موضع لي عليه سلطان .

فلما أصبح وجه إليه ، فأحضر وأحضر جميع الندماء ، فدخل بهم إلى مجلس ،  
قد أعد فيه طبقاً عظيماً ، فيه سقائف مصنوعة من جميع النواير . ووضع على السقائف  
لعب من ياسمين في شكل الجوارى ، وتحت السقائف بركة ماء ، قد ألقى فيها اللآلئ\*  
مثل الحصاء ، وفي البركة حية تسبح .

فلما دخل صاعد ورأى الطبق ، قال له المنصور : إن هذا يوم إما أن تسعد فيه  
معنا ، وإما أن تشقى به عندنا ، لأنه قد زعم أن كل ما تأتي به دعوى ، وقد وقت\*  
من ذلك على حقيقة ؛ وهذا طبق ما توهمت أنه حضر بين يدي ملك قبلي شكله ؛  
فصنعه بجميع ما فيه ، فقال صاعد بديهة :

أبا عامر هل غير جدواك واكف<sup>(١)</sup> وهل غير من عاداك في الأرض خائف  
يسوق إليك الدهر كل غريبة وأعجب ما يلقاه عندك واصف  
وشائع<sup>(٢)</sup> نور صاغها هامر الحيا<sup>(٣)</sup> على حافتيها عبهر<sup>(٤)</sup> ورفارف<sup>(٥)</sup>  
ولما تنهى الحسن فيها تقابلت عليها بأنواع اللامى الوصائف

(١) وكف : قطر (٢) الوشيفة : كل لفيفة وجهها وشائع (٣) الحيا : اللطر  
(٤) العبهر : الياسمين (٥) الرفرف : الرف يوضع عليه طرائف البيت وجمعه رفاف .

كَيْلُ الظَّاءِ الْمُسْكَنَةِ كُنْصَا      نُظِّلُهَا بِالْيَاسَمِينِ السَّقَائِفِ  
وَأَعْجَبُ مِنْهَا أَنْهَنَ نَوَاطِرُ      إِلَى بَرَكَةِ ضَمَّتْ إِلَيْهَا الطَّرَائِفِ  
حَصَاها اللَّالَى ، سَابَحَ فِي عُبَابِهَا      مِنَ الرَّقْشِ مَسْمُومُ الثَّعَالَيْنِ زَاخِفِ  
تَرَى مَا تَأْتِيهِ الْعَيْنُ فِي جَنَابِهَا      مِنَ الْوَحْشِ حَتَّى يَنْهَنَ السَّلَاحِفِ  
فَاسْتَفْرِجَتْ لَهُ يَوْمَئِذٍ تِلْكَ الْبَدِيهَةِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ ، وَكَتَبَتْهُ الْمَنْصُورُ  
بِحُطَّةٍ . وَكَانَ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنْ تِلْكَ السَّقَائِفِ سَفِينَةٌ ، فِيهَا جَارِيَةٌ مِنَ النُّوَارِ ، بِمَجَازِيفَ  
مِنْ ذَهَبٍ لَمْ يَرَهَا صَاعِدٌ ، فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ : أَحْسَنْتَ إِلَّا أَنَّكَ أَغْفَلْتَ ذِكْرَ الْمَرْكَبِ  
وَالْجَارِيَةِ ، فَقَالَ لِلْوَقْتِ :

وَأَعْجَبُ مِنْهَا غَادَةٌ فِي سَفِينَةٍ      مَكَلَّةٌ تَصْبُو إِلَيْهَا الْمَهَائِفُ (١)  
إِذَا رَاعَهَا مَوْجٌ مِنَ الْمَاءِ تَتَّقِي      بِسَكَّانِهَا مَا أَنْذَرَتْهُ الْعَوَاصِفُ  
مَتَى كَانَتْ الْحُسْنَاءُ رُبَّانَ مَرْكَبِ      تُصَرِّفُ فِي يَمْنَى يَدَيْهِ الْجَافِذِ  
وَلَمْ تَرَ عَيْنِي فِي الْبِلَادِ حَدِيقَةٍ      تَنْقُلُهَا فِي الرَّاحَتَيْنِ الْوَصَائِفُ  
وَلَا غُرُوبَ أَنْ سَاقَتْ مَعَالِيكَ رَوْضَةً      وَشَتَا أَزَاهِيرِ الرِّبَا وَالزَّخَارِفِ  
إِذَا قَلْتَ قَوْلًا أَوْ بَدَهْتَ بَدِيهَةً      فَكِلْتَا لِي ، إِنِّي لِمَجْدِكَ وَاصِفِ  
فَأَمَرَ لَهُ الْمَنْصُورُ بِأَلْفِ دِينَارٍ ، وَمِائَةِ ثَوْبٍ ، وَرَتَّبَ لَهُ فِي كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثِينَ دِينَارًا  
وَأَلْحَقَهُ بِالْإِنْدِمَاءِ .

.....

(١) فَلَانَةٌ يَهْتَفُ بِهَا : يَذْكُرُ جَالَهَا .

## فهرس القصص

### الباب الأول

في القصص التي تشرح ما أثر عنهم من عادات وشمائل في الأسباب الدائرة  
بينهم ، وتبين ما اتجهوه في مواسمهم وأعيادهم ، وأفراحهم وأعراسهم ؛ مما يمثل حياتهم  
الاجتماعية أصدق تمثيل :

رقم القصة	رقم الصفحة	المنوان
١	٨	شب عمرو عن الطوق
٢	١٠	الحديث ذو شجون
٣	١١	جوع كلبك يتبعك
٤	١٢	عند جبهة الخبز اليقين
٥	١٤	يحمي الصحاب إذا تكون كريمة
٦	١٧	تأبط شراً وابن براق
٧	١٩	أنتك بمحائن رجلاه
٨	٢٢	السليك بن السلكة ورفيقاه
٩	٢٤	السليك يقتل وينهب
١٠	٢٥	السخي العداء
١١	٢٨	زيد الخليل
١٢	٣١	وأد البنات
١٣	٣٢	أعجب السرقات
١٤	٣٦	أعرابي في عرس
١٥	٤٠	أطيب الطعام
١٦	٤٣	جحدر

رقم القصة	رقم الصفحة	العنوان
١٧	٤٥	صديقا ابن سُريج على قبره
١٨	٤٨	قوة و بطش
١٩	٥٠	لا تعرضوا لهذا الشيطان
٢٠	٥٢	هلال يُصارع عبداً جباراً
٢١	٥٤	حديث عن الغريين
٢٢	٥٧	العصا
٢٣	٦٠	ضرار بن القمقاع

### الباب الثاني

القصص التي تصف أحوال المرأة العربية ، وما تجري عليه في تربية أطفالها ، ومعاشرتها زوجها ، ومعاونتها له في الحياتين : الاجتماعية والمدنية ، بالسعى في سبيل الرزق ، والاشتراك في خوض معامع الحروب ، والأخذ بقسط من الثقافة الأدبية السائدة في ذلك العهد :

رقم القصة	رقم الصفحة	العنوان
٢٤	٦٢	مصرع الزبَاء
٢٥	٦٨	قبح الله جمالا لا نفع فيه
٢٦	٧١	أفضل النساء وأفضل الرجال
٢٧	٧٣	نكبة جليلة
٢٨	٧٥	كأما تزوجت بنت قيس بن خالد
٢٩	٧٨	ماوراءك يا عصام ؟
٣٠	٨١	لا أنزوج إلا من كريم
٣١	٨٤	سبية عروة بن الورد
٣٢	٨٦	لو كان النساء كمثل هذى !
٣٣	٨٩	بنت حاتم الطائي

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
آيتها أعظم العرب مصيبة ؟	٩٠	٣٤
شجاعة صفية بنت عبد المطلب	٩٢	٣٥
الخنساء عند عائشة	٩٣	٣٦
إله عمر يعلم !	٩٤	٣٧
كذلك لدهر !	٩٥	٣٨
لا تذهبي بنفسك عن الحق	٩٦	٣٩
المغيرة يخطب بنت النعمان	٩٨	٤٠
ولقد أبيت على الطوى	٩٩	٤١
أبو الأسود الدؤلى وزوجه	١٠٤	٤٢
إن قرىشا تحدث أنك من أحلبها	١٠٦	٤٣
سودة بنت عمارة عند معاوية	١١١	٤٤
مثلك من قدر فقفا	١١٤	٤٥
نهبكم على !	١١٧	٤٦
وهل أحل عندك محل على ؟	١١٩	٤٧
نبحتى كلابك !	١٢١	٤٨
أروى بنت الحارث	١٢٣	٤٩
أم سنان تشكو مروان	١٢٦	٥٠
ليلي الأخيلية عند مروان	١٢٩	٥١
أم	١٣٢	٥٢
التلطف فى السؤال	١٣٤	٥٣
نساء بنى تميم	١٣٥	٥٤
ليلي الأخيلية عند الحجاج	١٣٨	٥٥
الحجاج يخالف سبيلها	١٤٤	٥٦

رقم القصة	رقم الصفحة	العنوان
٥٧	١٤٥	أسد على وفي الحروب نعاما
٥٨	١٤٧	الشعراء عند سكينه بنت الحسين
٥٩	١٥٢	الفرزدق وسكينه بنت الحسين
٦٠	١٥٤	يوم عند امرأة من بني أمية
٦١	١٥٨	حديث عائشة بنت طلحة مع النخري
٦٢	١٦١	أتريد أن تقتلني !
٦٣	١٦٥	بعد أن ذهب الملك
٦٤	١٦٨	أم أمير المؤمنين بالباب
٦٥	١٧٢	كريم يجمع بين زوجين
٦٦	١٧٤	أعرايبة على قبر زوجها
٦٧	١٧٥	على قبور الذاهبين
٦٨	١٧٦	الحق أنطقها وأخرسه
٦٩	١٧٩	أجارها ثم تزوجها
٧٠	١٨٤	كيف ربت ابنها
٧١	١٨٥	خائف وجد مأمنا
٧٢	١٨٧	تحن إلى وطنها
٧٣	١٨٨	سئمت حياتي حين فارقت قبره
٧٤	١٩٠	المتكلمة بالقرآن

### الباب الثالث

القصص التي تمثل ذلاقة ألسنتهم ، وحكمة منطقهم ، وما ينضاف إلى ذلك من فصاحة اللفظ ، وبلاغة المعنى ، وجمال الأسلوب ، وحسن التصرف في الإبانة والتعبير :

رقم القصة	رقم الصفحة	العنوان
٧٥	١٩٤	بنو أسد وامروء القيس



العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
خاتمة الأعشى	١٩٧	٧٦
رثاء فوق قبر	١٩٩	٧٧
بمثل هذا فليثن على الملوك	٢٠٠	٧٨
عُتْبَة وأعرابي	٢٠٤	٧٩
إن من البيان لسحراً	٢٠٥	٨٠
عبد الله بن عباس والخطيئة	٢٠٦	٨١
طريد لسانه	٢٠٨	٨٢
عبد الله بن الزبير ومقتل أخيه مصعب	٢١٦	٨٣
عمر بن أبي ربيعة وجميل	٢١٨	٨٤
لشعر عمر بن أبي ربيعة نوطة بالقلب	٢٢٠	٨٥
ابن المسيّب يفخر بصاحبه	٢٢٢	٨٦
أعشى همدان يهجو ويمدح	٢٢٣	٨٧
أشجع الناس شعراً	٢٢٥	٨٨
الحجاج على قبر ابنه	٢٢٧	٨٩
إن صدقناك أغضبتناك	٢٢٨	٩٠
الحجاج يخطب	٢٢٩	٩١
جميل أشعر الناس	٢٣١	٩٢
من أشعر الناس	٢٣٢	٩٣
الشعبي عند عبد الملك بن مروان	٢٣٦	٩٤
تلطف عبد الله بن الحجاج	٢٣٨	٩٥
نُصَيْب عند عبد العزيز بن مروان	٢٤١	٩٦
سليمان بن عبد الملك وسميه	٢٤٥	٩٧
عقيد الندى	٢٤٦	٩٨

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
خليفة يعطى الفقراء ويمنع الشعراء	٢٤٨	٩٩
الشعراء عند عمر بن عبد العزيز	٢٥٢	١٠٠
إيجاز في المقال وبلاغة في البيان	٢٥٧	١٠١
سميت فأكدت ، ورجعت فرزقت	٢٥٩	١٠٢
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته	٢٦٠	١٠٣
واعظ الملوك	٢٦٢	١٠٤
إن خالداً أدل فأمل	٢٦٦	١٠٥
أبو النجم عند هشام بن عبد الملك	٢٦٧	١٠٦
لا يُعرف الكلام إلا بنشره	٢٧١	١٠٧
أنجحت وفادتك ، ووجبت ضيافتك	٢٧٣	١٠٨
شاعر بني هاشم	٢٧٤	١٠٩
إن يُمنى يغلب شؤمك	٢٧٨	١١٠
قتلهم الشعر	٢٨٠	١١١
المنصور أحق بشعر طريف	٢٨٢	١١٢
الحبة مفتاح كل خير	٢٨٤	١١٣
المنصور والشعراء	٢٩٥	١١٤
المؤمل يمدح المهدي	٢٩٧	١١٥
مدائح وعطايا	٢٩٠	١١٦
فصاحة نصيب العباسي	٢٩٦	١١٧
أنته الخلافة منقادة	٢٩٨	١١٨
صريع القوائى	٣٠٠	١١٩
الرشيد وابن مناذر	٣٠٣	١٢٠
ربيعة الرقي يمدح فلا يثاب	٣٠٥	١٢١

العنوان	رقم القصة	رقم الصفحة
شاعران بين يدي الرشيد	١٢٢	٣٠٨
يبابك أزلت حاجتي	١٢٣	٣١٠
النكث في البيع خير من خيانة الشريك	١٢٤	٣١٢
باتت تعيرني الإفتار والعدما	١٢٥	٣١٣
سكنت عنى والله الحى !	١٢٦	٣١٥
عجوز تنشد الأصمى	١٢٧	٣١٦
الأصمى وبعض الأعراب	١٢٨	٣١٨
شعر مرتجل	١٢٩	٣٢١
هوّنت على العزل	١٣٠	٣٢٣
أرى الأيام لا تُدنى الذى أرتجى	١٣١	٣٢٥
حديث عن دعبل	١٣٢	٣٢٧
دعبل عند والى مصر	١٣٣	٣٢٩
دعبل وعلى الرضا	١٣٤	٣٣٢
سجدوا لشعره	١٣٥	٣٣٤
إنما الدنيا أبو دلف	١٣٦	٣٣٦
مدحة شاعر وعطية أمير	١٣٧	٣٣٩
بين ألى تمام وعبد الله بن طاهر	١٣٨	٣٤١
لا يعجبنيك من يصون ثيابه خوف الغبار وعرضه مبذول	١٣٩	٣٤٣
سماية	١٤٠	٣٤٧
أشعر من بالشام والعراق	١٤١	٣٤٩
ابن جاح ينشد المعتضد شعره	١٤٢	٣٥١

## الباب الرابع

في القصص التي تسرد بارع ملهم ، ورائع طرفهم ، في جواباتهم المسكتة ،  
وتصرفاتهم الحكيمة ، وتخلصاتهم اللبقة ، مما يدل على حضور الذهن ، وسرعة البديهة ،  
وشدة المارضة :

رقم القصة	رقم الصفحة	العنوان
١٤٣	٣٥٤	حسان بن ثابت والناصفة
١٤٤	٣٥٦	آية أخلاق كانت للعرب في الجاهلية !
١٤٥	٣٦٠	مسلم يحتال على قریش
١٤٦	٣٦٢	إذا أنا كم كريم قوم فأكرموه
١٤٧	٣٦٣	ما رأيته لاحى أحدا إلا غلبه
١٤٨	٣٦٦	المغيرة بن شعبة وأحد الأعراب
١٤٩	٣٦٨	دهاء عمرو بن العاص
١٥٠	٣٧٢	بين معاوية وهانىء بن عروة
١٥١	٣٧٣	إن هذا العبد غلبني وغلبك
١٥٢	٣٧٤	ما عليه لو عرض
١٥٣	٣٧٦	لا يأتينا غير طالب فقه أو طالب فضل
١٥٤	٣٧٨	ابن أبي محجن عند معاوية
١٥٥	٣٨٩	ذكرتني يوم النفع في الصور
١٥٦	٣٨٢	أعرابي عند الحجاج
١٥٧	٣٨٣	دعاني من هو خير منك
١٥٨	٣٨٤	أنت إلى القبر أقرب منك إلى العفو
١٥٩	٣٨٥	ضربنا بسيفه ثم جاءنا بالأكاذيب
١٦٠	٣٨٦	الحجاج وأنس بن مالك
١٦١	٣٨٧	الحجاج والفضبان بن التبعثرى

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
حسن تخلص	٣٩٧	١٦٢
بثينة وعزة عند عبد الملك	٣٩٨	١٦٣
من أشعر الناس؟	٣٩٩	١٦٤
سليمان بن عبد الملك وأبو حازم	٤٠٠	١٦٥
ضعه من النار حيث شئت	٤٠٤	١٦٦
مناظرة مع الخوارج	٤٠٥	١٦٧
ليس الأمر بالسن	٤٠٦	١٦٨
بنو أمية وعمر بن عبد العزيز	٤٠٩	١٦٩
في وفاة عمر بن عبد العزيز	٤١٢	١٧٠
رأى خالد بن صفوان في الشعراء	٤١٣	١٧١
المنصور وابن طاوس	٤١٥	١٧٢
بديهة معن	٤١٦	١٧٣
رسول معن	٤١٧	١٧٤
كبير!	٤٢٠	١٧٥
قناعة	٤٢١	١٧٦
الرشيد وعبد الملك بن صالح	٤٢٢	١٧٧
هارون الرشيد ومسلم بن الوليد	٤٢٦	١٧٨
شاعر باهلي في حضرة الرشيد	٤٢٨	١٧٩
أبان بن عبد الحميد يمدح نفسه	٤٢٩	١٨٠
العتابي عند المأمون	٤٣٣	١٨١
أبو تمام يستعذب خطاب أعرابي	٤٣٥	١٨٢
امتحان شاعر	٤٣٨	١٨٣

## فهرس الأعلام

أبو بكر بن أبي قحافة (الصدیق) :

٣٥٦

أبو تمام : ٤٣٥ ، ٣٣١

أبو حازم : ٤٠٠

أبو حردبة : ٣٢

أبو دلف المجلى : ٣٢٧ ، ٣٣٦ ،

٤٢١ ، ٣٣٩

أبو دلامة : ٢٧٨

أبو سفیان بن حرب : ١٩٧

أبو الشیص : ٣٣٤

أبو العباس السفاح (الخليفة العباسی) :

٢٨٠ ، ١٦١

أبو العتاهية : ٢٩٨ ، ٣٢١ ، ٣٢٣

أبو العلاء المعری : ٣٤٩

أبو العمیل : ٣٤١

أبو كبير الهذلي : ٤١

أبو النجم المعلى : ٢٦٧

أبو نصر المنذرى : ٣٤٩

(١)

إبراهيم بن رباح : ٤٣٦

إبراهيم بن محمد الإمام : ١٦٦

إبراهيم بن المدبر : ١٧٨

إبراهيم بن المهدي : ٣٢٥

إبراهيم بن ميمون : ١٧٢

إبراهيم بن هرمة : ٢٧٥

أبان بن الحجاج : ٢٢٧

ابن أبي دبا كل : ٤٥

ابن أبي محجن : ٣٧٦

ابن جاح : ٣٥١

ابن سريج المغنى : ٤٥

ابن طلوت : ٣٤٣

ابن طاوس : ٤١٥

ابن العريف : ٤٣٨

أبو الأسود الدؤلى : ١٠٣

أبو أيوب الخازن : ٢٧٨

أبو نواس : ٣٠٤ ، ٣٣٤  
أحمد بن أبي خالد : ١٧٨  
أحمد بن أبي داود : ٤٣٥  
أحمد بن السراج : ٣٢٩  
الأحنف بن قيس : ٢١٢  
الأحوص : ١٥٤ ، ٢٤٩  
الأخطل : ٢٣٢ ، ٢٥٠  
الأخنس بن كعب : ١٢  
الأراكة (قينة ابن مفرغ) : ٢١٠  
أروى بنت الحارث : ١٢٣  
إسحاق بن إبراهيم الموصلي : ٤٣٣  
أسماء بنت أبي بكر : ١٣٢ ، ١٤٦  
إسماعيل بن عبد الله : ٣٨٦  
الأسود بن قنان : ١٨٥  
أشجع السلمي : ٢٩٨ ، ٣٠٨ ،  
٣٢١ ، ٣٢٣  
الأصمعي : ٦٠ ، ١٧٥ ، ٣١٣ ،  
٣١٥ ، ٣١٨  
أعشى قيس : ١٩٧  
أعشى همدان : ٢٢٣  
أمامة بنت الحارث : ٧٩  
أمامة بنت خزرج : ١٨٥  
امرؤ القيس بن حجر : ١٩٤  
أم البنين بنت عبد الملك بن  
سروان : ١٤٥  
أم الخير بنت الجريش : ١٠٦  
أم سلمة بنت يعقوب : ١٦١  
أم سنان بنت خيثمة المذحجية :  
١٢٦  
أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن  
الخطاب : ٩٤  
أنس بن أبي شيخ : ٤٢٦  
أنس بن مالك : ٣٨٦  
أنمار (قبيلة) : ١٣  
أولس بن خارثة : ٨١ ، ٨٦  
أيمن بن خزيم الأسدي : ٢٤٣  
أيوب بن القرية : ٣٨٤  
(ب)  
بثينة (صاحبة جميل) : ٣٩٨  
بجيلة (قبيلة) : ١٧  
برد (غلام ابن مفرغ) : ٢٠٨  
بسر بن أرطاه : ١١٣

أبو نواس : ٣٠٤ ، ٣٣٤  
أحمد بن أبي خالد : ١٧٨  
أحمد بن أبي داود : ٤٣٥  
أحمد بن السراج : ٣٢٩  
الأحنف بن قيس : ٢١٢  
الأحوص : ١٥٤ ، ٢٤٩  
الأخطل : ٢٣٢ ، ٢٥٠  
الأخنس بن كعب : ١٢  
الأراكة (قينة ابن مفرغ) : ٢١٠  
أروى بنت الحارث : ١٢٣  
إسحاق بن إبراهيم الموصلي : ٤٣٣  
أسماء بنت أبي بكر : ١٣٢ ، ١٤٦  
إسماعيل بن عبد الله : ٣٨٦  
الأسود بن قنان : ١٨٥  
أشجع السلمي : ٢٩٨ ، ٣٠٨ ،  
٣٢١ ، ٣٢٣  
الأصمعي : ٦٠ ، ١٧٥ ، ٣١٣ ،  
٣١٥ ، ٣١٨  
أعشى قيس : ١٩٧  
أعشى همدان : ٢٢٣

(ث)

ثابت بن جابر = تأبط شرا

(ج)

جامع الحاربي : ٢٢٨

جعدر بن ربيعة : ٤٣ ، ٤٤

جذيمة بن الأبرش : ٨ ، ٦٢

جرير بن عطية الخطفي : ٤١ ، ٤٢

١٤٧ ، ٢٤٨ ، ٣٩٩

جعفر بن يحيى البرمكي : ٣٠٠ ، ٣٢١

جليلة بنت مرة : ٧٣

جميل بن معمر : ١٤٧ ، ٢١٨ ،

٢٣١

(ح)

حاتم بن عبد الله : ٨١

الحارث بن خالد : ١٥٩ ، ٢٢٠

الحارث بن عمرو : ٨٨

الحارث بن عوف : ٨٦

الحارث بن كعب : ١٠

الحجاج بن علاط السلمي : ٣٦٠

الحجاج بن يوسف الثقفي : ٣٣ ، ٣٤

١٣٨ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨

بشار بن برد : ٢٩٨

بشر بن المنذر : ٢٩٠

بكارة الهلالية : ١٢١

بكر بن وائل ( قبيلة ) : ٣٦٦

بنو أسد : ١٩٤

بنو أمية : ٢٨٠ ، ٤٠٩

بنو تميم الله : ٣٦٦

بنو ثعلبة : ١٧٩

بنو ذهل : ٣٦٦

بنو شيبان : ٢٤ ، ٢٨ ، ٣٦٦

بنو مالك بن غفيلة : ٦٨

بنو النضير : ٨٤

بنو نمير : ٣٠

بنو هاشم : ٣٦٤ ، ٤٨٠

بنو يشكر : ٣٦٦

بهيسة بنت أوس بن حارثة : ٨٧

(ت)

تأبط شراً : ١٤

تميم بن عدى اليربوعي : ٩٩

تميم ( قبيلة ) : ٩٩

توبة بن الحير : ١٢٩



داود بن علي : ٢٨١

درواس بن حبيب : ٢٧١

دعبل الخزاعي : ٣٢٧ ، ٣٢٩ ،

٣٣٤ ، ٣٣١

(ذ)

ذيان بن ذبيان : ٤١٠

الذلقاء بنت الأبيض : ١٧٨

(ر)

الريمع بن يونس : ٢٨٤ ، ٢٨٥ ،

٢٩٠

ربيعة الرق : ٣٠٥

زرين الخزاعي : ٣٢٩

رقاش (أخت جذيمة بن الأبرش) : ٨

(ز)

الزباء : ٦٢

الزبرقان بن بدر : ١٠٥

الزبير بن العوام : ١٠٩

زرارة بن عدس : ٧٥

زيد الخليل : ٢٨ ، ٨١

زينب بنت حدير : ١٣٥

٢٩٢ ، ٣٤٣ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ،

٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٩٧

حرقة بنت النعمان : ٩٥

حسان بن ثابت : ٢٠٠ ، ٣٥٤

الحصيف بن عمرو الكلبي :

١٢ ، ١٣

الحطيئة : ٢٠٦

حمدونة بنت عيسى : ١٧٩

حنيفة (قبيلة) : ٣٦٦

حيان بن سلمى : ١٩٩

(خ)

خارجة بن سنان : ٨٦

خالد بن صفوان : ١٦١ ، ٢٦٢ ،

٢٦٦ ، ٤١٣

خالد بن عبدالله القسري : ٢٦٦ ، ٣٩٧

خالد بن عتاب : ٣٢٢

خالد بن المضلل : ١٧

خالد بن يزيد : ٣٠٦ ، ٣٩٠

الخنسبام : ٩٠ ، ٩٣

الخيزران (أم الهادي والرشيد) : ١٦٥

(د)

دارمية الحجونية : ١١٩

زينب بنت سليمان : ١٦٦

زينب بنت يوسف ( أخت الحجاج ) :

١٥٨

(س)

سديف (مولى أبي العباس ) : ٢٨٠

سعد بن أبي وقاص : ٩٥

سعد بن ضبة : ١٠

سعد بن مرة بن جبير : ٢٧٣

سعيد بن جبير : ٣٧٩

سعيد بن خالد : ٢٤٦

سعيد بن سالم : ٤٢٨

سعيد بن ضبة : ١٠

سعيد بن عثمان : ٢٠٨

سعيد بن المسيب : ٢٢٢

سكينة بنت الحسين : ١٥٢ ، ١٤٧

سليم بن كيسان الكلبي : ٢٦٧

سليمان بن عبد الملك ( الخليفة ) :

٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٣٩٧ ، ٤٠٠ ،

٤٠٤ ، ٤١٠

سليمان بن عبد الملك ( فتى من بني

عبس ) : ٢٤٥

سليمان بن مجالد : ٢٧٩

السليك بن السلكة : ٢٢

سودة بنت عمارة : ١١٢

(ش)

شبة بنت عقال : ٤١٣

شريح بن الحارث : ١٣٥

شرقي بن القطامي : ٥٧ ، ٥٤

شظاظ ( اللص ) : ٣٣

الشعمي : ١٣٥ ، ٢٧٢

شوذب الحروري : ٣٤٥

شينة بن ربيعة : ٩٠

(ص)

صاعد بن الحسن : ٤٣٨

صخر بن عمرو : ٣١

صخرة ( أخت الحصين بن عمرو

الكلابي ) : ١٢

صعصعة بن ناجية : ١٢

صفية بنت عبد المطلب : ٩٢

(ض)

ضبة بن أد : ١٠

عبد الله بن أبي بكر : ١٣٤

عبد الله بن الحجاج : ٢٧٨

عبد الله بن الحسن بن علي : ٢٧٦

عبد الله بن الزبير : ١٣٢ ، ١٤٥ ،

٢٧٦ ، ٢١٦

عبد الله بن زياد : ٢٠٨

عبد الله بن سعيد بن عبد الملك : ٤٥

عبد الله بن صفوان : ٣٧٠

عبد الله بن العباس : ٢٠٦ ، ٩٩ ،

٣٧٦ ، ٣٦٣

عبد الله بن عمرو بن العاص : ٣٦٨

عبد الله بن قيس الرقيات : ٢٢٢

عبد الله بن المنتشر : ٤٦

عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن

جعفر : ٢٧٦

عبد الملك بن صالح : ٤٢٢

عبد الملك بن الفضل : ١٦٨

عبد الملك بن مروان : ٤٠ ، ٤١ ،

٤٢ ، ١٤٤ ، ٢٢٥ ، ٢٣٢ ، ٢٣٦

٢٩٨

عبيد بن الأبرص : ١٩ ، ٢٠ ، ١٩٤

عبيد الله بن زياد : ٢٠٨

ضرار بن القعقاع : ٦٠

( ط )

طلحة بن عبيد الله : ١٠٩

( ع )

عائشة بنت أبي بكر : ٩٣

عائشة بنت طلحة : ١٥٨

عاصم بن عمر بن الخطاب : ٩٤

عاصر بن جذيمة : ١١

عامر بن الطفيل : ١٩٩

عامر بن وائلة : ٣٧٦

العباس بن عبد المطلب : ٣٦٠

العباس بن المأمون : ١٧٨

العباس بن محمد بن علي : ٣٠٥

عبد الرحمن بن الأشعث : ١٩٩ ، ٣٨٤

٣٨٥

عبد الرحمن بن سيجان الحاربي : ٢٠٦

عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح :

٤٢٢

عبد الرحمن بن عتيق المزني : ٤١٦

عبد العزيز بن عمرو بن مروان : ٢٨١

عبد العزيز بن مروان : ٢٤٠

عتبة بن أبي سفيان : ٢٠٤ ، ٩٠

٣٦٨

عثمان بن عفان : ١١٩

عثمة بنت مطرود : ٦٨

المجفاء بنت علقمة السعدي : ٧١

عدى بن أرطاة : ٢٤٨

عدى بن الزبير : ٩٥

عدى بن نصر : ٨

عروة بن أذينة : ٢٥٩

عروة بن الورد : ٨٤

عزة (صاحبة كثير) : ٣٩٨

عصام بن شهر : ٣٥٤

علقمة بن عبدة : ٢٠٠

علي بن أبي طالب : ٣٥٦ ، ٩٦ ، ٨٩

٣٦٨ ، ٣٦٢

علي بن جبلة : ٣٣٩ ، ٣٣٦

علي بن الحسين (زين العابدين) :

٢٦٠

علي بن رافع : ٩٦

علي بن محمد العلوي : ٣٤٧

علي بن موسى الرضا : ٣٣٢

عكرشة بنت الأطرش : ١١٧

عمارة بن حمزة : ٤٢٠

عمر بن أبي ربيعة : ٢٢٢ ، ٢٢٠ ، ٢١٨

٤١٢ ، ٤٠٩ ، ٤٠٨ ، ٢٣٩

عمر بن الخطاب : ٩٤ ، ٣٦٣

عمر بن عبد العزيز : ٢٤٨ ، ٢٥٢

٣٤٥

عمر بن الوليد بن عبد الملك : ٤٠٩

عمرو بن الأهم : ٢٠٥

عمرو بن براق : ١٧

عمرو بن بسطام : ٢٦٨

عمرو بن الحارث : ٢٠٠

عمرو بن الشريد : ٩٠

عمرو بن العاص : ١٢٣ ، ٣٦٨ ، ٣٧٣

٣٧٤

عمرو بن عبيد الله : ٣٢

عمرو بن عدى : ٨ ، ٦٣

عمرو بن فرج : ٤٣٦

عمرو بن مسعدة : ٣٢٧

عنيسة بن سميد : ١٣٨

( غ )

الغضبان بن القبعثري : ٣٦٤

كلثوم العنابي : ٤٣٣

الكيت الأسدي : ٢٧٤

( ل )

لقيط بن زرارة : ٧٥

ليلي الأخييلة : ١٣٨ ، ١٢٩

( م )

المأمون ( الخليفة ) : ١٧٧ ، ٣٢٧ ،

٤٢٧ ، ٣٣٦

المؤمل بن أميل : ٢٨٧

مؤنسة ( مغنية ) : ٣٤٤

مالك بن أنس : ٤١٥

مالك بن الربيع : ٣٢

مالك بن طوق : ٣١٠ ، ٣١٢

مانى الموسوس : ٣٤٣

المتوكل ( الخليفة العباسي ) : ١٤٧

المتنى بن حارثة : ٣٥٦

مجاعة بن الأزهر : ٤١٧

محسن القعقيسي : ١٤٢

محمد بن أبي الجهم : ٢٥٧

محمد بن أمية : ٣٢٥

محمد بن صالح : ١٧٩

( ف )

فاطمة بنت محمد بن الحسين : ١٦٨

الفرزدق : ١٤٧ ، ١٥٢ ، ٢٤١ ، ٢٦٠

٢٧٤

الفضل بن الربيع : ٢٦٣

الفضل بن يحيى : ٤٢٥ ، ٤٢٩

الفضل بن يزيد : ١٨٢

( ق )

القاسم بن عيسى : أبو دلف

قبيصة بن نعيم : ١٩٤

قراذ بن إهاب : ٧٥

قريش ( قبيلة ) : ١٩٧ ، ٣٦٠ ،

٣٦٤

قصور بن سعد : ٦٢

قمامة ( خادم عبد الملك بن صالح ) : ٥٢

قنبر ( مولى على بن أبي طالب ) :

٣٦٢

قيس بن ثعلبة ( قبيلة ) : ٣٦٦

قيس بن خالد : ٧٦

( ك )

كثير بن عبد الرحمن : ١٤٧ ، ١٥٤ ،

٢٣١ ، ٣٤٩ ، ٣٥٢

محمد بن عبد الله بن طاهر : ٣٤٣  
 محمد بن عبد الله بن عبد المطلب  
 (الرسول ﷺ) : ٣١ ، ٨٩ ،  
 ٣٦٠ ، ٣٥٦ ، ٢٠٥  
 محمد بن عبد الملك : ٤٣٥  
 محمد بن علي بن الحسين : ٢٧٥  
 محمد بن عمرو بن العاص : ٣٦٨  
 محمد بن كعب القرظي : ٤٠٩  
 محمد بن منذر : ٣٦٣  
 مروان بن أبي حفصة : ٤١٦ ، ٢٩٠  
 مروان بن الحكم : ١٢١ ، ١٢٦  
 مزاحم (مولى عمر بن عبد العزيز) :  
 ٤١٦ ، ٤١٧  
 مزنة (زوج مروان بن محمد) : ١٦٥  
 مسلم بن الوليد : ٣٠٠ ، ٣٣٤ ، ٤٢٦  
 مسلمة بن عبد الملك : ٢٧٠ ، ٤١٢ ، ٤١٤  
 مصعب بن الزبير : ٢١٦  
 مطلب بن عبد الله : ٣٢٩  
 معاوية بن أبي سفيان : ١٠٣ ، ١٠٦ ،  
 ١١١ ، ١١٤ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٣  
 ١٢٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٣٦٨ ، ٣٧٢  
 ٣٧٤ ، ٣٩٣  
 المعتضد بن عباد : ٣٥١  
 معقل بن عيسى : ٣٣٩  
 معن بن زائدة : ٤١٧  
 المغيرة بن شعبه : ٩٨ ، ٣٦٦  
 مفروق بن عمرو : ٣٥٦  
 المنذر العبدي : ٢١٢  
 المنذر بن ماء السماء : ١٩ ، ٢٠ ،  
 ٢١ ، ٧٦  
 المنصور بن أبي عامر : ٤٣٨  
 المنصور العباسي (الخليفة) : ٢٧٨ ،  
 ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٧ ، ٢٩٠ ،  
 ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧  
 منصور النخعي : ٣٠٨  
 المهاجر بن خدّاش : ١٩٤  
 المهاجر بن عبد الله : ٢٥  
 المهدي العباسي (الخليفة) : ٥٤ ، ١٦٦  
 ٢٨٧ ، ٢٩٠ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨ ، ٤٢٠  
 موسى شهوات : ٢٤٦  
 ( ن )  
 النابغة الجعدي : ١٤٣  
 النابغة الذبياني : ٢٠٠  
 ناهض بن ثومة : ٣٦

محمد بن عبد الله بن طاهر : ٣٤٣  
 محمد بن عبد الله بن عبد المطلب  
 (الرسول ﷺ) : ٣١ ، ٨٩ ،  
 ٣٦٠ ، ٣٥٦ ، ٢٠٥  
 محمد بن عبد الملك : ٤٣٥  
 محمد بن علي بن الحسين : ٢٧٥  
 محمد بن عمرو بن العاص : ٣٦٨  
 محمد بن كعب القرظي : ٤٠٩  
 محمد بن منذر : ٣٦٣  
 مروان بن أبي حفصة : ٤١٦ ، ٢٩٠  
 مروان بن الحكم : ١٢١ ، ١٢٦  
 مزاحم (مولى عمر بن عبد العزيز) :  
 ٤١٦ ، ٤١٧  
 مزنة (زوج مروان بن محمد) : ١٦٥  
 مسلم بن الوليد : ٣٠٠ ، ٣٣٤ ، ٤٢٦  
 مسلمة بن عبد الملك : ٢٧٠ ، ٤١٢ ، ٤١٤  
 مصعب بن الزبير : ٢١٦  
 مطلب بن عبد الله : ٣٢٩  
 معاوية بن أبي سفيان : ١٠٣ ، ١٠٦ ،  
 ١١١ ، ١١٤ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٣  
 ١٢٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٣٦٨ ، ٣٧٢  
 ٣٧٤ ، ٣٩٣

هند بنت النعمان : ٩٨

( و )

وردان ( غلام عمرو بن العاص ) :

٣٧٣ ، ٣٦٩

الوليد بن عبد الملك ٤٣ ، ١٤٤

الوليد بن عتبة ٦٠

الوليد بن يزيد ٢٧٢

وهب بن ناجية الرصافي ١٨٥

( ي )

يحيى بن أكرم ٤٣٣

يحيى بن خالد ٤٢٤

يزيد بن أبي مسلم ٣٨٥ ، ٤٠٤

يزيد الشيباني ٢٤ ، ١٤٤

يزيد بن مزيد ٢٩١

يزيد بن مفرغ ٢٠٨

يعقوب بن داود ٢٩٠

يوسف بن عمرو النخعي ٢٦٢

نجاح بن سلمة ٤٣٦

نجدة بن الأسود ١٨٢

نصيب بن رباح ١٤٧ ، ١٥٤ ، ٢٤١

٢٥٢

نصيب ( العباسي الشاعر ) ٢٩٦

النعمان بن شريك ٣٥٦

النعمان بن المنذر ٣٥٤

النميري ١٥٨

( هـ )

هارون الرشيد ( الخليفة ) ١٦٨ ، ٢٠٠

٣٠٣ ، ٣٠٦ ، ٣٠٨ ، ٣٢٤

هاني بن عروة المرادي ٣٧٢

هاني بن مسعود ٣٥٠

هشام بن عبد الملك ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠

٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٧١ ، ٤١٣

٤٢٢ ، ٤٢٦ ، ٤٢٨

هلال بن الأسعر ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٢

هند بنت عتبة ٩٠

## فهرس الأماكن

(ق)	(ر)	(ا)
قوس : ١٤٣ ، ٣٣٢	الرصافة : ١٨٥	أسوان : ٣٢٠
(م)	(س)	(ب)
محلة بنى فزارة : ٤٥	البراة : ١٧	البحرين : ٤٨
المحصب : ١٥٨	سر من رأى : ٤٣٥	بدر : ٩٠
المدينة المنورة : ٨٤	السفد : ١٥٥	البصرة : ٤٩
المربد : ٤٩	السماء : ٩	بطن نمان : ١٥٨
مصر : ٣٢٩	(ص)	بقة : ٦٢
مكة : ٨٤	الصالحية : ٣٢١	(ج)
ملحوب : ٢٠	الصعاب : ٤٨	الجوف : ٢٣
منى : ١٥٨	صفين : ١١٧	(ح)
منفوحة : ١٩٨	(ط)	الحجون : ١١٩ ، ٤٦
(هـ)	الطائف : ١٥٨	الحصاب : ٤٦
هجر : ٤٠	(ع)	حلب : ٣٦
(و)	العذيب : ١٨٧	الخيرة : ٥٤ ، ٣٠ ، ٢٨
الوهط : ١٧	العقيق : ١٥٤	(خ)
(ى)	عكاظ : ٩٠ ، ١٠	خراسان : ٣٢٣
اليامة : ٢٥	(ف)	خير : ٣٦٠
	فارغ : ٩٢	(ذ)
	فخ : ١٥٨	ذنوب : ٢٠



## مراجع هذا الجزء

أخبار أبي تمام	: للصولى
الأغاني	: لأبى الفرج الأصفهاني
الأمالي	: لأبى على القالى
الأمالي	: للزجاجي
الأمالي	: للشريف المرتضى
الأوراق	: للصولى
البداية والنهاية	: لابن كثير
بلاغات النساء	: لأبى الفضل أحمد بن أبى طاهر
بلوغ الأرباب في معرفة أحوال العرب	: للألويسي
البيان والتبيين	: للجاحظ
تاريخ الأمم والملوك	: لابن جرير الطبري
التنبيهات	: للبكري
ثمرات الأوراق	: للحموي
جهرة أشعار العرب	: لأبى زيد الخطابي
جهرة أمثال العرب	: لأبى هلال العسكري
خزانة الأدب	: للبندادي
ذيل الأمالي والنوادر	: لأبى على القالى
ذيل زهرة الآداب	: للحصري

ذيل ثمرات الأوراق	: للحموى
الروض الأنف	: للسهيلى
زهر الآداب	: للحضهرى
سرح العيون	: لابن نبانة المصرى
السيرة النبوية	: لابن هشام
سيرة عمر بن عبد العزيز	: لابن عبد الحسك
شرح ديوان الحماسة	: للمرصنى
شرح نهج البلاغة	: لابن أبى الحديد
الشعر والشعراء	: لابن قتيبة
صبح الأعشى	: للقلقشندي
عصر المأمون	: للدكتور فريد رفاعى
العقد الفرید	: لابن عبد ربه
العقد الفرید للملك السعيد	: لأبى سالم محمد بن أبى طلحة
عين الأدب والسياسة	: لأبى حسن على بن هذيل
عيون الأخبار	: لابن قتيبة
غرر الخصاص الواضحة	: لأبى إسحاق الطواط
الفرج بعد الشدة	: للتنوخى
فوات الوافيات	: لابن شاكر الكتبي
الكامل فى التاريخ	: لابن الأثير
الكامل فى الأدب	: للمبرد
مجمع الأمثال	: للميدانى
المحاسن والأضداد	: للجاحظ

المحاسن والمساوى :	اللبهقي :
محاضرات الأبرار :	لابن عربي :
لباب الآداب :	لابن منقذ :
مروج الذهب :	للمسعودي :
المستطرف في كل فن مستظرف :	للأبشيهي :
مصارع العشاق :	: لأبي جعفر بن أحمد السراج
معجم الأدباء :	: لياقوت الحموي
معجم البلدان :	: لياقوت الحموي
معاهد التنصيص :	: لبدر الدين العباسي
مذهب الأغاني :	: للشيخ الحضري
الموشح :	: للفرزباني
نفع الغيب :	: للمقري
نهاية الأرب :	: للنويري
وفيات الأعيان :	: لابن خلكان

## مراجع الضبط والشرح والتحقيق والتراجم

أساس البلاغة	: للزعشمري
أشعار النساء	: للمرزباني
الأعلام	: لخير الدين الزركلي
تاج العروس	: للزبيدي
تاريخ آداب اللغة العربية	: لجورجي زيدان
تاريخ الأمم الإسلامية	: للخضري
تبصير المنتبه	: لابن حجر
دواوين الشعراء	
رغبة الآمل من كتاب الكامل	: للمرصفي
شرح ديوان الحماسة	: للمرصفي
شرح الأمالي	: للبكري
طبقات الشعراء	: لابن سلام
طبقات الشعراء	: لابن قتيبة
الفاخر في الأمثال	: للضي
فهرس خريطة الممالك الإسلامية	: لأمين واصف
القاموس المحيط	: للفيروز أبادي
لسان العرب	: لابن منظور
مراسد الاطلاع	: لابن عبد الحق البغدادي
المنتبه	: الذهبي
المعارف	: لابن قتيبة
معجم البلدان	: لياقوت
وفيات الأعيان	: لابن خلكان

نجاح بن سلمة ٤٣٦	همدان : ٤٤٣
نجدة بن الأسود ١٨٢	هند بنت عتبة ٩٠
النخع : ٤٤٤	هند بنت النعمان : ٩٨
نصيب بن رباح ١٤٧ ، ١٥٤ ، ٢٤١ ، ٢٥٢	( و )
نصيب ( العباسي الشاعر ) ٢٩٦	وردان ( غلام عمرو بن العاص ) :
النعمان بن شريك ٣٥٦	٣٧٣ ، ٣٦٩
النعمان بن المنذر ٣٥٤	الوليد بن عبد الملك ٤٣ ، ١٤٥ ،
نمير ٤٤٢	الوليد بن عتبة ٦٠
النميري ١٥٨	الوليد بن يزيد ٢٧٢
نهد : ٤٤٣	وهب بن ناجية الرصافي ١٨٥
( ه )	( ي )
هارون الرشيد ( الخليفة ) ١٦٨ ، ٢٠٠ ، ٣٠٣ ، ٣٠٦ ، ٣٠٨ ، ٣٢٤	يحيى بن أكرم ٤٣٣
هاني بن عروة المرادي ٣٧٢	يحيى بن خالد ٤٢٤
هاني بن مسعود ٣٥٠	يزيد بن أبي مسلم ٣٨٥ ، ٤٠٤
هشام بن عبد الملك ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٧١ ، ٢٧٣ ، ٤١٣	يزيد الشيباني ٢٤ ، ١٤٤
٤٢٨ ، ٤٢٦ ، ٤٢٢	يزيد بن مزيد ٢٩١
هلال بن الأسعر ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٢	يزيد بن مفرغ ٢٠٨
	يعقوب بن داود ٢٩٠
	يوسف بن عمرو التفتي ٢٦٢

## فهرس الأماكن

فتح : ١٥٨	(ر)	(١)
(ق)	الرصافة : ١٨٥	أسوان : ٣٢٠
قوس : ١٤٣ ، ٣٣٢	(س)	(ب)
(م)	السراة : ١٧	البحرين : ٤٨
محلة بنى فزارة : ٤٥	سرّ من رأى : ٤٣٥	بدر : ٩٠
المحصب : ١٥٨	السغد : ١٥٥	البصرة : ٤٩
المدينة المنورة : ٨٤	الساواة : ٩	بطن نعان : ١٥٨
المرید : ٤٩	(ص)	بقّة : ٦٢
مصر : ٣٢٩	الصالحية : ٣٢٢	(ج)
مكة : ٨٤	الصعاب : ٤٨	الجوف : ٣٣
ملحوب : ٢٠	صفين : ١١٧	(ح)
منى : ١٥٨	(ط)	الحجون : ٤٦ ، ١١٩
منفوحة : ١٩٨	الطائف : ١٥٨	الحصاب : ٤٦
(هـ)	(ع)	حلب : ٣٦
هجر : ٤٠	العذيب : ١٨٧	الحيرة : ٢٨ ، ٣٠ ، ٥٤
(و)	العقيق : ١٥٤	(خ)
الوهط : ١٧	عكاظ : ١٠ ، ٩٠	خراسان : ٣٢٣
(ى)	(ف)	خير : ٣٦٠
اليامة : ٢٥	فارع : ٩٢	(ذ)
		ذنوب : ٢٠

## مراجع هذا الجزء

أخبار أبي تمام	: للصولى
الأغاني	: لأبى الفرج الأصفهاني
الأمالي	: لأبى على القالى
الأمالي	: للزجاجى
الأمالي	: للشريف المرتضى
الأوراق	: للصولى
البداية والنهاية	: لابن كثير
بلاغات النساء	: لأبى الفضل أحمد بن أبى طاهر
بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب	: للألوسى
البيان والتبيين	: للجاحظ
تاريخ الأمم والملوك	: لابن جرير الطبرى
التنبيهات	: للبكرى
ثمرات الأوراق	: للحموى
جمهرة أشعار العرب	: لأبى زيد الخطائى
جمهرة أمثال العرب	: لأبى هلال العسكري
خزانة الأدب	: للبغدادى
ذيل الأمالى والنوادر	: لأبى على القالى
ذيل زهرة الآداب	: للحصرى

ذيل ثمرات الأوراق :	للحموى
الروض الأنف :	للسميلي
زهر الآداب :	للحصري
سرح العيون :	لابن نباتة المصري
السيرة النبوية :	لابن هشام
سيرة عمر بن عبد العزيز :	لابن عبد الحكم
شرح ديوان الحماسة :	للمرصفي
شرح سهج البلاغة :	لابن أبي الحديد
الشعر والشعراء :	لابن قتيبة
صبح الأعشى :	للقلقشندي
طبقات الشافعية :	للسبكي
عصر المأمون :	للدكتور فريد رفاعي
العقد الفريد :	لابن عبد ربه
العقد الفريد للملك السعيد :	لأبي سالم محمد بن أبي طلحة
عين الأدب والسياسة :	لأبي حسن علي بن هذيل
عيون الأخبار :	لابن قتيبة
غرر الخصائص الواضحة :	لأبي إسحاق الوطواط
الفرج بعد الشدة :	للتنوخى
فوات الوفيات :	لابن شاكر الكتبي
الكامل في التاريخ :	لابن الأثير
الكامل في الأدب :	للمبرد
مجمع الأمثال :	للميداني
الحاسن والأضداد :	للعاجظ



المحاسن والمساوى	: للبيهقي
محاضرات الأبرار	: لابن عربي
لباب الآداب	: لابن منقذ
مروج الذهب	: للمسعودي
المستطرف في كل فن مستظرف	: للأبشيهي
مصارع العشاق	: لأبي جعفر بن أحمد السراج
معجم الأدباء	: لياقوت الحموي
معجم البلدان	: لياقوت الحموي
معاهد التنصيص	: لبدر الدين العباسي
مذهب الأغاني	: للشيخ الحضري
للوشح	: للمرزباني
نفع الطيب	: للعقري
نهاية الأرب	: للنويري
وفيات الأعيان	: لابن خلكان

## مراجع الضبط والشرح والتحقيق والتراجم

أساس البلاغة	: للزنجشري
أشعار النساء	: للمرزباني
الأعلام	: لخير الدين الزركلي
تاج العروس	: للزبيدي
تاريخ آداب اللغة العربية	: لجورجي زيدان
تاريخ الأمم الإسلامية	: للخضري
تبصير المنقبه	: لابن حجر
دواوين الشعراء	
رغبة الآمل من كتاب الكامل	: للمرصفي
شرح ديوان الحماسة	: للمرصفي
شرح الأمالي	: للبكري
طبقات الشعراء	: لابن سلام
طبقات الشعراء	: لابن قتيبة
الفاخر في الأمثال	: للضبي
فهرس خريطة الممالك الإسلامية	: لأمين واصف
القاموس المحيط	: للفيروز آبادي
لسان العرب	: لابن منظور
مراصد الاطلاع	: لابن عبد الحق البغدادي

المشقيه	: للذهبي
المعارف	: لابن قتيبة
معجم البلدان	: لياقوت
وفيات الأعيان	: لابن خلكان

---